سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٦٢٨)

قيل في الأمثال

أمثال من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"ليبيع أرضه وجد في المسلمين من يقرضه ما يؤدي به دينه، وينظره.

نحن: ولم يزل الناس إلى الآن يقرضون وينظرون، وإنما قل ذلك لأمور:

أولها: قلة الأمانة في المستقرض، فغالب الناس الآن إذا ظفر أحدهم بمن يقرضه عد ذلك القرض غنيمة، فبدل أن يهتم بقضائه يهتم بمماطلته، وقد كان يقع مثل هذا قديما، ولذلك **قيل في المثل** القديم: "الأخذ سريطى والقضاء ضريطى" (١).

ولكن وقوعه الآن – ولا سيما في المسلمين – أكثر، بل لا تكاد تجد ذلك إلا في المسلمين.

الثاني: أن الشريعة سدت أبواب الربا؛ لتيسير القرض، فكثير من الناس يكون لديه مال زائد عن حاجته في الحال، ولا يريد أن يتجر فيه، فإذا سدت عليه أبواب الربا، لم يبق أمامه إلا أن يكنزه أو يقرضه، والإقراض خير له وأنفع، كما قدمنا في فوائد المقرض.

فلما فتح قصار النظر من الفقهاء أبواب الربا بالحيل والمعاذير، ومن جملة ذلك هذا البيع الذي نحن بصدده، عزت رغبة الناس في الإقراض، فكان – سابقا – من بيده مال لا يريد أن يتجر فيه محصورا بين أن يكنزه أو يقرضه قرضا شرعيا، وقد قدمنا الفوائد التي تحمله على ترجيح الإقراض.

---

(١) انظر "لسان العرب" و"تاج العروس" (سرط)، وفي ضبطه أوجه. والمعنى: يأخذ الدين ويبتلعه، فإذا طولب للقضاء أو تقاضاه صاحبه أضرط به، أي عمل بفيه مثل الضراط.." [١]

"باب في أصول ينبغي تقديمها

الأصل الأول

حجج الحق شريفة عزيزة كريمة

ليست كالهلوك (١) تعرض نفسها، ولا كأم خارجة – يقال لها: خطب، فتقول: نكح – (٢)، ولا كمي في وقاحتها ولجاجها؛ إذ قال صاحبها (٣):

على وجه مي مسحة من ملاحة ... وتحت الثياب العار لو كان باديا

فكشفت ثيابها، وقالت: هل ترى عارا؟

وإنما شأنها أن تدعو الناس إلى طلبها، فمن جد في طلبها وبذل وسعه في التقرب منها، ولم يكن له هوى في سواها، أو كان له ولكنه يؤثرها على ما عداها، كشفت عن وجهها وعرفته بنفسها؛ ومن فسد طبعه فلم يعن بشأنها أو قعدت به همته عن الجهاد في سبيل الوصول إليها قالت له (٤):

---

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني عبد الرحمن المعلمي اليماني ١٨/٣٤٧

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ومن حمله الجهل بها والغرام بغيرها على أن يعيبها وينفر عنها ازدادت

---

(١) هي الفاجرة الشبقة المتساقطة على الرجال. انظر: تاج العروس ٢٧/ ٤٠٤.

(٢) هي أم خارجة البجلية، يقال في المثل: أسرع من نكاح أم خارجة. انظر: الكامل ٢/ ٥٨٠ ومجمع الأمثال ١/ ٣٤٨.

(٣) نسب في خزانة الأدب (١/ ١٠٩) إلى ذي الرمة، وكان يحلف أنه ما قاله. وفي المصدر نفسه أن ابنة عم لمي قالته على لسانه.

(٤) البيت للحطيئة. انظر: ديوانه ١٠٨، والكامل للمبرد (٢/ ٧٢٠)، والطاعم: الحسن الحال في المطعم، أي: إنك ترضى بأن تشبع وتلبس.." [١]

"أو مما ظهر مني أي: أي شيء مما نشأ لك من الرأي، أو مما ظهر مني صرفك عن طاعتي. وهي على كل تقدير بمعزل عن الاستدلال بها.

وأما قولي: "راجعوا الإمام" فإني لما أردت أن أمحضك النصيحة، وأردك إلى الاستعمالات الصحيحة تقاعست عن ذلك وطفقت تخبط خبط عشواء، وتعربد عربدة النشوى، وقد قيل في المثل: "آخر الداء الكي" (١).

وأما التعصب بالدين فقال في القاموس: "وتعصب شد العصابة، وأتى بالعصبية، وتقنع بالشيء ورضي به" (٢)، فأي ملامة علي بأن كون متعصبا بالدين أي: معتما وكوني متعصبا به أي: متعززا، وكوني متعصبا به أي: متقنعا راضيا به: (وتلك شكاة ظاهر عنك عارها) (٣) وإنما اللوم على من يتعصب على الدين، أو يتعصب فيه مع أن الأولى في قضيتنا أن يعبر بالحق بدل الدين.

وأما قولك: "وعدم الرجوع إلى الحق ... إلخ" فأين الحق الذي أرجع إليه؟

---

(١) هكذا في المطبوعة، وفي الأصل (الدا) بالقصر، وكنت صوبتها إلى (الدواء) ثم رأيت في الصحاح (٦/ ٢٤٧٧) قول الجوهري: ويقال: آخر الدواء الكي، ولا تقل: آخر الداء الكي. اهـ. فدل على أن قولهم: آخر الداء مستعمل لكنه ضعيف وصوابه ما ذكره الجوهري بدليل أنه روي بلفظ: آخر الطب الكي.

وانظر لسان العرب (١٥/ ٢٣٥)، والتاج (١٠/ ٣١٩).

(٢) راجع القاموس مادة (عصب).

---

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني   عبد الرحمن المعلمي اليماني ٥٦/٢

(٣) هذا عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدة يرثي بها نشيبة بن محرث وصدره: (وعيرها الواشون أني أحبها).
انظر شرح ديوان الهذليين للسكري (١/ ٦٩).." [١]

"وليقترفوا ما هم مقترفون (١١٣) أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (١١٤) وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم (١١٥) وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (١١٦) إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ [الأنعام: ١١٢ - ١١٧].

يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، ووفقنا والمسلمين لما يرضيك. آمين.

والحاصل: أن التقييد المذكور إن هو إلا تحقيق للمفسدة، وإيغال في الغرور، كما **يقال في المثل** العامي: أراد أن يكحل عينه فأعماها. فنعوذ بالله من الخذلان.

هذا، مع أن المقرر في الأصول: أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح مطلقا، وأن درء المفسدة الكبرى بارتكاب الصغرى متعين إذا دار الأمر بينهما، ولا شك أن ذرائع الكفر - ومنها تمييز القبر - أشد المفاسد، فلو دار الأمر بينها وبين مفسدة أخف منها؛ لتعين ركوب الأخف، فكيف إذا لم يقابلها مفسدة أصلا.

[ص ١٠٨] وقال بعضهم: يحتمل أن يكون (البناء المنهي عنه) بناء الخيمة والفسطاط؛ لإقامة الحداد، وتعظيم المصيبة.

والجواب: أن هذا تقييد بمجرد التشهي، لو صح مثله لأصبح الدين ألعوبة، وأيضا فما باله قرن بالتجصيص؟." [٢]

"والقول السابع: أنه مشتق من العرب وهو مصدر عرب الجرح يعرب عربا، إذا بقيت له آثار بعد البرء، عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري، ويكون وجه هذا الاشتقاق أنهم لبروز أفعالهم وبقاء آثارهم وخلود نكايتهم لأعدائهم سموا بذلك.

والقول الثامن: أنه مشتق من العرب وهو كثرة الماء، ومنه بئر عربة إذا كثر ماؤها، ذكره ابن حبيب، واستشهد بقول طفيل الغنوي:

ولا أكون وكاء الزاد أحسبه ... لقد علمت بأن الزاد مأكول

ولا أقول وجم الماء ذو عرب ... من الحرارة: أن الماء مشغول

وقال محمد بن زياد الإعرابي أيضا: يقال: ماء عرب ونهر عرب وبئر عربة، كله يراد به كثرة الماء.

ولهذا الاشتقاق وجوه: إحداها أنهم لاشتباه حسن أفعالها ووجدان الكرم في كافتهم سموا بذلك، وقد **قيل في المثل**: أشبه به من الماء بالماء.

وثانيهما: أنهم لكرم أنسابهم وخلوص أعراقهم وصفاء أصولهم سموا بذلك، كما قيل للحصان الصحيحة النسب من النساء: ماء السماء. وكما يقال: حصان كماء المزن.

وثالثها: أنهم لاستغنائهم بأنفسهم. واكتفائهم دون الحاجة إلى غيرهم وتحيزهم بتدبير أموالهم عن أكثر أغراض سواهم سموا

---

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني   عبد الرحمن المعلمي اليماني ٣٠٧/٢٠

(٢) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني   عبد الرحمن المعلمي اليماني ٥/ ١٢٥

بذلك، لأن الماء يوصف بالغنى عن الأشياء وبحاجتها إليه كما قال سهل بن هارون بن راهبون البليغ – رحمه الله، في بعض حكمه، يصف بعض الملوك في جلالة قدره، واستغنائه عن آراء اتباعه وعن مساعي أعوانه –: كالماء الذي ليس به إلى شيء حاجة، ولكل شيء إليه أمس الضرورة.

ورابعها: أنهم لما أحيوه من الأرض الميتة، وأقاموه من الأعلام الدارسة، وأهلوه من القفار العازبة، سموا بذلك، تشبيها بالماء الذي به حياة كل شيء قال الله عز وجل: (وجعلنا من الماء كل شيء حي) .." (١)

"معرفة الطعام:

" السلفة " ما يتعجله الرجل من الطعام قبل الغذاء، وهو " اللهنة ".

ويقال " فلان يأكل الوجبة " إذا كان يأكل في اليوم مرة واحدة.

و" التمطق " بالشفتين: ضم إحداهما مع الأخرى مع صوت يكون بينهما، و " التلمظ " تحريك الشفتين بعد الأكل، كأنه يتتبع بذلك شيئا من الطعام بين أسنانه.

وتعرف العرب من أطبخة أهل الحضر وصنيعهم: " المضيرة " سميت بذلك لأنها طبخت باللبن الماضر، وهو الحامض، وتعرف " الهريسة " سميت بذلك لأنها تهرس، أي: تدق، وتعرف " العصيدة " سميت بذلك لأنها تعصد، أي: تلوى، ومنه قيل للاوي عنقه " عاصد " وكذلك " اللفيتة " سميت بذلك لأنها تلفت، أي: تلوى.

والعرب تسمي الفالوذ " صرطراطا " سميت بذلك للاستراط، وهو الابتلاع، ومنه **يقال في المثل** " لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقي " يقال " أعقى الشيء " إذا اشتدت مرارته.." (٢)

"الأصمعي في وصف ضب:

سبحل له نزكان كانا فضيلة ... على كل حاف في البلاد وناعل

و" الكشية " شحم بطنه، يقول قائل الأعراب:

وأنت لو ذقت الكشى بالأكباد ... لما تركت الضب يعدو بالواد

و" مكنه " بيضه، قال أبو الهندي:

ومكن الضباب طعام العريب ... ولا تشتهيه نفوس العجم

و" حسوله " ولده، ويقال: إنه يأكلها، ولذلك **يقال في المثل**: أعق من ضب.

و" حارشها " صائدها، وأنشد:

إذا ما كان حبك حب ضب ... فما يرجو بحبك من تحب." (٣)

---

(١) أدب الخواص الوزير المغربي ص/١١٢

(٢) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/١٦٩

(٣) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/١٩٧

"ما تكلم به العامة من الكلام الأعجمي:

قال الأصمعي: " الزرجون " الخمر، وأصله بالفارسية زركون، أي: لون الذهب؛ قال: و " الخندريس " الخمر، و " الإسفنط " و " الأسفند " الخمر، قال: وأحسبها بالرومية.

قال: و " السجنجل " المرآة، بالرومية فيما أحسب، و " البرنساء " الخلق، وأصله بالنبطية ابن الإنسان، **يقال في المثل**: ما أدري أي البرنساء هو، و " القنشليل " المغرفة، وأصله بالفارسية كفجليز، و " الكرد " العنق، وأصله بالفارسية كردن، وأنشد:

وكنا إذا القيسي نب عتوده ... ضربناه دون الأنثيين على الكرد

والأنثيان: الأذنان.

قال أبو عبيدة: ربما وافق الأعجمي العربي.

قالوا: " غزل سخت " أي: صلب، و " الزور " القوة."[١]

"ومن اليمن بعمان بنو لام. وهم رجال معدودون، فهم في قبائل الباطنة من الجهة الغربية. وقد صاروا، هم وبنو خالد، أنصارا للإمام ناصر بن مرشد رحمه الله، وما زال أضداد الإمام من أهل الغربية يغيرون عليهم، لمناصرتهم للإمام المذكور. وناصر بن قطن الهلالي النهابة من أهل الأحساء لا يزال يشن الغارات على غربية عمان، قتلا ونهبا وسرقا.

وكم أصاب من بني لام، وكم قتل ونهب. ويذهب إلى الأحساء هربا من ثأر العمانيين، فيأبى في حين غرة من القوم، على إبله التي أعدها للنهب. وكم فسد في الأرض. وعمان أمس ليست عمان اليوم، ومن المحال ام الحال، والله ولي كل شيء.

نسب آل الريس في طي

ومن اليمن بعمان آل الريس. وهم قوم من طي، نزلوا عمان على أثر خروج مالك بن فهم، واحتلوا الجانب الغربي من عمان. وهم بلدانهم فسح، بكسر الفاء وسكون السين المهملة بعدها حاء مهملة، وهي من أعمال لوى من الجهة الشمالية.

وهم هناك في رهط باسل، وهم زعماء وأعيان معروفون، وآل الريس كثيرون، ثم عريقون بذلك الطرف من عهدهم القديم.

نسب الهدادبة، وهم قوم من طي على الشائع الشهير. والهدادبةهم بطن من آل الريس، وهم كثيرون في بلدة فنجا من وادي سمائل، ويوجد فريق منهم في أطراف الشميلية، ولهم السور المعروف بسور الهدادبة، وفي أفريقيا الشرقية، أي زنجبار وتوابعها، فإن قبائل عمان في زنجبار فروع من عمان، قل ان توجد قبيلة في عمان، إلا وقسم منها في زنجبار، ويرأس الهدادبة في فنجا أولاد سعيد بن راشد، والموجود منهم الآن سعيد بن خلفان بن محمد بن سليمان، والهدادبة يرجحون بفنجا إذا ووزن بين قبائلها، ورئاستهم تشمل نصف فنجا والنصف الثاني ترجع رئاسته إلى الفوارس، وزعيمهم الآن الشيخ منصور بن ناصر بن محمد بن سيف، أحد القضاة بنزوى، منذ عهد الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رحمه الله. وينوب عن منصور المذكور في رئاسة الفوارس بفنجا ولده محمد، هكذا وصلني رسميا من حكومة السلطان سعيد بن تيمور أيام كنت واليا على بدبد، لأن فنجا من أعمالها.

---

(١) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٤٩٥

نسب بني نهد في اليمن

ومن اليمن بعمان بنو نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، على اختلاف في قضاعة كما عرفته. وبنو نهد بن زيد موجودون في عمان، بالباطنة منها. ويوجد بعضهم في بدو عمان، ومنازل باديتهم الجرداء. وكانوا العريقين ببلدة بعد، بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة بعدها دال مهملة، حتى **قيل في الأمثال** العمانية: " تردك بعد يا النهدى ". ويوجد فريق منهم في جامعة آل المسيب. ولعل شاعر العرب ابن عديم البهلاني إليهم يشير في قوله:

وأين نار الوغى آل المسيب من ... قضاعة وزعيم القوم زهران.

وزهران المشار اليه هو محسن بن زهران، زعيم آل المسيب، كان يسميه السلطان فيصل بن تركي: " زهران " حتى شاع ذلك عند الزعماء، ومصداقه أن زهران والد محسن هذا كان غير موجود أيام يقول الشاعر هذه القصيدة، بل الموجود هو محسن بن زهران، وهو الذي هرب من الإمام سالم إلى مسقط، إذ كان من أنصارها، حتى أنتهت أيام ذلك الإمام. وكان شاعر العرب رأى هذه القبيلة فظن أن نسب الكل قضاعة فعلقهم عليه، أو أنه وجد في سير العرب ما يدل على ما قال، وكل يقفو ما علم، وإلا فبنو المسيب على شهير نسابة أهل عمان أنهم من وائل، كما يقول صاحب " المؤتمن ". وقد أوردنا لك ذلك مسلسلا إلى وائل والعلم عند الله. ومن بني نهد بن زيد: الصعق الذي يعرفه كل أحد، وهو جشم بن عمرو بن سعد، وكان سيد نهد في زمانه.

وبنو نهد في أرض اليمن وحضرموت كثيرون، والحقيقة أن اليمانية بعمان أغلبها من أرض اليمن وحضرموت، إلا قيلا من بلاد العرب الأخرى.

نسب بني حرب في همدان

ومن اليمن بعمان الحربيون. وهم بنو حرب بن شهاب بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان، وبقية نسب همدان معروف.

قال في " العقد الفريد ": وبنو حرب وهم الحربيون..الخ، ومنهم أفراد بعمان مترددون لا متعددون، فإن بعض القبائل تزيد سنويا، وبعضها تنقص سنويا، وبعضها تستمر على حالها. ومن الحربيين قوم بعلاية سمائل يعرفهم أهلها.

نسب بني حضرموت في عمان." (١)

"رياح بن الأشل الغنوي، وكانت أمه خبيئة بنت رباح.

قال أبو عبيدة: وهي الشقراء التي **يقال في المثل** «شيئا ما يريد السوط إلى الشقراء» قال خالد:

أريغوني إراغتكم فإني ... وحذفة كالشجا تحت الوريد

مقربة أسويها بجزء ... وألحفها ردائي في الجليد

١٥٥ - حزمة (١):

---

(١) إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان سالم السيابي ص/٤٤

ذكر الأصمعي قال: حدثني شيخ يقال له ابن قتب قال:
قدم أعرابي من أهل نجد على الوليد بن عبد الملك وقد أضمر الوليد الخيل ليرسلها، فأتى الاعرابي فقال: يا أمير المؤمنين اريد ان أرسل خيلي مع خيلك. . قال يا أسيلم كيف تراها؟ فقال: حجازية لو ضمها مضمارك ذهبت، قال: فقال الاعرابي: ما اسمك؟ قال: أنا أسيلم بن الأحنف.
قال فقال: إنك لمنقوص الاسم اعوج اسم الأب.
قال: فأرسلت الخيل، فسبق الاعرابي على فرس له يقال له حزمة، فقال له الوليد: أواهبها انت لي؟ قال: إنها قديمة الصحبة ولها حق، ولكني احملك على مهر لها سبق الناس عاما أول (٢) وهو رابض. قال فعجبوا منه وضحكوا. فقال ما يضحككم! سبقت حزمة الناس عاما أول وهو

---

(١) وردت بلا نسبة في ابن الكلبي ص ١٣١ بفتح الحاء، وهي بالضم في مصادر الخيل الاخرى لدي. فذكرها الاصمعي ص ٣٨٧ والمخصص ٦/ ١٩٨ بقوله «حزمة فرس من خيل الجاهلية» أما الفيروز أبادي (حزم) ٤/ ٩٦ فقد جعلها «فرس أسيلم بن الاحنف» وتفرد الغندجاني بايراد خبرها المذكور الذي يفيد بأن أسليم بن الاحنف هو القائم على خيل الوليد، وان فارس حزمة هو الأصم حكيم بن مالك بن جناب النميري.
(٢) فتكون (اول) صفة ل (عاما) ممنوع من الصرف للوصفية على وزن افعل. ويجوز فيه (عام أول) فتكون (أول) مضافا اليه.." (١)

"فإما أن يقتل أو يبلي بلاء حسنا. ويسمى فارس خصاف. ويقال: «أجرأ من فارس خصاف» (١) بسبب القصة المذكورة.

٢٠٤ - خصاف (٢):
لحمل بن بدر بن عوف بن عامر بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، كان معه هذا الفرس، فطلبه المنذر بن امرىء القيس ليفتحله، فخصاه بين يديه لجرأته، فسمي خاصي خصاف.
ويقال في المثل «أجرأ من خاصي خصاف» (٣).

٢٠٥ - خميرة (٤):
فرس شيطان بن مدلج الحشمي. ولها يقول:
أتتني بما ترمي الدهيم لأهلها ... خميرة، أو مسرى خميرة أشأم

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها الأسود الغندجاني ص/٧٦

(١) انظر المثل وقولهم «ما يوم حليمة بسر» في مجمع الأمثال ٢/ ٢٧٢ - ٢٧٣ رقم (٣٨١٥).

(٢) ذكره ابن الأعرابي ص ٩٦ في خيل بني ذهل بن ثعلبة لحمل بن بدر، وأورد فيه قول الشاعر:

تالله لو ألقي خصاف عشية ... لكنت على الأملاك فارس أشأم

وهو كقطام لحمل بن بدر بن عوف في القاموس المحيط (خصف) ٣/ ١٣٤.

(٣) المثل في الدرة الفاخرة ١/ ١١٥ رقم (٩١) وحاشيته.

(٤) أوردها ابن الكلبي ص ٨٦ لشيطان الجشمي أحد بني تغلب. ورواية البيت عنده:

أتتني بها تسري خميرة موهنا ... كمسرى الدهيم أو خميرة أشأم

وهي لشيطان المذكور في حلية الفرسان ص ١٥٨.

وورد اسمها مصحفا بالحاء المهملة في الدرة الفاخرة ص ٢٣٩ في المثل رقم (٣٣٥) فيقال: «أشأم من خميرة» وذلك أنها أفلتت يوما فانطلق صاحبها يطلبها يومه، فرأت بنو أسد وبنو ذبيان آثارها فقالوا: إن القوم لقريبون منكم، فأتبعوا أثرها حتى هجموا على الحي فغنموا، وذلك يوم بسيان. فقال شيطان يذكر شؤمها:

١) فجاءت بما تزبى الدهيم لأهلها ... خميرة أو مسرى خميرة أشأم

٢) فلا صير أن عرضتها ووقفتها ... لوقع القنا حتى يضرجها الدم

٣) وعرضتها في صدر أظمى يزينه ... سنان كنبراس التهامي لهذم

٤) وكنت لها دون الرماح دريئة ... فتنجو وضاحي جلدها ليس يكلم

٥) فبنا أرجي أن أوفى غنيمة ... أتتني بألفي دارع يتقمم." (١)

"كان فاضلا رئيسا كبير الهمة نفيسا، مليح المحيا من بيت يتضوع في السيادة ريا، حسن العبارة جميل الشارة لطيف الإشارة. لم يزل إلى أن حن الموت إلى ابن حنا، وجعل جسده في البلى شنا.

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة، ودفن عند أهله بالقرافة، وكان في عشر الأربعين.

أحمد بن محمد بن إسماعيل الإربلي

الشيخ شهاب الدين المعروف بالتعجيزي، لأنه كان يحفظ التعجيز، وحفظ شيئا من الحديث وعلومه، ومعه خطوط الأشياخ بذلك.

كان نوعا غريبا وشخصا عجيبا، وعقله أعجب من كل عجب، وشعره كما **قيل في المثل**: " ترى العجب في رجب "، ألفاظ لا يقدر الفاضل الذكي على أن يأتي لها بنظير، ولا يتكلف البارع النحرير على أن يجيء بمثلها إلا إن كان في باشة وزنجير، شعر في غير الوزن، وألفاظ ما تحدث بها أهل سهل ولا حزن، فإذا أنصف العاقل وفكر فيه جد الفكرة علم أن هذا في الوجود فذ، وهو مما ندر وجوده في العالم وشذ، وهذا لو لم يكن طباعا منه بلا تكلف وسجية يوردها على رسله من غير

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها الأسود الغندجاني ص/٩٠

تخلف، لقدر الفضلاء على محاكاته وتكلفوا المشابهة له في بعض حركاته، هذا مع صورة جل من خلقها، ولحية ما ظلم من أخذ الموسى وحلقها، رأيته مرات عديدة، ولقيته في مظاهر جديدة، فما كنت أقضي العجب من كلامه، وأتطفل على سلامه.." (١)

"قوله تعالى:) وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول، فدمرناها تدميرا (، قرئ: أمرنا بالتخفيف، فيجوز أن يكون من الأمر ضد النهي، ويجوز أن يكون بمعنى كثرنا، يقال: أمرت الشيء فأمر، أي كثرته فكثر، وجاء في الخبر: خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة.

وأمرنا بالتشديد يكون من الإمارة والتسليط، وآمرنا بالمد يكون بمعنى كثرنا لا غير، يقال: أمر القوم وآمرهم الله فيكون زيادة الألف للنقل والتعدية، وجعل أكثر الناس جواب إذا أمرنا على وجوهه المذكورة، وفي كل وجه سؤال، فمن ذلك: إذا سئل في أمرنا بالتخفيف كيف يجوز إرادة الله تعالى إهلاك قوم قبل أن يأمرهم فيقابلوا أمره بالعصيان والفسوق؟ والجواب: أن ذكر الإرادة مجاز، وحقيقته ما سبق في علمه من استحقاقهم للهلاك، وهذا كما يقال: إذا أراد التاجر إفلاسه اشترى بالنقد وباع بالنسيئة، ومن الظاهر أنه لا إرادة منه لذلك، ووجه آخر وهو إذا أردنا في المستقبل إهلاك قرية أمرنا مترفيها في الحال فعصوا، لأنه على هذا يزول منه ما أنكره السائل.

وسئل في أمرنا بالتشديد كيف يجوز أن يهلكوا ويسلطوا حتى يفسقوا فيهلكوا؟ وهل يكون ذلك إلا معونة من الله تعالى في العصيان والفسوق ووجوب الإهلاك؟ والجواب أن الله تعالى يؤمرهم أن يذر الخير عليهم والنعيم لهم ليشكروا ويعبدوا فإذا خالفوا واستكبروا وعتوا وفسقوا فإنما أتوا من سوء اختيارهم، وعوقبوا وأهلكوا بما قدموا من ذميم أفعالهم، ومثل هذا السؤال والجواب يتأتيان في قراءة من قرأ آمرنا بالمد والتخفيف، وقال بعضهم: جواب إذا محذوف، وقوله:) أمرنا مترفيها (مع ما انعطف عليه صفة، كأنه قال: إذا أردنا ذلك سهل ولم يتعذر.

وقيل: الفاء من قوله: فدمرناها زيادة، لأنه الجواب، والمعنى: إذا أردنا إهلاك قرية صفتها أنا أمرناها بالطاعة ففسقوا ووجب عليها القول والحكم لما سبق في علمنا بها وبسوء مصيرها دمرناها، ومما يدل على جواز زيادة الفاء ما حكاه الأخفش من قول بعضهم: أخوك فوجد، يراد وجد، وقول الشاعر:

وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

ألا ترى أنه لا بد من جعل إحدى الفاءين زيادة. وأجود من هذه الوجوه عندي وأبعدها من الاعتراض والقدح أن يقال: إن الفاء من قوله: فدمرناها هي التي يجاب بها الشرط لا العاطفة ولا الزائدة، وذاك أن إذا لما يتضمن من معنى المجازاة يجاب بما يجاب به إن وأخواتها، وإن لم تعمل عملها في الأغلب، وهي تجاب بالفاء لما بعده من المبتدأ والخبر والفعل، وإنما احتيج إلى الفاء لمخالفة الجزاء الشرط، فإذا روى الفعل بعد الفاء فليعلم أن المبتدأ محذوف، ولولا ذلك لما احتيج إلى الفاء، والفعل المستقبل والماضي في ذلك سواء، يشهد لذلك قول عمرو بن المخلاة:

فمن يك قد لاقى من المرج غبطة ... فكان لقيس فيه خاص وجادع

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ١/٣٨١

وإذا كان كذلك، وكان قوله: أمرنا مترفيها، بما عطف عليه صفة للقرية، فتقدير الآية: إذا أردنا إهلاك قرية مأمورة بالطاعة، عاصية فاسقة، قد حق القول عليها، فنحن ندمرها تدميرا. ومثل ذلك قول الله تعالى:) ومن عاد فينتقم الله منه (،) ومن كفر فأمتعه قليلا (،) وإن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله (، ألا ترى أنه رفع الفعل المضارع بعد الفاء لكونه مبنيا على المبتدأ، وأنه لو أراد أن يكون الجواب بالفعل لاستغنى عن الفاء وجزم الفعل، ولكن التقدير: من عاد فهو ينتقم الله منه، ومن كفر فأنا أمتعه قليلا، وإن يمسسكم قرح فالأمر والشأن مس القوم قرح مثله، وإذا كان الفاء من قوله: فدمرناها، فالجواب: سلمت الآية من الاعتراضات المذكورة، وسهل طريقها، فاعلمه إن شاء الله.

مسألة من الآثار

في حديث أم زرع أن المرأة الخامسة قالت: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، ولا يولج الكف ليعلم البث. قال أبو عبيد: اللف في المطعم الإكثار منه مع التخليط من صنوفه، والاشتفاف في الشرب أن يستقصي ما في الإناء ولا يسئر فيه، أخذ من الشفافة، وهي البقية تبقى في الإناء من الشراب، **ويقال في المثل**: ليس الري عن التشاف.." [(١)]

"العقوق، فقال له النعمان: وما الأبلق العقوق؟ قال: هو الوفاء، فذهب الأبلق العقوق (١) مثلا، قال الشاعر (٢)

:

فلو قبلوا منا (٣) العقوق أتيتهم ... بألف أودية من المال اقرعا أي تام.

طلب الأبلق العقوق فلما ... لم يصبه أراد بيض الأنوق (٤)

- ٧ -

وزعموا أن كبيس بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة كان عارض أمة لزرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة يقال لها رشية، وكانت سبية أصابها زرارة من الرفيدات، ورفيدة قبيلة من كلب (٥) فولدت له عمرا وذؤيبا وبرغوثا فمات كبيس وترعرعت الغلمة، فقال لقيط بن زرارة: يا رشية من أبو هؤلاء؟ قالت: كبيس بن جابر، وكان لقيط عدوا لضمرة بن جابر أخي كبيس (٦) ، قال: فاذهبي بهؤلاء الغلمة واقصدي (٧) بهم وجه ضمرة وأخبريه

---

(١) **قيل في المثل**: أعز من الأبلق العقوق، وقالوا: العقوق الفرس الحامل، والأبلق صفة للذكر، ولا يجوز أن يكون حاملا فجعلوه لما لا يكون مثلا للعز (انظر جمهرة العسكري ٢: ٦٤) وجاء في (بلق) طلب الأبلق العقوق - وهو مثل - كما قيل: أعز من بيض الأنوق؛ والأنوق الرخمة، وهي تحرز بيضها؛ ومن صيغ المثل: كلفتني الأبلق العقوق أو كلفتني بيض الأنوق (أنظر تهذيب الأزهري ١: ٦١) أما حمل الأبلق العقوق على معنى الوفاء فأراه مجازا؛ وانظر الحيوان ٦: ٣٢٤ " أعز من.. " وثمار القلوب (بيض الأنوق) : ٤٩٤.

(٢) البيت دون نسبة في اللسان (عقق) .

(٣) رواية اللسان: فلو قبلوني بالعقوق؛ يقول لو اتيتهم بالأبلق العقوق ما قبلوني. وانشد ابن السكيت هذا البيت وقال:

---

(١) أمالي المرزوقي المرزوقي ص/٣١

يريد ألف بعير.

(٤) البيت في اللسان (انق، بلق، عقق) .

(٥) انظر الاشتقاق: ٥٣٧.

(٦) انظر نسب ضمرة في جداول كاسكل: ١: ٦٢ وهناك يبدو واضحا أن ابن الكلبي أهمل ذكر "كبيس " أخيه، وهو يرد في الفاخر والميداني بالشين (أي كبيش) .

(٧) الفاخر: فغلسي.." [(١)]

"ووثب مالك بن كنانة على علي بن مسعود فقتله فوداه أسد بن خزيمة.

فولد بكر بن عبد مناة بن كنانة:

ليث بن بكر

بطن. والديل بطن.

والحارث درج، وأمهم أم خارجة البجلية، وهي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قذاذ بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وكانت بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة عند أنمار بن أراش فنسب ولده إليها.

وأم خارجة هي التي يقال في المثل: أسرع من نكاح أم خارجة [١] ، وذلك لأنه كان يقال لها خطب فتقول: نكح، وقد ولدت في العرب.

تزوجها رجل من إياد بن نزار ففرق بينهما ابن أخيها خلف بن دعج بن سعد.

ثم خلف عليها بكر بن يشكر بن عدوان فولدت له خارجة فكنيت به.

ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بين حارثة بن عمرو مزيقياء فولدت له:

سعدا أبا المصطلق. والحيا.

ثم خلف عليها بكر بن عبد مناة بن كنانة فولدت له: ليث بن بكر.

والديل بن بكر.

ثم خلف عليها مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد فولدت له:

غاضرة بن مالك. وعمرو بن مالك.

---

[١] انظره في أمثال أبي عبيد ص ٣٧٢.." [(٢)]

---

(١) أمثال العرب ت إحسان عباس المفضل الضبي ص/٥٢

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٨٤/١١

"على المنبر وقال: إني أحمد الله أنه لم يدع مالا ولا كلأ، وأم الحجاج ومحمد، وزينب أختهما: الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود بن معتب.

وولى عبد الملك محمد بن يوسف اليمن فمات بها فقال الشاعر:

ألا قل للوامي على الخمر أنني ... سأشربها مما سباه [١] معتب

وكان الحجاج يكنى أبا محمد، ولي أول مرة تبالة، فلما رآها أبى أن يليها **فقيل في المثل**: أهون من تبالة على الحجاج. ويقال بل أقام يسيرا فآذى أهلها واستخف بهم فقيل أهون من أهل تبالة على الحجاج، والأول أثبت.

وولي شرط أبان بن مروان في بعض أيامه، فلما خرج ابن الزبير وقوتل قال الحجاج: رأيت كأني سلخت ابن الزبير، فوجهه عبد الملك لقتاله، وقد كتبنا خبره.

وولى عبد الملك الحجاج الحجاز ثلاث سنين، فكان يصلي بالناس في الموسم كل سنة، ثم ولاه عبد الملك العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فوليه لعبد الملك أربع عشرة سنة ثم للوليد حتى هلك بواسط في رمضان سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، ودفن بواسط، واستخلف على الخراج يزيد بن أبي مسلم مولاه، وعلى الحرب يزيد بن أبي كبشة السكسكي. وكان ابنه عبد الملك يصلي بالناس، وقد كتبنا خبره في قدومه الكوفة، والبصرة، وأمر رستقاباذ، وأمر ابن الأشعث، وأمر من خرج عليه، فيما تقدم من كتابنا هذا.

---

[١] سبأ الخمر: شراها. القاموس.." (١)

"ثم إن معاوية بعد ذلك ولي مصقلة طبرستان وبعثه في جيش عظيم، فأخذ العدو عليه المضائق فهلك وجيشه، **فقيل في المثل**: حتى يرجع مصقلة من طبرستان.

وقالت بنو تغلب لمصقلة حين بلغها فعل علي بجلوان: عرضت صاحبنا للقتل؟ فوداه.

وقال الكلبي: هدم علي دار مصقلة حين هرب إلى معاوية، وتمثل قول الشاعر:

أرى حربا مفرقة وسلما ... وعقدا ليس بالعقد الوكيع

وقال مصقلة حين بلغه قتل علي:

قضى وطرا منها علي فأصبحت ... إمارته فينا أحاديث راكب

وقال مصقلة:

أحمرى لئن عاب أهل العراق ... علي لتنعاشي بني ناجية [١]

لأعظم من عتقهم رقهم ... وكفى بعتقهم عالية

وزايدت فيهم لإطلاقهم ... وغاليت إن العلى غالية

«٤٧٦» وقالوا لعلي حين هرب مصقلة: اردد سبايا بني ناجية إلى الرق فإنك لم تستوف أثمانهم. فقال: ليس ذاك في

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٣٥٣/١٣

القضاء، قد عتقوا (أ) وقال:

[أعتقهم مبتاعهم وصارت أثمانهم دينا على معتقهم (ظ)] .

---

[١] كذا في النسخة، غير ان لفظة: «أحمرى» غير واضحة الكتابة.." [1]

"والظربى: جمع ظربان، وهو دويبة على خلقة الكلب، منتن الريح، والجمع: ظرابي، وظرابين، وظربى وظرباء: أسمان للجمع.

ويحكى أنه يفسو بين النعم، فتفرق، ولا يجتمع بعضها مع بعض **ويقال في المثل**، للمتقاطعين بعد مودة: ة "فسا بينهم ظربان" ونعته: أصلم الأذنين، طويل الخرطوم، أسود الظهر، أبيض البطن، خبيث الرائحة، يفسو في ثوب صائده، فلا تزول منه الرائحة، وإن بلي.

المعنى

هجا امرأة يقال لها: عليلة، وجعلها أمة، ولم تكن أمة، وإنما جدتها كانت أمة، ألا ترى كيف جعل أخويها عبدين، في هذا الشعر، جهما وأويسا، فقال:

يا أخت جهم وذاك العبد صاحبه ... وبنت شماء هل خبرت أخباري

يا بنت حياكة تسعى بمحلبها ... وتحسن الصر في إبل ابن عمار

ويروى في أكثر نسخ "الإيضاح":

يا أمة وجدت مالا

والأمة: جماعة الخلق.

والمعنى

أخذتم كال من ليس لقدره ارتفاع، ولا لجانبه امتناع، وقوله: للا أحد: أي: لغير من يفقع عليه هذا الوصف.." [2]

"(وقال البصريون والكوفيون) جميعا الشهور كلها ذكران إلا جمادى: لجمود الماء فيها. ويقال: (رجب) ورجبان وأرجاب وأراجيب وأرجبة وسمي رجبا لترجيبهم آلهتهم فيه، والترجيب: أن يعظموها ويذبحوا عنها، وكانوا يعظمون الشهر أيضا وقال الشاعر: لإبل من أجل وأرجب. ويقال له: شهر الله الأصم، ومنصل الال بعد ما مضى غير دأداء، وقد كاد يذهب، وذلك لقعودهم فيه عن الغزو والكف عن الغارة فلا يسمع فيه قعقعة سلاح، ولا تداعي أبطال، ولا استصراخ لغارة، ويقال: رجبت الأمر إذا هبته وعظمته، ومنه **قيل في المثل**: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب.

وقال أبو داود: صادفن منصل آلة في فلتة فجرين سرجا. ويقال لليلة التي لا يدري أهي من الشهر الحرام أو الحلال فلتة.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٢/٤٢٠

(٢) إيضاح شواهد الإيضاح أبو علي القيسي ١/٥٤٩

و (شعبان) وشعبانات وشعابين وسمي شعبان لتشعب القبائل فيها واعتزال بعضهم بعضا.

ورمضان ورمضانات ورماضين وسمي رمضان لشدة وقع الشمس وتناهي الحر فيه ويقال: هذا شهر رمضان وهذا رمضان وقال شعرا:

جارية في رمضان الماضي ... تقطع الحديث بالإيماض

أي إذا ابتسمت: قطع الناس حديثهم ناظرين إليها وإلى ثغرها ومستملحين كلامها ومثل هذا قول الآخر:

ديار التي كادت ونحن على منى ... تحل بنا لولا نجاء الركائب

والمعنى: كادت تصرفنا عن مقصدنا اشتغالا، لولا استعجال الناس، قال الفراء:

وكان أبو جعفر الفارسي يروي عن المشيخة أنهم كرهوا جمع رمضان يذهبون إلى أنه اسم من أسماء الله تعالى، والله أعلم بهذا.

وشوال وشوالان وشوالات وشواويل وسمي بذلك لشولان الإبل بأذنابها عند اللقاح، ويقال سمي بذلك لأن الألبان تشول فيه وتقل. ويقال: شال اللبن وشال الميزان إذا خفا.

وذو القعدة وذواتا القعدة وذوات القعدة، سمي بذلك لقعودهم في رحالهم لا يطلبون كلأ ولا ميرة.

وذو الحجة وذوات الحجة لحجهم وقالوا: ذواتا القعدتين، وذوات القعدات وكذلك قيل في ذي الحجة، ويقال: شهر ناجر لشدة الحر، ومنه نجر من الماء إذا جعل يشرب فلا يروى وأنشد شعرا:

ويوم كأن الشمس فيه مقيمة ... على البيد لم تعرف سوى البيد مذهبا." (١)

"٢٧٠ - باب حصن، وحضن

أما الأول: - بكسر الحاء بعدها صاد مهملة ساكنة -: ثنية بمكة، بينها وبين دار يزيد بن منصور فضاء يقال له المفجر. وأيضا في مواضع كثيرة.

وأما الثاني: - بفتح الحاء والضاد المعجمة -: جبل ضخم بناحية نجد، بينه وبين تهامة مرحلة، تبيض فيه النسور، لا تؤنس قتلته، ساكنه بنو جشم بن بكر، **يقال في المثل**: (أنجد من رآى حضنا) وله ذكر كثير في أشعارهم.." (٢)

"الغداف يخطف بيض البومة نصف النهار فيأكله، لأن البومة لا تبصر بصرا حادا في ذلك الوقت. فإذا كان الليل شدت البومة على بيض الغداف فأكلته.

بين العنكبوت وبين الحرذون شر، لأن الحرذون يأكل العنكبوت.

عصفور الشوك يقاتل الحمار، لأن الحمار إذا مر بالشوك أفسد عشه، فإذا نهق بالقرب منه وقع بيضه، وإن كان فيه فراخ خرجت منه، فلهذه العلة يطير هذا العصفور حول الحمار وينقره.

والغراب يعادي الثور والحمار وينقرهما.

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٢٠٦

(٢) الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه الحازمي ص/٣٥٦

والحية تعادي الخنزير وابن عرس، لأنهما يأكلان الحية حيث وجداها.

الغداف مصادق للثعلب، والثعلب مصادق للحية، «والسبب في عداوة العصفور للحمار أن معاش العصفور من بزر الشوك وفيه يبيض، وهو وكره، والحمار يرعى ذلك الشوك إذا كان رطبا» .

البقر يكون في الجبال إذا ضلت بقرة تبعتها الأخرى، ولذلك الرعاة إذا لم يجدوا بقرة واحدة وعدموها طلبوا سائر البقر وفقدوها من ساعتهم.

الخيل إذا ضلت الأنثى منها أو هلكت ولها ولد فإن إناث الخيل ترضعه وتربيه، وذلك أن جنس الخيل في طباعها حب أولادها.

الأيايل تلقي قرونها في أماكن عسرة صعبة، لا ترتقى لئلا تؤخذ، ولذلك **قيل في المثل**: حيث تلقي الأيايل قرونها، فإذا ألقتها توقت أن تظهر إلى أن تنبت، كأنها قد ألقت سلاحها. وقيل: إنه لم يعاين أحد القرن الأيسر من قرنيها، لأن فيه منفعة عظيمة.

وإذا وضعت أولادها أكلت مشائمها من ساعتها، ولا يمكن أخذها لأنها تأكل من قبل أن تقع على الأرض.

والأيلة تصاد بالصفير والغناء، ويفعل ذلك رجلان أحدهما يغني ويصفر، والآخر يرشقها بالسهام، فلإصغائها إلى الصفير والغناء لا تحذر السهام.

ويقال إن الأيل إذا كانت أذناه قائمتين فهو يسمع كل شيء ولا يخفى عليه ما يراد به، وإن كانتا مسترخيتين خفي ذلك عليه.

الفهد إذا أكل العشبة التي تسمى خانقة الفهود يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به.

ابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب مخالفة للحية.

اللقالق إذا خرجت من قتال بعضها بعضا تضع على الجرح صعترا بريا.

يقال إن ذكور العصافير تبقى سنة فقط، والدليل على ذلك- أنها من قبل أطواقها." (١)

"وكان أبو زيد يجعل من هذا الباب قولهم: أحشك وتروثني! يخاطب فرسا له. يقول: أعلفك الحشيش وأنت تروث علي قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في هذا قول أكثم بن صيفي: لو سئلت العارية: أين تذهبين؟ لقالت: اكسب أهلي ذما. يعني أنهم يحسنون في الإعارة والقروض، ثم يكافئون بالمذمة إذا طلبوها

باب الخطأ في تزيين الكبير بزينة الصغير

قال هشام بن الكلبي: من أمثالهم في هذا قولهم: كبر عمرو عن الطوق.

فاخبرني ابن الكلبي عن أبيه أن صاحب هذا المثل جذيمة الأبرش بن مالك، قال لابن أخته عمرو بن عدي الخمي، وكان له طوق يلبسه في الصغر، فاستهوته الجن دهرا إلى أن وجده مالك وعقيل ابنا فارج من بلقين، وهما ندمانا جذيمة. وقد

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/١٢٢

ذكرنا بعض حديثه في غير هذا الموضع، فأرادت أمه أن تعيد الطوق عليه فقال لها جذيمة: "كبر عمرو عن الطوق " فذهبت مثلا. قال الأموي: ومن أمثالهم في هذا قولهم: جلت الهاجن عن الولد.

قال أبو عبيد: والهاجن هي الصغيرة، ومنه يقال: اهتجنت الجارية، إذا افترعت قبل الأوان، **فقيل في المثل**: " جلت الهاجن " وإنما أرادوا " صغرت " وأنا أحسب هذا من الأضداد، لأنهم يقولون للعظيم: جلل، وللصغير: جلل، ومنه قول امرئ القيس في قتل أبيه: "." (١)

"عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان يقص وأبو إسحاق إبراهيم ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم العابد، المعروف بابراهيمك القارئ، كان من الصالحين، من أهل نيسابور، ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ وقال:

حدثونا أنه كان يقرأ عند أبي عمرو الحيري والمتقدمين من مشايخنا، ولا نذكره إلا شيخا هرما، وكان على رأس سكة خشاورة، سمع أبا زكريا يحيي بن محمد بن يحيي والسري بن خزيمة وأقرانهما بنيسابور، وذكرته في الخاء في الخشاورى [١] وأبو بكر محمد بن جعفر الأدمي القارئ، ذكرته في الألف [٢] .

٣١٣٨- القارى

بالقاف [٣] والراء المهملة المكسورة وتشديد الياء، هذه النسبة إلى بنى قارة، وهم بطن معروف من العرب، [٤] **وقيل في المثل** السائر «قد أنصف القارة من راماها» لصفتهم بالرمي والإصابة [٤] ، [وهو يثيع-[٥]] قال بعضهم: أثيع بن مليح بن الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، ومن قال فيه «أثيع [٦] بن الهون» فقد وهم، قال أبو عبيدة [٧] : أثيع [٦]

---

[١] الأنساب ٥/ ١٣٣.

[٢] الأنساب ١/ ١٤٢.

[٣] بعدها الألف.

[٤- ٤] ما بين الرقمين ليس في م هنا، وفيها هذا المثل بعد تعريف القبيلة وقبل ذكر المنتسبين إليها، وراجع المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/ ١٨٩.

[٥] من اللباب. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٧٩.

[٦] م «أبيع» .

[٧] سقط من م.." (٢)

"وكان قد أذن في مسجد حمزة بن حبيب الزيات نيفا وسبعين سنة، وقال محمد بن أحمد بن حماد بن سفيان الحافظ الرئيس: أبو الحسن الشيباني، كان شيخ المصر والمنظور إليه ومختار السلطان الأعظم والأمراء والقضاة والعمال لا يجاوزون

---

(١) الأمثال لابن سلام أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ص/٢٩٧

(٢) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٢٩٤/١٠

قوله، يعدل الشهود، معدن الصدق، وكان حسن المذهب صاحب جماعة وقراءة للقرآن وفقه في الدين، مات لسبع بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة [١] وأبو عمرو الشيباني هو سعد بن إياس، وكان يقول: أذكر أني سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أرعى إبلا لأهلى بكاظمة، وعاش مائة وعشرين سنة [٢] وأبو إسحاق الشيباني، هو سليمان بن أبي سليمان، توفى سنة تسع وعشرين ومائة ومصقلة بن هبيرة وهو من بنى شيبان، وكان مع على رضى الله عنه، هرب إلى معاوية فهدم على داره، وقال مصقلة حين فارقه:

قضى وطرا منها على فأصبحت ... أحادثه فينا أحاديث راكب

ثم بعث مصقلة رجلا نصرانيا ليحمل عياله من الكوفة، وأخذه على فقطع يده، وولاه معاوية طبرستان فمات بها، **ويقال في المثل**: «حتى يرجع مصقلة من طبرستان [٣] » وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم الشيباني، روى عن

---

[١] هنا انتهى الرسم (الشيباني) في م، س، فما بعده فمن الأصل وحده.

[٢] وكذا ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ٢/ ٢٧٠ وقال: أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه، وقال ابن حجر في الإصابة أنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقدم بعده ثم نزل الكوفة، وكذا ذكره في تهذيب التهذيب ٣/ ٤٦٨، وانظر ما ذكر في الكنى من الإصابة.

[٣] قيل: أنه لما سار إلى طبرستان ومعه عشرون ألف رجل فأوغل في البلد يسبى-." (١)

"في تيم الرباب: جساس بالتخفيف، ابن نشبة بن ربيع بن عمرو ابن عبد الله بن لؤي بن عمرو بن الحارث بن تيم بن عبد مناة " بن أدد ".

وكل شيء في العرب مشدد " إلا في تيم الرباب فإنه جساس خفيف ".

" جمل ": في مذحج: جمل بنث كنانة بن ناجية بن مراد " بن مالك بن أدد ". وجمل بن كنانة، رهط سيفوية القاص، ينزلون بنهر الملك.

" و " في بني الحارث بن لؤي: جمل بن عقيدة بن وهب ابن الحارث بن لؤي بن هريرة.

" جوب ": في همدان: جوب " بالجيم والباء الموحدة " ابن شهاب بن معاوية ابن دومان بن بكيل بن جشم.

" جمان ": في الأزد: جمان بن هداد بن زيد مناة بن الحجر " بن عمران ".

" جلوان ": في تغلب: جلوان لما هرب مصلقة بن هبيرة من علي عليه السلام بقى معه أخ له يقال له: نعيم بن هبيرة، فكتب مصلقة إلى أخيه مع رجل من بني تغلب نصراني " اسمه: جلوان يدعوه إلى " معاوية، فظهر علي عليه السلام على جلوان، ورفع إليه أنه يتجسس، فأمر به فقطعت يده فمات، فقال نعيم بن هبيرة:

لا تأمنن هداك الله عن ثقة ... ريب الزمان ولا تبعث كجلوانا

ماذا أردت إلى إرساله سفها ... يرجو سقاط امرئ ما كان خوانا

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٢٠٦/٨

عرضته لعلي، إنه " أسد " ... يمشي العرضنة من آساد خفانا

" فالان " يكثر قرع السن " من ندم " ... ماذا تقول، وقد كان الذي كانا!

وظلت يبغضك الأحياء قاطبة ... لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا

وقالت بنو تغلب لمصلقة، حين بلغه فعل علي عليه السلام، بجلوان: عرضت صاحبنا بالقتل، فوداه.

ثم إن معاوية " بعد ذلك " ولى مصلقة طبرستان، وبعثه في جيش عظيم، فأخذ عليه العدو المضايق، فهلك هو وجيشه، **فقيل في المثل**: " حتى يرجع مصلقة من طربستان ".

" جارية ": "كل شيء في العرب: حارثة بالحاء والثاء، إلا جارية بن سليط ابن يربوع ".

وفي سليم " بن منصور ": جارية بن عبد بن عبس بن رفاعة ابن الحارث بن بهثة بن سليم.

وفي الأنصار: جارية بن عامر بن مجمع بن عطاف بن ضبيعة ابن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس " بن حارثة ".

" جمرة ": في تميم: جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع " بن حنظلة ".

" جرس ": في مزينة: جرس بن لاطم بن عثمان بن مزينة.

" جرش ": في حمير: جرش، وهو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث.

" جشيش ": في تميم: جشيش، " بالجيم "، بن مالك بن حنظلة.

وفي كنانة " بن خزيمة ": جشيش، " بالجيم "، بن عوف ابن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

وفي مذحج: جشيش، " بالجيم "، بن مر بن صداء.

فأما " حشيش، بالحاء المهملة، فجماعة أتوا في باب الحاء، وليس في العرب خشيش، بالخاء المعجمة، ولا تسمى به.

الحاء

" حدان ": في تميم: حدان بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

منهم: فارس هبود، وهو برثن بن شهاب بن النعمان بن جبيل ابن حدان بن قريع، وكان شريفا قائد بني سعد رئيسهم في الجاهلية.

ومنهم: علقمة بن سباح بن جبيل بن حدان بن قريع كان في فرسان بني سعد ومدحه أوس بن حجر التميمي، " أنشدني أبو مسلم. قال أنشدني أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصعمي عن أبي عمرو ابن العلاء، وعن ابن حاتم عن أبي عبيدة الأوس بن حجر في جملة ديوانه يمدح علقمة هذا:

ودع لميس وداع الصارم اللاحي ... إذ أفنكت في فساد بعد إصلاح

قاتلها الله تلحاني وقد علمت ... أني لنفسي إفسادي وإصلاحي

إن أشرب الخمر أو أرزأ لها ثمنا ... فلا محالة يوما أنني صاحي." (١)

---

(١) الإيناس بعلم الأنساب الوزير المغربي ص/٨

"بمراكش فاستولى على ما فيه من الذخيرة والأثاث من متاع المولى هشام ومتخلف المولى يزيد فاضطر أهل مراكش حينئذ إلى مبايعة المولى حسين والخطبة به وكان ذلك سنة تسع ومائتين وألف وافترقت الكلمة بالحوز فكان بعضه كعبدة وأحمر ودكالة مع المولى هشام وبعضه مثل الرحامنة وسائر قبائل حوز مراكش مع المولى حسين واتقدت نار الفتنة بين هؤلاء القبائل وتفانوا في الحروب إلى أن بلغ عدد القتلى بينهم أكثر من عشرين ألفا هذا كله والسلطان المولى سليمان مقيم بفاس معرض عن الحوز ومتربصين بأهله الدوائر إلى أن ملوا الحرب وملتهم وكان ذلك من سعادته فصاروا يتسللون إليه أرسالا ويسألونه الذهاب إلى بلادهم ليعطوه صفقة بيعتهم فكان يعدهم بذلك ويقول إذا فرغت من أمر الشاوية قدمت عليكم إن شاء الله

ثورة المولى عبد الملك بن إدريس بآنفا والسبب في ذلك

كانت قبائل الشاوية منذ هزموا جيش المولى الطيب بن محمد وهم حذرون من سطوة السلطان عالمون بأنه غير تاركهم فعزموا على تلافي أمرهم عنده وأوفدوا عليه جماعات من أعيانهم المرة بعد المرة يسألونه أن يولي عليهم رجلا يكونون عند نظره ويقفون عند أمره ونهيه فولى عليهم ابن عمه وصهره على أخته المولى عبد الملك بن إدريس بن المنتصر ووجهه معهم فقدم المولى عبد الملك أرض تامسنا ونزل بمدينة آنفا وهي المسماة اليوم بالدار البيضاء وتولى القيام على مستفاد مرساها وصار يسهم فيه لأعيان الشاوية الذين معه وكان قصده بذلك أن يتألفهم على الطاعة والخدمة فلما حصل لهم ذلك السهم من المال تطاولوا إلى الزيادة عليه وقد **قيل في المثل** قديما لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع فصار المولى عبد الملك يقاسمهم المستفاد شق الأبلمة فلما بلغ السلطان ذلك كتب إليه يعاتبه على." (١)

"عشر وتسعمائة لأن وفاة الشيخ الجزولي رحمه الله كانت في سنة سبعين وثمانمائة كما مر وعند الفرنج ما يقتضي أن استيلاءهم عليها كان بعد ذلك بسنتين أو ثلاث والله أعلم

زحف السلطان أبي عبد الله البرتغالي إلى آصيلا

قال منويل لما أفضى الأمر إلى السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي أراد أن يأخذ بثأره من البرتغال الذين أسروه لسبع سنين فزحف إلى آصيلا في حدود أربع عشرة وتسعمائة وحاصرها وطال قتاله عليها ثم اقتحمها المسلمون عليهم اقتحاما واقتتلوا في وسط الأزقة والأسواق يومين ثم جاء المدد إلى البرتغال من طنجة وجبل طارق فقويت نفوسهم وخرج المسلمون عنهم لكن ما خرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم بها إلا الخربات ثم جد البرتغال في إصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر إلى أن رجعت للمسلمين

استيلاء البرتغال على ثغر آزمور حرسه الله

قال منويل بعث طاغية البرتغال أربع عشرة وتسعمائة إلى ثغر آزمور شكوادره فيها ألفان من العسكر وأربعمائة خيالة

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٩٨/٣

فدافعهم زيار الوطاسي ابن عم السلطان ونشبت مراكب البرتغال في الساحل وتكسر جلها وعاث فيها المسلمون ورجع الباقي مفلولا ثم بعد أربع سنين بعث إليها الطاغية منويل شكوادره فيها عشرون ألفا من العسكر وألفان وسبعمائة خيالة فانتهوا إلى آزمور وحاصروها بحرا وزحفوا إليها من الجديدة برا ووقع حرب شديدة بينهم وبين أهل آزمور وأهل البادية ثم انهزم المسلمون وخرجوا من باب تركه لهم البرتغال قصدا قال لأنه **يقال في المثل** الفار منك في الحرب." (١)

"جماعة للقبض على أخيه الشيخ المسجون بمكناسة فمنعهم من ذلك الباشا جؤذر كبير جيش الأندلس وحمل الشيخ موثقا إلى مراكش حتى دفعه إلى أخيه أبي فارس وكان شقيقا له فلم يزل مسجونا عنده إلى أن كان من أمره ما يأتي كذا قال بعضهم وقال في شرح زهرة الشماريخ إن زيدان لما اشتغل بدفن والده احتال القائد أبو العباس أحمد بن منصور العلج فذهب بنصف المحلة إلى مراكش نازعا عن زيدان إلى أبي فارس ومر في طريقه بمكناسة فأخرج الشيخ من اعتقاله واحتمله معه إلى أبي فارس فسجنه فلم يزل مسجونا عنده إلى أن كان من أمره ما نذكره والله تعالى أعلم

انحراف أهل مراكش عن طاعة زيدان وبيعتهم لأبي فارس وما نشأ عن ذلك من الفتنة

كان المنصور رحمه الله قد فرق عمالات المغرب على أولاده كما مر فاستعمل الشيخ على فاس والغرب وولاه عهده واستعمل زيدان على تادلا وأعمالها واستخلف عند نهوضه إلى فاس ابنه أبا فارس على مراكش وأعمالها وكان يكاتبه بما مر بعضه من الرسائل فلما اتصل بأهل مراكش وفاة المنصور وكتب إليهم أهل فاس بمبايعتهم لزيدان امتنعوا وبايعوا أبا فارس لكونه خليفة أبيه بدار ملكه التي هي مراكش ولأن جل الخاصة من حاشية أبيه كان يميل إلى أبي فارس لأن زيدان كان منتبذا عنهم بتادلا سائر أيام أبيه فلم يكن لهم به كثير إلمام ولا مزيد استئناس مع أنه كان جديرا بالأمر لعلمه وأدبه وكمال مروءته رحمه الله إلا أن السعد لم يساعده وقد **قيل في المثل** قديما قاتل بسعد وإلا فدع ولما شق أهل مراكش العصا على زيدان كثر في ذلك القيل والقال حتى صدرت فتوى من قاضي فاس ابن أبي النعيم ومفتيها أبي عبد الله القصار تتضمن التصريح بحديث (إذا بويع خليفتين فاقتلوا الآخر منهما) وكانت بيعة أبي فارس." (٢)

"فأديت عني ما استعرت من الصبا ... وللمال مني اليوم راع وكاسب

وقال ابن الذئبة الثقفي: «١»

أطعت النفس في الشهوات حتى ... أعادتني عسيفا عند عبد «٢»

إذا ما جئتها قد بعت عذقا ... تعانق أو تقبل أو تفدي «٣»

فمن وجد الغنى فليصطنعه ... ذخيرته ويجهد كل جهد «٤»

وقال:

من يجمع المال ولا يثب به ... ويترك العام لعام جدبه «٥»

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٤٢/٤

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٤/٦

يهن على الناس هوان كلبه وقد **قيل في المثل**: «الكد قبل المد «٦» » . وقال لقيط: «الغزو أدر للقاح وأحد للسلاح» «٧» . وقال ابن المعافى:

إن التواني أنكح العجز بنته ... وساق إليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيئا، ثم قال لها اتكي ... فقصر كما لا بد أن تلدا الفقرا

وقال عثمان بن أبي العاص «٨» : «ساعة لدنياك، وساعة لآخرتك» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» ،." (١)

"ورجل من البراجم ولذلك **قيل في المثل** إن الشقى وافد البراجم وقد ذكره الدريدي في قصيدته يصف ملوكا فقال فلان ثم فلان ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أوارة [١] تميما بالصلا وعمرو هذا قتل طرفة وأفلت المتلمس فقال [كامل]

أودى الذي علق الصحيفة منهما ... ونجا حذار حياته المتلمس

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر بن امرئ القيس أبو قابوس صاحب النابغة وهو الذي قتل عبيد بن الأبرص الشاعر وعدي ابن زيد العبادي فقتله كسرى ابرويز،،،

وهذه قصة النعمان بن المنذر أبي قابوس

ذكروا أنه كان له يومان يوم بؤس لا يرى فيه أحدا إلا قتله ويوم نعمى لا يرى فيه أحدا إلا وصله فأتاه عبيد بن الأبرص في بؤسه وهو لا يعلم به وقد امتدحه بقصيدة فلما أخبر بسوء اختياره في لقائه ذلك اليوم أرتج عليه الكلام ثم لما قدم للقتل قيل أنشد قصيدتك قال حال الجريض دون القريض فذهبت مثلا فضربت عنقه وأما عدي بن زيد وكان ترجمان كسرى أبرويز وكاتبه بالعربية

---

[١] . اوارات Ms.." (٢)

"ابن مضر فهو قيس بن عيلان فمضر ترجع كلها إلى هذين الحيين خندف وقيس وولد مدركة بن الياس هذيل وولد سعد تميم بن معاوية بن تميم وقد ولدوا غير ما نذكره غير أنا نذكر من له العدد وولد خزيمة بن مدركة أسد ابن خزيمة فمنه تفرقت بطون العرب وهم بنو أسد والهون بن خزيمة فولد الهون القارة الذي **يقال في المثل** قد أنصف القارة من رماها ومن القارة عضل وديش وكنانة بن خزيمة فولد كنانة النضر بن كنانة ومالك بن كنانة وملكان بن كنانة وعبد مناة بن كنانة فأما النضر بن كنانة فهو أبو قريش كلها وولد النضر بن كنانة مالك بن النضر والصلت بن النضر فصارت الصلت في اليمن ورجعت قريش كلها الى مالك بن النضر فولد مالك فهو بن مالك والحارث ابن مالك فمن بني الحارث المطيبون والخلج

---

(١) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/٢٤١

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٣/٢٠٤

وأما فهر فمنه تفرقت قبائل قريش وولد فهر غالب بن فهر ومحارب بن فهر فولد الغالب لؤي بن غالب وتيم بن غالب فاما تيم فهم بنو الادرم من أعراب قريش ليس منهم بمكة أحد وفيهم يقول الشاعر [رجز]." (١)

"الغلام الثقفي الذي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ وروى هذا الخبر أبو عرفة الحضرمي من أهل الشام وروى أن عمر أتاه خبر العراق وأنهم حصبوا أمامهم وسمعت غير واحد يقول بل كانت دعوة علي عم قال اللهم كما نصحتهم وغشوني وآمنتهم فحافوني أبعث فيهم فتى يحكم بحكم الجاهلية هكذا الرواية والله أعلم لأن مثل هذا من المحال إذ لا يجوز لمسلم أن يسأل ربه الجور والظلم،،،

حلية الحجاج ونسبه وحرفته

قالوا كان الحجاج رجلا أخفش حمش الساقين منقوص الجاعرتين صغير الجثة دقيق الصوت أكتم الحلق وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر من أجلاف ثقيف وكنيته أبو محمد وأمه سمته كليبا وكان أول أمره أن يعلم الصبيان بالطائف وأول ولاية وليها تبالة بالحجاز فلما أشرف عليها احتقرها وانصرف فمن ثم يقال في المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم ولي على شرط أبان بن مروان ثم جعله عبد الملك على ساقته عند رجوعه إلى الشام ثم بعثه لقتال ابن الزبير فقتله وولاه الحجاز ثلاث سنين ثم ولاه العراق،،،." (٢)

"قال تعالى: (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) .

قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الفار وهو الجرذ ويقال الخلد فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير (١) فلم تغن شيئا إذ قد حم القدر ولم ينفع الحذر كلا لا وزر فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والأنهار وانقطعت تلك الثمار ومادت تلك الزروع والأشجار وتبدلوا بعدها بردئ الأشجار والأثمار كما قال العزيز الجبار:

(وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو الأراك وثمره البرير وأثل وهو الطرفاء . (٢)

وقيل يشبهه.

وهو حطب لا ثمر له (وشئ من سدر قليل) وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى ولهذا قال تعالى: (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) أي إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا، وكذب رسلنا، وخالف أمرنا، وانتهك محارمنا.

وقال تعالى: (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها فتفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر مذر (٣) فنزلت طوائف منهم الحجاز ومنهم خزاعة نزلوا ظاهر

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٠٨/٤

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٢٨/٦

مكة وكان من أمرهم ما سنذكره ومنهم المدينة المنورة اليوم فكانوا أول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فخالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سنذكره ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة وبهراء ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهما.

قال محمد بن إسحاق حدثني أبو عبيدة قال: قال الأعشى بن قيس بن قيس بن ثعلبة وهو ميمون بن قيس: وفي ذاك للمؤتسي أسوة * ومأرم عفي عليها العرم (٤)

---

(١) قال القرطبي في أحكامه: قال وهب: كانوا يزعمون أنهم يجدون في عملهم وكهانتهم أنه يخرب سدهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة.

(٢) قال أبو عبيدة: الخمط: هو كل شجرة ذي شوك فيه مرارة.

وقال الزجاج: الخمط كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله.

والاثل: واحدته أثلة وجمعه أثلاث.

وقال الحسن: الاثل الخشب وقال أبو عبيدة: الاثل: هو شجر النضار.

(٣) مثل كانت العرب تضربه في سبأ فتقول: تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ.

(٤) كذا في الاصل مأرم والصواب من ابن هشام: مأرب.

[*]."[١]

"الملقب بوجه الفلس، فلما انتهوا إليه بشروه بقتل الوليد وسلموا عليه بالخلافة، فأطلق لكل رجل من العشرة عشرة آلاف، فقال له روح بن بشر بن مقبل: أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق، فسجد شكرا لله ورجعت الجيوش إلى يزيد، فكان أول من أخذ يده للمبايعة يزيد بن عنبسة السكسكي فانتزع يده من يده وقال: اللهم إن كان هذا رضى لك فأعني عليه، وكان قد جعل لمن جاءه برأس الوليد مائة ألف درهم، فلما جئ به - وكان ذلك ليلة الجمعة وقيل يوم الأربعاء - لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة.

فأمر يزيد بنصب رأسه على رمح وأن يطاف به في البلد، فقيل له إنما ينصب رأس الخارجي، فقال: والله لأنصبنه، فشهره في البلد على رمح ثم أودعه عند رجل شهرا ثم بعث به إلى أخيه سليمان بن يزيد، فقال أخوه بعدا له: أشهد أنك كنت شروبا للخمر ماجنا فاسقا ولقد أرادني على نفسي هذا الفاسق وأنا أخوه، لم يأنف من ذلك.

وقد قيل إن رأسه لم يزل معلقا بحائط جامع دمشق الشرقي مما يلي الصحن حتى انقضت دولة بني أمية، وقيل إنما كان ذلك أثر دمه، وكان عمره يوم قتل ستا وثلاثين سنة، وقيل ثمانيا وثلاثين، وقيل إحدى وثلاثين، وقيل ثنتان وقيل خمس، وقيل ست وأربعون سنة.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٩٤/٢

ومدة ولايته سنة وستة أشهر على الأشهر، وقيل ثلاثة أشهر.

قال ابن جرير: كان شديد البطش طويل أصابع الرجلين، كانت تضرب له سكة الحديد في الأرض ويربط فيها خيط إلى رجله ثم يثب على الفرس فيركبها ولا يمس الفرس، فتنقلع تلك السكة من الأرض مع وثبته.

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وهو الملقب بالناقص لنقصه الناس من أعطياتهم ما كان زاده الوليد بن يزيد في أعطياتهم، وهي عشرة عشرة، ورده إياهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام (١) ، ويقال إن أول من لقبه بذلك مروان بن

محمد، بويع له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد، وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة - حتى سنة ست وعشرين ومائة - وكان فيه صلاح وورع قبل ذلك، فأول ما عمل انتقاصه من أرزاق الجند ما كان الوليد زادهم، وذلك في كل سنة عشرة عشرة، فسمي الناقص لذلك، **ويقال في المثل** الأشج والناقص أعدلا خلفاء بني مروان - يعني عمر بن عبد العزيز وهذا - ولكن لم تطل أيامه، فإنه توفي من آخر هذه السنة، واضطربت عليه الأمور، وانتشرت الفتن واختلفت كلمة بني مروان فنهض سليمان بن هشام، وكان معتقلا في سجن الوليد بعمان فاستحوز على أموالها وحواصلها، وأقبل إلى دمشق فجعل يلعن الوليد ويعيبه ويرميه بالكفر، فأكرمه يزيد ورد عليه أمواله التي كان أخذها من الوليد، وتزوج يزيد أخت سليمان، وهي أم هشام بنت هشام، ونهض أهل

---

(١) في فوات الوفيات ٤ / ٣٣٣: قال المدائني: ناقص الوركين، ولذلك قيل له الناقص.

(*)".[1]

"ليزيد بن الوليد، وخرج من بلاد إرمينية يظهر أنه يطلب بدم الوليد بن يزيد، فلما وصل إلى حران أظهر الموافقة وبايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد.

وفيها أرسل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكير بن ماهان إلى أرض خراسان، فاجتمع بجماعة من أهل خراسان بمرو، فقرأ عليهم كتاب إبراهيم بن محمد الإمام إليه وإليهم، ووصيته، فتلقوا ذلك بالقبول، وأرسلوا معه ما كان عندهم من النفقات.

وفي سلخ ذي القعدة، وقيل في سلخ ذي الحجة، وقيل لعشر مضين منه، وقيل بعد الأضحى منها كان وفاة أمير المؤمنين.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

أبو خالد الأموي، أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة أول ما بويع بها في قرية المزة، من قرى دمشق، ثم دخل دمشق فغلب عليها، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله، واستحوذ على الخلافة في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة، وكان يلقب بالناقص لنقصه الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد، وقيل إنما سماه بذلك مروان الحمار، وكان

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٠/١٣

يقول: الناقص ابن اليد، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى، كسروية.

وقال ابن جرير: وأمه شاه آفزيد (١) بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى، وهو القائل: أنا ابن كسرى وأبي مروان * وقيصر جدي وجدي خاقان وإنما قال ذلك لأن جده فيروز، وأم أمه بنت قيصر، وأمه شيرويه وهي بنت خاقان ملك الترك، وكانت قد سباها قتيبة بن مسلم، هي وأخت لها فبعثهما إلى الحجاج، فأرسل بهذه إلى الوليد واستبقى عنده الأخرى، فولدت هذه الوليد بن يزيد الناقص هذا، وهذه أخذها الحجاج فكانت عنده بالعراق، وكان مولده في سنة تسعين، وقيل في سنة ست وتسعين، وقد روى عنه الأوزاعي مسألة السلم.

وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة، وأنه كان عادلا دينا محبا للخير مبغضا للشر.

قاصدا للحق.

وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة إلى صلاة العيد بين صفين من الخيالة والسيوف مسللة عن يمينه وشماله، ورجع من المصلى إلى الخضراء كذلك، كان رجلا صالحا، **يقال في المثل** الأشج والناقص أعدلا بني مروان، والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا.

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن محمد المروزي، عن أبي عثمان الليثي قال: قال يزيد بن الوليد الناقص:

---

(١) في مروج الذهب ٣ / ٢٧٣: سارية.

(*)."[١]

"وفيها توفي: الجاحظ المتكلم المعتزلي وإليه تنسب الفرقة الجاحظية لجحوظ عينيه، ويقال له الحدقي وكان شنيع المنظر سيئ المخبر ردئ الاعتقاد، ينسب إلى البدع والضلالات، وربما جاز به بعضهم إلى الانحلال حتى **قيل في المثل** يا ويح من كفره الجاحظ.

وكان بارعا فاضلا قد أتقن علوم كثيرة وصنف كتبا جمة تدل على قوة ذهنه وجودة تصرفه.

ومن أجل كتبه كتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين.

قال ابن خلكان: وهما أحسن مصنفاته وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه.

وذكر أنه أصابه الفالج في آخر عمره وحكى أنه قال: أنا من جانبي الأيسر مفلوج لو قرض بالمقاريض ما علمت، وجانبي الأيمن منقرس لو مرت به ذبابة لآلمتني، وبي حصاة، وأشد ما علي ست وتسعون (١) سنة.

وكان ينشد: أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت أيام الشباب لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب وفيها توفي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي (٢) ، وعبد الله بن هاشم الطوسي (٣) ، والخليفة أبو عبد الله المعتز بن المتوكل، ومحمد بن عبد الرحيم الملقب صاعقة (٤) .

محمد بن كرام الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية (٥) .

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٨/١٠

وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول وأصحابه وغيرهم وهو محمد بن كرام - بفتح الكاف وتشديد الراء، على وزن جمال - بن عراف بن حزامة بن البراء، أبو عبد الله السجستاني العابد، يقال أنه من بني تراب، ومنهم من يقول محمد بن

---

(١) كذا بالاصل وابن خلكان، وفي مروج الذهب ٤ / ٢٢٣: نيف وسبعون سنة، يعني عمره.

(٢) السمرقندي الحافظ الثقة صاحب المسند المشهور.

قال أبو حاتم: هو إمام أهل زمانه.

سمع النضر بن شميل ويزيد بن هارون وطبقتهما.

قال ابن الأثير: توفي في ذي الحجة وعمره (٧٥) سنة.

(٣) أبو عبد الرحمن، سكن نيسابور، صاحب حديث، وثقه ابن حجر في التقريب وقال: مات سنة بضع وخمسين ومائتين.

(٤) أبو يحي البغدادي البزاز كان أحد الثقات الأثبات المجودين سمع عبد الوهاب بن عطاء الخفاف وطبقته مات وله (٧٠) سنة.

(٥) قال في الفرق بين الفرق: قالت بتجسيم المعبود، وزعمت أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه.

ووصف ابن كرام معبوده: أنه جوهر، قال: إن الله تعالى أحدي الذات أحدي الجوهر.

ويقول: أن الله لم يزل خالقا رازقا على الاطلاق، وأن الله تعالى لم يزل معبودا ولم يكن في الازل معبود العابدين.

ص (١٦١ وما بعدها) (*) .." (١)

"وهي عشرة عشرة، ورده إياهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام، ويقال إن أول من لقبه بذلك مروان بن محمد، بويع له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد، وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة- حتى سنة ست وعشرين ومائة- وكان فيه صلاح وورع قبل ذلك، فأول ما عمل انتقاصه من أرزاق الجند ما كان الوليد زادهم، وذلك في كل سنة عشرة عشرة، فسمي الناقص لذلك، **ويقال في المثل** الأشج والناقص أعدلا خلفاء بني مروان- يعني عمر بن عبد العزيز وهذا- ولكن لم تطل أيامه، فإنه توفي من آخر هذه السنة، واضطربت عليه الأمور، وانتشرت الفتن واختلفت كلمة بني مروان فنهض سليمان بن هشام، وكان معتقلا في سجن الوليد بعمان فاستحوز على أموالها وحواصلها، وأقبل إلى دمشق فجعل يلعن الوليد ويعيبه ويرميه بالكفر، فأكرمه يزيد ورد عليه أمواله التي كان أخذها من الوليد، وتزوج يزيد أخت سليمان، وهي أم هشام بنت هشام، ونهض أهل حمص إلى دار العباس بن الوليد التي عندهم فهدموها، وحبسوا أهله وبنيه، وهرب هو من حمص فلحق بيزيد بن الوليد إلى دمشق، وأظهر أهل حمص الأخذ بدم الوليد بن يزيد، وأغلقوا أبواب البلد، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد، وكاتبوا الأجناد في طلب الأخذ بالثأر، فأجابهم إلى ذلك طائفة كبيرة منهم، على أن

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١١/٢٥

يكون الحكم بن الوليد بن يزيد الذي أخذ له العهد هو الخليفة، وخلعوا نائبهم، وهو مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ثم قتلوه وقتلوا ابنه وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد كتب إليهم كتابا مع يعقوب بن هانئ، ومضمون الكتاب أنه يدعو إلى أن يكون الأمر شورى، فقال عمرو ابن قيس: فإذا كان الأمر كذلك فقد رضينا بولي عهدنا الحكم بن الوليد، فأخذ يعقوب بلحيته وقال: ويحك! لو كان هذا الذي تدعو إليه يتيما تحت حجرك لم يحل لك أن تدفع إليه ما له، فكيف أمر الأمة، فوثب أهل حمص على رسول يزيد بن الوليد فطردوهم عنهم وأخرجوهم من بين أظهرهم.

وقال لهم أبو محمد السفياني: لو قدمت دمشق لم يختلف علي منهم اثنان، فركبوا معه وساروا نحو دمشق وقد أمروا عليهم السفياني، فتلقاهم سليمان بن هشام في جيش كثيف قد جهزهم معه يزيد، وجهز أيضا عبد العزيز بن الوليد في ثلاثة آلاف يكونون عند ثنية العقاب، وجهز هشام بن مصاد المزي في ألف وخمسمائة ليكونوا على عقبة السلمية، فخرج أهل حمص فساروا وتركوا جيش سليمان ابن هشام ذات اليسار وتعدوه، فلما سمع بهم سليمان ساق في طلبهم فلحقهم عند السليمانية فجعلوا الزيتون عن أيمانهم والجبل عن شمائلهم والحيات من خلفهم، ولم يبق تخلص إليهم إلا من جهة واحدة، فاقتتلوا هنالك في قبالة الحر قتالا شديدا، فقتل طائفة كثيرة من الفريقين، فبينما هم كذلك إذ جاء عبد العزيز بن الوليد بمن معه فحمل على أهل حمص فاخترق جيشهم حتى ركب التل الذي." (١)

"عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، فقدمها في أواخر ذي القعدة منها، وفيها أظهر مروان الحمار الخلاف ليزيد بن الوليد، وخرج من بلاد إرمينية يظهر أنه يطلب بدم الوليد بن يزيد، فلما وصل إلى حران أظهر الموافقة وبايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد. وفيها أرسل إبراهيم بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكر بن ماهان إلى أرض خراسان، فاجتمع بجماعة من أهل خراسان بمرو، فقرأ عليهم كتاب إبراهيم بن محمد الامام إليه وإليهم، ووصيته، فتلقوا ذلك بالقبول، وأرسلوا معه ما كان عندهم من النفقات. وفي سلخ ذي القعدة، وقيل في سلخ ذي الحجة، وقيل لعشر مضين منه، وقيل بعد الأضحى منها كان وفاة أمير المؤمنين.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. وهذه ترجمته رحمه الله تعالى

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي، أبو خالد الأموي، أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة أول ما بويع بها في قرية المزة، من قرى دمشق، ثم دخل دمشق فغلب عليها، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله، واستحوذ على الخلافة في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة، وكان يلقب بالناقص لنقصه الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد، وقيل إنما سماه بذلك مروان الحمار، وكان يقول: الناقص ابن اليد، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى، كسروية وقال ابن جرير: وأمه شاه آفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى، وهو قائل:

أنا ابن كسرى وأبي مروان ... وقيصر جدي وجدي خاقان

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٠/١٢

وإنما قال ذلك لأن جده فيروز، وأم أمه بنت قيصر، وأمه شيرويه وهي بنت خاقان ملك الترك، وكانت قد سباها قتيبة بن مسلم، هي وأخت لها فبعثهما إلى الحجاج، فأرسل بهذه إلى الوليد واستبقى عنده الأخرى، فولدت هذه الوليد بن يزيد الناقص هذا، وهذه أخذها الحجاج فكانت عنده بالعراق، وكان مولده في سنة تسعين، وقيل في سنة ست وتسعين، وقد روى عنه الأوزاعي مسألة السلم. وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة، وأنه كان عادلا دينا محبا للخير مبغضا للشر. قاصدا للحق. وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة إلى صلاة العيد بين صفين من الخيالة والسيوف مسللة عن يمينه وشماله، ورجع من المصلى إلى الخضراء كذلك، كان رجلا صالحا، **يقال في المثل** الأشج والناقص أعدلا بني مروان، والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا. وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي قال قال يزيد بن الوليد الناقص:

يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإنه داعية الزنا. وقال ابن عبد الحكيم." (١)

"خلق من الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ، فعبر بهم دجلة فنزل الديناري، وكان يزعم لبعض من معه أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة، وكان يدعى أنه يحفظ سورا من القرآن في ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره في مدة دهر طويل، وهن سبحان والكهف وص وعم.

وزعم أنه فكر يوما وهو في البادية إلى أي بلد يسير فخوطب من سحابة أن يقصد البصرة فقصدها، فلما اقترب منها وجد أهلها مفترقين على شعبتين، سعدية وبلالية، فطمع أن ينضم إلى إحداهما فيستعين بها على الأخرى فلم يقدر على ذلك، فارتحل إلى بغداد فأقام بها سنة وانتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد، وكان يزعم بها أنه يعلم ما في ضمائر أصحابه، وأن الله يعلمه بذلك، فتبعه على ذلك جهلة من الطغام، وطائفة من الرعاع العوام. ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان فاجتمع معه بشر كثير ولكن لم يكن معهم عدد يقاتلون بها فأتاهم جيش من ناحية البصرة فاقتتلوا جميعا، ولم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة أسياف، وأولئك الجيش معهم عدد وعدد ولبوس، ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجي ذلك الجيش، وكانوا أربعة آلاف مقاتل، ثم مضى نحو البصرة بمن معه فأهدى له رجل من أهل جبى فرسا فلم يجد لها سرجا ولا لجاما، وإنما ألقى عليها حبلا وركبها وسنف حنكها بليف، ثم صادر رجلا وتهدده بالقتل فأخذ منه مائة وخمسين دينارا وألف درهم، وكان هذا أول مال نهبه من هذه البلاد، وأخذ من آخر ثلاثة براذين، ومن موضع آخر شيئا من الأسلحة والأمتعة، ثم سار في جيش قليل السلاح والخيول، ثم جرت بينه وبين نائب البصرة وقعات متعددة، يهزمهم فيها وكل ما لأمره يقوى وتزداد أصحابه ويعظم أمره ويكثر جيشه، وهو مع ذلك لا يتعرض لأموال الناس ولا يؤذى أحدا، وإنما يريد أخذ أموال السلطان. وقد انهزم أصحابه في بعض حر وبه هزيمة عظيمة ثم تراجعوا إليه واجتمعوا حوله، ثم كروا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم خلقا وأسروا آخرين، وكان لا يؤتى بأسير إلا قتله ثم قوى أمره وخافه أهل البصرة، وبعث الخليفة إليها مددا ليقاتلوا هذا الخارجي وهو صاحب الزنج قبحه الله، ثم أشار عليه بعض أصحابه أن يهجم بمن معه على البصرة

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٦/١٠

فيدخلونها عنوة فهجن آراءهم وقال: بل نكون منها قريبا حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها ويخطبوننا عليها. وسيأتي ما كان من أمره وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلة إن شاء الله. وفيها حج بالناس على بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن عباس.

وفيها توفي

الجاحظ المتكلم المعتزلي

وإليه تنسب الفرقة الجاحظية لجحوظ عينيه، ويقال له الحدقي وكان شنيع المنظر سيئ المخبر رديء الاعتقاد، ينسب إلى البدع والضلالات، وربما جاز به بعضهم إلى الانحلال حتى **قيل في المثل** يا ويح من كفره الجاحظ. وكان بارعا فاضلا قد أتقن علوما كثيرة وصنف كتبا جمة تدل على قوة." (١)

"فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته وسألوا بعد تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينها من البساتين وأمن الطرقات سألوا أن يباعد بين أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب وطلبوا أن يبدلوا بالخير شرا كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد كما قال تعالى فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ٣٤: ١٦ قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الفار وهو الجرذ ويقال الخلد فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير فلم تغن شيئا إذ قد حم القدر ولم ينفع الحذر كلا لا وزر فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والأنهار وانقطعت تلك الثمار ومادت تلك الزروع والأشجار وتبدلوا بعدها برديء الأشجار والأثمار كما قال العزيز الجبار (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل) ٣٤: ١٦ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو الأراك وثمره البرير وأثل وهو الطرفاء. وقيل يشبهه وهو حطب لا ثمر له (وشيء من سدر قليل) ٣٤: ١٦ وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه كما **يقال في المثل** لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى ولهذا قال تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ٣٤: ١٧ أي إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا وقال تعالى فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ٣٤: ١٩ وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها فتفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر مذر فنزلت طوائف منهم الحجاز ومنهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة وكان من أمرهم ما سنذكره ومنهم المدينة المنورة اليوم فكانوا أول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فخالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سنذكره ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة وبهراء ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهما قال محمد بن إسحاق حدثني أبو عبيدة قال قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة وهو ميمون بن قيس.

وفي ذاك للمؤتسى أسوة ... ومأرم عفى عليها العرم

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٩/١١

رخام بنته لهم حمير ... إذا جاء مواره لم يرم

فأروى الزرع وأعنابها ... على سعة ماءهم إذ قسم

فصاروا أيادي لا يقدرون ... على شرب طفل إذا ما فطم

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمي ولخم هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أزد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن يشجب." (١)

"وقيل: يشبهه وهو حطب لا ثمر له ﴿وشيء من سدر قليل﴾ [سبأ: ١٦] وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير، وثمره بالنسبة إليه كما **يقال في المثل**: لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى؛ ولهذا قال تعالى ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ [سبأ: ١٧] أي: إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا، وخالف أمرنا، وانتهك محارمنا، وقال تعالى ﴿فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾ [سبأ: ١٩] وذلك أنهم لما هلكت أموالهم، وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها، وينتقلوا عنها فتفرقوا في غور البلاد ونجدها ؛ أيدي سبأ شذر مذر فنزلت طوائف منهم الحجاز، وهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة وكان من أمرهم ما سنذكره، ومنهم المدينة النبوية اليوم فكانوا أول من سكنها، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود؛ بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سنذكره، ونزلت طائفة أخرى منهم الشام، وهم الذين تنصروا فيما بعد، وهم غسان وعاملة وبهراء ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم، وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهما.

قال محمد بن إسحاق: حدثني أبو عبيدة قال: قال الأعشى بن قيس." (٢)

"[خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان]

وهو الملقب بالناقص ؛ لنقصه الناس الزيادة التي كان زادهم الوليد بن يزيد في أعطياتهم، وهي عشرة عشرة، ورده إياهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام. ويقال: إن أول من لقبه بذلك مروان بن محمد.

بويع له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد، وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة - أعني سنة ست وعشرين ومائة - وكان فيه صلاح وورع قبل ذلك، فأول ما عمل انتقاصه من أرزاق الجند ما كان الوليد زادهم، وذلك في كل سنة عشرة عشرة، فسمي الناقص لذلك. **ويقال في المثل**: الأشج والناقص أعدلا بني مروان. يعني عمر بن عبد العزيز وهذا. ولكن لم تطل أيامه، فإنه توفي من آخر هذه السنة، واضطربت عليه الأمور، وانتشرت الفتن، واختلفت كلمة بني مروان فنهض سليمان بن هشام، وكان معتقلا في سجن الوليد بعمان، فاستحوذ على أموالها وحواصلها، وأقبل

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢/١٦٠

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣/١١٢

إلى دمشق، فجعل يلعن الوليد ويعيبه ويرميه بالكفر، فأكرمه يزيد ورد عليه أمواله التي كان أخذها منه الوليد وتزوج يزيد أخت سليمان وهي أم هشام بنت هشام." (١)

"كذلك، وكان رجلا صالحا، **يقال في المثل**: الأشج والناقص أعدلا بني مروان. والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا.
وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن محمد المروزي، عن أبي عثمان الليثي قال: قال يزيد بن الوليد الناقص: يا بني أمية إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنى.
وقال ابن عبد الحكم عن الشافعي: لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له: الناقص. دعا الناس إلى القدر، وحملهم عليه، وقرب غيلان. قال ابن عساكر: ولعله قرب أصحاب غيلان لأن غيلان قتله هشام بن عبد الملك
وقال محمد بن المبارك: آخر ما تكلم به يزيد بن الوليد الناقص: واحسرتاه! واأسفاه. وكان نقش خاتمه: العظمة لله.
وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه، وذلك يوم السبت لسبع مضين من ذي الحجة، وقيل: في مستهله. وقيل: يوم الأضحى منه. وقيل: بعده بأيام. وقيل: لعشر بقين منه. وقيل: في سلخه. وقيل: في سلخ ذي القعدة من هذه السنة. وأكثر ما قيل في عمره ست وأربعون سنة. وقيل: ثلاثون سنة. وقيل غير ذلك. فالله أعلم.
وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر. وقيل: خمسة أشهر وأيام.." (٢)

"وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلة إن شاء الله تعالى.
وحج بالناس في هذه السنة علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

[من توفي فيها من الأعيان]
وممن توفي في هذه السنة من الأعيان:
الجاحظ المتكلم المعتزلي.
وإليه تنسب الفرقة الجاحظية منهم، وهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري، المعروف بالجاحظ ؛ لجحوظ عينيه، ويقال له: الحدقي. وكان شنيع المنظر سيئ المخبر رديء الاعتقاد ينسب إلى البدعة، وربما جاوز به بعضهم إلى الانحلال حتى **يقال في المثل**: يا ويح من كفره الجاحظ والله أعلم بحاله. وكان بارعا فاضلا، قد أتقن علوما كثيرة، وصنف كتبا جمة تدل على قوة ذهنه وجودة تصرفه. ومن أجل كتبه كتاب " الحيوان "، وكتاب " البيان والتبيين ".
قال ابن خلكان: وهما أحسن مصنفاته وأمتعها، وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه. وذكر: أنه أصابه الفالج في آخر عمره، وحكى عنه أنه قال: أنا من جانبي الأيسر مفلوج، لو قرض بالمقاريض ما علمت وجانبي." (٣)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨٣/١٣
(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٩٣/١٣
(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥١٤/١٤

"كساد ونقصان – بفتح النون؛ يقال: هلل الرجل إذ فر، وكلل إذا حمل.

١٠٣ – قال معاوية: تمردت عشرين، وتفتيت عشرين، ونتفت عشرين، وخضبت عشرين، فأنا ابن ثمانين.

١٠٤ – وقال الحسن بن مخلد: كان أحمد بن أبي دواد يستغل عشرة آلاف ألف درهم، وكان ينفق أكثر منها.

١٠٥ – يقال: تعلموا العلم وإن لم تنالوا به حظا، فلأن يذم لكم الزمان أحسن من أن يذم بكم.

١٠٦ – **يقال في المثل**: الرجز

ليس ذنابي الطير كالقوادم ... ولا ذرى الجمال كالمناسم

١٠٧ – وسئل ابن عباس عن القدر فقال: هو بمنزلة عين الشمس، كلما أزددت إليها نظرا أزددت عشى.." [١]

"إذا سارها حتى تحفى؛ يقال: سرت الدابة، هذا هو الفصيح، وينشد: الطويل

فلا تخرجن عن سنة أنت سرتها ... وأول راض سنة من يسيرها

وأول راضي سنة على الإضافة يروى أيضا؛ والبيت لابن أخت أبي ذؤيب، وله حديث، ولعله يعتن لك في عرض النوادر؛ وحفي فلان إحفاء بفلان أي يلزق به ما يكره، وحفي الرجل إذا رق أسفل قدمه من المشي، ورجل حاف وناعل، فأما الحفاء – مديدة – فالأسم، **ويقال في المثل** بيت: الخفيف

لا تزدني على الحفاء شقوقا ... فمن البر ما يكون عقوقا

شاعر: الطويل

وما رفع النفس الدنية كالغنى ... ولا وضع النفس الكريمة كالفقر

قال المأمون: من أراد أن يطيب عيشه فليدفع الأيام بالأيام.

قال محمد بن الحنفية: من كرمت نفسه عليه هانت الدنيا في." [٢]

"السين، وكأن الشبهة أن يصلي دالة على الحال متضمنة معنى الاستقبال حتى يقترن باللفظ ما يصبه على الغرض الواضح. وكان يكابر عند هذا البيان ويقول: لو صح هذا لصح قول الفلاسفة في الفصل بين الشيئين إن ما يكون مشتركا بين شيئي كأنه مركب من بدنيهما. فقيل له: وهذا أيضا كما قاله من خالفته، وأنت في ذلك أجهل من هرة فإنها تمشي على حافة الجدار غير متمكنة على سمته وتريغ مع ذلك مكانا آخر للقصد الذي يتلوح لها، لا تمسك نفسها وترسلها، فما ظنك يا أبا المبارك بشبهة تكشفها عنك هرة؟! **ويقال في المثل**: الدخان وإن لم يحرق البيت سوده.

شاعر: الوافر

أسر بمر يوم بعد يوم ... وبالجولين والعام الجديد

---

(١) البصائر والذخائر   أبو حيّان التوحيدي ٤٤/١

(٢) البصائر والذخائر   أبو حيّان التوحيدي ١٤٤/١

وأفرح بالمحاق وبالدآدي ... يسقن البيض في أكناف سود

وفي تكرارهن نفاذ عمري ... ولكن كي يشيب أبو يزيد." (١)

"العرب تقول: المدائح على الرجاء أبلغ من المراثي على الوفاء.

قال رجل من أصحاب الحديث لأحمد بن حنبل: ما ينبغي لك إن منعك السلطان حقك من الدنيا أن تمنعنا حقنا من الدين، ولا إن جار عليك أن تجور علينا، أعطنا ميراث نبينا عندك.

شاعر: السريع

يا أيها الظاعن في حظه ... وإنما الظاعن مثل المقيم

حظك يأتيك وإن لم ترم ... ما ضر من يرزق ألا يريم

كم من أديب عاقل قلب ... مصحح الجسم مقل عديم

قال فيلسوف: كيف السلامة لمن ليست له إقامة.

قال بعض السلف: خير الرزق ما يكفي، وخير الغنى ما يخفي.

ويقال في المثل: بطني عطري؛ هذا رجل كان جائعا، فجاءته امرأته ببخور، فقال لها: بطني عطري.

أو لم طير فأرسل رسله ليدعو إخوانه، فغلط بعض الرسل فجاء إلى الثعلب فقال: أخوك يقرأ عليك السلام، ويسألك أن تتجشم العناء إليه." (٢)

"الطبائع أربع: الدم وهو عبد، وربما قتل العبد سيده، والبلغم وهو عدو، إن سددت له بابا أتاك من آخر، والريح وهو ملك يدارى، والمرة وهي الأرض، إذا رجفت ترجف بمن عليها، فقال: أعد علي هذا، فو الله ما يحسن جالينوس أن يرصف هذا الترصيف.

قال أعرابي: كا امرىء يعمل في حظه.

ويقال في المثل: كل امرىء في شأنه ساع.

ويقال: أعشبت فأنزل وأوسعت فآبن: وجدت عشبا وسعة.

قال علي رضوان الله عليه: الصوت للحلق، والحروف للسان، والقلب للعقل، والكبد للحزن، والرأي للكليتين.

قال أعرابي لرجل أطعمه: أطعمك الله عز وجل الذي أطعمتني له، فقد أحييتني بقتل جوعي، ورفعت عني سوء الظن بيومي، فحفظك الله على كل جنب، وفرج عنك كل كرب، وغفر لك كل ذنب.

شاعر: البسيط." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٦/١

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٣٤/١

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١١٨/٢

"قال المثل: أحناؤها أبناؤها، جمع حان وبان.

سبقت درته غراره، قلة اللبن.

يقال: لا يجمع سيران في خرزة، كما يقال: لا يجمع سيفان في غمد.

ضغث على إبالة؛ إبالة حزمة الحطب، والضغث جرزة فوقها.

ويقال في المثل إذا أريد القصد: بين الممحة والعجفاء يقال: عند النطاح يغلب الكبش الأجم.." (١)

"وأما القس فواحد القسس وتقسسه تسمع صوته، وقسست أثر القوم، إذا تتبعته قسا.

فأما اللس فمصدر لست العير النبات إذا مكنت فاها منه وتناولته، **ويقال في المثل**: قلما تبقى على اللس.

وأما النس فالشوق، والمشوق منسوس، ويقال: كانت مكة ناسة لأنها كانت تخرج الجاني.

وقد بقيت ألفاظ يسيرة سنأتي عليها ها هنا مخافة أن أنساها، وقد وعدت في الكتاب أشياء كثيرة، قصرت في إنجاز كثير منها للطول وقلة المعين، وأظن أني قد قرنت الملل بفؤادك، وجلبت الثقل إلى نفسك بهذا الفن الذي أنا فيه، فما أصنع والكلام كله متدافع، وليس منه شيء إلا وفيه غرض وله معنى وعليه معول.

٢٧٦ - نعم، فأما الشائف فهو الجالي، أعني الذي يجلو الشيء، وليس هذا الجالي من الجالي الذي ينصرف عن بلد بشيء في المعنى، وإنما يلتقيان في اللفظ، والشيء مجلو ولا يقال مجلي؛ وتقول شفت الشيء أشوفه شوفا، وإذا قيل: ما الشوف فهذا هذا. وأما السوف فهو شم التراب والطريق وغيرها، ومنه المسافة، هكذا قال البصير بالاشتقاق، وأما " سوف " فحرف يدل على الأفعال فيقررها عما مضى وعما حضر إلى ما يكون بعد ويستقبل، تقول: سوف يقوم هذا، وهي شقيقة السين في قولك: سيقوم هذا، ليس بينهما فضل.." (٢)

"وقال عليه السلام: "كتب الله المصيبة والأجل، وقسم المعيشة والعمل ".

وقال عليه السلام: " أحسنوا جوار نعم الله عز وجل ".

وقال: " أصفر البيوت جوف صفر من كتاب الله تعالى "؛ الصفر - بكسر الصاد - الخالي، والصفر - بالضم - معروف، والعامة تلحن، هكذا قاله أبو حاتم، وكان عالما متقنا. والصفير من الفم والصفار: الذي يصفر؛ ويقال لبائع الصفر أيضا صفار، ويقال أيضا في المثل: صفر وطبه كأنه كناية عن قولهم: ما بقي عنده شيء. وفي المثل أيضا: والله ما كفأت له إناء ولا أصفرت له فناء. فأما صفرته كما تقول حمرته فكلام شائع؛ **ويقال في المثل**: هذا لا يلتاط بصفري، كأنه عبارة عن قولهم: هذا لا تهواه نفسي ولا يلصق بفؤادي، والمصفور: المستسقي، والمصفور: من جوفه غليظ.." (٣)

"قصر مشيد عجيب من بناء طسم، ومعنق قصر عبيد بن ثعلبة وهو أشهر قصور اليمامة من بناء طسم على أكمة مرتفعة، والثرملية حصن من حصون طسم، ويقول أهل اليمامة: غلبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال: ليس في

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٢٤/٤

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٨٥/٥

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٨٥/٧

الدنيا أحسن ألوانا من نسائنا، ولا أطيب طعاما من حنطتنا، ولا أشد حلاوة من تمرنا، ولا أطيب مضغة من لحمنا، ولا أعذب من مائنا، فأما قولهم في نسائهم فإنهن دريات الألوان كما قال ذو الرمة:

كأنها فضة قد مسها ذهب

وكقول امرئ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة

وذلك أحسن الألوان، ويقال لا تبلغ مولدة مائة ألف درهم إلا يمامية، وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة وهي عذي لا سقي، يحمل منه إلى الخلفاء، وأما تمره فلو لم يعرف فضله إلا أن التمر ينادى عليه بين المسجدين: يمامي اليمامة، يمامي اليمامة، فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامي، وبها أصناف التمور، وبها نخلة تسمى العمرة، ويقال إنها نخلة مريم، وجمعها العمر، والجدامية تمر ينفع من البواسير والصفرقان– تمرة سوداء طيبة– والحضري، والهجنة، والبردي، والصفراء، والقعقاعي، واللصف، والصفر، والصفايا، والتعضوض، والعماني، والجعاب، والمري، وخرائف بني مسعود، والصرفان، والزغري، والصنغانة، وزب رباح: **يقال في المثل**: الذ من زبد بزب، وصرفان، جلاجل، والخيل، هذه كلها تمور اليمامة ألوان ملونة. قالوا: أجود تمر عمان: الفرض، والبلعق، والخبوت، وأجود تمر اليمامة: البردي، والزرقاء، والجدامية. وأجود تمر البحرين: التعضوض. والمكرى، والآزاذ. وأجود تمر الكوفة: النرسيان، والسابري. وأجود تمر البصرة: الآزاذ، والقريثاء. وأما لحم اليمامة فإنه يطيب لطيب مراعيهم وماؤهم نمير يجلو البلغم وينقي الصدر، وفيها قالت الشعراء: أرق من ماء اليمامة واليمامة صرة نجد ومدينة نجد حجر.." (١)

"ترى الطير في جو السماء معلقا ... من البرد ممنوعا من الطيران

وتجمد بين الحائطين كلابهم ... وكانت تباري الخيل يوم رهان

وليس يقي من بردها جلد ثعلب ... بخوارزم مدبوغ بغير تواني

ولا جلد سمور ولا الفنك الذي ... يوقى به المقرور حر عمان

وليس يقيهم منه لفح جهنم ... وما لهم بالزمهرير يدان

أما مهربا من ذا العذار فقد وهت ... عظامي ولا تشعر به القدمان

إلى الكرج الحسناء دار أميرنا ... فنوسعها حمدا بكل لسان

مباركة حفت بخصب ونعمة ... بماء عيون عذبة وجنان

فأهل التقى والبر والفضل أهلها ... وليس لهم في المشرقين مدان

ذكر حب الأوطان

ولولا اختلاف شهوات الناس لما اختاروا من الأسماء إلا أحسنها ومن البلدان إلا أغذاها ومن الأمصار إلا أوسطها. ولو كانوا كذلك لتناحروا على البلدان الغذية ولتقاتلوا على الأمصار المتوسطة، ولما وسعتهم بلاد ولا تم بينهم صلح.

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٨٧

٦٤/٢ إلا أن رضاهم بأوطانهم، واغتباطهم بمساقط رؤوسهم مانع لهم. والقناعة ببلدانهم وإن كانت الطبيعة مجبولة عليه. وكيف لا يكونون كذلك وأنت لو حولت ساكني الآجام إلى الفيافي، وساكني السهل إلى الجبال، وساكني الجبال إلى السهل والبحار، وساكني أهل العمد إلى المدر، لأذاب قلوبهم وأخنى عليهم فرط النزاع. بل لو نقلت أهل القفار إلى العمران وحولت من في جزائر البحار إلى المدن، لم تجدهم راضين بذلك ولا قانعين. بل كنت تجدهم يحنون إلى أوطانهم ويتذكرون بلدانهم.

وقد **قيل في الأمثال**: عمر الله البلدان بحب الأوطان الرجال.

وقال عبد الله بن الزبير: ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم.." (١)

"فلا غرث ما كان في الناس كربج ... وما بقيت في رجل حيدان أصبع

وهذا الشعر وشعر غنية من الظرف الناصع الذي سمعت به، وظرف الأعراب لا يقوم له شيء.

وناس كثير لا يستعملون في قتالهم إلا العصي، منهم الزنج: قنبلة ولنجويه والنمل والكلاب، وتكفو وتنبو. على ذلك يعتمدون في حروبهم.

ومنهم النبط، ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة، واثقف ما تكون الأكراد إذا قاتلت بالعصي. وقتال المخارجات «١» كلها بالعصي، ولهم هناك ثقافه ومنظر حسن، ولقتالهم منزلة بين السلامة والعطب.

والناس يضربون المثل بقتال البقار بقناته. **ويقال في المثل**: «ما هو إلا ابنة عصا، وعقدة رشا «٢» » .

ويقال للراعي: «إنه لضعيف العصا» إذا كان قليل الضرب بها للإبل، شديد الإشفاق عليها. وقال الراعي

ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها إذا ما أجدب الناس أصبعا

فإذا كان الراعي جلدا قويا عليها قالوا: صلب العصا. ولذلك قال الراجز:

صلب العصا باق على أذاتها

وقال الآخر في معنى الراعي:

لا تضرباها وأشهرا العصيا

ويقولون: قد أقبل فلان ولانت عصاه، إذا أصابه السواف «٣» فرجع وليس معه إلا عصاه لأنه لا يفارقها كانت له ابل أم لم تكن.." (٢)

"فولد أعصر مالكا وهو باهلة وعمرا وهو غني والظفاوة وعامرا وثعلبة ومعاوية، فمن ولد الطفاوة ثعلبة وعامر سما الطفاوة ولد مالك بن أعصر سعد مناة وأمه باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة وأولد من غيرها معنا ثم خلف ومن بعد أبيه نكاح مقفت فولدت له أودا وحاوة، ولمعن أولاد من غيرها وهم شعبان وزيد ووائل والحرث وحرب ووهيب وعمرو وقتيبة وقعيب فحضنهم جميعا باهلة فنسبوا إليها فمن باهلة الأصمعي وهو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ابن صمع بن مطهر بن رباح وهو الحباب بن سعد بن عبد بن عنم قتيبة بن مالك ابن باهلة بن أعصر، ومنهم سحبان بن وائل بن معبد وهو

---

(١) البلدان لابن الفقيه   ابن الفَقيه ص/٤٨٧

(٢) البيان والتبيين   الجاحظ ٣/٣٥

الفصيح الخطيب الذي يضرب به المثل ويقال أفصح من سحبان بن وائل ومنهم صحب بخن سعد ابن عبد بن عنم بن قتيبة، ومنهم أعشى باهلة وهو عامر بن الحرث بن رباح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وام ئل بن معن، ومنهم قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد بن الخبر بن كعب بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر، ولقتيبة بن مسلم من الأخوة صالح وعبد الله وعبد الرحمن وزياد وزريق وعمرو ويق يد ومعبد وحصين وحماد بنو مسلم قتيبة تصغير قتب وهي الأمعاء.

فصل وأما غني

فهو عمرو فولد غنما وجعده فولد غنم بن حيلان ونهثه وعمرا، فمنهم ريان بن كعب بن حلان بن غنم بن غنى والمحبر طفيل الحبل بن عوف بن خلف بن حليس ابن مالك بن مسعد بن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غني، والمحبر طفيل الخيل بن عوف بن خلف بن حليس بن مالك بن سعد بن عوف وكعب بن جلان، وقيس الندا بن عبد الله بن عملية بن طريف، ومنهم الحرث بن الغضبان بن كعب ابن عدئ بن عبد الله بن مالك بن لدبل بن نهثة بن غنم بن عثمان قيس بن سعد ابن قيسي بن عيلان.

نسب فهم وعدوان

بني عمرو بن قيس بن عيكن واسم عدوان الحرث وإنما سمي عدوانا لأنه عدا على أخيه فهم فقتله. وأم ففم وعدوان جديلة بنت مراخت تميم بن مربن أد وهي زوجة عمرو بن قيس نسب ولدها إليها فقيل: جديلة قيس، فولد عدوان زيدا ويشكر ومالك وعكرشة ودوسا ويقال انهم دوس الذين في الأزد، فمن عدوان عامر ابن الظرب بن عمرو بن عياذ يشكر بن عدوان وكان يحكم بين العرب في الجاهلية وهو الذي حكم في الخنثى يورث من حيث يبول، وحكم بذلك الإسلام، ومنهم أبو سيارة واسمه عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحرث بن أوس ابن يزيد بن عدوان وكان يدفع بالناس في الجاهلية على حمار أسود أربعين سنة **ويقال في المثل** اصح من حمار أبي سيارة وفي عدوان لقب بن يشكر بفتح اللام والتحريك وفي الأزد بكسر الام والإسكان.

(فصل) وأما فهم

فولد سعدا وقينا وعابدة، ومن ولد سعد تأبط شرا وهو ثابت بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن حرب بن تيم وسعد بن فهم، ومنهم ثعلبة بن كنانة ابن عمرو بن قين بن فهم. فهذا آخر نسب قيس غيلان وهو آخر نسب مضر بن إلياس بن نزار وإذا قيل مضر فهم خندف وقيس بنا مضر وخندف أم ولد الحياس بن مضر واسمها ليلى بنت خلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وإنما سميت خندف لقصة، وذلك أنهم نزلوا بعض المنازل يبتغون مواقع الحساب فثارت أرنب تعدو بين رجالهم فتفرقت الإبل فقام بناها عمرو وعامر فكت عمرو الإبل فأدركها ما لقمع بنها الثالث في الخباء وكان بنوها ثمانية عمرو وعامر وعمير فخرجت أمهم في طلبهم لما أبطأ ولدها فلقيها أبوهم فقال إلى أين تنخندفين ياليلى والخندف

والتبختر واحد فسميت خندفا وأقبل عمرو بالإبل فسماه مدركة وأقبل عامر بالأرنب فسماها طابخة لما طبخها وسمى نمير قمع لما أنقمع في الخباء، وفي ليلى يقول شاعرهم:

نحن لإلياص الأعز الأشرف ... أنجبنا من لم تقترف

ليلى لكن عرفت بخندق

فقبائل مضر من خندف وقيس فقبايل خندف، قريش وكنانة، وأسد، والقارة وهذيل، والرياب، وخسة، ومزينة، وخميس، وقبايل قيس هوازن وغطفان وسليم، وفهم، وعدوان وغني وباهلة، ومحارب، فهذه أمهات قبايل مضر وقد تشعبت شعوبا وبطونا فقد ذكرناها والله اعلم.

نسب ربيعة بن نزار." (١)

"قال ولد نصر مالكا فولد مالك عبد الله ومويلكا وميدعان وخمارا وكان حماد عاميا يقال في المثل أشد من حمار الكفر من حماد ممن ولد عبد الله بن مالك بن نصر بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر فولد الحرث كعبا ونبشة وهو ماسخه واليه ينسب القيس الماخه فمن بني ماسخه بنو شريف ابن عبد بن ماسخه بن الحرث بطن بالحجاز، منهم عبد الملك بن خزرجان بن شريف كان شريفا بالشام وولي زمن الحجاج، ومن بني شريف تيم وكثير وعبد الله وعمرو وأوس بنو شريف ومن ولد كعب بن الحرث عبد الله والأحجر وزهران، فمن بني عبد الله بن كعب غامد بطن واسمه غامد عمرو بن عبد الله بن كعب ويسمى غامدا لأنه كان بين قومه شيء فأصلحه وتغمد عليهم فسموه غامدا ومن ولد غامد ظبيان ومالك وسعد مناة فمن بني سعد مناة بن غامد بنو ظبيان الأعرج وهو عبد شمس بن الحرث بن كثير بن جشم بن سميع بن زهل بن العوام بن بكر بن ثعلبة بن سعد مناة بن غامد، ومنهم جنب بن زهير بن الحرث ابن كثير بن جشم إلى آخر النسب. ومنهم جندب بن الاحرم بن مشعب بن جيم بن جشم بن سلامان بن غنم بن ظبيان بن غامده ومنهم جندب بن كعب بن عبد الله بن عمرو بن عامر بن مالك بن عامر بن زهل بن ثعلبة بن بيان بن غامد فهؤلاء جنادبة الأزد، ومنهم بنو سعد مناة بن غامد الدول بطن، فمن بني الدؤل بطن وهم كثير وثعلبة ومازن، واليه بطن فمن ولد الدؤل بن والبة بطن فمن بني والبة سبأ وذهل وعمرو وبنو والبة ولهم عقب وجدد.

فصل ومن بني الأحجر بن كعب ثمالة

وهو عوف بن أسلم بن أحجر وإنما سمى ثمالة لأنه أطعم قومه وسقاهم لبنا برغوة فسمى ثمالة لرغوة اللبن. ومن ولد ثمالة عمرو وعثمان وسميلة فمنهم النحوي أبو العباس المبرد، وهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حصبان بن سلم بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحرث بن هادي عشر بلال بن عمرو بن عوف بن ثمالة.

ومن بني الأحجر بن كعب لهب بطن باسكان الهاء وكسر اللام فلهم العياقة والقيافة والسبابة والدوابة وهم من أعيف العرب

---

(١) التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب   أبو الحجاج الأشعري ص/١٨

وفيهم يقول كثير:

تيممت لهبا ابتغى العلم عندهم ... وقد ورد علم العائفين إلى لهب

قال: وفي عدوان لهب بفتح اللام وتحريك الهاء.

فصل وأما زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله

ابن مالك بن نصر بن الأزد فهم بطن عظيم بالسراة فولد زهران نصرا والنمر ومالكا وعيرة وصقلا وكان يقال لمالك وعبر وصقل بنو خنيس.

وأما عبد الله بن زهران فولد عدثان بالثاء المنقوطة ثلاثا فوق، وعدثان ابن عبد الله بن عك بن عدثان بن عبد الله بن زهران، ومن هاهنا وقع الغلط والتصحيف في عك بن عدنان بالنون منسوبة إلى الأزد والصحة أن عك بن عدنان ين أدمن أهل الشام بالنون وعك بن عدثان بالثاء المنقوطة بثلاث من الأزد عك بن عدثان بن عبد لله بن الأزد فافهم ذلك.

(فصل) وأما دوس بن عدنان." (١)

"إذا سرقت فاسرق درة، وإذا زنيت فازن بحرة. فلان يسرق الكحل من العين والقميص من بين الجنبين. هو الص من عقعق. سرق السارق فانتحر. يضرب لمن يجزع على حق أخذ منه لم يكن له، وكان لغيره. الحسن البصري: بئس الرجل اللص، يدخل بيت غيره فيأخذ ما ليس له. غيره: الكذاب شر من اللص، لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. العامة: قطعت القافلة، وكانت خيرة. وقد **قيل في الأمثال:**

آمن مسلك طريق بها ... قد كان بالأمس يقطع." (٢)

"كالخلق المركب، والحيوان الملفق، وكالبغل في الدواب، وكالراعبي في الحمام، وأنها لا سبع ولا بهيمة ولا جنية ولا إنسية، وأنها من الحن دون الجن، وأنها مطايا الجن ونوع من المسخ، وتنبش القبور، وتأكل الموتى، وأنها يعتريها الكلب من أكل لحوم الناس وإن جلده منتن إذا أصابه مطر، قال روح بن زنباع في أم جعفر زوجته:

وريحها ريح كلب مسه مطر ... ريح الكرائم معروف له أرج

فالكلب يأكل العذرة، **ويقال في المثل**: أبخل من كلب على جيفة، ويشغر ببوله في جوف أنفه ويسدده تلقاء خيشومه (١).

والحية: الأفعى كما جاء في رواية، قال عمر: هن عدو فاقتلوهن (٢)، وفي رواية: حيث وجدتموها، قاله لمعتمر ولمحرم (٣)، وقال زيد بن أسلم: أي كلب أعقر منها (٤). وعن مالك: لا يقتل المحرم قردا ولا خنزيرا ولا الحية الصغيرة (٥).

وقال ابن بطال: أجاز مالك قتل الأفعى وهي داخلة عنده في معنى الكلب العقور، قال: وأجمع العلماء على جواز قتلها

---

(١) التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب أبو الحجاج الأشعري ص/٤٢

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٢٢٥

في الحل والحرم (٦). وأما نهيه - عليه السلام - عن قتل حيات البيوت (٧)، فأخذ بعض السلف بظاهره، وقد قال - عليه السلام - فيما رواه ابن مسعود: "اقتلوا الحيات كلهن،

---

(١) رواه عبد الرزاق في "المصنف" ٤/ ٤٠٣ (٨٢٢١).

(٢) رواه البيهقي ٥/ ٢١١ كتاب: الحج، باب: ما للمحرم قتله ..

(٣) "المحكم" ٧/ ٣٤.

(٤) "سنن البيهقي" ٥/ ٢١١.

(٥) "شرح ابن بطال" ٤/ ٤٩٢، ٤٩٣.

(٦) سيأتي برقم (٣٣١٢ - ٣٣١٣)، ورواه مسلم (٢٢٣٣) من حديث ابن عمر.

(٧) رواه أبو داود (٥٢٤٩)، والنسائي ٦/ ٥١، والطبراني ١٠/ ١٧٠ (١٠٣٥٥)، وابن عبد البر في "التمهيد" ١٦/ ٢٤. وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (١١٤٩).." [(١)]

"أرضعته الحرب من صغره، فهو الظاهر، وقيل معناه: إن اليوم يعرف من رضع كريمة أو لئيمة، قيل: أو حرة، فيبدو فعله في الدفع عن حريمه. وقال الخطابي: معناه: إن اليوم يوم هلاك اللئام، من قولهم: لئيم راضع، وهو الذي يرضع الغنم لا يحلبها فيسمع صوت الحلب. وعبارة غيره: وهو الذي رضع اللؤم من ثدي أمه. فقال: راضع ورضع مثل راكع وركع (١).
وقيل في المثل: ألأم من راضع، (ذلك) (٢) إذا أحس بالضيف رضع اللبن بفيه كما ذكرناه، وقال أبو عبد الملك: يحتمل أن يريد: اليوم تعلم المرضعة هل أرضعت شجاعا أم جبانا؟ وقال الداودي: أراد: يوما شديدا عليكم تفارق فيه المرضعة رضيعها، فلا يجد من يرضعه أو شيئا معها. قال: وأتى به على السجع، وهو قريب من الشعر، وروي أنه قال لهم: إني رجل شديد الطلب قليل السلب. وفي الكنانة ثلاثون سهما، ولا والله أرد يدي إليها وأضع منها سهما إلا في كبد إنسان منكم وأنه استلبهم ثلاثين بردة، ذكره في البخاري بعد هذا.
وقال ابن الأنباري في "زاهره": هو الذي رضع اللؤم من ثدي أمه. أي: غذي به، وقيل: هو الذي يرضع ما بين أسنانه يستكثر من الجشع بذلك. وقال أبو عمر: هو الذي يرضع الشاة أو الناقة من قبل أن يحلبها من شدة الشره.
وقال قوم: الراضع الذي لا يمسك معه محلبا، فإذا جاءه إنسان فسأله أن يسقيه احتج أنه لا محلب معه، وإذا أراد أن يشرب هو

---

(١) "أعلام الحديث" ٢/ ١٤٣٤.

(٢) في (ص): وكذلك أنه.." [(٢)]

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٧٨/١٢

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٥١/١٨

"زوج المرأة لا شيء له، وإنما وجب عليه الحد، وهو حق لله تعالى خاصة، وإنما فيه أن من أخذ شيئا على ما لا يملكه وجب عليه رده، ووجب نقض ذلك.

وقوله: (وأمر أنيسا الأسلمي ... إلى آخره). قيل: فيه إباحة تأخير الحدود عند ضيق الوقت، وأنكره بعضهم، وقال: يروى أيضا: "فامض إلى امرأة هذا". وفي لفظ: "اغد يا أنيس على امرأة هذا" (١). فلعله من باب الرواية بالمعنى.

وقوله: إلى امرأة الآخر): هو بفتح الخاء، وكذا ضبطه الدمياطي خطا. وقال ابن التين: هو بقصر الألف، وكسر الخاء، **ويقال في المثل**: أبعد الله الأخر، كذا رويناه.

فصل:

قوله: ("فإن اعترفت فارجمها") فيه: أن مطلق الاعتراف يوجب الحد، ولا يحتاج إلى تكراره، وبه قال مالك (٢)، والشافعي (٣)، وقال أحمد: لا يجب إلا باعتراف أربع مرات في مجلس، أو أربع مجالس (٤).

وقال أبو حنيفة: لا يجب إلا باعتراف في أربع مجالس، فإن اعترف ألف مرة في مجلس واحد، فهو اعتراف واحد (٥)، واستدل به أهل الظاهر على أن المقر بالحد إذا رجع لا يقبل، ولا دليل فيه؛ لأنه لم يذكر رجوعها.

---

(١) سيأتي برقم (٦٨٢٨) كتاب: الحدود، باب: الاعتراف بالزنا.

(٢) انظر: "النوادر والزيادات" ١٤/ ٢٥٠.

(٣) "الأم" ٦/ ١٤٤.

(٤) انظر: "المغني" ١٢/ ٣٥٥.

(٥) انظر: "مختصر اختلاف العلماء" ٣/ ٢٨٣.." [(١)]

"يقولون للص: لصت، وجمعهما طسوت ولصوت عندهم (١).

وقال ابن سيده: الطس والطسه معروف، وجمع الطس: أطساس وطسوس وطسيس، وجمع الطسه: طساس، ولا يمتنع أن تجمع طسة على طسس بل ذلك قياسه (٢).

وحكى ابن دحية عن الفراء: الطسة أكثر كلام العرب والطس، ولم يسمع من العرب الطست، وحكى ابن الأنباري: الطست- بفتح الطاء وكسرها- وحكاهما صاحب "المطالع" في الطس، قال: والفتح أفصح وهي مؤنثة، وخص الطست بذلك دون بقية الأواني؛ لأنه آلة الغسل عرفا.

الثالث:

قوله: ("من ذهب") ليس فيه ما يوهم استعمال أواني الذهب لنا، فإن هذا فعل الملائكة واستعمالهم، وليس بلازم أن يكون حكمهم حكمنا، ولأن ذلك كان أول الأمر قبل تحريم استعمال الأواني من النقدين، وإنما كان من ذهب؛ لأنه أغلى أواني الجنة وهو رأس الأثمان، فالدنيا آلة الدين، فإنها مطية الآخرة، وله خواص:

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٠/٢٣٧

منها: أنه لا تأكله النار في حال التعليق، ولا تأكله الأرض ولا تغيره، وهو أنقى شيء وأصفاه، **يقال في المثل**: أنقى من الذهب، وهو أثقل الأشياء، ويجعل في الزئبق الذي هو أثقل الأشياء فيرسب، وهو موافق لثقل الوحي، وعزة الذهب، وبه يتم الملك، وينال المطلب، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

---

(١) انظر: "تهذيب اللغة" ٣/ ٢١٩٠، "لسان العرب" ٥/ ٢٦٧٠ - ٢٦٧١.

(٢) "المحكم" ٨/ ٢٦٥.." [1]

"الحجاز ثلاث سنين بعد قتل عبد الله بن الزبير، فكان يصلي بالموسم كل سنة. وصلى وراءه عبد الله بن عمر منها موسما، ثم ولاه العراق، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فوليها عشرين سنة، وأصلحها، وذلل أهلها. وروى أبو اليمان عن جرير بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن أبي عذبة الحضرمي قال: قدمت على عمر بن الخطاب رابع أربعة من أهل الشام، ونحن حجاج. فبينا نحن عنده أتاه خبر من أهل العراق بأنهم قد حصبوا إمامهم، فخرج إلى الصلاة ثم قال: من هاهنا من أهل الشام؟ فقمت أنا وأصحابي فقال: يا أهل الشام تجهزوا لأهل العراق، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ. ثم قال: اللهم إنهم قد لبسوا علي فالبس عليهم. اللهم عجل لهم الغلام الثقفي الذي يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم.

وكان الحجاج أخفش دقيق الصوت. وأول ولاية وليها الحجاج تبالة. فلما رآها احتقرها، وانصرف. **فقيل في المثل**: " أهون من تبالة على الحجاج ". وهلك بواسط فدفن بها، وعفي قبره، وأجرى عليه الماء. وكانت وفاته سنة خمس وتسعين، وهو ابن ثلاث وخمسين.

وكان الحجاج يسمى كليبا في صغره، وكان يعلم الصبيان في الطائف. فقيل فيه:

أيكنى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر؟

رغيف له فلكة ما ترى ... وآخر كالقمر الأزهر

يعني القائل أن خبز المعلمين مختلف. وأبوه يوسف أيضا كان معلما ...

ومنهم يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل: ابن عمر الحجاج." [2]

"أنت امرؤ في أرض أمك فلفل ... جم وفلفلنا هناك الدندن «١»

فبحق أمك وهي منك حقيقة ... بالبر واللطف الذي لا يخزن

لا تدن فاك من الأمير ونحه ... حتى يداوي ما بأنفك أهرن

إن كان للظربان جحر منتن ... فلجحر أنفك يا محمد أنتن

وقال الربيع بن أبي الحقيق- وذكر الظربان- حين رمى قوما بأنهم يفسون في مجالسهم، لأن الظربان أنتن خلق الله تعالى

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٥/٢٣٠

(٢) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة محمد البري ١/٤١٥

فسوة «٢» . وقد عرف الظربان ذلك فجعله من أشد سلاحه، كما عرفت الحبارى ما في سلاحها من الآلة، إذا قرب الصقر منها «٣» . والظربان يدخل على الضب جحره وفيه حسوله أو بيضه، فيأتي أضيق موضع في الجحر فيسده بيديه، ويحول استه فلا يفسو ثلاث فسوات حتى يدار بالضب فيخر سكران مغشيا عليه، فيأكله، ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حسوله.

وتقول العرب: إنه ربما دخل في خلال الهجمة فيفسو، فلا تتم له ثلاث فسوات حتى تتفرق الإبل عن المبرك، تتركه وفيه قردان فلا يردها الراعي، إلا بالجهد الشديد «٤» .

فقال الربيع، وهجاهم أيضا بريح التيوس: [من المتقارب]

قليل غناؤهم في الهياج ... إذا ما تنادوا لأمر شديد «٥»

وأنتم كلاب لدى دوركم ... تهر هرير العقور الرصود

وأنتم ظرابي إذ تجلسون ... وما إن لنا فيكم من نديد

وأنتم تيوس وقد تعرفون ... بريح التيوس وقبح الخدود

قال: ويقال: «أفسى من الظربان» ويسمى مفرق النعم، يريدون من نتن ريح فسائه. **ويقال في المثل-** إذا وقع بين الرجلين شر فتباينا وتقاطعا-: «فسا بينهما." (١)

"وقال ابن مقبل العجلاني: [من الطويل]

بكت أم بكر إذ تبدد رهطها ... وأن أصبحوا منهم شريد وهالك «١»

وإن كلا حييك فيهم بقية ... لو أن المنايا حالها متماسك

كلاب وكعب لا يبيت أخوهم ... ذليلا ولا تعيي عليه المسالك «٢»

وقال رجل من بني كلاب من الخوارج، لمعاوية بن أبي سفيان: [من البسيط]

قد سرت سير كليب في عشيرته ... لو كان فيهم غلام مثل جساس «٣»

الطاعن الطعنة النجلاء عاندها ... كطرة البرد، أعيا فتقها الآسي «٤»

٢٣٨-[أهون من تبالة على الحجاج]

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق: كان أول عمل وليه الحجاج بن يوسف تبالة «٥» ، فلما سار إليها وقرب منها قال للدليل: أين هي، وعلى أي سمت هي؟ قال: تسترك عنها هذه الأكمة. قال: لا أراني أميرا إلا على موضع تسترني منه أكمة، أهون بها علي؟! وكر راجعا، **فقيل في المثل**: «أهون من تبالة على الحجاج» «٦» .

والعامة تقول: لهو أهون علي من الاعراب على عركوك.

٢٣٩-[احتضار الحجاج وقول المنجم]

قال «٧» : ولما حضرت الحجاج الوفاة وقد ولي قبل ذلك ما ولي، وافتتح ما افتتح، وقتل من قتل، قال للمنجم: هل ترى

---

(١) الحيوان   الجاحظ ١/١٦٢

ملكا يموت؟ قال: نعم ولست به، أرى ملكا يموت اسمه كليب، وأنت اسمك الحجاج قال: فأنا والله كليب، أمي سمتني به وأنا صبي. فمات، وكان استخلف على الخراج يزيد بن أبي مسلم، وعلى الحرب يزيد بن أبي كبشة.." (١)

"وقال الهذلي «١» : [من المتقارب]

ومن أينها بعد إبدانها ... ومن شحم أثباجها الهابط «٢»

تصيح جنادبه ركدا ... صياح المسامير في الواسط

فهو على كل مستوفز ... سقوط الدجاج على الحائط

وقال مروان بن محمد: [من السريع]

ضيع ما ورثه راشد ... من كيلة الأكداس في صفه

فرب كدس قد علا رمسه ... كالديك إذ يعلو على رفه

٥١٩-[بيضة الديك وبيضة العقر]

ويقال في المثل للذي يعطي عطية لا يعود في مثلها: «كانت بيضة الديك» «٣» .

فإن كان معروف له قيل: «بيضة العقر» «٤» .

٥٢٠-[استطراد لغوي]

ويقال دجاجة بيوض في دجاج بيض وبيض، بإسكان موضع العين من الفعل من لغة سفلى مضر، وضم موضع العين من نظيره من الفعل مع الفاء من لغة أهل الحجاز.

ويقال عمد الجرح يعمد عمدا، إذا عصر قبل أن ينضج فورم ولم يخرج بيضته وذلك الوعاء والغلاف الذى يجمع المدة يسمى بيضة، وإذا خرج ذلك بالعصر من موضع العين فقد أفاق صاحبه.

ويقال حضن الطائر فهو يحضن حضانا.

٥٢١-[تقسيم الجماع]

ويقال «٥» : هو التسافد من الطير، والتعاظل من السباع. ويقال قمط الحمام الحمامة وسفدها، ويقال قعا الفحل يقعو قعوا، وهو إرساله بنفسه عليها في ضرابه،." (٢)

"وفي البر من ذئب وسمع وعقرب ... وثرملة تسعى وخنفسة تسري [١]

وقد قيل في الأمثال إن كنت واعيا ... عذيرك، إن الضب يحبل بالتمر

وسنفسر معاني هذه الأبيات إذا كتبنا القصيدتين على وجوهها [٢] بما يشتملان عليه من ذكر الغرائب والحكم، والتدبير والأعاجيب التي أودع الله تعالى أصناف هذا الخلق، ليعتبر معتبر، ويفكر مفكر، فيصير بذلك عاقلا عالما، وموحدا مخلصا.

١٧١٢-[طول ذماء الضب]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢١٣/١

(٢) الحيوان الجاحظ ٤٣٣/٢

والدليل على ما ذكرنا من تفسير قولهم: الضب أطول شيء ذماء [٣] ، قولهم:

«إنه لأحيا من ضب» [٤] ، لأن حارشه ربما ذبحه فاستقصى فري الأوداج، ثم يدعه، فربما تحرك بعد ثلاثة أيام.

وقال أبو ذؤيب الهذلي [٥] : [من الكامل]

ذكر الورود بها وشاقى أمره ... شؤما وأقبل حينه يتتبع

فأبدهن حتوفهن فهارب ... بذمائه أو ساقط متجعجع

وكان الناس يروون: «فهارب بدمائه» يريدون من الدم. وكانوا يكسرون الدال، حتى قال الأصمعي: «بذمائه» معجمة الذال مفتوحة وقال كثير [٦] : [من الكامل]

ولقد شهدت الخيل يحمل شكتي ... متلمظ خذم العنان بهيم [٧]

باقي الذماء إذا ملكت مناقل ... وإذا جمعت به أجش هزيم [٨]

---

[١] الترملة: الأنثى من الثعالب.

[٢] انظر ما سيأتي ص ٤٦٤- ٤٧٠.

[٣] تقدم هذا القول في ٣/٢٤٧، الفقرة (٩١٤) ، وورد هذا القول في رسائل الجاحظ ١/٢٧٧.

[٤] مجمع الأمثال ١/٢١٨، ٢٢٦، وجمهرة الأمثال ١/٣٤٣، وأمثال ابن سلام ٣٦٩.

[٥] البيتان لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٢٤، والمفضليات ٤٢٣ و ٤٢٥، والثاني في اللسان والتاج (بدد، جعع، ذمي) ، والمقاييس ١/١٧٦، ٤١٦، والعين ١/٦٨، والأساس (ذمي) ، والتهذيب ١/٦٩، ١٤/٧٨، ١٥/٢٦، وبلا نسبة في العين ٨/٢٠٣، والمخصص ٣/٢٣، ٨٠.

[٦] ديوان كثير ٢٠٦، والمعاني الكبير ٤٩.

[٧] الشكة: السلاح. خذم العنان: سريع.

[٨] المناقل: السريع نقل القوائم. الأجش: الغليظ الصهيل. الهزيم: الشديد الصوت.." (١)

"٢١٧٠-[مثل النون والضب]

وقال عبد الأعلى القاص: **يقال في المثل**: إن النون قال للضب حين رأى إنسانا في الأرض: إني قد رأيت عجبا. قال: وما هو؟ قال: رأيت خلقا يمشي على رجليه، ويتناول الطعام بيديه فيهوي به إلى فيه. قال: إن كان ما تقول حقا فإنه سيخرجني من قعر البحر وينزلك من وكرك من رأس الجبل.

٢١٧١-[تناول الفيل والقرد طعامه]

والفيل أعجب منه، لأن يده أنفه، وأيدي البهائم والسباع على حال عاملة شيئا، والقرد يأكل بيديه وينقي الجوزة ويتفلى ويفلي أنثاه. وليس شيء يكرع بأنفه ويوصل الطعام إلى فيه بأنفه غير الفيل.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٣٤٩

٢١٧٢-[إطعام الدب ولدها] «١»

والدب الأنثى تقيم أولادها تحت شجرة الجوز، ثم تصعد الشجرة فتجمع الجوز في كفها، ثم تضرب باليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمي به إلى أولادها، فلا تزال كذلك حتى إذا شبعن نزلت.

٢١٧٣-[قوة الدب] «٢»

وربما قطع الدب من الشجرة الغصن العبل الضخم الذي لا يقطعه صاحب الفأس إلا بالجهد الشديد، ثم يشد به على الفارس قابضا عليه في موضع مقبض العصا فلا يصيب شيئا إلا هتكه.

٢١٧٤-[كثرة تصرف يدي الفيل]

قال صاحب المنطق: ليس شيء من ذوات الأربع إلا وتصرف يديه في الجهات أقل من تصرف يدي الفيل.

٢١٧٥-[شعر في وصف جلد الفيل والجاموس]

وقال أبو عثمان: ويوصف جلد الفيل، وجلد الجاموس بالقوة، قال جميل «٣» :

[من الطويل]." (١)

"فإن ابتليت في بعض الأوقات بمن يضرب بحرمة ويمت بدالة، يطلب المكافأة بأكثر مما يستوجب، فدعاك الكرم والحيا إلى تفضيله على من [هو] أحق منه، إما تخوفا من لسانه، أو مداراة لغيره، فلا تدع الأعتذار إلى من فوقه من أهل البلاء والنصيحة وإظهار ما أردت من ذلك لهم، فإن أهل خاصتك والمؤمنين على أسرارك، هم شركاؤك في العيش، فلا تستهينن بشيء من أمورهم، فإن الرجل قد يترك الشيء من ذلك اتكالا على حسن رأي أخيه، فلا يزال ذلك يجرح في القلب وينموه حتى يولد ضغنا ويحول عداوة.

فتحفظ من هذا الباب، واحمل إخوانك عليه بجهدك.

وستجد في من يتصل بك من يغلبه إفراط الحرص وحميا الشره، ولين جانبك له، على أن ينقم العافية، ويطلب اللحوق بمنازل من ليس هو مثله، ولا له مثل دالته، فتلقاه لما تصنع به مستقلا، ولمعروفك مستصغرا. وصلاح من كانت هذه حاله بخلاف ما فسد عليه أمره. فاعرف طرائقهم وشيمهم، وداو كل من لا بد لك من معاشرته بالدواء الذي هو أنجع فيه، إن لينا فلينا، وإن شدة فشدة، فقد **قيل في المثل**:

من لا يؤدبه الجميل ففي عقوبته صلاحه وقد قال بعض الحكماء:

«ليس بحكيم من لم يعاشر من لا يجد من معاشرته بدا، بالعدل والنصفة، حتى يجعل الله له من أمره فرجا ومخرجا» .

[٧- لائحة الاسباب والعواقب]

فاحفظ هذه الأبواب التي يوجب بعضها بعضا، وقد ضمنت لك أوائلها كون أواخرها. فاعرفها واقتبسها، واعلم أنه متى كان الأول منها وجب ما بعده لا بد منه. فاحذر المقدمات اللاتي يعقبها المكروه، واحرص على توطيد الأمور." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٤/٧

(٢) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٧٦

"فلتكن هذه سيرتك في أعدائك.

واعلم أن إشاعة الأسرار فساد في كل وجه من الوجوه، من العدو والصديق. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «استعينوا على الحوائج بسترها؛ فإن كل ذي نعمة محسود» .

وإذا أفشيت سرك فجاءت الأمور على غير ما تقدر كان ذلك منك فضلا من قولك على فعلك. وقد **قيل في الأمثال**: «من أفشى سره كثر المتآمرون عليه» .

فلا تضع سرك إلا عند من يضره نشره كما يضرك، وينفعه ستره بحسب ما ينفعك.

[١٢- أجناس الناس]

واعلم أنك ستصحب من الناس أجناسا متفرقة حالاتهم، متفاوتة منازلهم، وكلهم بك إليه حاجة، وكل طائفة تسد عنك كثيرا من المنافع لا يقوم به من فوقها، ولعلهم مجتمعون على نصيحتك والشفقة عليك. فمنهم من تريد منه الرأي والمشورة، [ومنهم من تريده للحفظ والأمانة] ، ومنهم من تريده للشدة والغلظة، ومنهم من تريده للمهنة. وكل يسد مسده على حياله. وقد قيل في الحكمة: «إن الخلال تنفع حيث لا ينفع السيف» .

ولا تخلين أحدا منهم- عظم قدره أو صغرت منزلته- من عنايتك وتعهدك بالجزاء على الحسنة، والمعاتبة عند العثرة؛ ليعلموا أنهم منك بمرأى ومسمع. ثم لا تجوزن بأحد منهم حده، ولا تدخله فيما لا يصلح له، تستقم لك حاله، ويتسق لك أمره.

واعلم أنه سيمر بك في معاملات الناس حالات تحتاج فيها إلى مداراة أصناف الناس وطبقاتهم، يبلغ بك غاية الفضيلة فيها، وكمال العقل والأدب منها، أن تسالم أهلها وتملك نفسك عن هواها، وتكف من جماحها، بالأمر." (١)

"وستجد في من يتصل بك من يغلبه إفراط الحرص وحميا الشره، ولين جانبك له، على أن ينقم العافية، ويطلب اللحوق بمنازل من ليس هو مثله، ولا له مثل دالته، فتلقاه لما تصنع به مستقلا، ولمعرفتك مستصغرا. وصلاح من كانت هذه حاله بخلاف ما فسد عليه أمره. فاعرف طرائقهم وشيمهم، وداو كل من لا بد لك من معاشرته بالدواء الذي هو أنجع فيه، إن لينا فلينا، وإن شدة فشدة؛ فقد **قيل في المثل**:

من لا يؤدبه الجمي ... ل ففي عقوبته صلاحه

وقد قال بعض الحكماء: " ليس بحكيم من لم يعاشر من لا يجد من معاشرته بدا، بالعدل والنصفة، حتى يجعل الله له من أمره فرجا ومخرجا.

فاحفظ هذه الأبواب التي يوجب بعضها بعضا، وقد ضمنت لك أوائلها كون أواخرها. فاعرفها واقتبسها، واعلم أنه متى كان الأول منها وجب ما بعده لا بد منه. فاحذر المقدمات اللاتي يعقبها المكروه، واحرص على توطيد الأمور التي على أثرها السلامة، وألقح في البدي الأمور التي نتاجها العافية.." (٢)

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٨١

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١/١٠٩

"واعلم أن أعظم أعوانك عليه الحجج ثم الفرصة، ثم لا تظهرن عليه حجة، ولا تهتبل منه غرة، ولا تطلبن له عثرة، ولا تهتكن له سترا إلا عند الفرصة في ذلك كله، وفي المواضع التي يجب لك فيها العذر ويعظم فيها ضرره، إن كان العفو عنه شرا له.

وإن كان ممن يظهر لك العداوة ويكشف لك قناع المحاربة، وكان ممن أعياك استصلاحه بالحلم والأناة، فلتكن في أمره بين حالين: استبطان الحذر منه، والاستعداد له وإظهار الاستهانة به. ولست مستظهرا عليه بمثل طهارتك من الأدناس، وبراءتك من المعايب.

فلتكن هذه سيرتك في أعدائك.

واعلم أن إشاعة الأسرار فساد في كل وجه من الوجوه، من العدو والصديق. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " استعينوا على الحوائج بسترها؛ فإن كل ذي نعمة محسود ".

وإذا أفشيت سرك فجاءت الأمور على غير ما تقدر كان ذلك منك فضلا من قولك على فعلك. وقد **قيل في الأمثال**: " من أفشى سره كثر المتآمرون." (١)

"ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم – خليل الرحمن – بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس النبي – فيما يزعمون – والله أعلم وكان أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم – ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم.

إبراهيم في ذلك النسب نحو من أربعين جدا، وقد ذكرهم كلهم أبو الحسن المسعودي على اضطراب في الأسماء ولذلك – والله أعلم – أعرض النبي – صلى الله عليه وسلم – عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل لما فيه من التخليط وتغيير في الألفاظ وعواصة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في تحصيلها. وقد ذكر الطبري نسب عدنان إلى إسماعيل من وجوه ذكر في أكثرها نحوا من أربعين أبا، ولكن باختلاف في الألفاظ لأنها نقلت من كتب عبرانية وذكر من وجه قوي في الرواية عن نساب العرب، أن نسب عدنان يرجع إلى قيذر بن إسماعيل وأن قيذر كان الملك في زمانه وأن معنى قيذر الملك إذا فسر وذكر الطبري في عمود هذا النسب بورا بن شوحا، وهو أول من عتر العتيرة وأن شوحا هو سعد رجب وأنه أول من سن رجبا للعرب. والعتيرة هي الرجبية.

وذكر في هذا النسب عبيد بن ذي يزن بن هماذا، وهو الطعان وإليه تنسب الرماح اليزنية ١ وذكر فيهم أيضا دوس العتق وكان من أحسن الناس وجها، وكان **يقال في المثل** أعتق من دوس، وهو الذي هزم جيش قطورا بن جرهم.

وذكر فيهم إسماعيل ذا الأعوج وهو فرسه وإليه تنسب الخيل الأعوجية وهذا هو الذي يشبه فإن بختنصر كان بعد سليمان بمئتين من السنين لأنه كان عاملا على العراق "لكي لهراسب" ثم لابنه "كي بستاسب" إلى مدة بهمن قبل غلبة الإسكندر

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١١٦/١

على دارا بن دارا بهمن، وذلك قريب من مدة عيسى ابن مريم فأين هذه المدة من

---

١ ذكر الطبري عن ابن إبداعي: هو عبيد وهو أول من قاتل بالرماح فنسبت إليه.." (١)

"زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال أشعر نبت بن أدد ويقال أشعر بن مالك ومالك مذحج بن أدد بن زيد بن هميسع. ويقال أشعر بن سبأ بن يشجب.

وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر، وأبو عبيدة لعباس بن مرداس أحد بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، يفخر بعك

وعك بن عدنان الذين تلقبوا ... بغسان حتى طردوا كل مطرد

قال فيه عك بن عبد الله بن عدثان بالثاء المثلثة ولا خلاف في الأول أنه بنونين كما لم يختلف في دوس بن عدثان أنه بالثاء وهي قبيلة من الأزد أيضا، واسم عك عامر. والديث الذي ذكره هو بالثاء ١ وقاله الزبير الذيب بالذال والياء ولعدنان أيضا ابن اسمه الحارث وآخر يقال له المذهب ولذلك **قيل في المثل** أجمل من المذهب وقد ذكر أيضا في بنيه الضحاك وقيل في الضحاك إنه ابن معد لا ابن عدنان وقيل إن عدن الذي تعرف به مدينة عدن، وكذلك أبين هما: ابنا عدنان قاله الطبري. ولعدنان بن أدد أخوان نبت بن أدد وعمرو بن أدد. قاله الطبري أيضا.

ذكر قحطان والعرب العاربة:

أما قحطان فاسمه مهزم – فيما ذكر ابن ماكولا – وكانوا أربعة إخوة فيما روي عن ابن منبه قحطان وقاحط ومقحط وفالغ. وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له عم صباحا، واختلف فيه فقيل هو ابن عابر بن شالخ، وقيل هو ابن عبد الله أخو هود، وقيل هو هود نفسه فهو على هذا القول من إرم بن

---

١ أكثر النسابين الذين تكلموا عن نسب الأزد لم يذكروا الديث، وفي "القلائد" للقلقشندي": وعك واسمه: الديث.." (٢)

"ولا مترهب في أسطوان ... يناطح جدره بيض الأنوق

وغمدان الذي حدثت عنه ... بنوه مسمكا في رأس نيق

بمنهمة وأسفله جرون ... وحر الموحل اللثق الزليق

مصابيح السليط تلوح فيه ... إذا يمسي كتوماض البروق

ونخلته التي غرست إليه ... يكاد البسر يهصر بالعذوق

فأصبح بعد جدته رمادا ... وغير حسنه لهب الحريق

---

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٣٦/١

(٢) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٥٠/١

وأسلم ذو نواس مستكينا ... وحذر قومه ضنك المضيق

أي: لو شرب كل دواء يستشفى به وتنشق كل نشوق يجعل في الأنف للتداوي به ما نهى ذلك الموت عنه.

وقوله: ولا مترهب يجوز أن يكون رفعه عطفا على ناه أي لا يرد الموت ناه ولا مترهب. أي دعاء مترهب يدعو لك، ويجوز أن يكون مترهب رفعا على معنى: ولا ينجو منه مترهب. كما قال:

تالله يبقى على الأيام ذو حيد ١.

البيت. والأسطوان: أفعوال. النون أصلية، لأن جمعه أساطين وليس في الكلام أفاعين. وقوله:

يناطح جدره بيض الأنوق

جدره: جمع جدار وهو مخفف من جدور وفي التنزيل ﴿أو من وراء جدر﴾ [الحشر: ١٤] تقيد بضم الجيم والجدر أيضا بفتح الجيم الحائط، ولكن الرواية في "الكتاب" هكذا كما ذكرنا. والأنوق الأنثى من الرخم٢! **يقال في المثل** أعز من بيض الأنوق إذا أراد ما لا يوجد لأنها تبيض حيث لا يدرك بيضها

---

١ بقيته: بمشمخر به الظيان والآس. والبيت لمالك بن خالد الخناعي.

٢ الرخم: طائر غزير الريش، أبيض اللون، مبقع بسواد، له منقار طويل قليل التقوس.." (١)

". . . . .

لفظ الذهب فمطابق للإذهاب فإن الله – عز وجل – أراد أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرا، وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه **يقال في المثل** أنقى من الذهب. وقالت بريرة في عائشة – رضي الله عنها – "ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر" وقال حذيفة في صلة بن أشيم رضي الله عنهما: إنما قلبه من ذهب وقال جرير بن حازم في الخليل بن أحمد: إنه لرجل من ذهب يريدون النقاء من العيوب فقد طابق طست الذهب ما أريد بالنبي – صلى الله عليه وسلم – من نقاء قلبه. ومن أوصاف الذهب أيضا المطابقة لهذا المقام ثقله ورسوبه فإنه يجعل في الزيبق الذي هو أثقل الأشياء فيرسب والله تعالى يقول: ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ [المزمل: ٥] .

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – "إنما ثقلت موازين المحقين يوم القيامة لاتباعهم الحق وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وقال في أهل الباطل بعكس هذا" وقد روي أنه أنزل عليه الوحي وهو على ناقته فثقل عليها حتى ساخت قوائمها في الأرض فقد تطابقت الصفة المعقولة والصفة المحسوسة. ومن أوصاف الذهب أيضا أنه لا تأكله النار وكذلك القرآن لا تأكل النار يوم القيامة قلبا وعاه ولا بدنا عمل به قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "لو كان القرآن في إهاب ثم طرح في النار ما احترق" ١ ومن أوصاف الذهب المناسبة لأوصاف القرآن والوحي أن الأرض لا تبليه وأن الثرى

---

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ١٢٧/١

لا يذريه وكذلك القرآن لا يخلق على كثرة الرد ولا يستطاع تغييره ولا تبديله ومن أوصافه أيضا: نفاسته وعزته عند الناس وكذلك الحق والقرآن عزيز قال سبحانه ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ [فصلت: ٤١] . فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه وإذا نظرت إلى ذاته وظاهره فإنه زخرف الدنيا وزينتها، وقد فتح بالقرآن والوحي على محمد – صلى الله عليه وسلم – وأمته خزائن الملوك وتصير إلى أيديهم ذهبها وفضتها، وجميع زخرفها وزينتها، ثم

---

١ رواه الطبراني، وفي "الجامع" للسيوطي أنه ضعيف.." [(١)]

"ضبة بن الحارث وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث، وعثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر، والحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر. ثمانية نفر.

عدد المهاجروا إلى الحبشة:

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم

شمس و] عب الشمس هو ضوءها أو صفاؤها، **وقيل في المثل** هو أبرد من عبقر أي البرد وبعضهم يقول وهو المبرد من عب قر أي بياض قر ومن حب قر أيضا. وفيه قول ثالث أعني: عب شمس. وهو مروي عن ابن عمر. وقال معناه عبء شمس بالهمز. ثم حذفت الهمزة تسهيلا. وعبء الشمس. وعبوها مثله.

عمار لم يهاجر إلى الحبشة:

وشك ابن إسحاق في عمار بن ياسر: هل هاجر إلى أرض الحبشة، أم لا. والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة. وغيرهما أنه لم يكن فيهم.

حول بني الحارث بن قيس

وذكر ابن إسحاق من بني الحارث بن قيس من هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث. وذكره الواقدي وغيره. والحارث بن قيس كان أبوه." [(٢)]

"عوف في الذي كان من أمر زينب قال ابن هشام: هي لأبي خيثمة

أتاني الذي لا يقدر الناس قدره ... لزينب فيهم من عقوق ومأثم

وإخراجها لم يخز فيها محمد ... على مأقط وبيننا عطر منشم

وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم ... ومن حربنا في رغم أنف ومندم

---

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٢/١١٣

(٢) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٣/١٣٢

فرنا ابنه عمرا ومولى يمينه ... بذي حلق جلد الصلاصل محكم

على مأقط وبيننا عطر منشم

لمأقط معترك الحرب وعطر منشم كناية عن شدة الحرب وهو مثل وأصله – فيما زعموا – أن منشم كان امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب فيشترى منها للموتى، حتى تشاءموا بها لذلك وقيل إن قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم في طيب منشم المذكورة تأكيدا للحلف فضرب طيبها مثلا في شدة الحرب وقيل منشم امرأة من غدانة وهو بطن من تميم ثم من بني يربوع بن حنظلة وأن هذه المرأة هي صاحبة يسار الذي يقال له يسار الواعب وأنه كان عبدا لها، وأنه راودها عن نفسها، فقالت له امهل حتى أشمك طيب الحرائر فلما أمكنها من أنفه أنخت عليه بالموسى حتى أوعبته جدعا، **فقيل في المثل** لاقى الذي لاقى يسار الكواعب فقيل عطر منشم. وفي الشعر

بذي حلق جلد الصلاصل محكم

عني: الغل والصلاصل جمع: صلصلة وهي صلصلة الحديد." (١)

". . . . .

وذكر في هذا النسب عبيد بن ذي يزن بن هماذا، وهو الطعان، وإليه تنسب الرماح اليزنية «١» ، وذكر فيهم أيضا دوس العتق، وكان من أحسن الناس وجها، وكان **يقال في المثل**: أعتق من دوس «٢» ، وهو الذي هزم جيش قطورا بن جرهم.

– فيذبحها فى رجب مكان تلك الغنم، وقد عتر بفتح التاء يعتر بكسرها عترا بسكونها إذا ذبح العتيرة. وهكذا كان الأمر فى صدر الإسلام، وأوله، ثم قضى عليه ولعل للرجبية المعروفة الآن نسبا إلى ذلك. ورجبية السيد البدوى أيضا. ويقول الخطابى: العتيرة: تفسيرها فى الحديث: أنها شاة تذبح فى رجب. وأما العتيرة التى كانت تعتبرها الجاهلية، فهى الذبيحة التى كانت تذبح للأصنام، فيصب دمها على رأسها «النهاية لابن الأثير» والرجبية: ما كان يذبح للأصنام فى الجاهلية فى رجب، ويقول المسعودى فى أسباب تسمية العرب لشهورها: «ورجب لخوفهم إياه، يقال: رجبت الشئ إذا خفته» وابن الأثير يقول: «أضاف رجبا إلى مضر؛ لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم» والرأيان غير متضادين.

(١) الذى فى الطبرى عن ابن إبداعى: «وهو عبيد، وهو يزن الطعان، وهو أول من قاتل بالرماح، فنسبت إليه– ابن همادى.

(٢) من العتق، وهو الكرم والجمال والنجابة والشرف والحرية، فى الطبرى «يقول العرب: أعتق من دوس لأمرين: أما أحدهما، فلحسنه وعتقه، والآخر لقدمه. جاء الطفيل بن عمرو الدوسى إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وقال: إن دوسا قد هلكت. عصت وأبت فادع الله عليهم، فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال: اللهم اهد دوسآ وأت بهم «متفق

---

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ١٣٢/٥

عليه» . وعن أبي هريرة قال: قال لى النبى: ممن أنت؟ قلت: من دوس. قال: ما كنت أرى أن فى دوس أحدا فيه خير «الترمذى» وقال: حديث حسن صحيح. وأقول: إن الأول أشبه بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم.." (١)

". . . . .

ابن اسمه: الحارث، وآخر يقال له المذهب «١» ، ولذلك قيل في المثل:

أجمل من المذهب، وقد ذكر أيضا في بنيه الضحاك وقيل في الضحاك إنه ابن معد، لا ابن عدنان، وقيل إن عدن الذي تعرف به مدينة عدن، وكذلك أبين هما «٢» : ابنا عدنان، قاله الطبري. ولعدنان بن أدد أخوان:

نبت بن أدد، وعمرو بن أدد. قاله الطبري أيضا.

(ذكر قحطان والعرب العاربة) أما قحطان فاسمه مهزم- فيما ذكر ابن ماكولا- وكانوا أربعة إخوة فيما روي عن ابن منبه: قحطان وقاحط ومقحط وفالغ. وقحطان أول من قيل له: أبيت اللعن، وأول من قيل له: عم صباحا «٣» ، واختلف فيه، فقيل:

- يقول: هو من ولد نبت، وكان نبت بكر إسماعيل، ويقول ابن حجر فى الفتح إنه وقع اضطراب شديد فى النسب بين عدنان وإسماعيل وأنه قد وقع له مما جمعه أكثر من عشرة أقوال، وذكر هذه الأقوال ص ٤٦٩ ج ١ فتح البارى ط ١ ١٣٤٨ هذا والبيت الذى رواه ابن هشام «وعك بن عدنان» يروى: بمذحج.

(١) وبه أيضا كان يلقب قثم بن العباس.. وأصل المذهب: الذهيب: المموه بالذهب.

(٢) أى عدن وأبين.

(٣) جملة دعائية، كان- كما روى- ملوك لخم وجذام يخاطبون بها، ومعناها: أبيت أن تفعل شيئا تلعن به، وعم صباحا: تحية تقال فى الصباح ولعل عم اختصار نعم ينعم انعم، فحذف منها الألف والنون.." (٢)

". . . . .

الريق، وكثرة القول، كما قال أبو المخش في ابنه: كان أشدق خرطمانيا «١» إذا تكلم سال لعابه. وقوله: ولو شرب الشفاء مع النشوق.

أي: لو شرب كل دواء يستشفى به، وتنشق كل نشوق يجعل في الأنف للتداوي به، ما نهى ذلك الموت عنه.

وقوله: ولا مترهب يجوز أن يكون رفعه عطفا على ناه، أي: لا يرد الموت ناه، ولا مترهب. أي: دعاء مترهب يدعو لك، ويجوز أن يكون مترهب رفعا على معنى: ولا ينجو منه مترهب. كما قال: تالله يبقى على الأيام ذو حيد «٢» . البيت.

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ٧١/١

(٢) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ١٠٠/١

والأسطوان: أفعوال. النون أصلية، لأن جمعه أساطين، وليس في الكلام أفاعين. وقوله:

يناطح جدره بيض الأنوق

جدره: جمع جدار، وهو مخفف من جدور، وفي التنزيل (أو من وراء جدر) تقيد بضم الجيم، والجدر أيضا بفتح الجيم: الحائط، ولكن الرواية في الكتاب هكذا كما ذكرنا. والأنوق: الأنثى من الرخم «٣» ! **يقال في المثل**: أعز من بيض

---

(١) أشدق: بليغ، والخرطمانى: الكبير الأنف. ملحوظة: لا كدوس ولا كأعلاق رحله. الأعلاق: جمع علق «بكسر العين» : النفيس من الشئ والجراب، ويفتح أيضا. يعنى: أنه لا يوجد كدوس ولا مثل ما حمله من الخير الوفير إلى الحبشة.

(٢) بقيته: بمشمخر به الظيان والآس. وهو لمالك بن خالد الخناعى

(٣) الرخم: طائر غزير الريش، أبيض اللون مبقع بسواد، له منقار طويل قليل التقوس، رمادى اللون إلى الحمرة، وأكثر من نصفه مغطى بجلد رقيق.." (١)

". . . . .

الحديث الأول- فعبر عنه في المرة الثانية بما يؤول إليه، وعبر عنه في المرة الأولى بصورته التي رآها، لأنه في المرة الأولى كان طفلا، فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده ثلجا، حتى عرف تأويله بعد. وفي المرة الثانية كان نبيئا، فلما رأى طست الذهب مملوآ ثلجا علم التأويل لحينه واعتقده في ذلك المقام حكمة وإيمانا، فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده في المقامين.

مناسبة الذهب للمعنى المقصود:

وكان الذهب في الحالتين جميعا مناسبا للمعنى الذي قصد به. فإن نظرت إلى لفظ الذهب، فمطابق للإذهاب، فإن الله- عز وجل- أراد أن يذهب عنه الرجس، ويطهره تطهيرا، وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه، **يقال في المثل**: أنقى من الذهب. وقالت بريرة في عائشة- رضي الله عنها- ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر.

وقال حذيفة في صلة بن أشيم رضي الله عنهما: إنما قلبه من ذهب، وقال جرير بن حازم في الخليل بن أحمد: إنه لرجل من ذهب، يريدون: النقاء من العيوب، فقد طابق طست الذهب ما أريد بالنبي- صلى الله عليه وسلم- من نقاء قلبه. ومن أوصاف الذهب أيضا المطابقة لهذا المقام ثقله ورسوبه، فإنه يجعل في الزيبق الذي هو أثقل الأشياء، فيرسب، والله تعالى يقول: (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) المزمل: ٥. وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه: إنما ثقلت موازين المحقين يوم القيامة، لاتباعهم الحق، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق." (٢)

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ٢٣٠/١

(٢) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ١٧٥/٢

". . . . .

فقال فيه أبو عبيد والقتبي: عبد شمس كما في الأول. وقال أكثر الناس فيه:

عب شمس «١» ، ثم اختلفوا في معناه، فقيل، معناه: عبد شمس، لكن أدغمت الدال، وقيل: بل [عب شمس و] عب الشمس هو ضوؤها أو صفاؤها، وقيل في المثل: هو أبرد من عبقر أي: البرد، وبعضهم يقول: وهو المبرد: من عب قرأى: بياض قر، ومن حب قر أيضا «٢» . وفيه قول ثالث: أعني: عب شمس.

وهو مروي عن ابن عمر. وقال معناه: عبء شمس بالهمز. ثم حذفت الهمزة تسهيلا. وعبء الشمس. وعبوها مثله «٣»

.

عمار لم يهاجر إلى الحبشة:

وشك ابن إسحاق في عمار بن ياسر: هل هاجر إلى أرض الحبشة، أم لا. والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة. وغيرهما أنه لم يكن فيهم.

---

(١) يكتب: عبشمس، ولقبه: مقروع ويقال بتضعيف الباء مع الإضافة

(٢) فى القاموس. حبقر «بفتح فسكون فضم فراء مشددة، كفعلل ذكروه فى الأبنية، ولم يفسروه، ومعناه: البرد حب الغمام، يقال: أبرد من حبقر، ويقال: عبقر، وأصله: حب قر «بفتح حاء حب وتشديد الباء مع إضافتها إلى قر» والقر- بضم القاف- البرد، والدليل على ما ذكرته: أن أبا عمر ابن العلاء يرويه: أبرد من عب قر، والعب- بفتح فتضعيف: اسم للبرد. انتهى» . وعب الشمس الذى هو ضوؤها بفتح العين وتشديد الباء أو تخفيفها.

(٣) ضوؤها ويقول محمد بن حبيب فى كتابه متشابه القبائل: كل شيء فى العرب عبد شمس غير عبشمس بن سعد فى تميم، وعبشمس بن آخر فى طيىء. هكذا قال بسكون الباء فيهما، وذكر غيره أن الذى فى تميم: عبشمس- بفتح الياء- والذى فى طيىء: عبشمس «بكسر الباء» انظر ص ٤٥٠ ح ٢ المزهر." [١]

". . . . .

المأقط: معترك الحرب «١» ، وعطر منشم كناية عن شدة الحرب، وهو مثل، وأصله- فيما زعموا- أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب، فيشترى منها للموتى، حتى تشاءموا بها لذلك، وقيل: إن قوما تحالفوا على الموت، فغمسوا أيديهم في طيب منشم المذكورة تأكيدا للحلف، فضرب طيبها مثلا في شدة الحرب، وقيل: منشم امرأة من غدانة، وهو بطن من تميم، ثم من بني يربوع بن حنظلة وأن هذه المرأة هي صاحبة يسار الذي يقال له يسار الكواعب، وأنه كان عبدا لها، وأنه راودها عن نفسها، فقالت له: امهل حتى أشمك طيب الحرائر، فلما أمكنها من أنفه أنحت عليه بالموسى حتى

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ٣/٢٢٨

أوعبته «٢» جدعا، فقيل في المثل. لاقى الذي لاقى يسار الكواعب، فقيل: عطر منشم «٣»

---

(١) المأقط: الضيق فى الحرب، وقال ابن سراج: المأقط: موضع الحرب غير مهموز من المقط وهو الضرب «الخشنى ص ١٦٥» .

(٢) استأصلته.

(٣) اختلف الرواة فى لفظ هذا الإسم ومعناه واشتقاقه، وفى سبب المثل فانه يقال: منشم بفتح الشين وكسرها ومشأم. وفى معناه قال أبو عمرو بن العلاء إن المنشم هو الشر بعينه، وزعم غيره أنه شيء يكون فى سنبل العطر يسميه العطارون: قرون السنبل، وهم سم ساعة، وقيل إن المنشم تمرة سوداء منتنة وقيل اسم امرأة، وأما اشتقاق منشم فقالوا إنه اسم موضوع كسائر الأسماء الأعلام. وقيل هو اسم وفعل، فأصله: من شم، فحذفوا الياء الثانية وجعلوا الأولى حرف إعراب، وقيل: هو من لشم فى كذا إذا بدأ فيه. وهناك اختلاف فى سبب المثل مذكور فى كتب الأمثال، وقد تقدم فى الجزء الأول ذكر يسار.." (١)

"وجبل دنباوند جبل عظيم، يحكى أن ظله في وقت العصر يطول اثني عشر ميلا، وعلى رأسه دخان لا يفتر الدهر كله، وهو في نهاية العلو والمنعة، ويقال إنه يرى على مسافة خمسين فرسخا لارتفاعه ولا يصح أن أحدا ارتقاه، وتنحدر منه مياه كثيرة، وحول قلعته قرى كثيرة.

وذكر (١) الحربي أنه ورد في الحديث أن دنباوند بلدة السحرة، وفيها الساحر المحبوس في جبلها يقال إنه يفلت في آخر الزمان فيكون مع الدجال يعلمه السحر ويعمله له، والناس يصحفون هذا الاسم فيقولون: دنياوند يجعلون ثالثه ياء منقوطة من أسفل، وإنما هو دنباوند ثالثه باء منقوطة بواحدة.

دنهاجة (٢) :

من بلاد المغرب بالقرب من البصرة المعروفة بالحمراء، وهو على تل يعرف بقصر عبد الكريم، وكان من أشياخ كتامة القاطنين هناك، رأس واستوطن ذلك الموضع، وكانت فيه آثار قديمة، فبنى فيه دارا سميت قصرا لعدم القصور بتلك الجهة.

دغول (٣) :

قرية من قرى نيسابور، وقيل من قرى طرسوس.

دغوطه (٤) :

جزيرة في آخر بلاد سفالة، وهي على جون كبير، وأهلها عراة لا يستترون بشيء من الثياب لكنهم يستترون بأيديهم عند التقائهم بالتجار الداخلين إليهم من سائر الجزائر المجاورة لهم ونساؤهم محتجبات لا يدخلن (٥) الأسواق ولا المحافل لأنهن عراة فمن ذلك يلزمن أمكنتهن التي يأوين إليها، وفي هذه المدينة وبأرضها بوجد التبر مثل ما يوجد بغيرها من بلاد سفالة.

دقوقا (٦) :

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ١٩٨/٥

مدينة في جهة اربل. وفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة قصدها جلال الدين خوارزمشاه بالخوارزمية فقاتل أهلها قتالا شديدا إلى أن فتحها الخوارزمية بالسيف، وقتلوا كثيرا من أهلها، فأرسل إليه مظفر الدين صاحب اربل من المال والتحف ما ملأ عينه، وأشار عليه أن يترك بلاد الخليفة ويرسل إليه رسولا بالطاعة لتقوم بذلك حرمته عند سلاطين البلاد ويسير إلى أذربيجان التي فيها عدوه ابن البهلول، ففعل.

دستوا (٧) :

من كور الأهواز، وقيل صوابه دستو، وإليها ينسب هشام بن أبي عبد الله الدستوائي وهذا من تغيير النسب وإنما قياسه دستوي.

الدسكرة:

مدينة فيما بين بغداد وبلاد خراسان (٨) ، وهي مدينة كبيرة بها قصر من بناء الأكاسرة له سور مشرف، له باب واحد مما يلي المغرب، وليس داخله بناء والطريق من الدسكرة إلى جلولاء بين جبال ورمال ونخيل.

دهستان (٩) :

مدينة على الضفة الشرقية من بحيرة طبرستان وهي من أبسكون على مائة وخمسين ميلا، وليس في الضفة الشرقية من هذا البحر إلا دهستان.

الدهناء (١٠) :

رمال في طريق اليمامة إلى مكة لا يعرف طولها، وأما عرضها فثلاث ليال، وهي على أربعة أميال من هجر، **ويقال في المثل**: أوسع من الدهناء.

دهلك (١١) :

جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم في البحر، وطول هذه الجزيرة مسيرة يومين، وحواليها ثلثمائة جزيرة معمورة أهلها مسلمون، وإذا أتت الحبشة لمناجزتهم صعدوا جبلا عاليا يقابل جزيرة دهلك وأوقدوا فيه نارا فيخرج المسلمون إليهم في السفن، وإلى ساحل جزيرة دهلك (١٢) هاجر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي، وفي هذه الجزيرة مساجد جامعة وأحكام عادلة، وقد ولي القضاء فيها بعد الأربعمائة محمد بن يونس، مالكي من أهل الأندلس.

---

(١) معجم ما استعجم ٢: ٥٥٨.

(٢) قارن بالإدريسي (د) : ٧٨، والبكري: ١١٠.

(٣) ع: دعول، والمؤلف ينقل عن معجم البكري ٢: ٥٥٣، وزاغول من قرى مرو، ولعلها المقصودة، وذكر طرسوس وهم.

(٤) نزهة المشتاق: ٢٩ (OG: 79) ؛ ص ع: دغواطة؛ وانظر بسط الأرض: ١٧.

(٥) ص ع والنزهة: لا يدخلون.

(٦) قارن بياقوت (دقوقا) .

(٧) معجم ما استعجم ٢: ٥٤٩، وقارن بياقوت (دستوا) ، وقد توفي الدستوائي سنة ١٥٢.

(٨) هذا التحديد غير مفيد أبدا، وقد عد ياقوت عدة مواضع باسم ((الدسكرة)) ، وانظر نزهة المشتاق: ٢٠٢.

(٩) قارن بابن حوقل: ٣٢٩، والكرخي، ١٢٨، وهذه دهستان غير تلك التي بكرمان والأخرى الواقعة بناحية باذغيس (انظر: ياقوت) .

(١٠) معجم ما استعجم ٢: ٥٥٩.

(١١) قارن بياقوت (دهلك) ، وابن خلكان ٦: ٣٠٠، وتقويم البلدان: ٣٧١، والمؤلف ينقل عن مصدر آخر.

(١٢) سقط من ع.." [(١)]

"سحول (١) :

قرية باليمن أو واد، إليها تنسب الثياب السحولية والملاحف السحولية، وقيل: هو واد بقرب الجند، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة.

السدير (٢) :

بالعراق، وهو سواد نخل، وقيل: السدير: النهر الذي هناك، وقيل: هو قصر عظيم من إنشاء ملوك لخم في القديم، وما بقي من قصورهم فهي بيع للنصارى، وإياه عنى عدي بن زيد في أبياته المشهورة في قوله:

سره ماله وكثرة ما يم ... لك والبحر معرض والسدير وقال آخر:

أبعد المنذرين أرى سواما ... تروح بالخورنق والسدير قالوا: وسمي سديرا لأن العرب لما نظرت إلى سواد نخله سدرت أعينهم، فقالوا: ما هذا إلا سدير، قال المنخل:

فإذا شربت فإنني ... رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإنني ... رب الشويهة والبعير

سدوم (٣) :

مدينة من مدائن قوم لوط، وهي وما حولها المؤتفكات وكانت خمس قريات، وسدوم هي القرية العظمى، وهي كلها خراب لا أنيس بها، وإلى أهلها أرسل الله سبحانه نبيه لوطا عليه السلام، والحجارة الموسومة موجودة فيها يراها السفر سوداء براقة. وكان في كل قرية منها مائة ألف، ويضرب المثل بجور أحكام قاضي سدوم، وهي بأرض الشام.

وسدوم هذه هي القرية التي أمطرت مطر السوء المذكور في سورة الفرقان " الآية: ٤٠ " لأنها رجمت. وقصة قوم لوط عليه السلام وزوجه في القرآن وكانوا يعملون الخبائث كما قال الله تعالى وفيهم قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام: " إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين " وقالوا للوط عليه السلام: " إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فاسر بأهلك بقطع من الليل " الآية (هود: ٨١) قالوا: أدخل جبريل عليه السلام جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط فقلعها وصعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصراخ الديكة، ثم قلبها دفعة واحدة وضرب بها على الأرض وأمطرت عليهم حجارة

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٤٤

من سجيل. وكانت هذه القرى بين المدينة والشام ومنها صبعة وصعرة (٤) وعمرة وسدوم ودوما (٥) وهي المدينة العظمى، وقال بعض المفسرين: سدوم هي القرية التي كانت تعمل الخبائث، وقد يقال إنه بذال معجمة، وسدوم موضع بالشام كان قاضيه يضاف إلى الجور **فيقال في المثل**: أجور من قاضي سدوم (٦) ، ويقال أيضا أجور من سدوم (٧) ، قال عمرو بن دراك العبدي (٨) :

وإني إن قطعت حبال قيس ... وخالفت المزون على تميم

لأعظم فجرة من آبي رغال ... وأجور في الحكومة من سدوم وكانت لقوم لوط عليه السلام مدينتان: سدوم وعامورا، وهما أعظم قراهم أهلكهما الله فيما أهلك منها، وقيل كان سدوم ملكا وبه سميت المدينة، وكان من أجور الناس.

السد:

هو سد يأجوج ومأجوج المذكور في القرآن العزيز في قوله تعالى: " فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ".

وفي شعر الحماسة (٩) :

فأوصيكما يا ابني نزار فتابعا ... وصية مضفي النصح والصدق والود

---

(١) معجم ما استعجم ٣: ٧٢٧، والبكري (مخ) : ٦٧.

(٢) انظر معجم ما استعجم (الخورنق) و٣: ٧٢٩، وقارن بياقوت (السدير) .

(٣) بعضه من معجم ما استعجم ٣: ٧٢٩، وقارن بياقوت (سدوم) ، وتفسير الثعلبي: ١٠٢ وما بعدها، وسائر كتب التفسير، وتاريخ الطبري ١: ٣٢٥ - ٣٤٣.

(٤) ص ع: صعبة وصعدة.

(٥) يختلف رسم هذه الأسماء في المصادر، ويلحظ أن المؤلف لم يذكر بينها ((زعموا)) التي أثبتها في حرف الزاي؛ إلا أن تكون هي صعرة ((صاعورا زعورا)) ؛ أما دوما فقد كانت في الأصلين: درعا؛ وأثبت ما في الطبري.

(٦) الميداني ١: ١٢٨.

(٧) انظر ثمار القلوب: ٨٣ - ٨٤ حيث جاء: جور سدوم.

(٨) تاج العروس (سدم) .

(٩) من أبيات للعديل بن الفرخ العجلي (شرح المرزوقي: ٧٢٩) .." [1]

"وهو موضع الوتر من السهم، وذلك إشارة منها إلى إرسال الكلام نحوه لقولها، وامتثلوه غرضا أي: صيروه مثل الغرض، ومن رواه انتثلوه غرضا أي: صيروه مثل الغرض ومن رواه انتثلوه عرضا أي: تركوه من النثل وهو أن يترك الشيء مرة واحدة يقال: نثل ما في كنانته إذا صبه مرة واحدة وكذا نثره، فلوا صفاته أي كسروها والصفاة: الصخرة الملساء **يقال في المثل**: ما تبذأ١ صفاته وجمعها: صفا مقصور وفله فانفل أي: كسره فانكسر وكأنها تشير إلى أنهم لم يغيروا من أمره

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٠٨

المستجمع المستحكم شيئا، ولو قصفوا له قناة تقول: قصفت الشيء أي: كسرته والإشارة إلى ذلك المعنى أي: لم يزل أمره قائما وكعبه عاليا، على سيسائه أي: على ما ركب من أمره وسيساء الحمار: ظهره. قال أبو عمرو: السيساء من الفرس: الحارك ومن الحمار: الظهر، ضرب الدين بجرانه جران البعير: عنقه من مذبحه إلى منحره وكذلك هو من الفرس والمعنى أنه ألقى بجرانه على الأرض كما يفعل البعير إذا برك، ورست أوتاده: ثبتت، أفواجا: جماعات جمع: فوج ويجمع أيضا على فووج وجمع الجمع: أفاوج وأفاويج.

أرسالا جمع: رسل بالتحريك، وهو في الأصل القطيع من الإبل والغنم، فاستعير للجماعة من الناس، أشتاتا أي: متفرقين واحدهم شت، مرج أهله يقال: مرج الأمر مرجا إذا التبس هذا أصله، والمراد والله أعلم بمرجهم اضطرابهم من قولهم: مرج الدين والأمر اختلط واضطرب، اكتثبت نهزها يقال: كثبت الشيء كثبا: جمعته وانكثب الرمل أي: اجتمع ومنه سمي الكثيب من الرمل والنهز جمع: نهزة وهي الفرصة، والكثب بالتحريك: القرب يقال: رماه من كثب أي: من قرب ويقال: أكثبك الصيد إذا أمكنك والتقدير: اقتربت فرصها.

ومنه حديث يوم بدر: "إن أكثبكم القوم فأنبلوهم" أي: قاربوكم وأمكنوكم

---

١ تبذأ: تزدرى ويستخف بها.." (١)

"ثم طفق يقول. اعلم إني كنت في مبدأ أمري حائكا. ولما شاء الله تعالى من الأزل أن يخلقني قبيحا وقصيرا. حتى أن أمي عند نظرها إلي كانت تحمد الله على أنه لم يخلقني بنتا لم أكن أصلح للحياكة. لأن قصري الفاحش مناني غير مرة في حفرة النول بالبهر والخناق. إذ كان جسمي كله يغيب فيها فينقطع نفسي. مع إن منخري بحمد الله يسعان من الهواء ما يكفي خمسين رئة وخمسين كرشا. وكثيرا ما كان يغشى علي فيها وأوخذ منها على آخر رمق. فلما قاسيت من هذه الحرفة كل جهد وعناء رأيت أن التسبب ببعض ما يرغب فيه النساء أصلح. فاكتريت لي حانوتا صغيرا وقعدت فيه فكانت النساء يمرون علي وينظرن إلي ثم يتضاحكن. وسمعت مرة منهن من تقول لو كان الظاهر عنوانا صادقا على الباطن لكان خرطوم هذا التاجر يشفع له في جثته ويروح سلمته فاعتمدت على كلامها وقلت لعل من القبح سعادة. فقد **قيل في الأمثال** إن من الحسن لشقوة. ومكثت مدة على هذه الحال من غير طائل. فإن أنفي وقف بيني وبين رزقي. وبلغ كبره من الفحش بحيث أنه لم يدع لغير الأباء والأعراض عني موضعا. فقعدت يوما أفكر في خلق الله تعالى هذا الكون. وأقول يا لحكمة الله كيف تخلق في الدنيا إنسانا ثم تخلق فيه شيئا يمنع رزقه وقوام معيشته. ما الفائدة من هذا الأنف الضخم الذي لا يصلح لشيء إلا لأن تضمن فيه إعجاز قفا نبك. ولم لم يقور منه شيء ويكور في جثتي. ومالي أرى بعض الناس جميلا كالملك وبعضهم قبيحا كالشيطان. ألسنا جميعا خلق الله؟ أليس سبحانه يعمهم كلهم بعنايته على خد سوى. أليس الصانع الأرضي إذا أراد أن يصنع شيئا فإنه يتأنق فيه ويتقنه عند استطاعته ويأتي به من أحسن ما يكون. هل يصور المصور صورة قبيحة إلا لكي يضحك الناس من المصور عنه. العل في ضخم الأنف حسنا أو خيرا أو نفعا ونحن معاشر المخلوقين لا نعلمه. ثم

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ١/٢١٤

أقوم إلى المرآة وأتأمل وجهي فيها فأنكره ولا أجد فيه موضعا للاستحسان فأعود إلى مذهبي الأول وأقول: إن كنت أنا لم أستحسن وجهي فهل يستحسنه آخر غيري. على أن الإنسان يرى ذم غيره فيه حسنا ورذيلته فضيلة أترى في الناس من يروق لعينه القبح. فقد يقال أن السود لا يرون في الأبيض منا حسنا. غير أن لون السواد عندهم عام فلذلك يستحسنونه. وما أرى غيري من أقل أنفا كأنفي حتى أطمع في أنه يكون مستحسنا. أما اللون فإني لست من البيض ولا من السود بين اللاعنين ألا ليت أهل بلدتي كانوا كلهم مثلي قنافيين فأتسلى وأتأسى بهم. من أين ورثت هذا الجلمود وأنف أبي كان كأنوف الناس. ليت شعري أين كان عقل أبي حين نقر في رأسه فكر إنشائي في هذا الكون وفي أي طود أو طربال أو منارة كانت أمي تفكر ليلة رواحته على هذا العمل. إلا ليتما غشي عليهما تلك الليلة فما أفاقا. أو فدرا فما أطاقا. أو سحرا فما تاقا. أو سكرا فماقا. وجعلت أجيل هذه الأفكار في رأسي وأصوغها في قوالب مختلفة وأفانين متنوعة. وإذا بامرأة متنقبة أقبلت علي وقد نتأ من تحت نقابها شيء شبيه بالقلة. فظننت إنها جعلت حنجور عطر عند أنفها لتشمه عند مرورها على الجيف في أسواق المدينة. فسألتني عن شيء تريد شراءه فسعرته لها فكأنها استغلته فقالت لي أقصد فإن تسعيرك هذا تسعير فقلت لها وأن شراءك لشرى. فضحكت وقالت لقد أحسنت في الجواب ولكنك أسأت في الطلب فراع حقوق الشركة والجنسية فإني شريكتك ورفيقتك. فكان ينبغي لك أن تحابيني قلت أي شركة بيننا أصلحك الله وهذه أول خطوة شرفتني فيها الزيارة. فرفعت النقاب وإذا بأنفها الناتئ يضيق عنه وجهها. وكأنه واجه أنفي ليحييه. فخطر ببالي ح ما قيل عن ذلك الغراب الذي كان يخمع وألف غرابا مهيض الجناح. وأن أحد الشعراء لما أبصرهما قال ما كنت أدري ما أراده بعضهم يقول أن الطيور على آلفها تقع حتى رأيت هذين الغرابين. ثم أني بعتها أخيرا ما أردت أن تشتريه. وحاولت أن أقبلها قبلة واحدة تعويضا عما خسرته معها فما أمكن لي. لان أنفينا حالا ما بيننا. ثم ذهبت ومكثت أنا على تلك الحال مدة. فلما تحققت أني لا اصلح للتجارة لان النساء لا يشترين إلا ممن كان فرهدا غيسانيا تبركا بجمال طلعته في إنهن يتمتعن بما اشترين من عنده. وتذكرا لذلك النهار السعيد الذي عرفنه فيه. وإني مذ فتحت الدكان لم أبع إلا لتلك الكرنيفية وكان ذلك بخسارة. عزمت على." (١)

"أن الفارياق حين كان مرتقبا بربقة الحب قبل الزواج كان قد أستدعى به أحد الخرجيين في الجزيرة البخر أي في الجزيرة التي يتكلم أهلها بلغة منتنة. ليكون عنده بمنزلة معبر للأحلام بأجرة أكثر مما كان له عند الخرجي بمصر. فمن ثم عزم على السفر وطالع به خطيبته قبل الدخول بها بمدة. فقالت لا بأس فإن للرجل حقا على امرأته أن يستصحبها حيث شاء. وأن كل بقعة من الأرض تكون لها في صحبته مغنى ووطنا. ثم أخبر أمها بذلك فرضيت. فلما وقع بالزواج وأحكمت عقدته قال الفارياق لزوجته ينبغي لنا الآن أن نتأهب للسفر. لأن أحلام الخرجي قد تكاثرت في رأسه ويخشى أن يفوته تعبيرها. فقالت أو ذلك من جد؟ هل جرت عادة النساء بأن يسافرون عقب الزواج ويعرضن أنفسهن للعقم والخطر؟ أليس في مصر مندوحة عن الغربة والسفر؟ كيف أفارق أخواني وأهلي وأذهب إلى بلاد مالي بها من صديق ولا خدين!؟ قال ما غررت بك ولا قلت لك شيئا غير ما قلته من قبل. قالت ما كنت لا علم من الزواج ما أعلمه الآن. فقد شبهه الناس بالسعوط الذي

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٤٥

يعطيه الطبيب اللنائم أو السكران حتى يفيق. قد علمت الآن أن المرأة لم تخلق للسفر وإنما خلق السفر لها. قال: أني وعدت الرجل بأن أسافر إليه فلا بد من إنجاز الوعد: فقد **يقال في المثل** أن الرجل يربط بلسانه لا بقرنه. ومع ذلك فإن خرجينا هذا مسافر معنا بامرأته فأنت مثلها. قالت ما أنا كزوجة الخرجي فإني الآن حديثة الصبغ وفي برزخ البكر والمتزوجة. ولم أسأم بعد من الأرض حتى أدخل إلى البحر. فلما علمت أمها بذلك الحت عليها في السفر. فقالت دعوني إذا أستشير طبيبا لا علم هل سفر البحر يضر بالمتزوجة حديثا أولا. فجيء بالطبيب فلما سمع كلامها ضحك وقال. إنكم يا نصارى الشرق تنذرون للكنائس رجاء أن يمن عليكم صاحب الكنيسة بالحبل أو الشفاء من بعض الأمراض وأما نحن فنذر للبحر. فإن النساء عندنا حين ييأسن من الحبل يقصدن ظهر هذا الولي ويلتمسن بركته. فمنهن من ترجع حبلي بفذ ومنهن من تضع توأمين. ولا سيما إذا كان ربان السفينة ذا رفق بالنساء يطعمهن ما يشتهين. فقال الفارياق في نفسه اللهم أجعل ربان سفينتنا عنيفا شرسا نكدا شكسا فظا عسرا. فلما سمعت ذلك سكن روعها ومالت إلى السفر. فمن ثم أخذوا له الأهبة وسافروا إلى الإسكندرية.

أما السفر من بولاق في القنج فأنه من أعظم اللذات التي ينشرح لها الصدر فإن النيل لا يكون إلا ساجيا. ورئيس القنجة يقف قبالة كل قرية ليتزودوا منها الدجاج والفاكهة الطريئة واللبن والبيض وغير ذلك. وناهيك بماء النيل عذوبة ومصحة. فالراكب في إحدى هذه القنج لا يزال طول نهاره آكلا مسرورا قرير العين بما يراه نضرة الريف وخصب القرى. حتى يود أن تطول مدة سفره فيه وأن كان في قضاء أمر مهم. فأغتنم الفارياق ح هذه الفرصة وأمعن في قضاء الأعذبين ونسي مصر ولذاتها. ونعيمها وحمايتها. ورمدها وآفاتها. والكتب ومشايخها. والأخراج وتخاتخها. والمكاتب وبرابخها. والطنبور وأوتاره. والحمار وفراره. والطبيب وقنزعيته. وصاحب المعجزة وهجرعيته والسرى ورائحته. والوباء وجائحته. وما زال على هذه الحالة حتى وصل إلى الإسكندرية شبعان ريان. وقد تزود ما يقوم بحاجة البطالة في البحر الملح. وفاز ونجح أي فوز وأي نجح.

سفر وتصحيح غلط أشتهر." (١)

"حدس الهارس بن هشام قال. كنت سمعت كثيرا عن النساء حتى كدت أمنى بالنساء فمن قائل أن المحصن أطيب من العزب. وأسلم عاقبة من المزاحمة على منهل دونه مذب. أو المكابدة للوب واللهب. أو التعرض للتجبية والعطب. وأنه كلما صدى قلبه من الكرب، جلاه بابتسامة من زوجه عن شنب وارتشافه من رضاب كالضرب. وسماع نامة تغني عن آلات الطرب ومدام ذات حبب. فإن مما خص الله تعالى به المرأة من المزايا، وفضلها به من السجايا أن صوتها الرخيم لا يمرد عليه نكد. ولا يبدو معه هم وكمد. فأول ما تحرك شفتيها. تسكن القلوب إليها. وعند مغازلة عينيها، تنهال المسرات على من هو بين يديها. فيحنبش ويمحش. ويخفش وينتعش. ويدركل ويدرقل. ويسجل ويدوقل. ويبحشل ويدربل. وحين تمشي في بيتها متبدحة. تقول لها الأقدار فديناك من مغناج مرحة. إن شئت رفعنا زوجك إلى قرن الغزالة. لينعم بالك بأحسن حاله. وإن شئت بقاءه عندك الليلة. لم تعينا من ذاك حويلة. وإن شئت أن نزين له السفر عاما أو أكثر إلى طرح

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٥٩

ذي أمن أو خطر. فأنت لدينا أكرم من نهى وأمر. فما عليك إلا نضنضة لسان. أو إشارة بنان. وحسبنا بطرفة عين من بيان. قال وأن الزوج متعه الله بإحصانه. وهنأه بنطرة بستانه. وجنى تفاحه ورمانه. وزاده من آلاته وإحسانه. يبعث بحضرة زوجه باللذات كما شاء. أن توخى مسا مس وأن أشتهى نشوة نشا. وأن شاء داعب ولاعب وأن أبى إلى الجد فالجد طوع له كما أحب. وأن له منها منزها "ولكن غير بعيد عن الماء" تغيب فيه الأتراح. وتطلع منه الأفراح. وبشائر النجاح. وسرا تزف به الدنيا إليه بمعرض بشر. ومهدي كشر. أن التوى عليه أمر قومته بمهارتها. وسددته بإشارتها. وإنها إذا تدعبت عليه وتقيأت. وتبعلت له وفيأت. زاده الله نضرة ونعيما. وزادك صبرا وجموما. خيل له أنه ملك الدنيا بحذافيرها. وفاز بجميع لذاتها وحبورها.. وأنه قد قام مقام العاهل الأعظم. خليفة باري الأمم. فلو رأى وقتئذ قاضي مارا على بلغته، حسبه من أتباعه وخدمته. ولو رأى كافها أو وافها، لأنف من أن يكلمهما مشافها. فبعث مكانه إلى جانب الأول وصيفا وإلى حضرة الثاني وصيفة وقال لهما أن لدي لكل فاتح قاهر ولاية شريفة ولكل سائل شاكر وظيفة. ولو إن امرأ أغلظ له وحاشاه في الكلام. وسفه فبادره بالتقريع والملام. أو رأى والعياذ بالله أن يمس له قذالا. ويسومه عليه قفئدا وإذلالا. فزع إلى زوجته أعزها الله فنفت عنه كل كرب. وأمنته من كل رعب. وردت عليه حجره من حجرها. وصدارته من صدرها. وقالت له لا تخش من كيده وغله. فإنما يدفع كل استحصاف بمثله. فرجع إلى ما كان عليه من الأنفة والفخار. والعز والذرار. حتى لو رأى قيلا أو ردفا، لهاء بنفسه عن أن ينظر إليهما نظر الأكفاء. فهو الراتع المنفق. المترف المتملق. الآكل وتلقاءه من درر الثنايا ومرجان الفم، ما يخيل إليه من الكامخ خير مطعم. والمسيخ أهنأ مغنم. وأن الأجاج والزعاق. أشهى من مدام الاغتباق. ألا ولو أنه بات معها على فرش حشوه شظايا. وماس منها زغابة لكان له من أوطأ الحشايا. فكل ضر معها يستحيل إلى فنع ونفع. وكل شظف بقربها فهو قصوف ورتع: ومن قائل لا بل عيش العزب أهنأ. واللذات أجنى. فإن السيدات يحسبه في كل وقت ذا جموم. وعندهن أن نبة واحدة منه تنفي جميع الهموم. إذ ليس له من تلزه كل ليلة للعظال. وتؤرقه من الليل على مثل ذي الحال. ليتذكر دائما أنه محصن ذات قرطق وخلخال. فهو على هذا محبب عند البنات. محروص عليه من السيدات المتزوجات. مشار إليه بالبنان من الأرامل الهائجات. وأنه إذا رجع إلى منزله رجع ويده خفيفة. ورانفته نظيفة. فلا من تقول له هات. أو تلومه على ما فات. ولا من تستوحيه عن المستقبل وتستفتيه في المصالح المهبل. ولا من تزجره عند قيق غيرها له وجلجه إليها بحف. أو تنجفه قبل مفارقته أياها أي نجف. أو تقول له نزاف نزاف. وإلا فالإزهاف. ولا من يبكي بين يديه وهو عاجز هن كفالته كما يحق عليه. فتراه أبد الدهر مياحا مفراحا. متعرضا للنساء متياحا. شراحا سداحا. رفيقا بالمجح منهن مساحا. وقد قيل في الأمثال السائرة سير العجاج، في كل فجاج. من لم يكن ذا زوجة كان ذا أزواج. قيل فمن ثم كانت خطوات العزب أوسع. وحركته أسرع. وكلامه أنجع. وأناؤه أترع ونغمته أرخم.." (١)

"ولهذا يقال في المثل السائر عند الفرنساوية أن باريس نعيم النساء ومطهر الرجال وجحيم الخيل. ولما كانت حالة الرجال مع النساء هكذا كان ثلاثة أرباع سكان باريس مسافحين. ونصف الربع الأخير متزوجين زواجا شرعيا والباقي

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٢٥١

منقطعون عن النكاح. كذا أخبرني من يوثق بكلامه. ثم أن المومسة من الإنكليز تعرف نفسها أنها حرة أيضا أن الناس يعرفونها كذلك. فلا تكلفهم احترامها. ولا تسومهم إعظامها. فإما البغي من الفرنسيس فعندها إن مجرد استبضاعها للبضع يؤهلها لأن يكرمها الناس ويداروها. ويجلوها ويسانوها. وذلك لعدم استغنائهم عنها. وجرهم النفع منها. وقد تقدم أن الفرنساوية لا يفرقون بين الحرة والبغي وبقي هنا أن نقول أنهم أشد الناس شبقا إلى البعال. وأقرمهم إلى السفاح. وناهيك إنهم في الفتنة الكبيرة التي حدثت في سنة ١٧٩٣ أقاموا امرأة عريانة على مذبح إحدى الكنائس وسجدوا لها. فصور لخاطرك أيها القارئ كيف تكون الرجال والنساء في هذه المدينة في ليالي الشتاء البارد الطويلة وكم من ملهى يغص بهم وبهن وكم من مآب. وكم من مائدة تميد لهم بالطعام والشراب. وكم من سرر تهتز. ومضاجع تأز. وأجناب تلز. وأوطاب تمز. وأوتار تنز. أنشدني الفارياق لنفسه في وصف باريس وأجازني روايته:

وفي باريس لذات كما في ... جنان الخلد جير وحور عين

ولكن شأنهن دوام طمث ... لكل أربعون من القرين

وقال في الراقصات

لله در الراقصات لنا على ... نغم المثاني حيث تجلى الكوب

لو كان يوما وطؤهن علي لم ... تثقل لدي من الزمان خطوب

وقال في رامج

ذي الباريزية طلعتها ... كالصبح بها قلبي مغرم

في الليل أربد تحيتها ... فأقول لها بن جور مادم

قال وكما أن الغريب المسكين ينشرح صدره وينجلي بصره بمشاهدة تلكم الحكاكات للأعتاب في لندرة على الصفة التي تقدم ذكرها. كذلك تقر عينه أمثالهن في باريس طائفات في الشوارع والأسواق من دون غطاء على رؤوسهن ولا ساتر لخصورهن وما يليها. بخلاف عادة النساء في لندرة فإنهن لا يخرجن إلا ملتحفات. قال وعندي إن هاتين الخلتين وهما حك الأعتاب والخروج من دون التحاف هما السبب في قلة وجود العميان في هاتين المدينتين السعيدتين. وقلما ترى في رجالها احول أو أزور أو أحوص أو أخوص أو أرمص أو أكمس أو أعشى أو أخفش أو أعفش أو أعمش أو أعبش أو أغمش أو أرمش أو امتش أو ذادوش أو مدش أو طخش أوغطش أو غفش أو طفنشئا أو غطمشا أو مغطرشا. أو مطغمشا أو مطرفشا أو مطفرفشا أو مطنفشا أو مدنفشا أو مدنقشا. فعلى كل من كان في بلادنا أعمش ذا عين أن يقصد هذه البلاد ليجلو بصره بهذه المناظر الأنيقة. وليستصحب معه أيضا لهذه الجلاء جلاء أي لقبا يبني عن شرف وسيادة. فإن القوم يعظمون هذه الزنمة ولا يرون للإنسان فضلا بغيرها. وعلى فرض تحرجه من الانتحال والتزوير فإن غناه يكسبه إياها من عندهم. لأنه متى كان غنيا وجعل دأبة أن يتردد على مواضع اللهو والحظ لم يلبث ان يتعرف بزمرة من الكبراء السعداء وإن يزورهم في مغانيهم. وح يسمونه بسمة شرف تشريفا له وتشرفا به إذ لا يزورهم إلا الشريف مثلهم. فأما حرص النساء على هذه الزنمة وخصوصا نساء الإنكليز فهو أوسع من أن يحصر في هذا الكتاب.

ثم رام الفارياق أن يستأجر شقة دار يسكنها هو وأهله فرأوا عدة أماكن لم تخل من عيوب. وكانت الفارياق في خلال ذلك تتمعص من ارتقاء الدرج فإن بعضها كان يشتمل على مائة وعشرين درجة فأكثر. حتى إذا تبوءوا محلا وجدوا موقده رديئا. فلم يمض على ذلك أيام حتى طفقت تشكو وتقول:." (١)

"منهم لغة لا يشاركه غيره فيها، وكان يكلم كل واحد منهم بلغته، وهذا أغرب مما استغرب. وهو أن ترجمان الواثق بالله من خلفاء بني العباس كان عارفا بألسن كثيرة، حتى قيل إنه يعرف أربعين لغة، ويماري فيها.

وقد قال الحجاج لعروة بن الزبير يوما في كلام جرى بينهما: لا أم لك، فقال: إلي تقول هذا وأنا ابن عجائز الجنة؟ يعني جدته صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وأمه أسماء.

وقال الحجاج يوما لشخص: ما تقول في عبد الملك بن مروان؟ فقال الرجل:

ما أقول في رجل أنت سيئة من سيئاته.

وقد أطلق سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة من سجن الحجاج سبعين ألفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس فضلا عن القتل.

وذكر أنه كان يحبس الرجال مع النساء، ولم يكن لحبسه بيوت أخلية، فكان الرجل يبول بجانب المرأة والمرأة تبول بجانب الرجل، فتبدو العورات، وكان كل عشرة في سلسلة، ويطعمهم خبز الدخن مخلوطا بالملح والرماد.

ومر يوم جمعة فسمع استغاثة، فقال: ما هذا؟ فقيل له أهل السجن يقولون قتلنا الحر، فقال: قولوا لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون، فما عاش بعد ذلك إلا أقل من جمعه.

وآخر من قتله الحجاج من التابعين سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه، ولم يقتل بعد ابن جبير إلا رجلا واحدا.

وقال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بفرعونها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم. وقال سليمان بن عبد الملك لرجل من أخصاء الحجاج بعد موت الحجاج:

أبلغ الحجاج قعر جهنم؟ فقال: يا أمير المؤمنين يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك عبد الملك، وبين أخيك الوليد بن عبد الملك، فضعه في النار حيث شئت.

ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم، قال: مات رجل، فلما وضع على مغتسله استوى قاعدا وقال: نظرت بعيني هاتين. وأهوى بيديه إلى عينيه- الحجاج وعبد الملك في النار يسحبان بأمعائهما ثم عاد ميتا كما كان.

والحجاج متأصل في الظلم. فقد رأيت بعضهم حكى أنه **يقال في المثل**: أظلم من ابن الجلندي، وهو المشار إليه بقوله تعالى: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا [الكهف: الآية ٧٩] وإنه من أجداد الحجاج، بينه وبينه سبعون جدا.

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٢٦٦

واستحلف الحجاج رجلا في أمر فقال: لا والذي أنت في يديه غدا أذل مني بين يديك اليوم، فقال: والله إني يومئذ لذليل.." [1]

"العين، وهم الذين يعتذرون بالباطل، وهم جماعة من الأعراب جاؤوا يعتذرون ولا عذر لهم، وقرأ يعقوب ومجاهد: المعذرون بالتخفيف، وهم المبالغون في العذر، **يقال في المثل**: «لقد أعذر من أنذر» قال ابن إسحاق: إنهم نفر من بني غفار وقعد الذين كذبوا الله ورسوله: يعني المنافقين. قال أبو عمرو بن العلاء: كلا الفريقين كان سيئا، قوم تكلفوا عذرا بالباطل، وقوم تخلفوا من غير تكلف عذر، فقعدوا جرأة على الله تعالى، فأوعدهم الله بقوله: سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم.

ثم بين الله تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد عن القتال بسببها، سواء ما كان منها لازما لا ينفك عن صاحبه، أو عارضا، فقال: ليس على الضعفاء، ولا على المرضى، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل: طريق بالعقوبة والمؤاخذة والله غفور رحيم: بهم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم لتوفر لهم الظهر والنفقة قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون: وهم البكاؤون كما أسلفنا.

وفي الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وهو راجع من تبوك: «إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ولا سرتم مسيرا إلا وهم معكم» قالوا وهم بالمدينة؟ قال: «نعم، حبسهم العذر» إنما السبيل: الحجة بالعقوبة على الذين يستأذنونك وهم أغنياء، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف: النساء جمع خالفة وطبع الله على قلوبهم: بسوء اختيارهم فهم لا يعلمون:

النافع من الضار.

ثم أعلم الله نبيه بأنه عند رجوعه إلى المدينة سيأتي المنافقون المتخلفون يعتذرون، وأوصاه بأن لا يصدقهم فقال: يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم، قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم: لن نصدقكم قد نبأنا الله من أخباركم فيما سلف وسيرى الله عملكم ورسوله: فيما يستقبل، أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم." [2]

"وتعب، وطلبوا أن يبدلوا بالخير شرا، كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل، فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد، كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) .

قال غير واحد: أرسل الله على أصل السد الفأر وهو الجرذ ويقال له الخلد، فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير فلم تغن شيئا، إذ قد حم القدر ولم ينفع الحذر كلا لا وزر، فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار، فسلك الماء القرار، فقطعت تلك الجداول والأنهار وانقطعت تلك الثمار، وبادت تلك الزروع والأشجار، وتبدلوا بعدها بردئ الأشجار والأثمار،

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون   نور الدين الحلبي ٢٦١/١

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة   محمد أبو شهبة ٥٢٣/٢

كما قال العزيز الجبار " وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل " قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: هو الأراك وثمره البرير، وأثل وهو الطرفاء.

وقيل يشبهه، وهو حطب لا ثمر له " وشئ من سدر قليل " وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه، كما يقال في المثل: لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى.

ولهذا قال تعالى " ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور " أي إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا.

وقال تعالى: " فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق " وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها، فتفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر مذر، فنزلت طوائف منهم الحجاز، ومنهم خزاعة، نزلوا ظاهر مكة، وكان من أمرهم ما سنذكره، ومنهم المدينة المنورة اليوم، فكانوا أول من سكنها، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير، فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم، وكان من أمرهم ما سنذكره، ونزلت طائفة." (١)

"إلى المشرق، هذا نموذج تكرر كثيرا «١» .

وإلى جانب هذه الأعداد الكبيرة التي لا يكاد سيلها ينقطع ترحالا إلى المشرق، كان الأمراء أيضا يبعثون بعض رجالهم في مهمات علمية خاصة، كالذي ذكره ابن سعيد عن إرسال الأمير عبد الرحمن الأوسط- ابن الحكم (٢٠٦- ٢٣٨ هـ/ ٨٢٢- ٨٥٢ م) - عباس بن ناصح إلى العراق في التماس الكتب القديمة فأتاه بالسند هند- وهو من أقدم الكتب التي ترجمت من الهندية إلى العربية، ومنه تعلم العرب الحساب والأعداد الهندية المعروفة- وغيره، وهو أول من أدخلها إلى الأندلس وعرف أهلها بها، ونظر هو فيها «٢» .

ثانيا: من الطرق التي سلكها الأمويون في الأندلس للنهوض بدولتهم وبناء حضارة مزدهرة فيها، استقدام علماء من المشرق من المبرزين لنشر علمهم في الأندلس، وهؤلاء أيضا أعدادهم كبيرة، حفلت بها المصادر الأندلسية مثل كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي الذي كان ينص على من وفد من المشرق إلى الأندلس، فعقب أن يترجم لعلماء الأندلس في آخر كل حرف يقول: ومن الغرباء في هذا الباب: فلان وفلان، ويعد من وفد من المشرق إلى الأندلس والمشرق عنده متسع جدا، فهو يشمل علماء القيروان وصقلية.. إلخ وإذا رجعنا إلى نفح الطيب للمقري نجد أعدادا هائلة من علماء المشرق الذين رحلوا إلى الأندلس واستوطنوها ونشروا علمهم فيها، ولا شك أن سمعة أمراء بني أمية الطيبة في الأندلس وحبهم للعلم واحترامهم الكبير للعلماء وسخائهم معهم لا شك أن كل ذلك جذب كثيرين من علماء المشرق- وبصفة خاصة من العراق- إلى الأندلس؛ لأنهم أدركوا أن أمراء بني أمية في الأندلس من شدة تنافسهم مع العباسيين في المشرق في مضمار الحضارة والعلوم يبذلون كل ما في وسعهم لإكرام العلماء، فكان من الطبيعي أن يشد هؤلاء رحالهم إلى الأندلس؛ لأن السلطان كما يقال في المثل: «سوق يذهب إليه ما يروج فيه» .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ابن كثير ١١/١

والحق أن إكرام أمراء بني أمية وخلفائهم للعلماء كان شيئا نادرا عز مثاله في غير

---

(١) راجع ابن بشكوال- كتاب الصلة، (رقم ٥١٣) (ص ٢٢٤، ٢٢٥) .

(٢) راجع ابن سعيد- المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف دار المعارف القاهرة سنة (١٩٧٨ م) ، (١/ ٤٥) ، وراجع ترجمة عباس بن ناصح كاملة في نفس المصدر تحت (رقم ٢٢) (ص ٣٢٤) ، وفي ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (برقم ٨٨١) (ص ٢٩٦، ٢٩٧) .." [١]

"وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عنا وصفح، وقال (ما تقولون إني فاعل بكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم الآية، اذهبوا فأنتم الطلقاء) وقال أنس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم) الآية وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولا طفه في القول: (ويحك يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى، صلى الله عليه وسلم.

وغفر من المطل وهى اللى بالدين (قوله شأفتهم) بشين معجمة وهمزة ساكنة وفاء مخففة وتاء فوقية، في الصحاح: الشأفة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب **يقال في المثل** استأصل الله شأفته أي أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكى (قوله خضرائهم) بفتح الخاء وإسكان الضاد المعجمتين بعدها راء فهمزة ممدودة أي جماعتهم وأشخاصهم (قوله تثريب) قيل معناه لا تغيير وقيل لا تأنيب وقيل لا تبغيض وقيل لا أنا في قبول عذركم (قوله الطلقاء) بضم الطاء المهملة وفتح اللام جمع طليق وهو الأسير إذا أطلق وخلى سبيله (قوله من التنعيم) هو من مكة على ثلاثة أميال من جهة المدينة سمي بذلك لأن عن يمينه جبلا يقال له نعيم وعن شماله جبلا يقال له ناعم وبه واد يقال له نعمان (قوله الأحزاب) هم أهل الخندق وكانوا ثلاثة عساكر وعدتهم عشرة آلاف، قال ابن إسحاق وكان في شوال سنة خمس (قوله ومثل بهم) (*)."[٢]

"وقرى، وطوله من تكريت إلى عبادان، وهي قرية، ولذا **قيل في المثل**: (ما وراء عبادان قرية) ، وعرضه من القادسية إلى حلوان، ودجلة حده، جانبها الأيمن للعراق (١) ،

واليسار لفارس، وأما عراق العجم -وهو إقليم خراسان، ولفظ العراق عربي، وقيل: إنه معرب إيران» ، قال -وهذا هو موطن الشاهد-: «والعراق: فتح منها البحرين، وقدم أهلها على النبي صلى الله عليه وسلم على ما فصل في السير والتواريخ، ومن لم يقف على هذا، قال: إنها إنما فتحت في زمن أبي بكر -رضي الله عنه-، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي

---

(١) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي عبد الشافى محمد عبد اللطيف ص/٣٦١

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني القاضي عياض ١/١١٠

مفاتيحها، ووعد بفتحها» انتهى.

فمن الخطإ الجسيم حصر (تهييج الفتن) بالعراق -بحدوده الجغرافية اليوم- ونسيان مسمى (العراق) وحدوده آنذاك، وتناسي الأحاديث التي فيها ذكر عموم جهة (المشرق) (٢) ، والله الموفق.

---

(١) اعتنى العلماء -قديما وحديثا في (خطط مدينة بغداد) وتأسيسها، وتعرضوا فيها إلى حدود (العراق) ، وتجد ذلك في كتب البلدان -أيضا-، فقال البكري -مثلا- في «معجم ما استعجم» (٩٢٩/٣) ما نصه:

«العراق: هو ما بين هيت إلى السند والصين، إلى الري وخراسان، إلى الديلم والجبال، وأصبهان سرة العراق، وتسمى عراقا؛ لأنه على شاطئ دجلة والفرات عداء تباعا حتى يتصل بالبحر. والعراق في كلام العرب: الشاطئ على طوله، والماء شبيه بعراق القربة الذي يثنى منه، فتخرز به. وقال آخرون: العراق: فناء الدار، فهو متوسط بين الدار والطريق. وكذلك العراق متوسط بين الريف والبرية، وقيل: هو من قولهم لخرز المزادة: عراق؛ لأنه متوسط من جانبيها» .

وانظر: (العراق) في «معجم البلدان» (٤/٩٣-٩٥) ، كتاب «الجغرافيا» (ص ١٥٦) لابن سعيد المغربي، «مراصد الاطلاع» (٢/٩٢٦-٩٢٧) .

(٢) مما يؤكد إعمال العموم: ما يروونه: «أناخ بكم الشرف الجون» .

و «الشرف» -مضمومة الشين والراء- جمع (شارف) ، والجيم من (الجون) مضمومة ... -أيضا-؛ يريد: الإبل المسان. والجون: السود، شبه بها الفتن. وقد يروى (الشرق الجون) ... -بالقاف-؛ أي: الجائية من قبل المشرق. قاله الخطابي في «غريب الحديث» (٣/٢٤٣) .

وزاد العسكري في «تصحيفات المحدثين» (١/٣٢٤) : «أراد - صلى الله عليه وسلم - فتنة أو حربا» . ونقل عن ابن قتيبة، قال: «أمور تأتي من قبل المشرق» . وانظر: «غريب الحديث» (٢/٩٠) لأبي عبيد، =." (١)

"حتى إن الصقليين لما غضبوا من سياسة الأكحل وابنه واستقدموا عبد الله بن المعز، عادوا فندموا على ما فعلوه في حقه.

ولما مات مستخلص الدولة رثاه ابن الخياط وذكر أمراء من بني الحسين وعزاهم عن فقد الجزيرة بقوله:

ليسلكم أن الجزيرة ... كما **قيل في الأمثال** لحم على وضم

تركتم بقايا حسنكم في خرابها ... كما ذبل النوار في خلل الحمم

رجوه كأن الله قال لمائها ... ترقرق حياة وامزج الحسن بالكرم

كأنهم فوق الأسرة أنجم ... سعود وفي الهيجا ضراغمة بهم وهذه الأبيات لا تصور إخلاصا فحسب، بل تصور تفانيا في الحب - في حب قوم كانوا حماة للأدب والفنون - وحسبك أن الشاعر نسي وطنه، ولم يجد في حاله البائسة ما يبكيه،

---

(١) العراق في أحاديث وآثار الفتن   مشهور آل سلمان ١/١٦٨

فوطنه لحم على وضم، وما أدق هذه الكلمة في وصف الحال التي صارت إليها صقلية في تلك الفتنة، ولكن من العجب أن يكون هذا شيئا يتسلى به بنو أبي الحسين.

وهنا تشعر كيف أن ابن الخياط انساق مع الحزبية وتشفي بحال الجزيرة التي أصبحت أشلاء ممزقة، وأشبع في نفسه ونفس أسياده شعورهم بأن صقلية تجني لقاء ما قدمت، لا من إساءة اقترفتها في حق نفسها، ولكن من خطأ اقترفته في حق الكلبيين. وهو إخلاص شاعر عاطفي، في ساعة عاطفية، استطاع أن يقول:

تركتم بقايا حسنكم في خرابها ... كما ذبل النوار في خلل الحمم فجعلنا نتناسى بهذه الإجادة في التصوير شدة نقمته على وطنه – كانت صقلية حمما، كان بركانها السياسي يقذف بتلك الحمم كما يقذف إتنا بالحمم فيتلف المزارع والكروم ويذبل النوار.

وهكذا أصبح الحسن الذي تركه بنو أبي الحسين تفاريق ذابلة منبثة هنا وهناك في منطقة قد اكتست بالسواد.." (١)

"أو تسمع من هذا الشعر نفسه قوله متهكما برجال الدين ومن تبعهم حين خرجوا يستسقون:

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت ... مجنونة شرق بها السفح

حتى إذا اصطفوا لدعوتهم ... وبدا لفيض دموعهم نضح

كشف الغمام إجابة لهم ... فكأنما خرجوا ليستصحوا وقد كان الشعراء الصقليون يتفاوتون قليلا أو كثيرا في الشعور بالنواحي المتعددة لهذه الدنيوية، فبينا تجد ابن الخياط يتهكم برجال الدين أو يريد أن يجعل كل نبات الأرض كرما ليشرب الناس خمرا، بدلا من الماء، تجده ضعيف الإحساس بالناحية الوطنية، إذا قارناه بابن حمديس. وقد مر بنا قوله من قبل لبني أبي الحسين:

ليسلكم أن الجزيرة بعدكم ... كما قيل في الأمثال لحم على وضم وكيف أن هذه السلوى على حساب الوطن الموزع المنهب، ومن كان عنده أدنى شعور بوطنه وعلاقته بد لا يقول مثل هذا القول. وإذا وضعنا هذا إلى جانب قول ابن حمديس وهو يتغزل:

رشأ أحن إلى حواه كأنه ... وطن ولدت بأرضه ونشيت تبين لنا أي فرق هنالك في الشعور بالوطن بين الشاعرين.

ومن الإغراق في الخضوع للطبيعة في النواحي الاجتماعية نشأت في حياة الجماعة ثورات عليها، فقام في المجتمع الصقلي الزهاد والمتصوفة، وسرت في الشعور نغمة التوجس والخوف من الناس، والآيمان بأنهم مطبوعون على الشر، واصطبغت البيئات الفقهية بصبغة المحافظة والتشدد. حتى لنستطيع أن ترسم لحياة الناس خطين متوازيين، يمتدان أحيانا بذلك التوازي في حياة الفرد نفسه. أي أننا." (٢)

"وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه.

---

(١) العرب في صقلية إحسان عباس ص/٢١٤

(٢) العرب في صقلية إحسان عباس ص/٣٠٢

وقال: ليس شيء أبلغ في خير ولا شر من صاحب.

وقال الشاعر:

إن كنت تبغي المرء أو أصله ... وشاهدا يخبر عن غائب

فاعتبر الأرض بأشباهها ... واعتبر الصاحب بالصاحب

لعدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي «١»

ولعمرو بن جميل التغلبي:

سأصبر من صديقي إن جفاني ... على كل الأذى إلا الهوانا «٢»

فإن الحر يأنف في خلاء ... وإن حضر الجماعة أن يهانا

بين مطيع وخاطب مودة:

قال رجل لمطيع بن إياس: جئتك خاطبا مودتك. فقال له: قد زوجتك، على شرط أن تجعل صداقها ألا تسمع في مقالة الناس.

ويقال في المثل: من لم يزدرد الريق «٣» لم يستكثر من الصديق.

وما أحسن ما قال إبراهيم بن عباس:

يا صديقي الذي بذلت له الو ... د وأنزلته على أحشائي

إن عينا أقذيتها لتراعي ... ك على ما بها من الأقذاء «٤»

ما بها حاجة إليك ولكن ... هي معقودة بحبل الوفاء." (١)

"النوكى من نساء الأشراف

دغة العجلية، وجهيزة، وشولة، وذراعة، وسارية الليل، وربطة بنت كعب، وهي التي نقضت غزلها أنكاثا، وفيها **يقال في المثل**: خرقاء وجدت صوفا.

وقال عمرو بن عثمان: شيعت القاضي عبد العزيز بن عبد المطلب المخزومي قاضي مكة إلى منزله، وبباب المسجد حمقاء تصفق بيديها وتقول:

أرق عيني ضراط القاضي فقال لي: يا أبا حفص، أراها تعني قاضي مكة؟

من حكم المجانين

وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يسمع بمثله، كما قالوا: رب رمية من غير رام.

قيل لدغة: أي بنيك أحب إليك؟ قالت: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يفيق، والغائب حتى يرجع.

ومن أخبار اهل العي المشبهين بالمجانين

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٢٣٠

أبو طالب

دخل أبو طالب صاحب الحنطة على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد، ليشتري طعاما من طعامهم؛ فقال لها: قد رأيت متاعك وقلبته، قالت له: هلا قلت طعامك يا أبا طالب! قال: قد أدخلت يدي فيه فوجدته قد حمي وصار مثل الجيفة، قالت:

يا أبا طالب، الست قد قلبت الشعير فأعطنا به ما شئت وإن كان فاسدا.." (١)

"**ويقال في المثل**: حسب الحليم أن الناس أنصاره.

وقال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: رب كلمة يخترعها حليم مخافة ما هو شر منها، وكفى بالحلم ناصرا.

وقال عليه السلام: لن واحلم تنبل، ولا تعجب فتمقت وتمتهن.

وقيل: من مناقب المرء الحلم من غير ضعف، والجود بغير طلب ثواب الدنيا.

وقال بعض الحكماء: من اتخذ الحلم لجاما إتخذه الناس إماما، ومن لم يكن حليما لم يزل سقيما.

وقيل لمعاوية: من أصبر الناس؟ قال: أردهم لجهله بحلمه.

وكان يقال: دل على عقل المرء إختياره.

قال بعض الشعراء:

قد عرفناك باختيارك إذ كا ... ن دليلا على اللبيب اختياره

وقال علي عليه السلام: العقل إصابة الظن ومعرفة ما لم يكن بما كان.

وقال عليه السلام: ذم العقلاء أشد من عقوبة السلطان.

وقال عليه السلام: من زاد عقله نقص حظه، وما جعل الله لأحد عقلا وافرا إلا احتسب به من زرقه.

وقال عليه السلام: الروح حياة البدن، والعقل حياة الروح.

وقال عليه السلام: ليس شيء أحسن من عقل زانه علم، ومن علم زانه حلم، ومن حلم زانه صدق، ومن صدق زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى، إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض والجزاء بالقرض والأخذ بالفضل والوفاء بالعهد والإنجاز للوعد، ومن حاول أمرا بالمعصية كان أقرب إلى ما يخاف وأبعد مما يرجو.

ويقال: العقل منهاة فمن لم تنه تجاربه عد من البهائم.

وقال الثعالبي: العقل أحسن معقل.

وقال: العاقل من يروى له ثم يروي، ويخبر ثم يخبر، ويشاهد ثم يشهد، ويعلم ثم يعمل.

وقال أيضا: العاقل من يستدل بأسارير الوجوه على أسرار القلوب.

وقال: العاقل من يرى بأول رأيه أواخر الامور، ويهتك عن أسبابها ظلم الستور.

وقال: العاقل من يشتهي فينتهي، ويبصر فيقصر.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٧/١٨٠

ومن جيد الشعر في هذا الفصل قول بعضهم:

الحلم يعقب راحة ومحبة ... والصفح عن ذنب المسيء جميل

وقال الآخر:

من خير ما رزق العباد وألهموا ... علم يعاش به وحلم راجح

وقول الرضي:

وأحلم خلق الله حتى إذا دنا ... إليها الأذى طارت بها جهلاتها

ينظر فيه إلى قول النابغة الجعدي:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وهذا هو الغاية في بابه. ومن جيد ما قيل في الحلم والوقال قول ابن دريد في مقصورته:

يعتصم الحلم بجنبي حبوتي ... إذا رياح الطيش طارت بالحبى

وقول البحتري:

ووقور تحت السكينة ما ير ... فع من طرفه ضجاج الخصوم

وقول المتنبي:

وبقايا وقاره عاقت الناس ... فكانت ركانة في الجبال

فصل في تجاربه وذكائه

أقول: إنه هو الذي سبر غور الأيام بتجاربه، واستشف له النظر فيها أستار عواقبها، ولو تقدم في الأعصر الأول لضرب بذكائه المثل، ورآه الناس أذكى من أياس.

حازم يسلس من بعد الشماس ... كل أمر راضه صعب المراس

ذو ذكاء لو أياس رامه ... لدعاه الفخر عد عنه بياس

قتل الأيام خبرا وله ... قبس التجريب أسنى الإقتباس

لو سيوفا طبعت آرائه ... لبرت ما أدركت حتى الرواسي

قال علي عليه السلام: العقل غريزة تربيها التجارب.

وقال عليه السلام: عليك بمجالسة أصحاب التجارب فإنها تقوم عليهم بأغلا الغلا، وتأخذها منهم بأرخص الرخص.

وقال عليه السلام: في التجارب علم مستأنف، والإعتبار يفيدك الرشاد، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك، وعليك لأخيك مثل الذي عليه لك.

أقول: وبهذا يعلم أن العقل نوعان: غريزة ومكتسب بالتجارب، كما أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام، ولم يحكم الأمور محكم كالتجربة.

وقيل: التجارب لا غاية لها.

والذكاء حدة الفؤاد.

قال علي عليه السلام: ذك قلبك بالأدب كما تذكي النار الحطب.

والحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة.

قال علي عليه السلام: أحزم الناس من ملك جده هزله، وقهر رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده.

وقال عليه السلام: الرأي يريك غاية الامور مبدؤه.." (١)

"لما انتضيتك للخطوب كفيتها ... والسيف لا يرضيك حتى ينتضى

قد كان صوح نبت كل قرارة ... حتى تدوح في نداك وروضا

أوردتني العد الخسيف وقد أرى ... أتبرض الثمد البكي تبرضا

وأما قصيدة البحتري فهذه:

ترك السواد للابسيه وبيضا ... ونضى من الستين عنه ما نضى

وشناه أغيد في تصرف لحظه ... مرض أعل به القلوب وأمرضا

إلى أن يقول:

قعقعت للبخلاء أذعر جاشهم ... ونذيرة من فاصل أن ينتقضى

وكفاك من حنش الصريم تهددا ... إن مد فضل لسانه أو نضنضا

لا تنكرن من جار بيتك إن طوى ... أطناب جانب بيته أو قوضا

فالأرض واسعة لنقلة راغب ... عمن تنقل وده وتنقضا

لا تهتبل أغضاي أما كنت قد ... أغضيت مشتملا على جمر الغضا

لست الذي إن عارضته ملمة ... أصغى إلى حكم الزمان وفوضا

لا يستفزني الطفيف ولا أرى ... تبعا لبارق خلب إن أومضا

أنا من أحب تحريا وكأنني ... فيما أعاين منك ممن أبغضا

أغببت صيبك كي يجم وإنما ... غمد الحسام المشرفي لينتضى

وسكت إلا أن أعرض قائلا ... نزرا وصرح جهده من عرضا

الفصل الثاني في التهنية

قلت مهنيا أخاه الماجد محمد الرضا المترجم في أول الأبواب بختان ولديه عبد الحسين وعبد العزيز، وذلك حيث قلت:

صبح الهنا اليوم تجلى أبيضا ... وبالمنى ربع التهاني روضا

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٤

فقم إلى كاس التهاني فاصطبح ... فيها بناد بسنا البشر أضا
فإن هذي فرحة من قبلها ... لمثلها الزمان ما تعرضا
من لم يكن يأخذ منها حظه ... فليت شعري ما الذي تعوضا
وكيف لا يدخل في كل حشا ... منها سرور سر أحشاء الرضا
أسخى الورى الناهض من ثقل الندى ... بما به كل الورى لن تنهضا
ذاك الذي من كرم النفس يرى ... ندب صلات وفده مفترضا
ذاك الذي كلتا يديه رهمة ... ربعية بها المنى قد روضا
ذاك الذي للمستنين جوده ... رقى إذا صل الجدوب نضنضا
له سجايا من أبيه حسنت ... وبسط كف في الندى ما انقبضا
وغرة من لمعها تحت الدجى ... أعارت البرق السنا فأومضا
يصرح البشر لها للمجتدي ... بالنجح قبل أن يرى معرضا
أحبب بدهر جلب البشرى له ... وكان قبل جلبها مبغضا
إذ في ختان قرتي عين العلى ... سر الأنام أسودا وأبيضا
طاب الهنا فيه لهم فياله ... قطعا به وصل الهنا تقيضا
واليوم في ختان كل أرخوا ... بالزهو قد حوى محمد الرضا
الباب السادس عشر في قافية الطاء
وفيها فصل في المديح
قلت في مدحه:
ليس إلا إليك للعيس ينشط ... كل رحل إلى حماك يحط
يا أخا المكرمات حسبك فخرا ... أنها حين تعتزي لك رهط
لك خلق به الرضا لمحب ... ولذي البغض والقلى فيه سخط
بشروا يا بني الرجاء الأماني ... بابن علياء كفه الجعد سبط
وأنزلوا حيث لا تمد الليالي ... يد خطبوحيث لا الدهر يسطو
في حمى ليس يرفع الطرف فيه ... رهبة أشوس ولا الليث يخطو
حرم آمن مهابته ستر ... على من به استجار يلط
رجع الدهر لاقتبال صباه ... بعد ما قد علاه للشيب وخط
بفتى أصبحت مناقبه الغر ... على جبهة الزمان تخط
يقبض المال لا لغير العطايا ... فالندى في يديه قبض وبسط
لو رأينا الجوزاء تحكي مزاياه ... لقلنا لدرها أنت سمط

والثريا قد داسها فلهذا ... لم نقل أنها لعلياه قرط

أقول: قولي: ليس إلا إليك للعيس نشط، الأنشوطة عقدة واهية يسهل انحلالها كالتكة، **فيقال في المثل**: ما عقالك بأنشوطة، معناه: ما مودتك بواهية. **ويقال في المثل** أيضا: كأنما أنشط من عقال، أي حل من عقال، فالأول من نشطت الحبل أنشطه نشطا عقدته أنشوطة، والثاني من أنشطته أي حللته. والإنتشاط مد الحبل حتى ينحل، ومنه قول مهيار:

قم فانتشطها حسبها أن تعقلا ... ودع لها أيديها والأرجلا." (١)

"**ويقال في المثل**: لا حتى يرجع نشيط من مرو، نشيط إسم رجل بنى دارا لزياد بالبصرة وهرب إلى مرو قبل أن يتمها، وكلما قيل لزياد: تمم دارك، يقول: لا حتى يرجع نشيط من مرو، فلم يرجع وصار مثلا.

والناشط: الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أرض، ومنه قوله تعالى: (والناشطات نشطا) أي النجوم تنشط من برج إلى برج، والهموم تنشط بصاحبها، قال هميان بن قحافة السعدي:

أمست همومي تنشط المناشطا ... الشام بي طورا وطورا واسطا

فالنشط في بيتنا إما مأخوذ من هذا أو من المعنى المتقدم في أنشطته نشطا.

وقولي: لك رهط، رهط الرجل قومه وقبيلته، وجعل المكارم رهطا له لزيادة الإختصاص، قال البحتري:

حتى لو أن المجد خير في الورى ... نسبا لأصبح ينتمي في يعرب

أراد باختصاصه بهم إنتماء المجد إليهم. وقال أبو تمام:

إذا ألجمت يوما لجيم وحولها ... بنوا الحصن نجل المحصنات النجائب

فإن المنايا والصوارم والقنا ... أقاربهم في الروع دون الأقارب

وقولي: يلط، هو من لط الستر أرخاه، قال السيد المرتضى في رثاء أمه:

أم من يلط لي ستر دعائه ... حرما من البأساء والضراء

والوخط: أول الشيب، من وخطه الشيب إذا خالطه.

والسمط هو الخيط مادام فيه الخرز وإلا فهو سلك، والمسمط من الشعر ما قفي أرباع بيوته وسمط في قافية مخالفة، يقال: قصيدة سمطيه ومسمطة، قال بعضهم:

ومستلئم كشفت بالرمح ذيله ... أقمت بعضب ذي سفاسق ميله

فجعت به في ملتقى الحي خيله ... تركت عتاق الطير تحجل حوله

كأن على سرباله نضح جريالالسفاسق: طرايق السيف، ويقال إنها فرنده. ولا يذهب عليك أن التخميس والموشح كله من هذا، لا أن المتأخرين اخترعوا طريقتهما، وإنما غيروا فيهما التسمية لمناسبة لحظوها فسموهما بذلك.

الباب السابع عشر في قافية الظاء

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٥٦

وفيها فصل في المديح

قلت في مدحه هذه المدحة:

رأت المشيب بعارضيك فغاضها ... وثنت بذات البان عنك لحاظها

هيفاء لو برزت لنساك الورى ... يوما لأصبى دلها وعاضها

ريم لئالي نحرها تحكي لئا ... لىء ثغرها اللائي حكت ألفاظها

قد كان شملك بالكواعب جامعا ... أيام سوق صباك كان عكاظها

فتنبهت عين الزمان ففرقت ... بالشيب شملك لا رأت إيقاظها

رقت إليك قلوبهن مع الصبا ... وأعادهن لك المشيب غلاظها

فدع الغواني القاتلات بصدها ... كم فتنة غنح الحسان أفاظها

واهتف هديت ولو من النبل العدا ... كسرت عليك لغيظها أرعاضها

بمدائح الحسن الذي آباؤه ... كانوا لأسرار الندى حفاظها

حمال ثقل المكرمات بهمة ... لم تشك مذ نهضت بها أبهاظها

يا من أعار النيرات ضيائها ... فزهت وأعطى المخدرات حفاظها

أوقدت نار قرى لضيفك ضوئها ... وبقلب كاشحك اقتدحت شواظها

فأما قولي: رأيت المشيب بعارضيك الخ فمثل قول مهيار الديلمي من قصيدة:

ولم أنس إذ راحوا مطيعين للنوى ... وقد وقفت ذات الوشاحين والوقف

ثنت طرفها دون المشيب ومن يشب ... فكل الغواني عنه مثنية الطرف

وقد ولع الشعراء في وصف المشيب فأتوا فيه بكل معنى دقيق، في نظم أنيق، ويعجبني قول بعضهم في جارية سوداء:

وجارية من بنات الحبوش ... ذات لحاظ صحاح مراض

تعشقتها للنصابي فشبت ... غراما ولم أك بالشبيب راضي

وكنت أعيرها بالسواد ... فصارت تعيرني بالبياض

وظريف قول بعضهم وهو من الهزل المراد به الجد:

تبسم الشيب بذقن الفتى ... يوجب سفح الدمع من جفنه

حسب الفتى بعد الصبا ذلة ... أن يضحك الشيب على ذقنه

وذم الشباب بعضهم بقوله:

لم أقل للشباب في دعة الله ... ولا حفظه غداة استقلا

زائرا زارنا أقام قليلا ... سود الصحف بالذنوب وولى

وما أحسن قول أبي العلا المعري في مدح الشيب:

خبريني ماذا كرهت من الشيب ... فلا علم لي بذنب المشيب

أضياء النهار أم وضح اللؤ ... لؤ أم كونه كثغر الحبيب

وفي هذا المعنى قول بعضهم في ذم الشباب:." (١)

"ويحتمل أن يقال لا يصلح أن يكون غير حديث لا تشد الرحال معارضا له لعدم مساواته إياه في الدرجة لكونه من أعلى أقسام الصحيح والله اعلم

وقد بلغني أنه رزىء وضيق على المجيب وهذا أمر يحار فيه اللبيب ويتعجب منه الأريب ويقع به في شك مريب

فإن جوابه في هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء وليس حاكما بالغض من الصالحين والأنبياء فإن الأخذ بمقتضى كلامه صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على صحة رفعه إليه هو الغاية القصوى في تتبع أوامره ونواهيه والعدول عن ذلك محذور وذلك مما لا مرية فيه

وإذا كان كذلك فأي حرج على من سئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء فإن الأمر لم يزل كذلك على ممر العصور وتعاقب الدهور

وهل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاء نضو الهوى المفضي بصاحبه إلى التوى فإن من يقتبس من فوائده ويلتقط من فرائده لحقيق بالتعظيم وخليق بالتكريم ممن له الفهم السليم والذهن المستقيم وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر إلا كما قيل في المثل السائر وقول الشاعر الشعير يؤكل ويذم." (٢)

"فصل غاياته ألف

سبيل السفر، والهاجمة على نقيع الجفرو يشهر خلقها بأمر للواحر ملك الدهر، خالق السنة والشهر، غبقت غيبة بقدر، ثم رجعت عن هجر، فما كدت أجد من شفر، بدل مسكن بقبر، كأنهم سقوا ماء الأباء. غاية.

تفسير: عن هجر: لآي بعر مدة. وذكر بعضهم أنه يقال: ما ألقاه إلا عن هجر: أي بعد سنة. من شفر: أي من أحد. الأباء: القصب، ويقال إن ماءه قاتل، قال الهذلي.

وأسعطك في الأنف ماء الأباء مما يثمل بالمخوض يثمل: أي يترك حتى يطول مكثه.

رجع: أحلف بسيف هبار، وفرس ضبار، يدأب في طاعة الجبار، وبركة غيث مدرار، ترك البسيطة حسنة الحبار، لقد خاب مضيع الليل والنهار، في استماع القينة وشرب العقار، أصلح قلبك بالأذكار، صلاح النخلة بالإبار، لو كشف ما تحت الأحجار، فنظرت إلى الصديق المختار، أكبرت ما نزل به كل الإكبار، نحن من الزمن في خبار، كم في نفسك من اعتبار، ألا تسمع قديمة الأخبار، أين ولد يعرب ونزار، ما بقى لهم من إصار، لا وخالق النار، ما يرد الموت بالإباء. غاية.

تفسير: الهبار: القاطع. والفرس الضبار: الذي إذا وثب وقعت يداه مجتمعتين. الحبار: الأثر والهيئة. الخبار: أرض سهلة فيها جحرة فأر ويرابيع؛ توصف بصعوبة المشي فيها. ومن كلامهم القديم: من سلك الخبار، لم يأمن العثار. والإصار: الطنب، ويقال الوتد.

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٥٧

(٢) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ابن عبد الهادي ص/٣٦٧

رجع: ما آمل وقد فقدت أبوي، وأخذت الشبيبة من يدي، ومشيت إلى الأجل على قدمى، حتى كدت أطؤه بأخمصي، ووقع كل الأيام على، ونظرت عين المنية إلى، آن اشتعال الوضح بمفرقي، وأنا لا أفارق الغى، وأصبح أخا السلامة الحى، وأعلم أن الملحد آخر منزلى، وأن جسدى مزايل للحوباء. غاية.

سرب الموماة والإجل، ويد الماشية والرجل، وسوار الكاعب والحجل، يشهد باله أعظمته نار رآها الشماخ بالغميم، كأنها الشعرى العبور، وأخرى بالعقيق شبهت بحصار والفرود، وثالثة آنسها العبادي، وذكر أن طعامها الغار والهندي، وما نار أبي الحباحب غافلة عن ذكر الله ملث الظلام، والناران من الحزن والظمإ بالله تحبران، جرد مجرد عضبا، فأسال به دما غضبا، وقدح من بيضاء كلائحة المضل نارا لا يسبقها إلى العبادة المريخ، والصارم يشهد بقدرة الأول، كأنه مقدمة ما في الأطباء. غاية.

تفسير: السرب: القطيع من الطباء. وقد يستعمل في النساء والقطا وغير ذلك. والإجل: القطيع من البقر خاصة. والنار التي رآها الشماخ بالغميم هي التي قال فيها:

رأيت وقد أتى نجران دوني ... وأهلي دون منزلهم ثبير

لليلى بالغميم ضوء نار ... تلوح كأنها الشعرى العبور

والنار التي بالعقيق هي التي قال فيها الشاعر، ويقال إنه المجنون

أرى نار ليلى بالعقيق كأنها ... حضار إذا ما أعرضت وفرودها

والعبادى هو عدي بن زيد بن أيوب، أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة ابن تميم، وهو الذي يقول:

ياليبنى أوقدى النارا ... إن من تهوين قد حارا

رب نار بت أرمقها ... تقضم الهندى والغارا

ملث الظلام أي اختلاط الظلام. ومنه قول ربيعة بن مقروم الضبي:

ومطية ملث الظلام بعثته ... يشكو الكلال إلى دامى الأظلل

والغضب: الشديد الحمرة من كل شئ. والبيضاء هاهنا: الدرع. والعرب تشبهها بلائحة المضل وهى آخر ما يبقى من السراب، **يقال في المثل**: أكذب من لائحة المضل. ومقدمة ما في الأطباء: السيء وهو أول ما يدفع به الضرع من اللبن وهو سم فيما قيل، ويتعمد الحالب إلقاءه في الأرض، وكذلك فسروا قول الشاعر

بحسبك في القوم أن يعلموا ... بأنك فيهم غنى مضر

وأنت مليخ كلحم الحوا ... ر فلا أنت حلو ولا أنت مر

كأنك ذاك الذي في الضرو ... ع قدام درتها المنتشر

المضر: الذي له ضرة من المال، وهي قطعة من الإبل عظيمة أو مال يقوم مقامها. والمليخ: الذي لا طعم له.

رجع: لله الغلب، وإليه المنقلب، لا يعجزه الطلب، بيده السالب والسلب، سل قمرا كالمحلب، وهلالا مثل المخلب، وليلا

جمع من المخشلب، يخبرنك بالعجب، عن حق مرجب علم ما وراء النجب، الفاضل موجب، والفاجر منتخب، وإلى السكوت صار اللجب، ونجوم الشمال والجنوب في علم الله كمقاعد الضرباء. غاية.." (١)

"يا قلب لعل أسودك زنجي من ولد حام، وحبتك حبة بر، وأذنيك أذنا قلب خداش، الذي يقال فيه: ليس لقلب خداش أذنان، أموجودتان هما كأذني الزبابة لا تسمعان الأصوات، أم فقيدتان كأذني الرعلة فهي تعذر على أنها صماء، أتكون حماطتك أفانية في بعض الزمان. وعمرى لقد سكنها من الغش الثعبان. ألا تبنش لأول من فعل معك الجميل، ألا تجزع لتقوض الأقربين! يا شمال ألم يحزنك شلل اليمين، أقمت وتحمل الناس، وإن لحاقى بالظاعن لوشيك، لا يضر البنانة ذهاب الفتخة، وذهاب الظفر بها مضر. عند الله أحتسب ما رزئت من أهل، ولقيت من هم كاد الغربيب له يشبب، وتعب رسخ ألمه في الأعضاء. غاية.

تفسير: خداش: من كلب. الزبابة: فارة تخلق صماء: **ويقال في المثل**: ألص من زبابة، وأسرق من زبابة. قال الحارث ابن حلزة:

ولقد رأيت معاشرا ... قد جمعوا مالا وولدا

وهم زباب حائر ... لا تسمع الآذان رعدا

الرعلة: النعامة. الحماطة: حبة القلب. والأفانية: نبت. يقال لها إذا يبست الحماطة، وهي موصوفة بأن الثعبان يألفها. ومن ذلك قول حميد بن ثور:

فلما أتته أنشبت في خشاشه ... زماما كثعبان الحماطة أزنما

رجع: القدر أعسر، والحمام يسر، ليس في سهامه وغد ولا سفيح لو ترك القطا لنام، والأقمر لما هام، والعرفج لما اضطرم أشد اضطرام، وفي خوف الله الشرف والنور، وإنما يعاتب الأديم ذو البشرة، فاصدق الكذوب وفيها البقية، قبل أن يحلم الأديم ويهى السقاء فلا يمكنك فيه التكتيب، والعجل قبل الفوت، فما يسر الغريق حمله على الرمث، ولا من سيت بسبب، إنحاء بالشفرة على ذلك السبب، حتى يوجد كهدب الأشفار، وهل نفع كعبا وقد فاظ قدوم صحبه على البثير الفياض، أدرك نفسك ولو بأحد المغروين، وتمسك من الدوحة ولو بأضعف الأغصان، وتزود بما كان ولو بالصغيرة من الجراد، فإن النفس تبهش في بعض الأحيان إلى مثل العنجدة من الزاد، لا تغرنك قوة الجسد وسواد الشعر، واقتبال الأمل، فإنما أنت بشفى، تلتقط سلاء وسفى، تمسى أو تصبح منصرفا من دار الرحلة إلى دار المقام، فالغياث من اليفن أسرف شابا وركب المعصية مكتهلا، وأصر عليها أشمط وغشيها مسنا، فلما كربت مسحاة الحافر له تصل، وشفن إلى ماله الورثة ونسج كفنه الناسجون وهمت الأرض أن تلتهمه، ذكر والخالق ذكره، فاجتهد في أعمال الصلاح فكان كالخرقاء المضيعة، عثرت على الغزل بأخرة، فلم تدع بنجد قردة، وكالورهاء الراعية حبست الماشية بالغداة والظهيرة، فلما حان وجوب الجونة ضربت الضأن على امتلاء الأقراب، وأستعذ بالله من الأحبل، بعد شجر يفرع رءوس الإبل، ومن الخبر، بعد النخل المؤبر، فمن شر ما مني به العبد محارة في حور، ولا يعجبنك البدن، فهزل، من غير أزل، خير من فخامة، تشهد عليها بالوخامة، كم من بدن

---

(١) الفصول والغايات   أبو العلاء المعري ص/١

بطين، كالفدن المطين، يبيت الليل كموكر السحابل ويظل النهار كالجون الأنق، لاذكر عنده ولا فكر، شغله عن ذكر الله صبوح أو غبوق، كأن قلبه جلمود بصر أو زبرة حديد، فأترك للخالق هواك، وامتهن نفسك له امتهان العسفاء. غاية.
تفسير: الوغد والسفيح: سهمان لاحظ لهما. والوغد من الرجال الضعيف. الرمث: خشب يضم بعضه إلى بعض وير كب عليه في البحر.." (١)

"تفسير: بنات جمير: واحدها ابن جمير وهو الليل المظلم؛ قال الشاعر:

ولا غرو إلا في عجوز طرقتها ... على فاقة في ظلمة ابن جمير

أستن فيه أي أمضى فيه على شق من النشاط. والصربة: صمغ أحمر ويقال إنه صمغ الطلح؛ **يقال في المثل**: نركوهم على مثل مقرف الصربة، إذا أخذوا جميع أموالهم لأنها إذا اخذت لم يبق لها أثر. ويقال للأعجمي إذا وصف بالحمرة: كأن أنفه صربة؛ قال ذو الرمة:

تلك إمرؤ القيس مصفرا عنافقها ... كأن آنفها فوق اللحى صرب

وعمود الوضح: عمود الصبح.

رجع: لتكن أفعالك لوجه الله ما أستطعت، وعزيز ذلك على سكان الأرض، ولكن توجد من وراء اجتهاد. وإذا نفثتك الشدائد إلى المفازة ومعك خيط من الأبق، وممسك ماء وفقرت لك البيداء فم جفر فأصبت منه بغيتك، فأصنع حوضا ولو قيد فتر فألق فيه من نزيع ذلك الجفر، فما أصابه من وحش أو إنس أو ذي جناح فلك من الله الثواب، وإن كنت على أوفاض فأسقه الأرض لينتفع به ولو بنات الغمق ولا ترضى جزاء على الحسنة بثلاث. غاية.

تفسير: الأبق القنب: والأوفاض: مثل الأوفاز وهي العجلة. وبنات الغمق: الدود.

رجع: المعفر من الشراب، معفر غدا في التراب، فأرحمني رب غداة التعفير. لو كان الشيب، بحدث وريب، لكان أولى الشعر به حفن العين؛ لأنه أقرب إلى رؤية المصائب من العذار وفلائل الرأس، والله جاعل الشبان من الشيب. وبالضغيل، أول ما يطعمه ليث الغيل، والله مغدى المغتذين. من كان أخا القرم، فلا ينزلن عند البرم، فإن الأبرام، لا تشفي القرام، والله رازق البخلاء والأكرمين. ربما كان الخير، مع الأخير، وعاد الأول، وليس عنده معول، والله مفرق الفضيلة على المتفضلين. حتى للرضيع، أن يضيع، إذا أخرج من المهد، فقذف به في الوهد، وإلهنابر بالمجفوين. ليس الريط، لبني قريط، ولا اللاب، منازل ينس كلاب، فأطلب في مظانها الحاجات وربك المطلع إلى فاقة المحتاجين. لا تار، لمفسد تاو، فإن الذيب، جدير بالتعذيب، وقضاء ربك يدرك المفسدين. ما أبالى إذا مت ما قال القائل إنني هنالك المتنبذ عن الراث. غاية.

تفسير: الضغيل: صوت المص. والقرم: شهوة اللحم. والبرم: الذي لا يدخل في الميسر. والخير: الكرم. والمنتبذ: المتنحي. والرائي: الذي يرثيه.

رجع: مالك ولحسيل، يرتع بالمسيل، وربك أظهر له النبات. يرئ ذورعين، من سهد العين، والله مولى الرقدة والسهار. يا أبقع، تخاف أن تقع، وليدر كنك قدر الله ولو كنت أخا حذار. من لأض النعيب، بالترعيب، إذا أصاب النبيلة، وقع في

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٥

الربيلة، والله قاسم الأزراق كما شاء. مالقى العسيف، من المسيف، راح اللاغب، وبات الساغب، لو شاء الله لانقذ من القوى الضعيف. دع الشارف، تلس الوارف، فإن حكم الله عليها ذو إطلاع. أليفك، أحب إليك أم حليفك؟. ألإلف، أوجب حرمة من الحلف، والوفاء من الله بمكان. الظاهر أن ساكن الصعيد، ليس بسعيد، والله العالم بمغيبات الأمور. أضطر خارف العميم، إلى محارف الأميم، فثق بالله راكب الأغرار. ليس الأغنام، كذوات السنام، وربك خص بالفضيلة من إختار. سوف يبط، عن رتبته المغتبط، فلا تحسدن أرباب الأموال. كم في الستار، من ود وحتار، وبرية الله تقدسه بالأودية والأنبات. غاية.

تفسير: الحسيل: بقر الوحش، ويقال أولادها. والترغيب: قطع السنام. النبيلة: الجيفة. والربيلة: النعمة؛ مأخوذ من قولهم: جسد ربل إذا كان كثير اللحم. والعسيف: الأجير: والمسيف: الذي قد هلك ماله تلس: تلف النبيت بمشفرها. والوارف: من قولهم: ورف النبت إذا إهتر من نضارته. والخارف: الذي يجنى الرطب. والعميم: النخل الطويل واحده عميمة. والمحارف: جمع محرف وهو المسبر الذي تقاس به الشجاج والجروح؛ قال الشاعر:

ألا من لمولى لا يزال كأنه ... أميم يداؤى رأسه بالمحارف

والأميم: المأموم وهو الذي قد بلغت الشجة أم دماغه وهي الجلدة الرقيقة التي تكون على الدماغ: ويبط: ينقص وينخفض. والستار: موضع. والحتار: كفاف الشقة التي في أسفل البيت. والأنبات: جمع نبث وهو التراب المجتمع مما يخرج من بئر أو نحوها.." (١)

"تفسير: خراج: لعبة يلعب بها الصبيان.

رجع: أنا كسير الجناح فمتى نهضت أنهضت، ولو صلحت للبذلة لكنت السعيد. ولكن حال الجرير، دون البرير؛ إنما أنا حي كالميت أو ميت كالحي، وما إعتزلت، إلا بعد ما جددت وهزلت، فوجدتني لا أنفذ في جد ولا هزل، ولا أخصب في التسريح ولا الأزل، فعلى بالصبر لا بد للمبهمة من أنفراج. غاية.

تفسير: الجرير: الحبل. والبرير: ثمر الأراك. والأزل: الحبس.

رجع: من رفت شفتاه التسبيح رف قلبه لذكر الله، ومن خم صدره من الغش لم يكن من خمان الناس، فدع الخنى ترك الحوت سماوة كلب، ودع الشر دع الباخل من زاحمه على قوته في العام الجديب، وأدع إلى المتقين دعوى ابن الرشدة إلى أبيه، وادع الله بجبك دعوة مخلص ملهوف، وانتظر القضاء فإن المطر يقضي الوطر، والقمار يكشف الخمار، والخمور تخرج العمور، ولا يأمن صاحب العلبط وساربه أن يحبط، فيضحى سائق عنز جرباء صردة، من جربياء لا تحد في الجربة نابتة، ولا تدر جربة لها بمقدار لبن الظبية. فرب معسكر، في الأيام ليس بمفكر؛ بيننا هو قليل التفكير، جاءه الزمن بالنكير، فذهبت بماله غارة في الصبح، أو بعض السنوات الجلح، فأصبح يدعو الجبرة، لا يملك وبرة، يعتمد على عنزة نبعية، لا عنزة الربعية؛ ولقد يوجد أخا رواحل جعلها الربيع كالأبراج. غاية.

تفسير: رفت شفتاه: من قولهم رف العود اذا مصه. ومن خم أي كنس. وخمان الناس: رذالتهم، وكذلك خمان المتاع؛ ومنه

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٥٤

قول الشاعر:

عدت تحت أقطاع من الليل طلتي ... نجمان بيتي فهي لا شك ناشز

والأقطاع: جمع قطع وهي الساعة من الليل وطلة الرجل: إمرأته. والعمور هناهنا: القرطة. والعلبط: القطيع من الغنم والخائر من اللبن. وصردة: تجد البرد؛ **ويقال في المثل** " أصرد من غز جربة ". والجربياء: الشمال. والجربة: القراح من الأرض. وجربة معرفة لا تدخلها الألف واللام: السماء. والمعكر الذي له العكرة من الإبل وهي من الستين إلى المائة، وقد إختلف في مقدارها فقيل هي نحو المائتين وقيل غير ذلك، إلا أنه لا يقال عكرة إلا لإبل كثيرة. والجلح: جمع جلحاء وهي التي لا نبات فيها.

والجبرة: جمع جابر وهو الذي يجبر الفقير بالعطاء. والعنزة نحو الحربة تكون بزج وبغير زج. وعنزة: القبيلة التي منها القارظ العنزى وهو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

رجع: على أي شئ هجم بك مغداك؟ على مال ينيم! خابت يداك لقدكمه في ذلك أسوادك، ألا يقنعك حظك وبداك، قتلك غيك فما وداك، ما أقل جداءك وجداك، أردى جارك أحب إليك أم رداك؟ إن الأيام تنقض سداك، ياجدث لا أحفل نداك، أعداء الميت حول عداك. أين أهل الودك والرودك، تسدك بهم النوائب أي سدك، أما شخص الحياة فأنهدك، وبقى ذكر رفدك. يا نفس العيار، قيل الغيار، والمشاورة، قبل المساورة، أسيت على إنفلات الأعيار، فما فعل أهل الديار! القليل يكفيك، لا الدم بك سفيك، ولا طالب الحق أفيك، وربك عن وجه الأرض ينفيك، فالرغام بمعطسك وفيك. لا تطلقن لسانك ويدك، يطير فراشك إن أرسلت صردك.

تقبيل المومسى يورث البشع، وأكل السحت يكسب الدرد، واليد المفسدة عن قليل شلاء؛ فابل نفسك قبل أن ينزل بك البلاء؛ ما أكثر الهالك بأسف دراج. غاية.

تفسير: البدا: النصيب، ويقال هي أبداء الجزور للأنصاء التي تقسم عليها واحدها بدء مثل خبء وبدا مثل قفا. والجداء بالمد: الغناء.

والجدى بالقصر: العطاء. وأسوداك: اسود العين والقلب. والسدى: مستعار من سدى الثوب، والعدا: الحجارة التي تجعل حول القبر. والرودك: الشباب الناعم. وأنهدك: أنهده. والعيار: من عيار الميزان. أي وأزني أعمالك. والغيار: التغير. والأعيار: جمع عير؛ والمعنى لا تأس على ما فاتك. والأفيك: المأفرك وهو المصروف. والصرد ها هنا: أحد الصردين وهما عرقان يكتنفان اللسان. ويطير فراشك: يحتمل وجهين، أحدهما أن يكون من الفراش الذي يقع في النار أي أنك تطيش وتجهل إن أرسلت لسانك. والآخر أن يكون الفراش العظام الرقاق التي بين عظام الرأس الكبرى؛ ومنه قول النابغة:

ويتبعها منهم فراش الحواجب." (١)

"والمعنى أن الرجل إذا أرسل لسانه جاز أن يضرب رأسه بالسيف؛ ومن ذلك قول العرب " مقتل الرجل بين فكيه "

والمومس: العاجرة. والبثع: من قولهم شفة بتعة وهو أن يظهر ذمها ويرم لحمها ودراج: ابن زرعة الكلابى، كان حبسه الحجاج

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٩٠

فمات في الحبس أو قتل، وهو القائل:

إذا أم سرياح غدت في ظعائن ... جوالس نجدا فاضت العين تدمع

فأبلغ بني عمر وإذا ما لقيتهم ... بآية كراتي إذا الخيل تقدع

فما القيد أبكاني ولا السجن شفني ... ولا أنني من رهبة الموت أجزع

ولكن أقواما ورائي أخافهم ... إذا مت أن يعطوا الذي كنت أمنع

رجع: من كذب ففي حبل الباطل جذب، وما أحسن ثياب الصادقين، وربك يجزي الصادق والكذوب. إن ذا القسيب، ليس بلسيب، والتجارب تلقح العقول، والله مجرب المجربين. ما صرير الجنادب بدعاء الآدب، والله أعلم بتسبيح الحشرات. ومن أسنت فقد أعنت وأعنت؛ فنعوذ بالله من غلبة السنين. أركبان البروج أروح أم ركبان السروج، ولكل وقت يعلمه الله هو فيه مستريح. إن المعنج طمع في ركوب السفنج؛ فاذا هو راجل بالسبروت، أما السيل فحمر؛ وأما الشر فشمر لا تحلى يلى تمر، إن طرفك لطمر؛ يحضر وأنت غر؛ لا تستمسك أو أن تخر، فالفزع إلى الله قبل أوبة الآئبين. وليس بمنقوس، من سكن في القوس، ولن يسلم أحد من العائبين. والطلف، تمام التلف، وكل عند الدهر جبار؛ شهدت المعاينة والأخبار يا فاسق إنك لسدم، وأمامك ورد ردم، ليس عليه سواك مقدم، أنت على الثراء معدم، والسقم، بعض النقم، وبالله شفى السقيم. إن الفدن، لا يشعر بكسوة الردن، اكس الأبجر ولا تكس الحجر، والله كاسى العارين ومعرى المكتسين. الغنى محتلط، وهو الغد مبلط، لا يغرنك نعم كالحراج. غاية.

تفسير: القسيب: صوت الماء. واللسيب هاهنا: بمعنى ملسوب وهو الملعوق؛ والمعنى أن الماء لا يلعق. ويقال في المثل: " أحمق من لاعق الماء ". والآدب: الذي يدعو إلى الطعام. وأسنت: من الجدب. وأعنت: لأنه يضيق على ما شيته ومن يعوله. وركبان البروج هاهنا: الذين يحرسون حصونهم. والمعنج: الأحمق الذي يعترض في كل شئ. والسفنج: من صفات الظليم؛ ويقال معناه الواسع الخطو؛ المعنى أن الأحمق يطمع فيما لا يطمع في مثله. والسبروت: الارض التي لا شئ فيها. والسيل الحمر: الشديد؛ والمعني أنه يقشر وجه الأرض. من حمره إذا قشره. والشمر: الشديد، يوصف به الشر خاصة. والطمر: السريع الوثب والمنقوس: من نقسته إذا عبته. والقوس: موضع الراهب. واللطلف: من قولهم ذهب دمه طلفا لم يدرك بثأره. والسدم: اللهج بالشئ. ومردم: دائم. والفدن: القصر، ويقال القنطرة. والردن: الخز. والأبجر: الذي سرته ناتئة، وكل عقدة في الجوف بجرة. ومحتلط: مجتهد؛ والأحتلاط: الأجتهاد. والمبلط: الذي قد لصق بالأرض من الفقر؛ وهو مأخوذ من البلاط، كما أن المدقع مأخوذ من اللصوق بالدفعاء وهي التراب. والنعم: الإبل خاصة؛ والأنعام: الإبل والغنم وغيرها. والحراج: جمع حرجة وهي شجر ملتف.

رجع: لا بقوى لغير التقوى، فأحسن اليقين، وكن من المتقين. ولا تعرج، على خوط مريج، فأعمد لنفائس الأمور. وأنا من نبذ الجديد، بالكديد، وتعلق يطلب الخلق، والله الرث والجديد. والسالك، في طريق الهلوك هالك، لا تتبع الضالين. وقد يشبيك، من ليس بأبيك، والله كافى الكافين. يقطعك أبوك، والبعيد يحبوك، وربك أجل الحابين. وإذا في صباك، فلا جنوبك تحمد ولا صباك، وإذا أكتهلت، عللت وأنهلت، فالصدر الصدر، إن عدوك لقريب. وإذا أسن الرجل فقد دنا الرحيل. إن

الحى خاوف وليس الأطيط بالغطيط. ويسمع انقيق، في الماء الرقيق، واللجة، لها رجة، وإلى الخالق نتوجه. ضعفت الناب، عن الجناب، وبئس الرب رب لا يعذر إن غفل قات، في بعض الأوقات. وشر المقالة مقالة السداج. غاية.
تفسير: الخوط: الغصن. والمريج: الشديد الاضطراب. والكديد: ما غلظ من الأرض. ويشبيك: يكفيك. والأطيط: كل صوت دقيق مثل صوت النسع الجديد ونحوه. والغطيط: صوت المختنق؛ ويقال غط الفحل غطيطا إذا لم يفصح بالهدير، والغطيط من هدير البكارة.." (١)

"والنقيق: صوت الضفدع؛ والمعنى أن الحال الحسنة لا تخفى وإن كان غيرها أحسن منها. والجناب: أن تكون جنيبة. والقاتى: الخادم؛ من قتوت إذا خدمت. والسداج: الكذاب.
رجع: أنا لا أضبر، فهلا أصبر! لست أخا صبر، ولا حليف ضبر، أمشى فأكمأ، ولا أريم بل أرمأ، وبعين الله الظاعن والمقيم الحد كليل، والأيد قليل، وبالله إعتصم الضعفاء. كم قرى، دون السرى، عن الفقير مجفو، والله عفو. الرأس أميم، والعظم رميم، وربك باعث الرمام. جاءك بالداء الكنين النواء في السوم، لا تشعر بنواء القوم، لعنت القلت، إذا اعترض دونها السيف الصلت، ليس الأقلح نائيا عن الأقله، فأما الجلح فاخو الأجله؛ فأي آثر لديك أقلح وقله، أم الأجلح مع جله، تعرف السائمة بالحداج. غاية.
تفسير: أضبر: من الضبر وهو الوثب؛ يقال ضبر الفرس إذا وقعت يداه مجتمعتين. وأكمأ أي تشتد أذاتي بالحفا. وأرمأ: أقيم: والقرى: مسيل الوادي. والسرى: النهر. والنواء الأولى: جمع ناو وهو السمين. ونواء القوم: مصدر تاوأت؛ والمعنى ان السمان يساوم عليها لتذبح وهي لا تشعر بإعتقاد القوم فيها ومعاداتهم إياها. والقلت: نقرة يجتمع فيها ماء السماء وهي مؤنثة؛ قال الشاعر:
لحى الله أعلى تلعة حفشت به ... وقلتا أقرت ماء قيس بن عاصم
والقلت في لعة أهل الحجاز: البئر. والأقلح: الوسخ الأسنان. والأقلة: الوسخ الجلد. والجله في الرأس أشد من الجلح. والحداج: ضرب من المواسم.
رجع: ما السحر، بموضع للنحر، والله يعذر المضطرين. ومن غرى بالعيس، فجده تعيس؛ ومن عاش، فلا يأمن الأرتعاش؛ وتترك الشهوات، للإخوة والأخوات؛ والسنيح، لا يخبرك بفوز المنيح، وعند الله غوامض الخبار. تسير في الوعوث، والرزق إليك مبعوث، إن الله تكفل برزق المتوكلين. واديك جليخ، والفحل مليخ، ولكل من الحوادث نصيب. خاب السير النصيص، إلى الدسكرة والأصيص، إن الأمر جد؛ فكن أيها الغافل من المجدين. وقد يصيف، السهم الرصيف؛ ويظفر بالونية، ممارس العنية؛ والوقت متناه، فهل من ناه، ولربك حكم يمنع من الجرى الهراج. غاية.
تفسير: السنيح يختلف فيه، فقوم يجعلونه للسعد ومنهم النابغة ويجعلون البارح للنحس، وقوم بضدهم. جليخ: بمعنى مجلوخ من قولهم: جلخ السيل الوادي إذا جعل فيه جرفة. والمليخ: الذي قد عجز عن الضراب، ويقال هو الذي لم يلقح. والدسكرة: موضع الشرب. والأصيص: دن مقطوع. ويصيف: يميل. والرصيف وهو الذي عليه الرصاف وهو عقبة تشد على مدخل

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٩١

السنخ وهو ما يدخل في السهم من النصل، ويقال هو العقبة التي تشد على الفوق. والعنية: دواء لجرب الإبل يتخذ من بولها وأخلاط غيره؛ **ويقال في المثل** " عنية فلان تشفى من الجرب " إذا وصف بجودة الرأي. ويقال فرس هراج إذا كان شديد الجرى.

رجع: الأحباء يفوتهم الحباء، فما بال السوق المتباعدين!. إن الرجل إرتبأ، فعلم النبأ، ولم يوقظ الراقدين، فضل الصاحب وضل الرفيق. وليس الأباء، أهلا للإباء، فألق فيه السقط متى شئت يسمعك ضباضب في النار. وإن كان القريب، غير مريب، فالسعيد، من غنى عن البعيد. والمرء يضرب ويجوب، ليصرب في منجوب، تأخذه خرقاء ذات موق، تجعله لغرنوق، لا تنبعث به النوق، كأنه بيض الأنوق، تألف صوته العنوق، ولغير ذلك جمع الجامعون. يانفس أصبت، أنني إياك قصبت؛ وغير المصيب، لا بد قصيب. ما خطيت، لو أني في دمك وطيت. ومن في اللجة، يغبط السائر على المحجة، والمسافر يغبط المقيم، والغنيمة مع الظاعنين. كم رقد ونقد، بين صارة ورقد، في حل أو عقد، صار كله للفقد. صاحبك منتبذ، وأنت إلى الباطل ربذ؛ وأغنت الجنابذ، عن المنابذ؛ ورضى الصغير، بالوغير؛ فبعدت رائحة قتار، تظهر تارة بعد تار، ثم لا ينال خيرها الفقير إن الجزز، لا يؤخذ عن الخزز، فاتخذ لك حريزا، قبل أن يسوق الوقت أريزا؛ وهيهات! الفعل خطأ، والقول خطل، خاب السعى وضل العمل. ما أنا والبلد المضاف إلى النعمان بعد صحبة قريط والهراج. غاية.

تفسير: الأحباء جلساء الملك واحدهم حبأ. والضباضب: صوت الشئ الذي يحترق في النار مثل القصب وغيره. ليصرب: ليجمع. والمنجوب: إناء واسع، وقد يكون سقاء دبغ بالنجب، وهو لحاء الشجر. والموق ها هنا: الحمق. والغرنوق: الشاب. والعنوق: جمع عناق.." [(١)]

"وحضن: جبل بنجد؛ **ويقال في المثل**: " أنجد من رأى حضنا " . وحجر: قصبة اليمامة. وعنس وقدم: قبيلتان من اليمن، عنس من مذحج وقدم من همدان. والسدم: هو اللهج بالشئ، وقولهم: نادم سادم أي كأنه لهج بالندامة. وصم حصاة بدم: يزاد أنهم اقتتلوا فأريق الدم فإذا وقعت في الأرض حصاة لم يسمع لها صوت. والملحد: المائل عن الحق، ومنه اشتق لحد القبر؛ لأنه يميل عن وسطه. والمشيد: يحتمل أن يكون العالي، ويكون المطلي بالشيد – وهو الجص والاشتقاق واحد؛ لأنه جرت العادة في الأبنية المطلولة أن تطلى بالشيد والبراح: الأرض المنكشفة الواسعة.

رجع: وصيح بالأرض اقبلى رهنك، وبالنزيل فاغدرى، وحيز المال ونسى العهد، وانتوى عن الانسان أنيسه ذو الود القديم. لا تعجبك زهرة الربيع فترى مختالا الزاهرية؛ فإن القيظ من وراء الرياض. كانت الأرض ولا وادي بها والوادي ولا سمرة فيه، وأحدثت السمرة حبلة في كل عام، ولو شاء المنشئ لجعل الحبلة سمرة، والسمرة واديا، والوادي شاهقا، والشاهق خضارة، وخضارة ودفة. فيحي فياح. غاية.

تفسير: الزاهرية: ضرب من المشي فيه اختيال. والحبلة: ثمرة السمرة. وخضارة: البحر. والودفة: موضع مطمئن حواليه صخور وآكام ويكون مخصابا؛ وربما سميت الروضة ودفة. وقد اختلف في هذا الحرف فقيل هو بالذال وبالدال غير معجمة؛ ذكره الزجاج في كتابه المعروف بجامع النطق وقال: جمع الودفة وداف؛ وأنشد:

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٩٢

تقول لي ما ئلة العطاف ... مالك قد مت من العجاف

ذلك سوق اليفن في الوداف اليفن: جمع يفن، وهو الشيخ الكبير. وفيحي فياح: كلمة تقال عند الخصب وقد أتسع في ذلك فاستعمل في الغارة؛ قال الشاعر:

دفعنا الخيل جائلة عليهم ... وقلنا بالضحى فيحي فياح

معدول مثل قطام.

رجع: كيف أعتذر، وفي كل حين أعذر، والله العالم المقتدر، أضرع له واستغفر، لعل الجاه يفر، ومن الخطايا أستكثر، لو خاف الحفن لسهر، ولكن الفؤاد أشر، وبناته تشتجر، يا نفس خمر، أعييتني في القليل والأمر، يعاش بالقوت الزمر، والكشح المضطمر، عيش الواجد المثمر، ما أولى النمير بالنمر، كفاك خير من شمر، وأغنتك قدم عن طمر، ليس الأرج كالصمر، ولا الآمر مثل المؤتمر، بعد قمر من قمر، واستغنى الله عن كل مقدر؛ فأرب الفقير إليه كارب الملك، وفاقة الغني كفاقة المتصعلك، ونفوسنا بالحياة شحاح. غاية.

تفسير: أعذر: من قولهم: أعذر الرجل إذا أتى بذنب إن عوقب عليه كان لمعاقبه عذر في عقوبته. والخمر: الذي يتوارى في الخمر، وهو ما سترك من شجر أو غيره؛ ومنه قول الشاعر:

أحار بن عمرو كأني خمر ... ويعدو على المرء ما يأتمر

والأمر: الكثير. والزمر: القليل؛ من قولهم: شعر زمر ونبت زمر إذا كان قليلا. والنمير: الماء الناجع. والنمر: من قولهم: سماء نمرة إذا كان فيها قطع من السحاب؛ **يقال في المثل**: " أرنيها نمرة أركها مطرة " والمعنى أن السحاب جدير أن يمطر ماء عذبا، أي للخير معادن يطلب فيها. وشر شمر أي شديد. والصمر الذي فيه صمر وهي رائحة كريهة؛ وفي حديث على عليه السلام أنه لما بلغه قدوم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه من الحبشة وجه إليه رسولا ودفع إليه دهنا وأمره أن يدفعه إلى أسماء ابنة عميس وكانت امرأة جعفر، وقال: تدهن به بني أخي من صمر البحر، يعني كراهية رائحته. والقمر الذي يحار في الثلج أو في القمر فلا يهتدي.." (١)

"رجع: كم من عضب أفل، ما كهم ولا كل، أثره كآثار النمل، تدرج على نقي الرمل، سبح فلم يمل، فعسى قلبك ولعل، أن يسعد فلا يزل. من صرخ واستهل، ورأى هلالا فأهل، والجبل حيث حل، للخالق خضع وذل. أف لك يا نفس ما أسرع فراقك لهذا الشخص، أنظر إليك بعين النقص، وفيك الخيلاء والكبر، وإليك يكر العتب أبرح الجبار وسارت الشهب أذنة لأوامره ونواهيه، والقدر يجعل ذات العرش يمانية الدار. ياظبي القاع، من ألزمك وقاع؟! ويا حنزاب الجبال ما أحلك بالسهول؟! ويا وحشي تبالة ما أهبطك الحجاز! ويا مغفرة ما أنت وخزامى الهجول. والعجب هجر الأعفر سربه ولزومه خيط الرئال. ولو ترك غرير العكرمة لم يبرح من الوكر. ومن للفرقد بأن يبيت مع الصوار! وود ميدى في الحبالة أنه أجدع في الكناس. وربما وقعت الصيحانية من زاد الراكب في البلد القفر فاجتناها الغراب من بين المرو، ولم ينبت نخل قط بذلك البداح. غاية.

---

(١) الفصول والغايات   أبو العلاء المعري ص/١٠٤

تفسير: أبرح: أتى بالأمر العجب. أذنة: مستمعة. والثريا يقال لها: ذات العرش؛ قال الشاعر:

كأن ذات العرش لما بدت ... خريدة بيضاء في مجسد

ووقاع معدول: ضرب من الكي؛ قال الشاعر:

وكنت إذا منيت بخصم سوء ... دلفت له فأكويه وقاع

والحنزاب: جزر البر. وتبالة: موضع مخصاب باليمن. والمغفرة: الاورية التي لها غفر وهو ولدها. والهجول: جمع هجل وهو مطمئن من الأرض سهل. والأوروية لا تحل إلا في الجبال؛ **ويقال في المثل** " ما يجمع الأروى والنعام "؛ لأنهما لا يجتمعان لأن النعام لا يكون إلا بالسهول. والغرير: الفرخ؛ مأخوذ من غررته إذا زققته. والعكرمة: الحمامة. والميدى: الذي قد وقعت يده في الحبالة. والبداح: الأرض الواسعة.

رجع: خالق الجوهر والعرض، كفيت المرض، وشفيت الجرض، وملكت النافذ والحرض، وبلغت الغرض، وثبت ملكك فما انقرض، لا أرض ولا أرض، ولا علة ولا هرض، بعدا لجاهل اعترض، وسيم الحق فأعرض. والإمهال، سبب الإجهال، وطالما حلئت النهال، شباب ثم اكتهال، وتنزه بعده إقهال، أذعر لذلك وأهال، لاونية نفعت ولا ابتهال. ربك بغير فخر، ابتدع ذا الشخر والنخر، وصلاد الصخر، وبنات مخر، والصبير إلى جنب الطخر. ذكت الضرمة، وهبت المرزمة، بصفات رب العالمين؛ فأعرض عن قيل سفيه لاح. غاية.

تفسير: الحرض: الغصص. والحرض هاهنا: الشيخ الذي لا قوة فيه، ويقال للعاجز: حرض، وكذلك يقال للذي لا يأخذ حظا في الميسر؛ قال الراجز:

يا رب بيضاء لها زوج حرض ... خلالة بين عريق وحمض

الأرض: الرعدة، أي لا اضطراب فيه، والأرض: فساد؛ يقال: أرضت القرحة إذا فسدت. والهرض: أصله شئ يخرج على أبدان الأطفال أي لا يلحق ملك الله تعالى شئ من العلل وإن قل. والإجهال: من أجهلهم إذا صادفهم جهالا. وحلأت الوارد إذا صددته عن الورد. والنهال: العطاش وهو من الأضداد يقال للذي قد شرب أول شربه ناهل. وقيل إنما سمى العطشان ناهلا على سبيل الفأل، كما قيل للديغ سليم. والإقهال: كثرة الوسخ ودخول الإنسان في القبائح. والابتهال: الاجتهاد. والشخر: صوت يخرج من الفم. والنخر: صوت يخرج من الأنف؛ ومنه قيل المنخر.

وبنات مخر: ضرب من السحاب يكن في قبل الصيف دقيقات العرض شديدات الوقع، يقال: بنات نخر وبنات بخر بالميم والياء. وقال بعض أهل اللغة يقال لهن: بنات بحر. ويستعمل بنات مخر بغير ألف ولام معرفة؛ قال الشاعر:

كأن بنات مخر رائحات ... جنوب وعيشها الغض الرطيب

جنوب: اسم امرأة. وأدخل عليه طرفة الألف واللام؛ فقال:

كبنات المخر يمأدن إذا ... أنبت الصيف عساليج الخضر

ويروى: الخضر. ويمأدن: من قولك غصن مأد أي ناعم. والعساليج: جمع عسلوج وهو الغصن الريان الناعم. ويقال بل العسلوج العرق المتغيب في الأرض. والصبير: سحاب بعضه فوق بعض. ويقال: هو السحاب الأبيض، وقال قوم: لا يقال

له صبير حتى يكون فيه بياض ‌وواد. وقيل إنما قيل له صبير: كأنه شبه بالأسير أي حبس ليمطر. والطخر: سحاب رقيق؛ ومنه اشتقاق الطخر ور وهو السحاب الرقيق أيضا. والمرزمة: الريح التي لها إرزام: أي حنين.." (١)

"رجع: لو أمنت التبعة لجاز أن أمسك عن الطعام والشراب حتى أخلص من ضنك الحياة؛ ولكن أرهب غوائل السبيل. إن فعلى غير جميل، والغاب مظنة من الأسد، والعشرة مكمن الجان، ولعل الأرقم راقد في الهشيم. وهل لك يا خائنة على الله مقال! أنت الكاسية في الشبم والصخدان، والطاعمة في الوضح والسواد، والنائمة بغير مروع في ليل التمام. يا ذئب عن حملان: أحدهما في السماء لم ينله قبلك ذئب، والآخر حمل وقير، دونه عنزة الفقير، كلا! أحسبت أن النقد، ليس بمفتقد، والكاذب أبو جعدة. إن له راعيا حمال وفضات، براء نبعات، ولا غ الحظوات، في مهج أسد وسراح. غاية. تفسير: مظنة من الأسد أي يظن أن فيه الأسد. والجان: الحية؛ يقال: جان العشرة وثعبان الحماطة. والشبم: البرد. والصخدان: شدة الحر. والوقير: قطيع الغنم، ولا يقال له وقير حتى يكون فيه كلب وكراز وهو الكبش الذي يحمل عليه الراعي خرجه في قول أبي عبيدة. وقال غيره الوقير: شاء الأمصار، وقال أبو النجم يصف الصائد:

تنبحه الحيات في كسورها ... نبح كلاب الحي عن وقيرها

والوقيرة بالهاء: قطيع من الظباء عن أبي عمرو الشيباني. والعنزة: نحو الحربة: والوفضات: جمع وفضة وهي كنانة النبل. والنبعات: جمع نبعة وهي شجرة القسي والحظوات: جمع حظوة وهي سهم صغير، ويقال في جمعه حظاء أيضا؛ **ويقال في المثل** " إحدى حظيات لقمان " يعنون لقمان بن عاد؛ ويقال ذلك عند الكلام المؤذي يبلغ الرجل؛ وقال أوس بن حجر يصف القوس:

تخيرها من غيلها وهي حظوة ... بواد به نبع طوال وحثيل

يعني أنه أبصر عود هذه القوس وهو صغير مثل السهم فلم يزل يتعهده ويختلف إليه حتى صلح أن يتخذ منه قوس. والمهجة هي خالص النفس ويقال دم القلب. والمعنى أن الرجل يظلم ويظن أن الناس لا يسألون عن ذلك في الآخرة. والسراح: جمع سرحان وهو الذئب. وأبو جعدة: من كنى الذئب؛ وإنما سمى بذلك فيما يزعمون على سبيل العكس لأنه يوصف بالفقر، وجعدة ها هنا: يراد بها الشاة الجعدة الصوف. ويجوز فيه وجه آخر وهو أن يكون قيل له أبو جعدة وهو لها عدو ليس فعله فعل الآباء. ويحتمل أن يكون قبل ذلك لكثرة غارته على الشاء، كما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها؛ وقال عبيد بن الأبرص:

هي الخمر تكنى الطلاء ... كما الذئب يكنى أبا جعدة

هكذا ينشدون البيت ناقصا؛ والمعنى أن الخمر تسمى بالطلاء وليست به.

رجع: أي الدرهمين أهم لك: أدرهم وقع في طوى، أم درهم وقع في يد غوى؟ أما درهم النزوع فسقط وما وقط، وأما درهم الجاهل فضاع وأضاع. وددت أن لي من الذهب مائة بهار لا أنتفع بها ولا أراش، كلما جنيت سيئة نقص منها شئ وأنا مع ذلك جشب المطعم حسن اللباس وهي تنتهب فتذهب حتى يقع فناؤها مع النسيس فأكون الأسعد بذاك. وليت كل شعرة

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١٠٥

في جسدي مقول فصيح يمجد الواحد بأصناف اللغات، تصيح سودها نعيب الأغربة، وبيضها صرير البزاة، تستغفر لمن اقترف فأسرف وأجرم فلا جرم إن الله ألبسه ثوب الصغار. وأعوذ بك رب من لسان كلسان الوقود؛ أما ظاهره فحسن، وأما عادته فالإحراق. وليكن ريقي كماء الشربة يسقي طيب الجناة، وكلمي كالطئر الدواجن تنفع أهلهاولا تضر الأقوام؛ ولأمس نابي الناب عن كل مأكل حرام، ولا يكن كناب الابل يعجبها مناصاة السلم وجذب الطلاح. غاية.

تفسير: النزوع: البئر التي ينزع منها بالرشاء. ووقط: من قولهم ضربه فوقطه إذا وقع مغشيا عليه. والبهار يقال إنه ثلثمائة رطل، وقيل هو وزن معروف، وقال قوم: البهار خمسة أوسق؛ قال الهذلي:

سماكيا كأن بحافتيه ... ركاب الشام يحملن البهارا

وفي الحديث عن عمرو بن العاص لما بلغه قتل طلحة أن ابن الصعبة مات وترك مائة بهار من ذهب. والصعبة: أم طلحة. وأراش من قولهم راش الفقير يريشه إذا جعل له مالا؛ كأنهم شبهوا كسونة وأثاثه بريش الطائر؛ قال الشاعر:

فرشني بخير طالما قد بريتني ... وخير الموالي من يريش ولا يبرى

وجشب المطعم أي خشنه. والنسبس: آخر النفس وبقيتها: قال أبو زبيد:

إذا ضمت يداه إليه قرنا ... فقد أودى إذا بلغ النسيس

جرم عند البصريين في معنى حق، وكذلك فسروا بيتا ينسب إلى قيس ابن زهير:." (١)

"واشتقاق الهنعة من قولهم: في عنقه هنع أي اطمتنان. وتزران: تبرقان. والذراع يذكر في لغة عكل، حكى تذكيره أبو زيد والفراء. ومليلا: أي في الليل؛ يقال: أليلوا، فتظهر الياء، كما يقال: أعيلت المرأة، والقياس ألالوا. والنثرة: باطن الأنف؛ ومنه قيل استنثر الرجل أي ادخل الماء إلى باطن أنفه، ويقال: طعنه فأنثره إذا ألقاه على النثرة؛ قال الراجز:

إن عليها فارسا كعشره ... إذا رأى فارس قوم أنثره

وإنما شبهت نثرة الأسد في النجوم بنثرة الأنف كما جعلوا له ذراعا وجبهة. والمسهل: ضد الجهم. وزبرة الأسد: الشعر الذي يعلو كتفيه.

والكتد: مجتمع الكتفين؛ وبها سميت زبرة النجوم. ويقال للخيل جبهة ويقال لضرب من الخرز التي تزعم نساء الأعراب أنهن يصرفن بهن الزوج الصرفة. ولهن خرز كثير، فمنهن الصدحة، والزلقة والكحلة والوجيهة، والهمرة، والهنمة. ويقولون في سجع لهن: أخذته بالهنمة، بالليل عبد وبالنهار أمه. والعواء من الكواكب. تمد، وتقصر، والقصرأكثر؛ وأنشد في المد:

وقد برد الليل التمام عليهم ... وقد صارت العواء للشمس منزلا

وقال قوم من أصحاب الأنواء: العواء كلاب تتبع الأسد، وقال غيرهم: العواء دبره. والضروة: الكلبة. وكانت كلبة حومل التي يضرب بها المثل فيقال: أجوع من كلبة حومل يقال لها العواء. ويقال إن حومل صاحبتها طبخت قدرا، وإن الجوع حمل الكلبة على أن تدخل رأسها في القدر وهي تغلي. والغفر: نمط يجعل كالعكم فتجعل فيه المرأة متاعها. ويقال: إن الغفر من النجوم سمى بذلك؛ والله أعلم. والزباني: قرن العقرب الأرضية، وكذلك هو للعقرب من النجوم. وشوشب: من

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١١٠

أسماء العقرب الأرضية. والفرضخ: من أسماء العقرب. وقلب النخلة يقال في جمعه قلبة؛ **ويقال في المثل**: ليس الخوافي كالقلبة، ولا الخناز كالثعبة الخوافي: مثل واهن وهي جريد النخل. والخناز: الوزغ. والثعبة: دويبة إلي الخضرة ما هي، جاحظة العينين، ربما قتلت. والنعائم: خشب يوضع على البئر. والبلدة من النحر: وسطه. وسعد الذابح: من منازل القمر. وإنما قيل الذابح: لأن قدامه كوكبا تزعم العرب أنه ذبحه. والذبح: المذبوح أو ما أعد ليذبح؛ قال جرير:

ولسنا بذبح الجيش يوم أوارة ... ولم يستبحنا عامر وقبائله

وسعد بن ضبيعة هو سعد بن مالك بن ضبيعة، وهذا يجوز في كلاء العرب ويكثر؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:

أنا النب ... ي لا كذب

أنا ابن عب ... د المطلب

وسعد بن زيد هو سعد بن زيد مناة بن تميم. والفرغان من النجوم: شبها بفرغى الدلو وهو مابين العراقى، وربما قالت العرب: العرقوتان وهم يريدون الفرغين؛ قال عدي بن زيد:

في نبات سقاه نوء من الدل ... وتدلى ولم تخنه العراقي

والغرب: الدلو العظيمة. والسحبل: العظيم البطن من الدلاء والوطاب والناس. والمهيف: الذي قد هافت إبله أي عطشت. والحول: جمع حائل.

رجع: مرا بلى، أما الله فأزلى، لا أعلم ما يقول المعتزلى، والناس مطالبون على حسب العقول. إن العلهب، ما أصطلى اللهب، فكيف يغتزل ثوبا من فوف النجاد، أو ينتسج بروقيه قطعة من بجاد. وإن جاز للعصفور، اقتناص اليعفور، فإن رأى العقاب لا يفيل، في اقتناصها الفيل، ونحن الخرق الضعاف لا نستتر من الله بوجاج. غاية.

تفسير: مرابلى: مثل يضرب للشيء الماضي بسرعة. وبلى: قبيلة من قضاعة. والعلهب: التيس المسن من الظباء. والفوف: شئ يكون في العشر يشبه القطن. والنجاد: جمع نجد وهو ماعلا من الأرض. والبجاد: كساء مخطط. واليعفور: ذكر الظباء. وقال الرأى إذا ضعف. والوجاح بكسر الواو وفتحها: الستر.." (١)

"إن الله هو الملك، لا يهلك ولكن يهلك، والفلك بعض ما يملك، والطرق إلى طاعته تنسلك، فخاب من يشرك، ما آخذ وما أترك!. السعيد على العبادة مبترك. فاعتصم برب الشمس والقمر، ومنشئ الشجر والثمر، ومالك القلة والأمر؛ من أفعال الغمر والغمر، ومن شر كل بشر، وهول المحشر. إن الله خلق مشل عون، يرتع بملاحس العين، حيث لا رام ولا انيس، يتخير البارض والجميم؛ وذلك بفضل الله القدير. ويرازم بقلا وعشبا، يسبح بالشحيج والسحيل، ويقدس بالخبب والتقريب، رباعيا ارتفع عن ضعف الجذاع، وليس بمسن أنفد من العمر حقبا، ما يقع سنبكه على صفاة إلا ذكرها بالله فذكرته، ولا يهوى بجحافله إلى نبات، إلا واسم الله عليه، ولا يمر بغدير أسحر كعين الزبحى أو أزرق كعين الرومى، إلا وعظمة الله في أرجائه بين؛ فأقام على ذلك جمادى ورجبا. وصقلته البهمى الحبشية فتركته كالنصل مهذبا، يلتفت عن اليمين والشمال، ولا شبح يراه إلا الحقب المطردات فيرن مطربا، حادى سبع أو ثمان، ليس بمشيم ولا يمان؛ لاح له رأس

---

(١) الفصول والغايات   أبو العلاء المعري ص/١٢٣

الجوزاء وذلك في ذنابى الربيع، ونبت الحاجر كعذار الأشيب؛ فلما انقضى زمان الجزء ذكر مشربا، فانصلت كالسيف الهندي، مرة يعفو على الأتن وأخرى يعفون عليه، والأخاشب ترتمي به والقيعان، يغار دونها كالشجاع قد شذب حولى الجحاش. ولم يحش بإذن الخالق مشذبا، تقدح حوافرها النار، كأن كل حجر تطؤه من المرخ؛ تنشأ بين أرجلها نيران الحباحب كأنها تطلع من الأرض شهبا، وفي الليل تطأ الأفاحيص فتترك ودائعها في القرار كالودع أو ما كسر من القوارير، ويكلف الكدر نسبا، هن صوادق كالمثنى على الله ما يخشى كذبا، كم رمحت المرحات من جندب يرمح لاقى منها عطبا، ما هجر فقدعته. ولكن هجر صخبا، فلما أشرفن على عين أسراب كانها عين غراب تنسج لها الجنوب حببا، نكصن فلما كظهن الحيام أرسأن قوائمهن في الماء يخضن صافيا عليه الشبا، وكادت المسامع تختضر من الجرع فيه ثم وارين في الصدور نغبا، أخمدن وارى العطش وصار العير متحببا، وعلى الشمائل طاو كالميت منطو من الصفيح في بيت يدعو الله أن يرزق صبيته خذوفا ما ترضع تولبا، رمى فأصاب حائلا شفت من العيال سغبا، وانصرف واليهن فلقين في ضياء الفجر من فراط الحمام عصبا، وعلى الصعد شعث كالنصال أرصدوا بكل ريع مخلبا، فتلفت سوق النحص بعد ما نجون من بارى نبعة لا يملك سواها نشبا، قرن بها ممرا من المربوعات وتخير من الفروع قضبا، انتحاها والله يراه وكساها ريشا وعقبا، ووصل بها معابل مرهفات الظبى كالجمر صادف بليل صبا، ونجا العير بنفسه لا يذكر مصطحبا، وباكره مع الشعاع فارس يحتث سلهبا، تحسب حوافره من الخضرة كسين طحلبا، كانما اجرت الصنعة عليه ذهبا، فطرده شأوا مغربا، فركب في جوانحه من الخطية ثعلبا، فخر الوحشى ملحبا؛ وكذلك مصير الدنيا الخائنة لا تنقذك أخوة؛ ففي تقوى الله آخ. غاية.

تفسير: مبترك: من أبترك على الشيء إذا أنحى عليه؛ يقال: ابترك الصيقل على السيف: إذا أنحى عليه. والأبتراك في العدو: ان ينحى الفرس على أحد شقيه. والأمر: الكثرة؛ **يقال في المثل**. " في وجه مالك تعرف أمرته " أي كثرته ونماؤه؛ وقال لبيد:

إن يغبطوا يهطوا وإن أمروا ... يوما يصيروا للبوس والنكد

والمشل: الشديد الطرد. والعون: يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون جمع عوان من الأتن، والآخر أن يكون جمع عانة من الحمير، مثل ساحة وسوح. والعين: البقر الوحشية. يقال: تركته بملاحس البقرأي في المكان القفر؛ لأنها لا تلحس أولادها إلا وهي آمنة. والبارض: أول ما يخرج من النبات، وأكثر ما يخص به البهمي؛ فإذا طال قليلا فهو الجميم، ويقال الجميم الذي قد صار جماما قبل أن يتفتح نواره؛ قال ذو الرمة:

رعى بارض البهمي جميما وبسرة ... وصمعاء حتى آنفته خلالها

البسرة: يريد بها الغضة. والصمعاء: التي قد اكتنزت قبل أن ينفتح عنها وعاؤها. وآنفته: دخلت في أنفه؛ أي رعاها في أحوالها كلها حتى يبست وصار لها شوك. يرازم: يأكل هذا مرة وهذا مرة قال الراعي:

كلى الحمض بعد المقحمين ورازمى ... إلى قابل ثم اصبرى بعد قابل." (١)

---

(١) الفصول والغايات   أبو العلاء المعري ص/١٢٥

"المقحم: الذي يسدس ويبزل في سنة. ويقال: إن سبب ذلك أن يكون أبواه كبيرين. والشحيج والسحيل: ضربان من النهيق. والحقب: جمع حقبة وهي برهه من الدهر. وأسجر: يضرب إلى الحمرة: يقال عين سجراء، يراد عين الرجل وعين الماء، وربما وصفت الناقة فقيل سجراء؛ وقال الشاعر يصف عين ماء:

وسجراء حمراء المدامع بسرة ... ترقرق من غير البكاء دموعها

دعتني إليها هامة مطمئنة ... وقار عفاريها على ما يروعها

العفارى. جمع عفرية وهو شعر وسط الرأس. وبسرة أي قريبة العهد بالسحاب؛ وكل غض بسر. والبهمى توصف بالرى وأنها تضرب إلى السواد فيقال حبشية؛ قال أمرؤ القيس يصف الحمير:

ويأكلن بهمي غضة حبشية ... ويشربن برد الماء في السبرات

والحقب: جمع أحقب وحقباء، وهو الحمار الذي في موضع حقيبته بياض. وذنابى كل شئ: آخره. ورأس الجوزاء: الهقعة. وقيل لابن عباس: إن رجلا طلق امرأته عدد النجوم: فقال: يكفيه منها رأس الجوزاء، يعني الهقعة، وهي ثلاثة كواكب. والحاجر: آخر المواضع يبسا؛ وذلك أنه مكان يستدير وينخفض وسطه فيجتمع فيه الماء فيبقى نبته إلى آخر الربيع؛ قال الشاعر:

وقد غاض عنها الجزء إلا بقية ... كقد الشراك بين نهى وحاجر

والجزء: أن يجتزئ الوحشى بالكلأ عن الماء؛ يقال: جزأت الوحش وجزئت. ويعفو أي يزيد عليها. والأخشب: الغلظ من الأرض، ويقال للجبل أخشب؛ وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تزول أو يزول أخشباها ". وشذب: فرق؛ ومنه تشذيب النخلة وهو تفريق سعفها. والأفاحيص: جمع أفحوص وهو موضع بيض القطاة؛ قال بشر بن أبي خازم:

رأتني كأفحوص القطاة ذؤابتي ... وما مسها من منعم يستثيبها

والكدر: القطا. ونسبهن: أنهن يقلن قطا قطا في الصياح؛ قال النابغة:

تدعو القطا وبه تدعى إذا نسبت ... يا صدقها حين تلقاها فتنتسب

ولذلك قيل في المثل: " أصدق من قطاة " . والجندب يوصف بأنه يرمج الرمضاء برجليه؛ قال ذو الرمة:

وهاجرة من دون مية لم تقل ... قلوصي بها والجندب الجون يرمح

وأهجر إذا أتى بالهجر وهو مالا ينبغي من القول؛ قال الشماخ:

كما جدة الأعراق قال ابن ضرة ... عليها كلاما جار فيه وأهجرا

فقدعته أي كفته؛ ومنه قولهم: " دون هذا يقدع شاربه " أي يكفه.

وهجر: من الهاجرة. وعين أسراب أي تردها أسراب الوحش، يقال: سرب ظباء وبقر وقطا ونساء. والماء الصافي يشبه بعين الغراب؛ قال القيني:

إذا شاء راعيها استقى من وقيعة ... كعين الغراب صفوها لم يكدر

والحيام: العطش؛ وأصله أن يحوم حول الماء أي يدور. والشبا: الطحلب بلغة أهل اليمن. وتختصر: تقطع، وهذا شيء

توصف به الحمر إذا وردت، يقال: كاد جرعها يقصف آذانها. ونغب: جمع نغبة وهي الجرعة. ووارى العطش من ورت النار إذا وقدت. وتحبب البعير إذا امتلأ ماء؛ ويقال: التحبب أول الري؛ قال الشاعر:

رأى برد ماء ذيد عنه وذادة ... إذا هم صاحوا قبل أن يتحببا

وعلى الشمائل: جمع شمال وهو الجانب الأيسر، وكذلك يوصف الصائد في مقعده للحمر. وطاو: من طوى إذا لم يأكل، وهو الصائد. والخذوف: الأتان السريعة، وقيل هي السمينة؛ وقال من ذكر أنها السمينة: إن اشتقاقها من أنها لو حذفت بحصاة ثبتت فيها لسمنها. والتولب: ولد الحمار الوحشي، أي لم ترضع فهو أسمن لها: والفراط: الذين يتقدمون قبل الوراد؛ قال القطامي:

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا ... كما تعجل فراط لوراد

وقد استعمل ذلك في الذئاب والحمام. والصعد هاهنا: الطرق؛ ومنه الحديث: " إياكم والقعود بالصعدان ". والمخالب واحدها مخلب: المناجل: والنحص: جمع نحوص وهي الأتان التي لا تحمل. والمربوع: وتر قد أمرعلى أربع قوى. وانتحاها ونحاها أي قطعها؛ قال الشماخ:

فما زال ينحو كل رطب ويابس ... وينغل حتى نالها وهو بارز." (١)

"والشنف: المبغض؛ يقال: شنفته إذا أبغضته. والصليان: ضرب من النبت: **يقال في المثل** للرجل إذا حلف اليمين فقطعها جذها جذ العير الصليانة لأنه يقتلعها بأصلها؛ قال الشاعر:

بلاد لا يزال العلج فيها ... يضاحك جعثنا فيه اغبرار

يريغ الصليانة ناجذاه ... فيتبعها غبار مستثار

العلج: الحمار الوحشي. والجعثن: أصول الصليان. والعشير: الزوج، والمرأة عشيرة. وخاخ موضع قريب من المدينة؛ قال الشاعر:

خلفوني ببطن خاخ مريضا ... وتولوا وغادروني طلحا

رجع: أنت ربنا مجيل الأفكار. تلمح النعامة القوم السفر فتود لو غارت بهم الأرض؛ ولعل في مزادهم حنظلا يبث في البيد فيربيونها في الأدجي فتلقى من أمر الله جللا. ويطوف العفو بالنبعة وكيف له باجتثاث أصلها وهو لا يفرق بينها وبين شجرة الضرو؛ لا يدفع توقيك من حكم القادر مرسلا. ويفرح ابن الأمة بالدجوب وهو صفر كأنه قد عرف ما يوعى فيه من الطعام؛ ولن تبلغ بغير الله أملا. يدرك العلم بثلاثة أشياء: بالقياس الثابت، والعيان المدرك، والخبر المتواتر. فأما الحس فزجر طيرهى خليقة بالكذب وإن صدقت فباتفاق؛ والعلم لله كملا. ربما أدلجت السعلاة إذا شاء الله لتظني البرق فهجمت على جمرات، أوقدها راعي بكرات، من العرمج أو بعض الشجرات، فأضاعت بعلا، ولم تصادف أهلا. وربك عز وعلا يورخ إذا أمر الصخرة أي الإيراخ. غاية.

تفسير: العفو: الجحش. والنبعة: شجرة يتخذ منها القسي. والضرو: شجر البطم. والجوب: وعاء نحو الغرارة. وذكر السعلاة

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١٢٦

هاهنا مبني على حديثها الذي تدعيه العرب لعمرو بن يربوع بن حنظلة وقد مر ذكره. ويورخ: من أورخت العجين إذا أكثرت ماءه حتى يرق.

رجع: كم أمرة عرفها الدليل وعند الركبان أنها حجر، لم ينصبها بشر، وكفى بالله هاديا. وقد يفنى الراكب ليلته بالسؤال: أين المنزل ومنى التعريس؛ فسبحان الله يجعل قدره الجبل واديا. وإن كان للإبل غريزة علم فما بال الشارف تدر على البو وإنما هو ثمام؛ ولولا ربك لم يشف المورد صاديا. وكيف لا يهرب العود من الكلأ الوخيم، وعلام تنساق الهجمة أمام الفتى الغر إلى مدى الجازر وسيف العاقر؛ فارهب الله وكن للمنكر معاديا. ولعمرك ما تبالي السمرة ألها بكر العاضد أم للأراكة، وإنها لا تفرق بين الحبلة والبرمة وغيرهما من الثمار، ولا تميز العنم من بنان المرتقنة، ولو عرفت ذلك لاغتسلت من الدودم كما تغتسل الكاعب من دم الطمث؛ وإذا شدا الغوي بالهنود فلتلف بذكر الله شاديا؛ إن ذكره مسك فاخ. غاية.

تفسير: الأمرة: العلم ينصب من حجارة؛ ومنه قول أبي زبيد يرثى عثمان:

إن كان عثمان أمسى فوقه أمر ... بالأرض في مستوى البيد الصفاصيف

وربما قيل: الأمر الحجارة. والأول أصح وعلية المعنى. والبرمة والحبلة: من ثمار العضاه. والمرتقنة: المختضبة. والرقان: الحناء. والدودم: ما يخرج من السلمة يقال هو حيضها. وفاخ: مثل فاح.

رجع: وكم ناظر إلى الفراق ثم كفيه. ورب جفن حلبته النوى فواقا ثم حلبه الجذل بإلقاء العصا فواقا؛ فاستكف بالله تجده كافيا. وقد يكذب الموعدة بنأي الغد أمر يحدث بعد شد الأكوار، وإن كان النعيب من شواهد الرحيل فالغراب يعلم الغيب، ومعاذ الله! شغل ابن داية بسؤر الليث ورذية السفر عن توكف الأخبار؛ وان تخفي عن الخالق خافيا. ورب مطلوب بترة، هجم على إرة، وهو القائف اللبيب يتوهمها أطيمة فريقه، فوجد لديها ثأرة زرق العون؛ وأبت الأقضية من رب العالمين أن تترك ريش جناح وافيا؛ لكل خير بالشر انتساخ. غاية.

تفسير: الفواق بالفتح والضم ما بين الحلبتين. وتوكف الأخبار: توقعها. والإرة: النار، وقيل حفيرة توقد فيها النار. والأطيمة: الموضع الذي توقد فيه النار، وقيل: هي التنور، وجمعه أطائم؛ قال الأفوه الأودى:

في موقف ذرب الشبا وكأنما ... فيه الرجال على الأطائم واللظى." (١)

"على التغشي ببردهم السني، والتعري عن ثوب الإسفاف الدني، وليكن في إحراز الذكر الجميل إذا عرض ماهرا، ولنفسه عن مطعن السوء إن اعترض قاهرا، وفيما يثبت مدمه جاهدا، وللشيطان المسئول له مجاهدا، ليكون بأفعاله الحسنة مكافيا للإنعام، ومستحقا لزيادة الموهبة والدوام، فقديما قيل في المثل الزم الصحة يلزمك العمل".

وقد ذكره عبد الحميد بن يحيى الكاتب في رسالته إلى الكتاب.

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع: "فإذا كان وقت الحصاد، وتفتقت الأكمام عن ثمار الاجتهاد، رتب من الأعوان من يثق بمناصحته، ويسكن إلى حراسته، وأذكى عليهم عيون التطلع، وأصغى إليهم بمسامع التصفح والتتبع، فمن وجده للمحجة سالكا، وللدناءة تاركا، أقره واستخدمه، وأدناه وأكرمه، ومن ألفاه عن الجدد١ ناكبا، ولاتباع الطمع راكبا، أحسن تأديبه

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١٤٧

وتقويمه، وفرى بضرب السياسة أديمه، وجعل ما يعتمده من نكاله رادعا لأمثاله، ونافعا له في مستقبل أمره ومآله، فليس الكهل كالحدث الصبي، ولا القارح٢ كالجذع٣ الفتى. والحوادث ذخيرة العواقب، والمصائب أثمان التجارب".
هذا معنى قولهم في المثل المشهور: إن المصائب أثمان التجارب.

---

١ الجدد: المراد الطريق الواضح.
٢ القارح: البازل وهو البعير في سنته الخامسة.
٣ الجذع: البعير في سنته الثالثة.." (١)

"الثالث مسيح فعيل بمعنى مفعول كأنه مسح بالبركة. والرابع مسيح لحسن وجهه. تقول العرب عليه مسحة جمال. الخامس مسيح فعيل بمعنى مفعول مسحه يحيى ابن زكرياء حين ولد. السادس كأن فعيل بمعنى فاعل كان لا يمسح ذا عاهية إلا برىء. السابع كان لا يمسح طائرا يخلقه أو ميتا إلاحيي الثامن: مسيح صديق. التاسع مسيح معرب من مشيح كما عرب موسى من موشى وفي هذه الأسماء تداخل وبعضها يعضدها الشرع وبعضها تعضدها اللغة، وقد فسرناه في شرح الصحيح وأما الدجال، فقد تقدم وفيه وجهان. الثالث أنه ممسوح العين في رواية حذيفة الشمال (١). خرجه مسلم وفي حديث الكل اليمين (٢)، وكلاهما صحيح. كأن الله يغير هيئته في عينيه، لأن التغير علامة الحدوث، والثبوت علامة القدم، فيأتي عوره وتغيره دليلا على دليل ونقصانا على نقصان، وأما الدجال فعيل لأنه يموه على الناس ومنه بعير مدجل إذا طلي بالقطران، وقيل لعظم أمره وتفاقم خطبه ومنه رفقة دجالة، إذا كانت كبيرة ومنه دجلة من كبرها في الأنهار (٢).

تنبيه على وهم وتعليم على جهل
رواه بعضهم المسيخ بخاء معجمة على معنى فعيل بمعنى مفعول من المسخ وهو، تغير الخلقة المعتادة، وكأنه بجهله. كره أن يشترك مع عيسى ابن مريم في الاسم والصفة، فأراد تغييره وليس يلزم من الاشتراك (٣) في الحالات الاشتراك في الدرجات، وقد بينا ذلك في شرح الحديث، بل أغرب من ذلك أنه لا يضر الاشتراك في المحاسن والهيئات وقد جاء آخر بجهالة أعظم من الأول فقال أنه مسيخ بتشديد السين والخاء المعجمة (٤)، فجاء لا فقه ولا لغة كما **قيل في الأمثال** "لا عقل ولا قرآن" لأن فعيل من

---

(١) مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٣٤ و ٢٩٣٥).
(٢) دجلة هي نهر بغداد لا تدخله الألف واللام .. ولها اسمان آخران معجم البلدان ٢/ ٤٤٠.
(٣) في ج (وليس يلزم من الاشتراك في التسميات الاشتراك في الجلالة والدرجات).
(٤) نقل الحافظ عن الجوهري قوله من قاله بالتخفيف فلمسحه الأرض ومن قاله بالتشديد فلكونه ممسوح العين وحكى

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر   ابن أبي الحديد ١٥٥/٤

بعضهم إنه بالخاء المعجمة في الدجال ونسب قائله إلى التصحيف واختلف في تلقيب الدجال بذلك فقيل لأنه ممسوح العين وقيل لأن أحد شقي وجهه خلق ممسوحا لا عين فيه ولا حاجب وقيل لأنه يمسح الأرض إذا خرج وأما عيسى فقيل سمي بذلك لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لأن زكريا مسحه وقيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برىء وقيل لأنه كان يمسح الأرض بسياحته وقيل لأن رجله كانت لا أخمص =." (١)

"ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد

لما مات يزيد وأتى الخبر عبيد الله بن زياد مع مولاه حمران، وكان رسوله إلى معاوية بن أبي سفيان، ثم إلى يزيد بعده، فلما أتاه الخبر أسره إليه وأخبره باختلاف الناس في الشام، فأمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وصعد المنبر فنعى يزيد (وثلبه، فقال الأحنف: إنه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة، **ويقال في المثل**: أعرض عن ذي فنن، وأعرض عنه عبيد الله) ، وقال: يا أهل البصرة إن مهاجرنا إليكم ودارنا فيكم، ومولدي فيكم، ولقد وليتكم وما يحصي ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألفا، ولقد أحصى اليوم مائة ألف، وما كان يحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفا، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا، وما تركت لكم ذا ظنة أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم، وإن يزيد قد توفي وقد اختلف الناس بالشام وأنتم اليوم أكثر الناس عددا وأعرضهم فناء وأغناهم عن الناس وأوسعهم بلادا، فاختاروا لأنفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم، فأنا أول راض من رضيتموه، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة ولا يستغني الناس عنكم.

فقام خطباء أهل البصرة وقالوا: قد سمعنا مقالتك وما نعلم أحدا أقوى عليها منك، فهلم فلنبايعك.

فقال: لا حاجة لي في ذلك.

فكرروا عليه فأبى عليهم ثلاثا، ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا ومسحوا أيديهم بالحيطان وقالوا: أيظن ابن مرجانة أننا ننقاد له في الجماعة والفرقة!

فلما بايعوه أرسل إلى أهل الكوفة مع عمرو بن مسمع وسعد بن القرحاء التميمي يعلم أهل الكوفة ما صنع أهل البصرة ويدعوهم إلى البيعة له، فلما وصلا إلى الكوفة،." (٢)

"ثم سار عن أصبهان في رجب نحو الري، فدام مرضه إلى أن توفي، فأصيب به الدين والدنيا جميعا لاستكمال جميع خلال الخير فيه، وكان عمره قد زاد على سبعين سنة، وكانت إمارته أربعا وأربعين سنة.

ذكر بعض سيرته

كان حليما، كريما واسع الكرم، كثير البذل، حسن السياسة لرعاياه وجنده، رءوفا بهم، عادلا في الحكم بينهم، وكان بعيد الهمة، عظيم الجد والسعادة، متحرجا من الظلم، مانعا لأصحابه منه، عفيفا عن الدماء، يرى حقنها واجبا إلا فيما لا بد

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس   ابن العربي ص/١١٠٦

(٢) الكامل في التاريخ   ابن الأثير، أبو الحسن ٣/٢٢٧

منه، وكان يحامي على أهل البيوتات، وكان يجري عليهم الأرزاق، ويصونهم عن التبذل، وكان يقصد المساجد الجامعة، في أشهر الصيام، للصلاة، وينتصب لرد المظالم، ويتعهد العلويين بالأموال الكثيرة، ويتصدق بالأموال الجليلة على ذوي الحاجات، ويلين جانبه للخاص والعام.

قال له بعض أصحابه في ذلك،، وذكر له شد مرداويج، فقال: انظر كيف اخترم، ووثب عليه أخص أصحابه به، وأقربهم منه لعنفه وشدته، وكيف عمرت، وأحبني الناس للين جانبي.

وحكي عنه أنه سار في سفر، فنزل في خركاة قد ضربت له قبل أصحابه، وقدم إليه طعام، فقال لبعض أصحابه: لأي قيل في المثل: خير الأشياء في القرية الإمارة؟ فقال صاحبه: لقعودك في الخركاة، وهذا الطعام بين يديك، وأنا لا خركاة ولا طعام، فضحك وأعطاه الخركاة والطعام، فانظر إلى هذا الخلق ما أحسنه وما أجمله.

وفي فعله في حادثة بختيار ما يدل على كمال مروءته وحسن عهده، وصلته لرحمه – رضي الله عنه – (وأرضاه، وكان له حسن عهد ومودة وإقبال) .." (١)

"﴿من عذاب يومئذ﴾ ١، وإن شئت: ﴿من عذاب يومئذ﴾ على ما وصفت لك، ومن خفض بالإضافة قال: سير بزيد يومئذ، فأعربته في موضع الرفع، كما فعلت به في الخفض، ومن قال: ﴿ومن خزي يومئذ﴾ فبناه قال: سير بزيد يومئذ، يكون على حالة واحدة لأنه مبني، كما تقول: دفع إلى زيد خمسة عشر درهما، وكما قال عز وجل: ﴿عليها تسعة عشر﴾ ٢ وأما قوله:

فندلا زريق المال ندل الثعالب

فزريق قبيلة. وقوله" ندلا" مصدر، يقول، اندلي ندلا يا زريق المال، والندل: أن تجذبه جذبا، يقال: ندل الرجلا الدلو ندلا إذا كان يجذبها مملوءة من البئر، فنصب" ندلا "بفعل مضمر وهو" أندلي "وهذا في الأمر، تقول: ضربا زيدا، وشتما عبد الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فكان الفعل فيه أقوى، فلذلك أضمرته، ودل المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبرا لم يجز فيه الإضمار، لأن الخبر يكون بالفعل وغيره، والأمر لا يكون إلا بالفعل، قال الله عز وجل: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ ٣. فكان في موضع "اضربوا"، حتى: كان القائل قال: فاضربوا، ألا ترى أنه ذكر بعده محضا في قوله: ﴿حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾ ولو نون منون في غير القرآن لنصب "الرقاب" وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى.

وقوله: "ندل الثعالب" يريد سرعة الثعالب، يقال في المثل: "أكسب من ثعلب".

وأما قول نصيب:

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

---

١ المعارج ١١.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٤٤/٧

٢ المدثر ٣٠.

٣ محمد ٤.." (١)

"باب

نبذ من أقوال الحكماء

قال أبو العباس: كان يقال: إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم.

وكان يقال: أنعم الناس عيشا من عاش غيره في عيشه.

وقيل في المثل السائر: من كان في وطن فليوطن غيره وطنه، ليرتع في وطن غيره في غربته.

قال: وأنتبه معاوية من رقدة له، فأنبه عمرو بن العاص، فقال له عمرو: ما بقي من لذتك١ قال: عين خرارة في أرض خوارة٢، وعين ساهرة لعين نائمة، فما بقي من لذتك يا أبا عبد الله قال: أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب. ثم نبها وردان٣، فقال له معاوية: ما بقي من لذتك فقال: الإفضال على الإخوان، فقال له معاوية: اسكت، أنا٤ أحق بها منك، قال٥: قد أمكنك فافعل.

ويروى أن عمرا لما سئل قال: أن أستتم بناء مدينتي بمصر، وأن وردان لما سئل قال: أن ألقى كريما قادرا في عقب إحسان كان مني إليه، وأن معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال: محادثة الرجال.

ويروى عن عبد الملك أنه قال: وقد سئل عن الباقي من لذته فقال: محادثة الإخوان في الليالي القمر٦ على الكثبان العفر٧.

وقال سليمان بن عبد الملك: قد أكلنا الطيب، ولبسنا اللين، وركبنا الفاره٨، وأمتطينا العذراء، فلم يبق من لذتي إلا صديق أطرح بيني وبينه مؤونة التحفظ.

---

١ كذا في الأصل، س. وفي ر: "مابقى من لذتك يا أمير المؤمنين".

٢ عين خرارة: جارية. خوارة: سهلة لينة.

٣ وردان: مولى عمرو بن العاص.

٤ ر: "فأنا".

٥ ر: "فقال له".

٦ قمر: جمع قمراء، وهي الليلة التي يغمرها ضوء القمر.

٧ العفر: جمع أعفر، وهو اللون الأحمر.

٨ الفاره: النشيط من الدواب.." (٢)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب   محمد بن يزيد المبرد ١/١٥٠

(٢) الكامل في اللغة والأدب   محمد بن يزيد المبرد ١/١٨٩

"مختارات متفرقة من الشعر

قال الشاعر:

أذكر مجالس من بني أسد ... بعدوا وحن إليهم القلب

الشرق منزلنا، ومنزلهم ... غرب، وأتى الشرق والغرب!

من كل أبيض جل زينته ... مسك أحم وصارم عضب

وقال آخر:

حياة أبي العوام زين لقومه ... لكل امرئ قاس الأمور وجربا

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى ... لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال مسلم:

حياتك يا ابن سعدان بن يحيي ... حياة للمكارم والمعالي

جلبت لك الثناء فجاء عفوا ... ونفس الشكر مطلقة العقال

وترجعني إليك، وإن نأت بي ... دياري عنك، تجربة الرجال

وقيل في المثل: المبالغة في النصيحة تقع بك على عظيم الظنة.

وأنشدني العباس بن الفرج الرياشي:

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ... وقد يستفيد الظنة المتنصح." (١)

"ورطت نفسك في دهياء داهية

...

فغادرتك صريعا من يد لفم

يا إزب ذا العصر يا من كان مرحبه

...

أقلت واندمي إذا قلت وا ألمي

هلا انتهيت على ما قد نهيتك إذ

...

قد كنت في سعة عن لذعة الندم

تحدي الكلالي:

رد الشيخ على الكلالي في نسبته إلى الإعتزال، قال الشيخ محمد عبد الله المدني: إن الكلالي صرح بأني معتزلي زمخشري، وإني أتحدى الكلالي فأسله:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب   محمد بن يزيد المبرد ١٠٣/٤

أولا: ما هو العصر الذي نشأ فيه الاعتزال؟، ومتى بلغ أشده؟، ومتى بدأ أفول نجمه؟.

ثانيا: من سمى المعتزلة بهذا الاسم؟.

ثالثا: ما الحكمة في اختيار هذا الاسم دون غيره من الألقاب؟.

رابعا: ما المسائل التي انفردت بها أتباع أبي الهذيل العلاف عن سائر المعتزلة دون أهل السنة والجماعة؟.

خامسا: لم عدت الجهمية أتباع جهم بن صفوان من المعتزلة والجهمية جبرية والجبرية والمعتزلة على طرفي نقيض؟.

سادسا: هل الجمع بينهم إلا كما قيل في المثل جمع بين النعام والأروى، والضب والنون، حتى قال في الجهمية رأس من المعتزلة: ننفيهم عنا ولسنا منهم، ولاهم منا، ولا نرضاهم.

سابعا: ما الداعي إلى رجوع الإمام ابي الحسن الأشعري عن الاعتزال؟، وهل هو مسألة الصبيان وإفحامه للجبائي فيها أم غير ذلك؟، وكم أطوار الأشعري في الاعتقاد؟.." (١)

"محاسن الوفاء

قيل في المثل: أوفى من مكيهة وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة، كان من وفائها أن السليك بن سلكة عزا بكر بن وائل، فلم يجد غفلة يلتمسها، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا: إن هذا الأثر قدم ورد الماء، فقصدوا له، فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها، فأدخلته تحت درعها فانتزعوا ضمارها فنادت إخوتها فجاءوا عشرة، فمنعوهم منها. قال: وكان سليك يقول: كأني أجد خشونة شعر استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها: وقال:

لعمر أبيك وابناء تنمي ... لينقم الجار أخت بني عوارا

من الخفرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لوالدها شنارا

عنيت به فكيهة حين قامت ... لدخل السيف فانتزعوا الخمارا

ويقال أيضا: هو أوفى من أم جميل، وهي من رهط ابن أبي بردة من دوس، وكان من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلا من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها، فقامت في وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولي عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة، فلما انتسبت له عرف القصة فقال: إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه وأعطاها على أنها ابنة سبيل. ويقال: أوفى من السموأل بن عاديا»

، وكان من وفائه أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج إلى قيصر." (٢)

"قال: ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه وقال: إنك قد أقرضتني ناقتك فاحتكم علي. قال: راحلتين.

---

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله) عبد الأول بن حماد الأنصاري ٦٦٧/٢

(٢) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٨٣

قال: لك عشرون أرضيت؟ قال: نعم وفوق الرضى. قال: إلى أربعون.

ثم قال لمن بحضرته من قومه: من أتانا بناقة فله ناقتان بعد المائة، فأتوا بأربعين فدفعها إلى الضيف. وحكوا عن حاتم أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم. يا أبا سفانة قد أكلني الأسار والقمل. قال: والله ما أنا في بلادي ولا معي شيء وقد أسأت إلى أن نوهت باسمي فذهب إلى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال: خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدي قراه، ففعلوا فأتاهم بغداء. قيل:

ولما مات حاتم خرج رجل من بني أسد يعرف بأبي الخيبري في نفر من قومه وذلك قبل أن يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بقبره فقال: والله لأحلفن للعرب أنني نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول:

عجل أبا سفانة قراكا ... فسوف أنبي سائلي ثناكا

فقال بعضهم: ما لك تنادي رمة باتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعورا فقال: يا قوم عليكم مطاياكم فإن حاتما أتاني فأنشدني:

أبا الخيبري وأنت امرؤ ... ظلوم العشرة شتامها

فماذا أردت إلى رمة ... بدوية صخبت هامها

تبغي أذاها وإعسارها ... وحولك طي وإنعامها

وإنا لننعم أضيافنا ... من الكوم بالسيف نعتامها

وقيل في المثل: هو أجود من كعب بن إمامة وكان من إياد وبلغ من جوده أنه خرج في ركب فيهم رجل من بني النمر بن قاسط في شهر ناجر." (١)

"وكف شثنه البراثن «١» إلى مخالب كالمحاجن ثم ضرب بذنبه فأرهج «٢» وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الأخرق ثم تمطى فأسرع بيديه وحفر وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه، ثم أقعى «٣» فاقشعر «٤» ، ثم مثل «٥» فاكفهر «٦» ، ثم تجهم فازبأر «٧» ، فلا والذي بيته في السماء ما أتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزارة كان ضخم الجزارة فوهصه «٨» ثم أقعصه فقضقض متنه وبقر بطنه، فجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كأن به شيهما «٩» حوليا فاختلج من دوني رجلا اعجر ذا حوايا فنفضه نفضة فتزايلت أوصاله واتقطعت أوداجه، ثم نهم فقرقر، ثم زفر فبربر، ثم زأر فجرجر ثم لحظ، فو الله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه، فارتعشت الأيدي واصطكت الأرجل وأطت الأضلاع وارتجت الأسماع وحملجت العيون وانخزلت المتون ولحقت الظهور البطون ثم ساءت الظنون وأنشأ (يقول) :

عبوس شموس، مصلخد خنايس ... جريء على الأرواح للقرن قاهر «١٠»

منيع ويحمي كل واد يرومه ... شديد أصول الماضغين مكابر

براثنه شثن وعيناه في الدجى ... كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهر

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٩٠

يدل بانياب حداد كأنها ... إذا قلص الأشداق عنها خناجر

فقال عثمان: أكفف لا أم لك، فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأني أنظر إليه يريد يواثبني. **وقيل في المثل**: وهو أجبن من هجرس- وهو القرد- وذلك لأنه لا ينام إلا وفي يده حجر مخافة أن يأكله الذئب. وحدثنا رجل بمكة قال: إذا كان الليلة رأيت القرود تجتمع في موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحدا في أثر واحد في يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وإن نام واحد وسقط الحجر من يده خرج." (١)

"يبيت أبوك بها مغدفا ... كما ساور الهرة الثعلب

وقد يولد من بين الكلاب والثعالب هذه الكلاب السلوقية الماهرة بالصيد.

وقيل: إنه يخرج من بين الذئب والكلبة ولد يسمى الديسم، قال بشار:

أديسم يا ابن الذئب من نجل زارع ... أتروي هجائي سادرا غير مقصر

وزارع اسم كلب يعرف بزارع.

وزعموا أنه يخرج من بين الذئب والضبع ولد يسمى السمع كالحية لا يعرف العلل ولا يموت إلا بعرض يعرض له وأنه أشد عدوا وأسرع من الريح، قال الشاعر:

مسبل في الحي أحوى رفل ... فإذا يغزو فسمع أزل

ومن عجائب التركيب فوالج البخت إذا ضربت في إناث البخت لم يخرج الحوار إلا قصير العنق لا ينال كلأ ولا ماء، وإذا ضربت الفوالج في العراب جاءت هذه الجوامز والبخت الكريمة، ومتى ضربت فحول العراب في إناث البخت جاءت هذه الإبل القبيحة المنظر.

وقد قيل في الإبل: إن فيها عرقا من سفاد الجن وإن فيها إبلا وحشية هي من بقايا إبل وبار، لما أهلكهم الله جل وعز بقيت إبلهم، وإن الجمل منها ربما صار إلى أعطان الإبل فضرب في ناقة فتجيء منه هذه المهرية والغسجدية التي تسمى الذهبية.

وزعموا أن ببلاد الحبشة ذكر الضباع يعرض للناقة من الوحش فيسفدها فتلقح بولد على خلقة الناقة والضبع، فإن كان أنثى يعرض لها الثور الوحشي فيضربها فيصير الولد زرافة ويسمى بالفارسية اشتر كاوبلنك، أي خرج من بين الجمل والثور والضبع، وقد جحد الناس أن يكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر.

وأما النعامة فإنها لا تقع إلا من ذكر النعام وإناثها.

ومن نتاج الطير ما رواه بعضهم أنه رأى طائرا له صوت حسن زعموا أنه من نتاج ما بين القمري والفاختة، وقناص الطير يزعمون أن أجناسا من الطير تلتقي على المياه فتسافد وأنهم لا يزالون يرون أشكالا لم يروها قط فيقدرون أنها من تلاقيح تلك المختلفة.

مساوئ النتاج

---

(١) المحاسن والأضداد   الجاحظ ص/١١٤

فأما من يخرج من بين بني آدم فإنه إذا تزوج خراساني بهندية خرج من بينهما الذهب الإبريز غير أنه يحتاج أن يحرس ولدهما إذا كان أنثى من زناء الهند وإذا كان ذكرا من لواط رجال خراسان.

ومن خبث النتاج ابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال يكون أخبث نتاجا من البغل وأفسد أعراقا من السمع وأكثر عيوبا من كل خلق وأن يأخذ بأسوإ خصال أبيه وأردى خصال أمه فتجتمع فيه خصال الدواهي وأعيان المساوئ، وأنه إذا خرج كذلك لم ينجع فيه أدب ولم يطمع في علاجه طبيب، وقد رأينا في دور ثقيف فتى اجتمعت فيه هذه الخصال فما كان في الأرض يوم إلا وهم يتحدثون عنه بشيء يصغر في جنبه أكبر ذنب كان ينسب إليه، والخلاسي من الناس الذي يخرج من بين الحبشي والبيضاء، والبيسري من الناس الذي يخرج من بين البيض والهند ويكون من أحسن الناس وأجملهم.

محاسن الوفاء

قيل في المثل: هو أوفى من فكيهة، وهي امرأة من قيس بن ثعلبة كان من وفائها أن السليك بن السلكة غزا بكر بن وائل فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا: والله إن هذا لأثر قدم ترد الماء، فقعدوا له، فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها، فأدخلته تحت درعها، فانتزعوا خمارها، ونادت إخوتها فجاؤوا عشرة فمنعوهم منها.

قال: فكان السليك يقول: كأني أجد خشونة استها على ظهري حين أدخلتني درعها، وقال:

لعمر أبيك والأنباء تنمي ... لنعم الجار أخت بني عوارا

من الخفرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لوالدها شنارا

فما ظلمت فكيهة حين قامت ... لنصل السيف وانتزعوا الخمارا

وقيل أيضا: هو أوفى من أم جميل، وهي من رهط أبي هريرة من دوس، وكان من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل أبا أزيهر رجلا من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها، فقامت في وجوههم ونادت قومها فمنعوه لها، فلما قام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بالأمر ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة، فلما انتسبت عرف القصة وقال: إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه، فأعطاها على أنها بنت سبيل.." (١)

"فإنا سنشبع أضيافنا ... ونأتي المطي فنعتامها

قيل: ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره قرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه ثم قال له: إنك أقرضتني ناقتك فغديتك بها فاحتكم علي، قال: راحلتين، قال: لك عشرون أرضيت؟ قال: نعم وفوق الرضى، قال: فلك أربعون، ثم قال لمن بحضرته من قومه: من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة، فأتوه بأربعين فدفعها إلى ضيفه.

وحكوا عن حاتم أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم: يا أبا سفانة أكلني الإسار، قال: ويلك والله ما أنا في بلادي وما معي شيء وقد أسأت أن توهمت بي! فذهب إلى العنزيين فساومهم به واشتراه منهم وقال: خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدي فداه، ففعلوا، فأتاهم بفدائه.

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٤٩

وقيل في المثل: هو أجود من كعب بن مامة، وكان من إياد، وبلغ من جوده أنه خرج في ركب وفيهم رجل من أهل النمر بن قاسط في شهر ناجر، والنجر العطش، فضلوا وتصافنوا ماءهم فجعل النمري يشرب نصيبه فإذا أصاب كعبا نصيبه قال: اعط أخاك يصطبح، فيؤثره على نفسه، حتى أضر به العطش، فلما رأى ذلك استحث راحلته وبادر حتى رفعت له أعلام الماء وقيل له: رد كعب فإنك وارد، فغلبه العطش فمات ونجا رفيقه.

وقيل في المثل: هو أسمح من لافظة، وهي العنز تستدعى للحلب فتجيء إليه وهي تلفظ بجرتها فرحا بالحلب، وقال الشاعر:

يداك يد خيرها يرتجى ... وأخرى لأعدائها غائظه

فأما التي خيرها يرتجى ... فأجود جودا من اللافظه

وأما التي شرها يتقى ... فنفس العدو بها فائظه

قيل: وخرج معاوية بن أبي سفيان ذات يوم فقام إليه رجل فقال: قد أملتك لمهم فما عوضي من ذلك؟ قال: إبلاغك أمنيتك فتمن، قال: ألف دينار، قال: هي لك ومثلها استظهارا لبقاء النعمة عليك.

وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه: يا بني إن ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودوابكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم، وكان يقول لولده: لا تتكلوا على ما سبق من فعلي وافعلوا ما ينسب إلي، ثم قال متمثلا:

إنما المجد ما بنى والد الصد ... ق وأحيا فعاله المولود

ويقول: ابتداء الفضل يد موفورة والبذل بعد الطلب يد مقبوضة.

فأما صلات الخلفاء وسخاؤهم فإنه حدثنا هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي قال: حدثني علي بن صالح قال: كنت يوما على رأس الهادي وأنا غلام وقد جفا المظالم ثلاثة أيام عاقر العقار فيها، فدخل عليه الحراني فقال: يا أمير المؤمنين إن العامة لا تقاد، أو قال: لا تنقاد لما أنت عليه، لم تنظر في المظالم منذ ثلاثة أيام، فالتفت إلي فقال: يا علي ائذن للناس علي بالجفلى لا بالنقرى، فخرجت من عنده وأنا أطير على وجهي لا أدري ما قال لي، فقلت: أرجع فأسأله عما قال فيقول تحجبني ولا تعلم كلامي؟ ثم أدركني ذهني فبعثت إلى أعرابي كان وفد علينا فسألته عن الجفلى والنقرى، فقال: الجفلى جفالة الرجال والنقرى ترتيبهم، فأمرت بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت فدخل الناس على بكرة أبيهم فلم يزل ينظر في المظالم إلى الليل، فلما تقوض المجلس قلت: يا أمير المؤمنين كلمتني بكلام لم أعرفه فبعثت إلى أعرابي كان عندي ففسره لي وفهمني فكافه عني يا أمير المؤمنين، فقال: نعم مائة ألف درهم تحمل إليه، فقلت: يا أمير المؤمنين أعرابي جلف وفي عشرة آلاف درهم ما أغناه! فقال: ويحك أجود وتبخل؟." (١)

"قيل: وكلم رجل سقراط بكلام أطاله فقال: أنساني أول كلامك طول عهده وفارق آخره فهمي بتفاوته. قيل: ولما قدم ليقتل بكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: تقتل ظلما. قال: وكنت تحبين أن أقتل حقا! قيل: ودخل رجل على معاوية ومعه ابن له يتوكأ عليه فقال: من هذا الغلام معك؟ قال: ابن لي يتيم. قال: حق لمن كنت أباه أن يكون يتيما.

محاسن الكلام في الحكمة

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٩٢

اصبر محتسبا مأجورا وإلا صبرت مضطرا مأزورا.

المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين إن بقيت لم يبق الهم.

إذا حضر الأجل افتضح الأمل. الأمل يتخطى الأجل.

من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة.

لا يستبطأ الدعاء بالإجابة وقد سدت طريقه بالذنوب.

واجد لا يكتفي وطالب لا يجد.

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه.

شكرك نعمة سالفة يقتضي لك نعمة مستأنفة.

من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم.

لولا من يقبل الجور لم يكن من يجور.

من مدحك بما ليس فيك فحقيق بأن يذمك بما ليس فيك.

من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب بخل.

عالم معاند خير من جاهل منصف.

أطع من هو أكبر منك ولو بليلة.

حافظ على الصديق ولو في حريق.

أعظم المصائب انقطاع الرجاء.

إذا كفيت فاكتف.

الليل أخفى للويل.

عين عرفت فذرفت.

لم يفت من لم يمت.

أصدع الفراق بين الرفاق.

محاسن البلاغة

يقال في المثل: هو أبلغ من قس، وكان من حكماء العرب، وهو أول من كتب من فلان إلى فلان، وأقر بالبعث من غير نبي، وأول من قال البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه. وقال فيه الأعشى:

وأبلغ من قس وأجرا من الذي ... بذي الغيل من خفان أصبح خادرا

قال: وسئل أرسطاطاليس عن البلاغة فقال: أن تجعل في المعنى الكثير كلاما قليلا وفي القليل كلاما كثيرا.

ووصف آخر بلاغة رجل فقال: كيف قادهم الله بأزمة أنوفهم إلى مصارع حتوفهم.

وقال اليوناني: البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام.
وقال الرومي: البلاغة حسن الاقتصاد عند البديهة والاقلال عند الإطالة.
وقال الهندي: البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة.
وقال الفارسي: البلاغة أن تعرف الفصل من الوصل.
وقال إبراهيم الإمام: يكفي من حظ البلاغة أن يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء إفهام السامع.
وسئل آخر عن البلاغة فقال: أن تجعل بينك وبين الإكثار مسورة للاختصار.
وقال أحنف: البلاغة الوقوف عند الكفاية وبلوغ الحاجة بالاقتصاد.
وقال معاوية لصحار العبدي: ما البلاغة؟ فقال: أن تجيب فلا تبطيء وتقول فلا تخطيء.
وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: أن لا تبطيء ولا تخطيء.
وقيل: البليغ من أغناك عن التفسير.
وقال خالد بن صفوان: ليست البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى والقصد للحجة.
محاسن الأدب
قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: كفى بالأدب شرفا أنه يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب نسب إليه، وكفى بالجهل خمولا أنه يتبرأ منه وينفيه عن نفسه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه. فأخذ بعض المولدين معنى قوله فقال:
ويكفي خمولا بالجهالة أنني ... أراع متى أنسب إليها وأغضب
وقال، رحمة الله عليه: قيمة مل امريء ما يحسن. فرواه بعض المحدثين شعرا فقال:
قال علي بن أبي طالب ... وهو اللبيب الفطن المتقن
كل امريء قيمته عندنا ... وعند أهل العلم ما يحسن
وأنشد أبو الحسن بن طباطبا العلوي لنفسه:
حسود مريض القلب يخفي أنينه ... ويضحي كئيب البال عندي حزينه
يلوم على أن رحت في العلم راغبا ... وأجمع من عند الرواة فنونه
فأعرف أبكار الكلام وعونها ... وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى ... ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وقيل: الأدب حياة القلب ولا مثيبة أعظم من الجهل. وأنشدنا الكسروي:
عي الشريف يزين منصبه ... وترى الوضيع يزينه أدبه." (١)

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٧٤

"**قيل في المثل**: هو أجبن من هجرس، وهو القرد، وذلك أنه لا ينام إلا في يده حجر مخافة أن يأكله الذئب. وحدثنا رجل بمكة قال: إذا كان الليل رأيت القرود تجتمع في موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحدا في إثر واحد في يد كل واحد منها حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها، فإن نام واحد وسقط الحجر من يده فزعت فتحول الآخر فصار قدامها فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع الذي باتت فيه على ثلاثة أميال وأقل وأكثر جبنا.

وقيل أيضا: هو أجبن من صافر، وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفا من أن ينام فيؤخذ. ويقال أيضا: إن الصافر هو الذي يصفر لريبة. وذكروا أن رجلا كان يأتي امرأة وهي جالسة مع بنيها وزوجها فيصفر لها فتقوم وتخرج عجزها من وراء الباب وهي تحدث ولدها فتقضي حاجتها وحاجته وينصرف. فعلم بذلك بعض بنيها فغاب عنها يومها ثم جاء في ذلك الوقت وصفر ومعه مسمار محمى، فلما جاءت لعادتها كواها به، فجاء الرجل بعد ذلك فصفر فقالت: قد قلينا صفيركم، فضربه الكميت مثلا في قوله:

أرجو لكم أن تكونوا في مودتكم ... كلبا كورهاء تقلي كل صفار

لما أجابت صفيرا كان يألفها ... من قابس شيط الوجعاء بالنار

وقيل أيضا: هو أجبن من المنزوف ضرطا، وكان من جبنه أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام إلى الضحى فإذا أتينه بصبوحه قلن له: قم فاصطبح، فيقول: لو لعادية تنبهنني، فقلن: هذه نواصي الخيل. فجعل يقول: الخيل الخيل! ويضرط حتى مات، فضرب به المثل.

قيل: وخرج رهم بن خشرم الهلالي ومعه أهله وماله يريد النقلة من بلد إلى بلد، فلقيه قوم من بني تغلب فدهش ورعب رعبا شديدا فقال: يا بني تغلب شأنكم المال وخلوا عن الظعينة. فقالوا: رضينا إن ألقيت الرمح. فرجع إليه عقله وقال: أومعي رمح! وحمل عليهم فقتل منهم رجلا ثم صرع آخر وأنشأ يقول:

ردا على آخرها الأتاليا ... إن لها بالمشرفي حاذيا

ذكرتني الطعن وكنت ناسيا

فانهزم الباقون ونجا هو بالمال والظعينة ومر نحو وطنه سالما.

قيل: وكان في بني ليث رجل جبان فخرج رهطه وبلغ ذلك ناسا من بني سليم كانوا أعداءهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مفرا ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه، فلما رأى ذلك جلس ثم أبرز كنانته وأخذ قوسه وقال:

ما علتي وأنا جلد عابل ... والقوس من نبع لها بلابل

يرن فيها وتر عنابل ... إن لا أقاتلكم فأمي هابل

أكل يوم أنا عنكم ناكل ... لا أطعن القوم ولا أقاتل

الموت حق والحياة باطل

فقاتلهم فانهزموا فصار بعد ذلك أشجع قومه.

قيل: وخرج أبو دلامة مع روح بن حاتم إلى بعض الحروب، فلما التقى الجمعان قال أبو دلامة لروح: أصلح الله الأمير! لو أن تحتي فرسا من خيلك وفي وسطي ألف دينار لأشجيت أعداءك نجدة وإقداما. فقال روح: ادفعوا إليه ذلك. فدفع إليه فلما أخذه أنشأ يقول:

إني أعوذ بروح أن يقدمني ... إلى القتال فيشقى بي بنو أسد

إن المهلب حب الموت أورثكم ... ولم أرث نجدة في الموت من أحد

فأجابه روح:

هون عليك فلن أريدك في الوغى ... لتطاعن وتنازل وضراب

كن آخرا في القوم تنظر واقفا ... فإن انهزمت مشيت في الهراب

فأجابه أبو دلامة:

هذي السيوف رأيتها مشهورة ... فتركتها ومضيت في الهراب

ماذا تقول لما يجيء ولا يرى ... من بادرات الموت من نشاب

فضحك روح فأعفاه وانصرف.." (١)

"قال: وكتب أعرابي إلى حماد الراوية المعروف بعجرد، وكان حماد يستثقله:

إن لي حاجة فرأيك فيها ... لك نفسي الفدا من الأوصاب

وهي ليست مما يبلغها غي ... ري ولا أستطيعها في كتاب

غير أني أقولها حين ألقا ... ك رويدا أسرها باكتئاب

فكتب إليه: اكتب بالحاجة يا ثقيل. فكتب:

إني عاشق لجبتك الدك ... ناء عشقا قد حال دون الشراب

فاكسنيها فدتك نفسي وأهلي ... أتمزى بها على أصحابي

ولك الله والأمانة إني ... أجعلنها عمري أمير ثيابي

وقد قيل: إذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل.

ومما قيل فيهم من الشعر:

سألتك بالله إلا صدقت ... وعلمي بأنك لا تصدق

أتبغض نفسك من بغضها ... وإلا فأنت إذا أحمق

ولآخر:

قل للبغيض أخي البغي ... ض ابن البغيض ابن البغيضه

أنت الذي حملتك أ ... مك بين فاحشة وحيضه

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢٠٨

ضاقت على الثقلين من ... بغضائك الأرض العريضه

ودعت ملائكة السما ... ء عليك دعوى مستفيضه

ولآخر:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته ... كما تبرمت الأجفان بالسهد

يمشي على الأرض مجتازا فأحسبه ... من بغض طلعته يمشي على كبدي

ولآخر:

شخصك في مقلة النديم ... أثقل من رعية النجوم

يا رائحا روحة علينا ... أثقل من سبة اللئيم

إني لأرجو بما أقاسي ... منك خلاصا من الجحيم

ولآخر:

يا مفرعا في قالب البغض ... بغضك يشكوك إلى بغض

كأنما تمشي على ناظري ... إذا تخطأت على الأرض

ولآخر:

يا من له حركات ... على النفوس ثقيله

وليس يعرف معنى ... قصيرة من طويله

أورثني بجلوسي ... إليك حمى مليله

فاصفع لنفسك عني ... فإن كفي عليله

ولآخر:

أيا من أعرض الرب ... عن العالم من بغضه

ومن عاذ مليك المو ... ت بالرحمن من قبضه

ويا من بغضه يشه ... د بالبغض على بغضه

مساوئ الحمقى

قيل في المثل: هو أحمق من عجل، هو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وذلك أنه قيل له: ما سميت فرسك؟ ففقأ عينه وقال: الأعور، أو قال: سميته أعور. وقال الشاعر فيه وفي قومه:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وأي امريء في الناس أحمق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده ... فصارت به الأمثال تضرب في الجهل

ويقال: هو أحمق من هبنقة، وبلغ من حمقه أنه ضل له بعير فجعل ينادي: من وجد البعير فهو له. فقيل له: فلم تنشده؟ قال: وأين حلاوة الوجدان! واختصمت إليه بنو الطفاوة وبنو راسب في رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء، فقالت الطفاوة: هذا

من عرافتنا. وقالت بنو راسب: هذا من عرافتنا. ثم قالوا: قد رضينا بأول طالع علينا. فطلع عليهم هبنقة، فلما رأوه قالوا: إنا لله! من طلع علينا؟ فلما دنوا قصوا عليه قصتهم فقال هبنقة: الحكم في هذا بين، يذهب به إلى نهر البصرة فيلقى فيه فإن كان راسبيا رسب وإن كان طفاويا طفا. فقال الرجل: لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لي في الديوان. وكان هينقة يرعى غنم أهله فيرعى السمان في العشب وينحي المهازيل عنه. فقيل له: ويحك ما تصنع؟ فقال: أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله. أو قال: لا أفسد ما أصلح ولا أصلح ما أفسد الله. وقال الشاعر:

عش بجد فلن يضرك نوك ... إنما عيش من ترى بالجدود

عش بجد وكن هبنقة العي ... سي نوكا أو شيبة بن الوليد

رب ذي إربة مقل من الما ... ل وذي عنجهية مجدود

وكان شيبة من عقلاء العرب.." (١)

"مخوف المسالك، وألقي بيدي إلى المهالك [١] ، ومع ذلك فاني رجل وجل من السلطان، مشرد عن/ الأهل والأوطان، وحتى إني [٢] أعثر في الندرة بواحد مثلك، وأتركه يمضي إلى منزل رحب، وعيش رطب، وماء عذب، وأبقى أنا ههنا أكابد التعب، وأناصب النصب، وأجاهد السغب [٣] ، وأنشد له [٤] : [الوافر]

تري عينيك ما لم ترأياه ... كلانا عالم بالترهات

قال أبو العباس، قال له القاضي: يا هذا، إني أراك شابا فاضلا، ولصا عاقلا، ذا وجه صبيح، ولسان فصيح، ومنظر وشارة، وبراعة وعبارة. قال له اللص: هو كما تذكر، وفوق ما تنشر. قال له القاضي: فهل لك إلى خصلة تعقبك أجرا، وتكسبك شكرا، وتحقبك ذخرا، ولا تهتك مني سترا، ومع ذلك فاني مسلم الثياب إليك، ومتوفز [٥] بعدها عليك. قال اللص: وما هذه الخصلة؟ قال القاضي: تمضي معي إلى البستان، فأتوارى بالجدران، وأسلم إليك الثياب، وتمضي على المسار والمحاب.

قال اللص: يا سبحان الله، تشهد لي بالعقل، وتخاطبني بالجهل،/ ويحك، من أمنني منك أن يكون لك في البستان غلامان جلدان علجان [٦] ، ذوا سواعد شديدة، وقلوب غير رعديدة، يشداني وثاقا، ويسلماني إلى السلطان، فتحكم في آراؤه، ويقضي علي ما يشاؤه، فاما أن يوردني الحتف، وإما أن يسومني الخسف.

قال له القاضي: لعمري إنه من لم يفكر في العواقب، فليس للدهر بصاحب، وحقيق بالرجل من كان السلطان له مراصدا، وحقيق باعمال الحيل من كان لهذا الشأن قاصدا، وسبيل العاقل أن لا يغتر بعدوه، بل يكون منه على حذر، وإن كان لا حذر من قدر، ولكني أحلف لك ألية [٧] مسلم، وجهد مقسم، أني لا أوقع بك مكرا، ولا أضمر لك غدرا.

فقال اللص: لعمري لقد حسنت عبارتك ونمقتها، وحسنت إشارتك وطبقتها، ونثرت [٨] حب خبرك على فخ خيرك، وقد قيل في المثل السائر على ألسنة العرب،

---

[١] في ش: في المهالك.

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢٥٠

[٢] في ش: ومتى إني.

[٣] في ب: وأشاهد الشغب.

[٤] البيت لسراقة البارقي في ديوانه ص ٧٨ تحقيق حسين نصار، ط لجنة التأليف ٧٤٩١. ورواية الديوان:

أري عيني ما لم ترأياه. والقياس أن يقول: ما لم ترياه، ويكون في الشطر زحاف.

[٥] متوفز: معجل، والوفز: العجلة، وتوفز لكذا: تهيأ له.

[٦] العلج من الرجال: الشديد الكثير الصرع لأقرانه، المعالج للأمور، والعلج: كل جاف شديد من الرجال.

(اللسان: علج)

[٧] الألية: اليمين.

[٨] في ش: ونشرت.." (١)

"وقيل له ذلك: لعظم قدره وتفاقم خطبه، ومنه رفقة دجالة إذا كانت كبيرة، ومنه دجلة من كبرها في الأنهار.

وقال أبو حاتم في "كتاب الزينة" (١): الدجال مأخوذ من الدجل، والدجل والدجن جميعا وهو التباس الغيم وظلمته، فكأن الدجال فعال من الدجل وهو الظلام والتباس الغيم، فكأنه يلبس على الناس ويظلم عليهم أمر دينهم حتى لا يعرفون رشدهم، فيدعي الربوبية.

تنبيه على وهم وتعليم على جهل (٢):

رواه بعضهم: المسيخ بالخاء المعجمة، على معنى فعيل، بمعنى مفعول، من المسخ (٣)، وهو تغير الخلقة المعتادة، وكأنه بجهله كره أن يشترك مع عيسى بن مريم في الاسم والصفة، وليس يلزم من الاشتراك في الحالات الاشتراك في الدرجات، وقد بيناه قبل، بل أغرب من ذلك أنه لا يضر الاشتراك في المحاسن.

وقد جاء آخر بجهالة أعظم من الأول فقال: إنه مسيخ بتشديد السين والخاء المعجمة (٤)، فجاء لا فقه ولا لغة، كما **قيل في المثل**: لا عقل ولا قرآن؛ لأن فعيلا من أبنية الفاعلين، ومسيح من معاني المفعولين وهما ضدان والله أعلم.

وقال أبو القاسم الجوهري (٥): "سمي ابن مريم مسيحا؛ لأنه مسح بالبركة حين ولد، وسمي الدجال مسيحا بالتخفيف من سياحته؛ لأنه ممسوح العين اليمنى" وهذا هو الصحيح.

---

(١) لوحة: ٤٧٤ مخطوطة دار صدام.

(٢) انظر النصف الأول من هذا التنبيه في القبس: ٣/ ١١٠٦ - ١١٠٧، والقسم الثاني -من بداية قول الجوهري- اقتبسه المؤلف من المنتقى: ٧/ ٢٣١.

(٣) وهو قول أبي الهيثم الرازي، نقله عنه الهروي في الغريبين: ٥/ ٢٧٢، وانظر: إكمال المعلم: ١/ ٥٢٠.

---

(١) المحاضرات والمحاورات   السيوطي ص/٤٣٢

(٤) أشار عياض في إكمال المعلم: ١/ ٥٢٠ إلى هذا الرأي.

(٥) في مسند الموطأ: ٥٣٥ بألفاظ متقاربة.." [١]

"وكرمان، وكثر تبعه، وقوي أمره، وملك تلك البلاد، وكانت بينه وبين عمال مروان وقائع وحروب كثيرة، ولم يزل هناك إلى أن جاءت الدولة العباسية، ثم حاربه مالك بن الهيثم صاحب أبي مسلم فظفر به، وحمله إلى أبي مسلم (١).

وكان مروان بن محمد في خلافته عقد العهد بعده لابنيه: عبد الله وعبيد الله، أحدهما بعد الآخر، فقتل مروان، وخرج الأمر من بني أمية، وهرب عبد الله وعبيد الله ابنا مروان إلى بلاد النوبة، فقتل عبد الله هناك، وعاش عبيد الله إلى أيام المهدي مستخفيا ثم مات.

وقيل: ملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم قتله ابن عمه يزيد بن الوليد ابن عبد الملك في جمادى الآخرة، فملك بعده يزيد ستة أشهر، وهلك في ذي الحجة، وبويع إبراهيم بن الوليد في ذي الحجة، فسار إليه مروان بن محمد، ويقال: مروان الجعدي، سنة سبع، وخلع إبراهيم نفسه وملك مروان.

ثم بويع فيها مروان بن محمد بن الحكم، ويقال: مروان الجعدي نسب إلى رأي الجعد بن درهم، ويلقب بالحمار، وهو آخر من ملك من بني أمية (٢).

---

(١) مالك بن الهيثم هو ابن عوف بن وهب بن عميرة، أبو نصر الخزاعي المروزي أحد وجوه دعاة بني العباس، ينظر: تاريخ دمشق ٥٦/ ٥١٦.

(٢) لقب بالحمار لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه، كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب، **ويقال في المثل**: فلان أصبر من حمار في الحروب، فلذلك لقب به، وقيل: لأن العرب تسمي كل مائة سنة حمارا، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك، ينظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٢.." [٢]

"[وافر]

ونجى يوسف الثقفي ركض ... وذلك [١] بعد ما سقط اللواء

ولو أدركنه لقضين نحبا ... به ولكل مخطئة وقاء [٢]

فمات «يوسف» و «الحجاج» على «المدينة» ، فنعاه على المنبر.

فولد «يوسف» : الحجاج، ومحمدا، وزينب.

فأما «محمد بن يوسف» فولاه «عبد الملك» «اليمن» ، فلم يزل واليا حتى مات بها. فولد «محمد بن يوسف» : يوسف بن محمد، ومصعب بن محمد، وعمر بن محمد، وأم الحجاج.

فأما «يوسف بن محمد» فولاه «الوليد بن يزيد» خلافته «١» .

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك   ابن العربي ٣١٩/٧

(٢) المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة   ابن منده عبد الرحمن بن محمد ٢٦٢/٣

وأما «عمر بن محمد» فكان تائها متكبرا، فقال/ ٢٠٢/ «الوليد» ل «أشعب» :

إن أضحكته فلك خلعتي. فلم يزل يحدثه حتى أضحكه. فأخذ خلعة «الوليد» .

وأما «أم الحجاج» فهي: أم الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

وعقب «محمد بن يوسف» ب «الشام» .

وأما «الحجاج بن يوسف» فكان يكنى: أبا محمد، وكان أخفش، دقيق الصوت، وأول ولاية وليها «تبالة» ، فلما رآها احتقرها وانصرف، **فقيل في المثل**: أهون من «تبالة» على «الحجاج» . وولى شرط «أبان بن مروان» في بعض الحالات؟ «أبان» ، فلما خرج «ابن الزبير» ، وقوتل زمانا، قال «الحجاج» ل «عبد الملك» : إني رأيت في منامي كأني أسلخ «عبد الله بن الزبير» ، فوجهني إليه.

[؟] في ألف رجل، وأمره أن ينزل «الطائف» حتى يأتيه رأيه، ثم كتب

---

[١] ق، هـ، و: «دراك» .

[٢] ق: «وفاء» .." (١)

"مصقلة بن هبيرة

هو من «بني شيبان» ، وكان مع «علي بن أبي طالب» -كرم الله وجهه- ثم هرب إلى «معاوية» فهدم «علي» داره. وقال «مصقلة» حين فارقه:

[طويل]

قضى وطرا منها علي فأصبحت ... إمارته فينا أحاديث راكب

ثم بعث «مصقلة» رجلا نصرانيا، ليحمل عياله من «الكوفة» ، فأخذه «علي» فقطع يده. وولاه «معاوية» «طبرستان» ، فمات بها. **فيقال في المثل:**

حتى يرجع مصقلة من طبرستان. وله عقب ب «الكوفة» ، ودار ب «البصرة» .

مصقلة بن رقبة

هو من «عبد القيس» . وأمه جرمقانية. وكان من [١] أخطب الناس زمن «الحجاج» وبعده. فولد «مصقلة» : كرز بن مصقلة، ورقبة بن مصقلة.

[وكانا خطيبين [٢] . وكانت ل «كرز» خطبة يقال لها: العجوز.

٢٠٦/ خالد بن صفوان

هو: خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم. واسمه: سنان بن سمي بن سنان ابن خالد بن منقر بن عبيد بن تميم. وسمي «سنان» : «الأهتم» لأن «قيس ابن عاصم المنقري» ضربه بقوسه فهتم فمه. وكان «صفوان» أبو خالد، ولي رياسة «بني

---

(١) المعارف الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٣٩٦

تميم» أيام «مسعود» ، وكان خطيبا. وشهد «الحسن» وصيته، فأوصى بمائة ألف وعشرين ألف درهم، وقال: أعددتها لعض الزمان، وجفوة

---

[١] هـ، و: «وكان أخطب» .

[٢] تكملة من: هـ، و.." (١)

"ابن أبي مليكة

هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان التيمي. من «قريش» ، رهط «أبي بكر الصديق» – رضى الله تعالى عنه.

واسم «أبي مليكة» : زهير.

وذكر أبو اليقظان:

أن «عبد الله بن جدعان» كان عقيما، فادعى رجلا، فسماه «زهيرا» ، وكناه «أبا مليكة» ، فولده كلهم ينسبون إلى «أبي مليكة» ، وفقد «أبو مليكة» فلم يرجع.

وكان عمل عصيدة، ثم خرج في حاجة فلم يرجع، **فقيل في المثل**: لا أفعل كذا حتى يرجع «أبو مليكة» إلى عصيدته.

وله أخ يقال له: «أبو بكر بن عبيد الله» ، قد روى عنه.

وتوفي «عبد الله بن أبي مليكة» سنة سبع عشرة ومائة.

وابن عمه «على بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة» من فقهاء أهل «البصرة» .

ومات بموضع يقال له: «سيالة» من بلاد «ضبة» . ولا عقب له.

سليمان التيمي

هو: سليمان بن طهمان. من موالي «عمرو بن مرة بن عباد» من [١] «ضبيعة» .

ويكنى: أبا المعتمر. ونسب إلى «بنى تيم» ، لأن منزله ومسجده فيهم.

---

[١] هـ، و: «بن» .." (٢)

"حرف التاء

تاراء:

بالمد والراء المهملة، موضع بين المدينة وتبوك، فيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المعارف الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٤٠٣

(٢) المعارف الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٤٧٥

وقولهم: «فيه مسجد» ليس معناه أن الرسول بنى المسجد، وإنما يريدون أن هذا المكان صلى فيه رسول الله، فاتخذه الناس من بعده مسجدا.

تبار:

موضع على ستة أميال من خيبر في طريق المدينة، له ذكر في قصة زواج رسول الله من صفية.

تبالة:

بفتح أوله: واد ذو قرى ومياه ونخل، يقع جنوب شرقي الطائف على مسافة مائتي كيل؛ في تهامة عسير، وهي أيضا بلدة، قيل: أسلم أهل تبالة وجرش من غير حرب، فأقرهما رسول الله في أيدي أهلهما على ما أسلموا عليه، وكان فتحها في سنة عشر..

وفي الكتب القديمة: أنها موضع ببلاد اليمن ... والمسمى القديم ل «اليمن» ، كان يشمل جنوب السعودية. **ويقال في المثل**: أهون من تبالة على الحجاج.. ذلك أنها أول عمل تولاه، فلما رآها من بعيد استصغرها، فرجع، وقال: «أهون بها ولاية» .

تبوك:

مذكورة في غزوة تبوك، وجيش العسرة. تبعد عن المدينة شمالا (٧٧٨) كيلا. [انظر: مخطط المدينة] .

تثليث:

أوله تاء مفتوحة ثم ثاء مثلثة: واد فيه قرى ومزارع يقع شرقي وادي بيشة، وهما شرق الطائف.

التجبار:

موضع في ديار ينبع، له ذكر في غزوة بدر. نزله طلحة، وسعيد بن زيد، وهما يتجسسان أخبار عير قريش.

تجيب:

(قبيلة) كانت تسكن «الكسر» في وسط حضرموت. قدم وفدهم على رسول الله بصدقات قومهم.." [١]

"يريد إني ممتنع، تسرطها تزدردها **يقال في المثل** الأكل سريطي والقضاء ضريطي، ويقال الأكل سلجان والقضاء ليان، وسلفع اسم كلبة، وقال أبو خراش الهذلي لابنه حين هاجر في خلافة عمر:

فإنك وابتغاء البر بعدي ... كمخضوب اللبان ولا يصيد

---

(١) المعالم الأثيرة في السنة والسيرة محمد حسن شُرَّاب ص/٦٩

هذا مثل يعني الكلب تلطخ صدره وحلقه بالدم ترى الناس أنه قد صاد ولم يصد شيئا، وقال آخر:

فلا ترفعي صوتا وكوني قصية ... إذا ثوب الداعي فأنكرني كلبي

إنما ينكره كلبه إذا لبس سلاحه يخبر أن سلاحه تام يقول إياك والصراخ إذا عاينت الجيش، وقال آخر:

إذا خرس الفحل وسط الحجور ... وصاح الكلاب وعق الولد

الفحل إذا عاين الجيش وبوارق السيوف لم يلتفت لفت الحجور، والكلاب تنج أربابها لأنها لا تعرفهم للبسهم الحديد، والمرأة تذهل عن ولدها ويشغلها الرعب فجعل ذلك عقوقا، قالوا ومنه يقال: أمر لا ينادي وليده، أي تشتغل المرأة عن ولدها فلا تناديه.

وقال آخر – وهو طفيل الغنوي:

أناس إذا ما الكلب أنكر أهله ... حموا جارهم عن كل شنعاء مضلع

وقال آخر:." (١)

"وفينا إذا " ما " الكلب أنكر أهله ... غداة الصباح المانعون الدوابرا

وقال الكميت:

واستثفر الكلب إنكارا لمولغه ... في حولة قصرت عن نعتها الحول

استثفر الكلب أدخل ذنبه بين رجليه، لم يعرف من يسقيه لأنه قد لبس الحديد فأنكره، والحولة الداهية.

وقال زيد الخيل:

يتبعن نضلة أير كلب منعظ ... عض الكلاب بعجبه فاستثفرا

وقال الكميت:

فإنكم ونزارا في عداوتها ... كالكلب هر جدا وطفاء مدار

الأصل في هذا أن كلبا ألحت عليه السماء بالمطر أياما ثم طلعت الشمس فذهب يتشرق فلم يشعر إلا بسحابة قد أظلته ففزع ورفع رأسه وجعل ينبح، **ويقال في المثل** " وهل يضر السحاب نباح الكلاب ".

وقال آخر:

وما لي لا أغزو وللدهر كرة ... وقد نبحت نحو السماء كلابها

يقول: كنت أدع الغزو قبل الغيث فما عذري اليوم وقد جاء المطر وامتلأت الغدران، والكلب ينبح السحاب من الحاج المطر.

وقال الأفوه الأودي وذكر سحابا:

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٣١/١

فباتت كلاب الحي ينبحن مزنه ... وأضحت بنات الماء فيه تعمج

أي تتلوى.." (١)

"المعزب الصائد لأنه لا يأوي إلى أهله، حملقت قلبت حملاق عينها.

والمعنى أن شتمكم إياي لا يذهب باطلا فأكون بمنزلة الحباري التي لا حيلة عندها إذا وقعت في الحبالة إلا تقليب عينيها وهي من أذل الطير، ونحو منه قول الكميت:

وعيد الحباري من بعيد تنفست ... لأزرق معلول الأظافر بالخضب

وقال الراعي:

تنوش برجليها وقد بل ريشها ... رشاش كغسل الوفرة المتصبب

تنوش برجليها أي تضرب بهما، والغسل الخطمي يريد سلحت على ريشها، **ويقال في المثل** " أسلح من حباري " ولها خزاية بين دبرها وأمعائها لها فيها سلح رقيق لزج فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه فصار كالدبق في جناحه وبقي كالمنتوف فعند ذلك تجتمع الحباريات عليه فينتفن ريشه كله وفي ذلك هلاكه.

وقال الشاعر:

وهم تركوك أسلح من حباري ... وهم تركوك أشرد من نعام

وقال متمم بن نويرة:." (٢)

"الهديل هاهنا الفرخ بعينه، والشريب الكثير الشرب، وقال الكميت لقضاعة في تحولهم إلى اليمين:

وما من تهتفين به لنصر ... بأقرب جابة لك من هديل

العرب تقول كان في سفينة نوح فرخ فلما دف طار فوقع في البحر فغرق الطير فالطير كلها تبكي عليه، قال:

يبكي بقارعة الطريق هديلا

جابة إجابة **ويقال في المثل** " أساء سمعا فأساء جابة ".

وقال ابن مقبل:

في ظهر مرت عساقيل السراب به ... كأن وغر قطاه وغر حادينا

أصوات نسوان أنباط بمصنعة ... يجدن للنوح واجتنبن التبابينا

يجدن لبسن البجد، شبه أصوات قطاه لكثرتها بأصوات حداة. وشبه أصوات الحمام بأصوات نساء من النبط مثاكيل.

وقال جران العود:

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٣٢/١

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٩٣/١

واستقبلوا واديا صوت الحمام به ... كأنه صوت أنباط مثاكيل

ثم ذكر موضع المصنعة فقال:." (١)

"الفرقاء الفرق الذي في المنسم، ومجذاؤه منقاره وقيل ما يجذو عليه أي ينتصب.

وقال أوس بن حجر:

وينهي ذوي الأحلام عني حلومهم ... وأرفع صوتي للنعام المخزم

جعله مخزما للخرقين اللذين في عرض أنفه وهو في موضع الخزامة من البعير.

وقوله أرفع صوتي للنعام فخصه لنفاره وشروده وموقه وسوء فهمه فضربه مثلا للجهال، يقول: الحكيم يكفينيه حلمه والجاهل أزجره أشد الزجر.

وقال سهم بن حنظلة يهجو بني عامر:

إذا ما لقيت بني عامر ... رأيت جفاء ونوكا كبيرا

نعام تمد بأعناقها ... ويمنعها نوكها أن تطيرا

وقال بشر بن أبي خازم:

وأما بنو عامر بالنسار ... فكانوا غداة لقونا نعاما

نعاما بخطمة سعر الخدو ... دلا تطهم الماء إلا صياما

شبههم بالنعام حين هربوا مسرعين.

ويقال في المثل: أشرد من نعام.

قال الشاعر:." (٢)

"لهدجدج جرب مساعره ... قد عادها شهرا إلى شهر

وديعته بيضته، والهجهاج الظليم وهو الجافي الفزع، وعاذ موضع منسوب إلى البيض كأن النعام تبيض فيه، وقال ابن هرمة:

فإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفي زندا شحاحا

كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا

ويقال في المثل: أموق من نعامة، وذلك أنها ربما خرجت للطعم فرأت بيض نعامة أخرى قد خرجت لمثل ما خرجت له فتحضن بيضها وتدع بيض نفسها، ويقال: أخرق من حمامة، وذلك لأنها لا تجيد عمل العش وربما وقع البيض فانكسر، قال عبيد:

عيوا بأمرهم كما ... عيت ببيضتها الحمامه

جعلت لها عودين من ... نشم وآخر من ثمامه

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/٢٩٧

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/٣٤٠

النشم شجر يتخذ منه القسي صلب، والثمام نبت ضعيف، يقول قرنت هذا بهذا فسقط البيض فانكسر، ويقال أيضا: أخرق من عقعق، لأنه وإن كان حذرا فإنه من الطير الذي يضيع بيضه وفراخه، ويقال: أسرق من كنش، وهو العقعق، وأنشد ابن الأعرابي:

هل تلحقني بالغادين دوسرة ... كأنها ذعلب بالطفي ملتحف

ألقي الثماني على أجساد مطبقة ... بالدومنهن منتوج ومكترف

الطفي خوص الدوم والثماني يريد الثماني ريشات ومن مقاديم." (١)

"يصفيه و يأكله، وأنشد:

إذا عارعين الفحل لم ير أهله ... بأهل ولم يقنع سويد بأربع

كانوا إذا بلغت إبل أحدهم ألفا فقأ عين الفحل فإن بلغت ألفين فقأ العين الأخرى فذلك المفقئ والمعمي وكانوا يزعمون أن ذلك يطرد عنها العين والسواف والغارة، يقول فهذا لما كثر ماله تكبر على أهله واستصغرهم ولم يقنع بأربع نسوة. وقال آخر:

إن كنت ذا نخل وزرع وهجمة ... فإني أنا المثري المضيع المسود

المضيع الذي........

وقال آخر:

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب ... وقد يسود غير السيد المال

ويقال في المثل لا تسأل بمصارع قوم ذهبت أموالهم، أي يموت واحد هاهنا وآخر هاهنا.

وقال آخر:

رمي الفقر بالأقوام حتى كأنهم ... بأطرار آفاق البلاد نجوم

وقال آخر:

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم ... وترمي النوى بالمقترين المراميا." (٢)

"ولا حليلة جاري لست زاعمها ... تصبو إلي وساء الصدق والكذب

يقول قبيح أن أذكر ذلك صادقا أو كاذبا. وأنشد الأصمعي:

صيرني جود يديه ومن ... أهواه في بردة الأخماس

يقال في المثل ليتنا في بردة الأخماس أي ليتنا تقاربنا وتدانينا ويراد بأخماس أن طوله خمسة أشبار. يعني رجلا أعطاه ما وصل به إلى من يحب.

وقال خداش بن زهير:

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٥٩/١

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤٩٧/١

لعمر التي جاءت بكم من شفلح ... لدى نسييها سابغ الإسب أهلبا

أزب جداعي كأن لدى إستها ... أغاني خرف شاربين بيثربا

الشفلح الرجل العظيم الشفة المنقلبها وكذلك هو الفرج العظيم الاسكتين وأراد ها هنا الرحم، والأهلب.......يقال في مثل من أمثال العرب إياك والأهلب الضروط جداعي منسوب إلى." (١)

"حتى إذا قملت بطونكم ... ورأيتم أبناءكم شبوا

وقلبتم ظهر المجن لنا ... إن اللئيم العاجز الخب

قملت كثرت، والبطون القبائل، وأراد قلبتم ظهر المجن لنا ثم أدخل الواو، ومثله قول الله عز وجل: " حتى إذا جاءها وفتحت أبوابها "، والجواب في فتحت فأدخل الواو، وقال ابن الدمينة يمدح رجلا أو قوما:

إذا سفر وأبعد التهجر والسري ... جلوا عن عراب السن بيض الصحائف

أي جلوا عمائمهم عن وجوه يعرب سنها عن كرم أصولهم كما **قيل في المثل**: إن الجواد عينه فراره، يقول: إذا رأيته أغناك منظره عن أن تفر عنه، والسن أي هي مسنونة سنا غريبا، ويروي السن بضم السين وهو جمع سنة الوجه، كقول ذي الرمة:

تريك سنة وجه غير مقرفة ... ملساء ليس بها خال ولا ندب

والصحائف صحائف وجوههم. وقال ذو الرمة:

فأبصرت صحيفة وجهي قد تغير حالها

وقال رؤبة:

إن كنت أعمي فالقنا بالأشهاد ... تنبئك من لم يحصه ذو أسباد

إن تميما كان قهبا من عاد." (٢)

"وقال الطرماح:

يخافتن بعض المضغ من خيفة الردى ... وينصتن للسمع انتصات القناقن

يقال أنه أراد الضفادع واحدها قنقن، ويقال أنهم المهندسون الذين يعرفون مواضع المياه، وإنما يترك النقيق إذا خرج من الماء لأنه لا يقدر عليه حتى يكون في فمه ماء كما أعلمتك، والعلاجيم منها الذكور والسود. وقال أبو وجزة وذكر حميرا وردت ماء:

تنحاز منهن أمة خلقت ... جدا مذبحة منها بأوداج

أي تنحاز من الحمر في الماء أمة يعني السمك وهي مذبوحة بأوداجها، جدا لا أللبان لها، وكان بعض العلماء يزعم أنه أراد القطا ينحاز من الحمر عند الماء، مذبوحة أراد الأطواق في أعناقها كأنه أثر الذبح وكان يري١يه حذا والقطاة حذاء. وقال الكميت:

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني   الدِّينَوري، ابن قتيبة ٥١٢/١

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني   الدِّينَوري، ابن قتيبة ٥٣٣/١

يؤلف بين ضفدعة وضب ... ويعجب أن نبر بني أبينا

اليمن أصحاب بحر فلذلك نسبهم إلى الضفادع وبنو نزار أصحاب بر فلذلك نسبهم إلى الضباب، **ويقال في المثل**: لا يكون ذلك متى تجمع بين الضفدع والضب، وبين الأروى والنعام.

وقال الكميت:

وعطفت الضباب أكف قوم ... على فتح الضفادع مرئمينا." (١)

"وقالت حبى المدينة

وددت بأنه ضب وأني ... ضبيبة كدية وجدت خلاء

تمنت أن يكون لها حران وأن لزوجها أيرين. وقال الطرماح وذكر فلاة:

يقيم بها الذئب الأزل وقوته ... ذوات المرادي من مناق ورزح

ذوات المرادي الضباب والمرادي الصخور واحدها مرادة والضب سيء الهداية فإذا حفر لنفسه حجرا حفره عند صخرة ليجعلها علما له لأنه لا يأمن أن يغلط فيلح على ظربان أو وبر فيأكله، ولذلك **يقال في المثل**: كل ضب عند مرداته، والمناقي السمان، والرزح المهازيل.

إذا استعكدت منه بكل كداية ... من الصخر وافاها لدى كل مسرح

استعكدت تحرزت، والكداية الصخرة، وافاها الذئب لدى كل موضع تسرح فيه. وقال ابن أحمر:

أبلغ سراة بني رفاعةأل ... صق بالغطارف منهم الزهر." (٢)

"يأكل الجراد ولا يقربها فهي تلج في جحره وتجتمع عنده كما تألف الخنافس العقارب، فأما الأعرابي فإنه زعم أنه يعد العقرب فإذا أدخل الحارش يده لسعته. وأنشد ابن الأعرابي لابن دعمي العجلي:

سوى أنكم جربتم فجريتم ... على دربة والضب يختل بالتمر

وقالوا: والضب يعجب بالتمر عجبا شديدا ويحتال لصيده وكذلك العقرب تعجب بالتمر وتصاد به. وقال آخر وهو سالم ابن دارة:

وما التمر إلا آفة وبلية ... على كل هذا الخلق من ساكني البحر

وفي البر من سمع وذئب وعقرب ... وخنفسة تسعى وثرملة تسري

وقد **قيل في الأمثال** إن كنت راعيا ... عذيرك إن الضب يختل بالتمر

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لرجل من أهل الطائف الحبلة أفضل أم النخلة؟ فقال: الحبلة أتربيها وأتشببها وأستظل في ظلها، والبلح يرمق بها، فقال عمر: تأبى ذلك عليك الأنصار، ودخل عليه ابن عبد الرحمن بن محض الأنصاري فقال له

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٦٤٠

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٦٤٥

عمر مثل ذلك فقال: الزبيب إن آكله أضرس، وإن أتركه أغرث، ليس كالصقر في رؤوس الرقل، الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل." (١)

"قوله: أنتم ظرابي أي تفسون في مجالسكم، **ويقال في المثل** أفسى من ظربان. وقال آخر يذكر حوض ماء:

إزاؤه كالظربان الموفى

قال أبو العميثل الأعرابي: كنت أحسب الإزاء ها هنا مصب الماء في الحوض حتى قال الأصمعي هو صاحب الحوض والقيم بالسقى من قولهم فلان إزاء مال وخال مال وخائل مال، أراد انه لصنانه وذفره إذا هو استقى وعرق كالظربان.

وقال الفرزدق:

ولو كنت في نار الجحيم لأصبحت ... ظرابي من حمان عني تثيرها

وقال:

سواسية سود الوجوه كأنهم ... ظرابي غربان بمجرودة محل

سواسية يريد ليس لبعضهم على بعض فضل، ولا يقال سواسية إلا في الذم، والظرابي فوق السنانير في المقدار، ونسبها إلى الغربان لأنها تقع معها على الجيف، مجرودة أرض أكلها الجراد.

الأبيات في اليربوع

قال الفزاري:

جبا العام عمال الخراج وجبوتي ... محذفة الأذناب صفر الشواكل

رعين الدبا والبقل حتى كأنما ... كساهن سلطان ثياب المراجل." (٢)

"خص راعي الضأن لجفائه وجهله بأمر الإبل، **يقال في المثل**: أجهل من راعي ضأن، لا يتقوف من القيافة، أي لا يطلب أمرا يستدل به على نجابته لأن النظر إليه يدل عليه. وقال آخر ويروي لذي الرمة:

كأن القوم عشوا لحم ضأن ... فهم نعجون قد مالت طلاهم

وقال أبو ذؤيب وذكر وقتا من الليل:

إذا الهدف المعزاب صوب رأسه ... وأعجبه ضفو من الثلة الخطل

الهدف الشيخ المسن، والمعزاب الذي يعزب عن أهله في الغنم، صوب رأسه أي نام وأسكنه: ضفو أي اطمأن إلى سعة في ماله يضفو عليه أي يتسع، والثلة الضأن ولا يكون من المعز.

وروي عن العجاج أنه قال في وصف شاة: حسراء المقدم، شعراء المؤخر، إذا أقبلت حسبتها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أي كأنها تعطس، يقول: من أي أقطارها أتيتها وجدتها مشرفة. الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشتري لي شاة

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٦٤٧/٢

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٦٥٢/٢

فقماء تضحك مندلقة خاصرتاها لها ضرع أرقط كأنه ضب، قال وكيف العطل؟ قال: أولهذه عطل؟. العطل طول العنق يقال شاة حسنة العطل قال أبو النجم يذكر فرسا.." (١)

"وقال دواد وذكر ثورا:

ويصبح تارات كما استمع المضل دعاء ناشد

كان أبو عمرو بن العلاء يعجب من هذا البيت، والناشد طالب الضالة يقال نشدتها أنشدها نشدانا، والمنشد المعرف، يقال أنشدت الضالة إنشادا أي عرفتها يريد أن الرجل إذا أضل رأى مضلا ينشد ضالته سأل هذا هذا وهذا هذا، وإنما ذلك لأن كل واحد منهما يظن بصاحبه أنه قد سمع في تطوافه خبر ضالته، ويقال بل يتشوف لذلك لوثا وأنسا كما **قيل في المثل**: الثكلى تحب الثكلى. وقال المثقب العبدي:

يصيخ للنبأة أسماعه ... إصاخة الناشد للمنشد

قال الأصمعي سمعت أبا عمرو يستحسن هذا البيت، يقول إذا سمع صوتا أمال أذنه وتسمع كما يصيخ طالب الضالة لمعرفتها.

فنخب القلب ومارت به ... مور عصافير حشى الموعد

يقول فزع، ومارت به قوائمه من الفزع من الكلاب مور عصافير، وهذا مثل يقال طارت عصافير رأسه من الفزع أي كأنما كانت عصافير على رأسه فطارت منه. ونحو منه:

فلما أتاني ما يقول ترقصت ... شياطين رأسي وأنتشين من الخمر." (٢)

"نزلت وسطه وأصله من الكبد أي نزلت منزلا مشهورا وأنظر ما تفعل.

الداهية والخطة

قال امرؤ القيس:

بدلت من وائل وكندة عد ... وان وفهما صمي ابنة الجبل

يقال للداهية صمي صمام مثل نظار وحذار. وقال ابن أحمر:

فردوا ما لديكم من ركابي ... ولما تأتكم صمي صمام

وقد اختلف في أصل هذا الحرف فقال الأصمعي: بنت الجبل الصدى ويقال إذا دعي على رجل بهلكة " صم صداه ". وقال أبو عبيدة: بنت الجبل هي الحصاة **ويقال في المثل**: صمت حصاة بدم، وذلك إذا اشتدت الحرب وتفاقم الأمر كأنه كثر الدم حتى إذا وقعت فيه حصاة لم يسمع لها صوت. وقال آخر بنت الجبل الحية الصماء التي لا تجيب الراقي وذلك

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٦٩٤

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٧٥٣

أنها تكون في الجبل يقال لها: صمي صمام – أي لا تجيبي، ثم شبهت الداهية بها. وقال الكميت:

إياكم إياكم وملمة ... يقول لها الكانون صمي إبنة الجبل." (١)

"أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع ... بعرض أبيه في المعشر ينفق

يقال في المثل: من باع بعرضه أنفق، يقول من شاتم الناس وجد عرضه نافقا يشتم، يقال أنفق الرجل إذا نفقت تجارته.

وقال:

وذي نعمة تممتها وشكرتها ... وخصم يكاد يغلب الحق باطله

أي نعمة لي على غيري تممتها ونعمة علي شكرتها.

وقال ابن مقبل:

سأترك للظن ما بعده ... ومن يك ذا اربة يستبن

يقول ظني صواب فأنا أمضي له ولا أشك وأترك ما بعده، والأربة العقدة، يعني من كان ذا عقل استبان الأمر لا يشك فيه.

وقال:

فإنك لا تبلو امرءا دون صحبة ... وحتى تعيشا معفيين وتجهدا

يقول لا تعرف الرجل وأخلاقه حتى تصحبه وتبلوه في حال اليسر والعسر أراد معفيين من المكروه وإن كانا مجهودين يقال جهد الرجل فهو مجهود، يقول ... قال:

فلا تكونن كالنازي ببطنته ... بين القرينين حتى ظل مقرونا." (٢)

"علم بما جاء في كتاب "سيبخت" إليه، وأنه يحثه ويدعوه إلى القيام بشعائر الإسلام١.

وقد ذهب بعض أهل الأخبار إلى أن هجرا كانت قاعدة البحرين، وقال بعض آخر: إنها اسم لجميع أرض البحرين، وقد اشتهرت بالتمر، **فقيل في المثل**: كمبضع التمر إلى هجر، كما عرفت بأوبئتها. وقد روي أن الخليفة عمر قال: "عجبت لتاجر هجر وراكب البحر"، كأنه أراد ذلك لكثرة وبائها، فعجب من تاجر يذهب لذلك إليها، كما عجب من راكب البحر؛ لأنه سواء في الخطر. ويظهر أنها كانت كثيرة المياه ذات مستنقعات؛ لذلك تفشت بها الأوبئة. وذكر الإخباريون أنها عرفت بـ"هجر"، نسبة إلى "هجر بنت المكفف"، وكانت من العماليق، أو من العرب المتعربة، وكان زوجها محلم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين، ويقال له: نهر محلم، وهناك عين ماء عرفت بعين هجر وبعين محلم٢.

وذكر أهل الأخبار أن "ملك هجر"، ولم يشيروا إلى اسمه، كان قد سود "زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الخوية"، ووفده على النبي، وأنه كان في جيش "سعد بن أبي وقاص" الذي أرسله إلى العراق، فجعله "سعد" من "أمراء التعبية"٣. ولعلهم قصدوا بذلك المرزبان "سيبخت"، الذي ذهب إليه "العلاء بن الحضرمي" بأمر الرسول ليدعوه إلى الإسلام، فأسلم على يديه.

ويعرف الساحل المقابل لجزيرة "أوال" من جزر البحرين، بـ"السيف" سيف البحر، والسيف في اللغة: ساحل البحر٤، ويليه

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني   الدِّينَوري، ابن قتيبة ٨٥٧/٢

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني   الدِّينَوري، ابن قتيبة ١٢٦٩/٣

"الستار": "ستار البحرين"٥.

و"كاظمة" جو على سيف البحر، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب٦.

---

١ ابن سعد، طبقات "١/ ٢٧٥".

٢ تاج العروس "٣/ ٦١٣ وما بعدها"، البكري، معجم "٣/ ٣٤٦"، البلدان "٥/ ٣٩٣"، المعاني الكبير، لابن قتيبة "٢/ ٩٥٤".

٣ الطبري "٣/ ٤٨٨".

٤ اللسان "٩/ ١٦٧".

٥ صفة "١٣٦ وما بعدها"، "طبعة ابن بليهد"، اللسان "٤/ ٣٤٥".

٦ اللسان "١٢/ ٥٢١ وما بعدها".." (١)

"وينظر الناس إلى "الجبان" نظرتهم إلى النساء، بل هو عندهم دونهن شأنا. لأن المرأة ولدت وفي طبعها اللين والاستسلام، أما الرجل فقد خلق للعراك والقتال، وقد حفظ أهل الأخبار قصصا عن الجبناء وعن تحايلهم في سبيل تخليص أنفسهم من القتال ومن استعمال السيف. وقد اتهموا بتهم. منها: أنهم كانوا ينتابهم "الضراط" عند شعورهم بخوف و بأصوات السيوف. حتى استخفت النساء بهم من أجل ذلك. **قيل في المثل**: أجبن من المنزوف ضرطا. ومن ذلك أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل، فتزوجت إحداهن رجلا كان ينام الصبحة، فإذا أتينه بصبوح، قلن قم فاصطبح، فيقول: لو نبهتنني لعادية، فلما رأين ذلك. قال بعضهن لبعض: إن صاحبنا لشجاع، فتعالين حتى نجربه، فأتينه كما يأتينه، فأيقظنه. فقال: لو لعادية نبهتنني. فقلن هذه نواصي الخيل. فجعل يقول: الخيل الخيل ويضرط، حتى مات. إلى غير ذلك من قصص يرويه الأخباريون١.

---

١ تاج العروس "٥/ ١٧٦"، "ضرط".." (٢)

"إلا الخبز، **فقيل في المثل**: "أقرى من آكل الخبز"، وكان من الأجواد١.

وفي كتاب الأغاني: أن كسرى قال كلامه المذكور المتقدم إلى غيلان بن سلمة، وهو من ثقيف، وكان قد جاء مع أبي سفيان في تجارة إلى العراق. وقد خاف أبو سفيان من الفرس ومن احتمال مصادرتهم أموال تجارتهم، فتقدم غيلان ودخل مع الداخلين إلى بلاط كسرى، وتحدث معه، فأعجب كسرى به، وأخذ يسائله حتى سر منه، فاشترى منه تجارته، وقال له ذلك القول المذكور، وكساه، وبعث له معه من الفرس من بنى له أطما بالطائف، فكان أول أطم بني بها"٢.

وفي المآدب الكبيرة يكون "الثريد"، هو الطعام الرئيسي. ويهيأ بسلق قطع اللحم الملقاة في الماء، وقد يضاف إليه البصل

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام   جواد علي ٢١٢/٧

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام   جواد علي ١٩٢/٨

والحمص، فإذا سلق اللحم ونضج وتولد منه مرق، ألقي مع مرقه على الخبز المثرود في قصع وصحاف، ليأكله المدعوون. والثريد من الأطعمة المحببة إلى نفوس أهل مكة والحجاز، وقد قدم "أبرهة" الثريد إلى الجنود والفعلة الذين أتموا سد مأرب، وذلك يوم الاحتفال بانتهاء العمل. وقد يقابل ذلك ما يقال له "سلوق" و"سليقوت" عند العبرانيين٣. وقد أشير إلى الثريد في قصة ذهاب "هاشم بن عبد مناف" إلى بلاد الشام، والتقائه بهرقل، وتثريده لمن معه ولأهل مكة.

ولازدراء العرب ممن يزرعون البقول والخضر، أحجم الناس عن زراعتها، فقل وجودها في مطابخ أهل الحضر. أما أهل البادية، فإن مآكلهم تكاد تكون خلوا من الخضر المطبوخة؛ لندرة الخضر في البادية، ولأنها تحتاج إلى لحم، وهو نادر في البادية أيضا. ثم إن الطبخ المعقد لا يناسب الحياة في الصحراء؛ لهذا كان المطبخ الجاهلي، مطبخا يكاد يكون مستغنيا عن الخضرة المطبوخة باللحوم. لا يستثنى من ذلك إلا السادة المتصلون بالروم وبالفرس وأهل اليمن، والأغنياء من أهل المدن والقرى، فقد كان في إمكانهم الحصول عليها، ومن هنا استعملوها في الطبخ، يطبخونها مع اللحم.

---

١ مجمع الأمثال "٢/ ٧٣"، بلوغ الأرب "١/ ٨٦ وما بعدها".

٢ الأغاني "١٢/ ٤٦".

٣ ".Ency. Bibli., Vol., I, p. 888" [(١)]

"سنمار فلما فرغ منه أعطاه عطاء جزيلا فقال له لو علمت أيها الملك أن تعطيني هذا العطاء لبنيته لك بنيانا من صفته كذا وكذا فقال كأنك لم تناصح في بنائه وأمر به فالقي من أعلاه على أم رأسه فهلك **فقيل في المثل** جزاء جزاء سنمار فصارت مثلا وقال بعضهم:

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان عشرين حجة ... يعلي عليه بالقراميد والسكب

وقال آخر في رجل عق أباه:

جزا أباه أبا غيلان عن كبر ... ولين عيش كما يجزى سنمار

وقال الكميت بن زيد الاسدي لزيد بن خالد بن عبد الله القسري:

جزاء سنمار جزانا أبن خالد ... بالأتيا من أخريات ومن أول

ولم يزل بهرام جور مقيما بظهر الحيرة الى إن هلك أبو يزد جرد الاثيم فملكت أفرس بعده رجلا من أهل بيت الملك يقال له كسرى وعدلوا عن بهرام جور بالملك لسوء سيرة كانت من أبيه يزد جرد الاثيم فيهم فانه كان باغيا عاتيا سفاكاقيل إنه قتل الناس في الارض حتى بانت القلة فيهم جمع النعمان لبهرام جور جماعة كثيرة من العرب." [(٢)]

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام   جواد علي ٢٦٦/١٤

(٢) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية   أبو البقاء الحلي ص/١١٤

"فروي إنه لهذا السبب قيل في المثل السائر " لا حر بوادي عوف ". وزعمت بكر بن وائل أن الملك هو قالها يومئذ فذهبت مثلا.

وما فكيهه فان سليك بن سلكة السعدي غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة ورأوا أثره فرصدوه حتى قام قائم الظهيرة وورد الماء فشرب حتى أرتوى فصب على وجهه فشدوا عليه وهاجوا به وهد أثقله بطنه فغدا حتى ولج قبة فكيهه فستجارها فادخلته تحت درعها وجاءوا وأستنزعوا خمارها فنادت في أخوتها وولدها فجاءوا فمنعوه فقال فيهم:

لعمرو أبيك والانباء تنمي ... لنعم الجار أخت بني عوارا

من الخفرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لوالدها ستارا

وأما أم جميل الدوسية فان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل أبا أزيهر الزهراني من أزد شنؤه فبلغ ذلك قومه بالسراة وعندهم ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي ثم الفهري فوثبوا به يقتلوه فدخل بيت أم جميل وضربه رجل منهم بالسيف فاصاب ذبابه باب البيت وقامت دونه ونادت في قومها فجاءوا فمنعوه فلما قام عمر بن الخطاب أتته بالمدينة فذكرت له أنها أجارت أخاه لمكان الاسم فغلطها الحاضرون." (١)

"وقال أبو عثمان الخالدي:

وأخ رخصت عليه حتى ملني ... والشيء مملول إذا ما يرخص

يا ليته إذ باع ودي باعه ... فيمن يزيد عليه لا من ينقص

ما في زمانك ما يعز وجوده ... إن رمته إلا صديق مخلص

وقال أيضا:

يا من جفا في القرب ثم نأى ... فشكا الهوى بالكتب والرسل

مهلا فإنك في فعالك ذي ... مثل الذي قد قيل في المثل

ترك الزيارة وهي ممكنة ... وأتاك من مصر على جمل

وقال أبو بكر محمد المعروف بالخباز البلدي:

ألا إن إخواني الذين عهدتهم ... أفاعي رمال لا تقصر في لسعي

ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم ... حللت بواد منهمو غير ذي زرع

وقال السري الرفاء:

أتسلمني بعد إن رحت لي ... على نوب الدهر جارا مجيرا

وأسفر حظي لما رآ ... ك بيني وبين الليالي سفيرا

سأهدي إليك نسيم العتا ... ب وأضمر من حر عنب سعيرا

وقال آخر:

---

(١) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية أبو البقاء الحلي ص/١٧٩

أنام على قوارصكم وعندي ... قوارص تسلب المقل الهجوعا

أهز بها على قوم سيوفا ... وأجعلها على قوم دروعا." (١)

"وقد اجتمع بابن حجر بمكة الشريفة وأنشد:

قل للشهاب بن علي بن حجر ... سورا على مودتي من الغير

فسور ودي فيك قد بنيته ... من الصفا والمروتين والحجر

فأجابه ابن حجر بقصيدة أولها:

يأيها القاضي الذي مراده ... يأتي على وفق القضاء والقدر

ومن شعره ما أنشدني الشيخ أبو الخير بن عبد القوي من لفظه قال: أنشدني العلامة شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر بن المقرئ من لفظة لنفسه:

يا من لدمع مارة وصبي به ... ولوجد قلب ما انقضى ولهيبه

ومتيم قد هذيته يد الهوى ... بصحيح وجد غير ما تهذي به

خانته مهجته فما تمشي على ... عاداته الأولى ولا تجريبه

وحشا تعسفه الغرام وحله ... قسرا وليس بكفوة وضريبه

يا هند قد أضرمت من فكر الجفا ... في القلب ما لا ينطفي وغريبه

أنا من عرفت غرامه فاستخبري ... عن حال ما خود الحجي وسلي به

وله بالسند من قصيدة يعارض بها قصيدة الطغرائي اللامية:

زيادة القول تحكي النقص في العمل ... ومنطق المرء قد يهديه للزلل

إن اللسان صغير جرمه وله ... جرم عظيم كما قد قيل في المثل." (٢)

"وكان عالما، بارعا مفننا، شاع ذكره وعلا صيته حتى قيل في المثل: أنت من العوام ولو كنت ابن عبد السلام.

ويقال إنه لما حضر بيعة الملك الظاهر بيبرس قال له: يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقداري، فما بايعه، حتى أحضر من يشهد له أنه خرج من ملكه إلى رق الملك الصالح وأعتقه، ولما مرض أرسل إليه السلطان يقول عين مناصبك لمن تريد من أولادك، فقال: ما فيهم من يصلح، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين، ففوضت إليه بعد موته، ولما مات شهد الملك الظاهر بيبرس جنازته والخلائق، وكانت وفاته في سنة ستين وستمائة، رحمه الله تعالى.

١٤٤٠ - قاضي القضاة عز الدين الحنبلي

٧٧٠ - ٨٤٦هـ؟ ١٣٨٦ - ١٤٤٢م

---

(١) المنتحل   الثعالبي، أبو منصور ص/١٢٧

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي   ابن تغري بردي ٢/٣٨٩

عبد العزيز بن علي بن أبي العز بن عبد العزيز، قاضي القضاة عز الدين البكري التميمي القرشي الحنبلي البغدادي.
ولد ببغداد سنة سبعين وسبعمائة، وتفقه بها على مشايخ عصره، ثم قدم دمشق سنة خمس وتسعين واستوطنها مدة، ثم عاد إلى بغداد صحبة الركب العراقي." (١)

"وفيه استقر السيفى يشبك القرمى الظاهرى والى القاهرة بحكم عزل جانبك اليشبكى، بحكم انتقاله إلى الزرد كاشية، حسبما تقدم ذكره.
هذا وقد أخذت المؤيدية في استمالة الأشرفية من يوم قبض الملك المنصور على خچداشيتهم «١» دولات باى ورفقته (٢)، ولا زالوا بهم حتى وافقوهم لحزازة كانت في نفوس الأشرفية أيضا من الملك الظاهر جقمق قديما، وقد تجدد مع ذلك أيضا قول بعض أمراء الظاهرية للأشرفية في أخذ ابن أستاذهم الشهابى أحمد ابن الملك الأشرف برسباى من عند عمه زوج أمه الأمير قرقماس الأشرفى، وإرساله إلى ثغر الإسكندرية ليقيم بها عند أخيه الملك العزيز يوسف، فعظم ذلك على أم الشهابى أحمد، وعلى زوجها الأمير قرقماس، فكان ذلك من أكبر الأسباب لموافقة الأشرفية للمؤيدية، ثم ساعدهم أيضا من له غرض في تغيير الدول، لا رغبة في أحد بعينه بل حتى يناله ما قد أمل، وقد صار ذلك عادة عند موت كل سلطان من عهد الملك المؤيد شيخ إلى يومنا هذا، بل إلى يوم القيامة؛ لعدم أهلية الملوك، ولغفلتهم عن هذا المعنى في أيام عزهم، وأعجب من هذا أن أحدهم لا يزال في غفلة عن ذلك حتى يشرف على الموت، فيعهد «٢» لولده بالسلطنة مع معرفته وتحققه بما يفعلونه مع ولده من بعده، كما فعل بأمثاله، وقد قيل في المثل: «إذا أردت أن تنظر الدنيا بعدك انظرها بعد غيرك» ؛ فلما انتظم الصلح بين الطائفتين سرا تحالفوا واتفقوا على الركوب في يوم بعينه.
كل ذلك والمنصور ومماليك أبيه وحواشيه في غفلة عن ذلك، وأكبر همهم في تفرقه الإقطاعات والوظائف، وفي ظنهم أن دولتهم تدوم، وأن الملك قد صار بيدهم، هذا مع عدم التفاتهم لتقريب العقلاء، ومشاورة ذوى التدبير وأرباب التجارب ممن مارس تغيير الدول والحروب والوقائع، وصار أحدهم إذا لوح له بعض أصحابه بشيء مما." (٢)

"يتضمن ما وقع في أمسه من خلع الملك المنصور من السلطنة ومبايعة العساكر للأمير الكبير بالسلطنة، وكتب في المحضر جماعة كبيرة من أمراء الظاهرية وغيرهم، وفيه قوادح في الملك المنصور. ذكرناها في غير هذا المحل.
وجد في هذا اليوم كل من العسكرين في القتال، ورتب الأمير الكبير جماعة من أعيان الأمراء على المواضع التي يتوصل منها إلى القلعة، وحرض الوالى وغيره على مسك من يطلع إلى القلعة من الغلمان والخدم بالمآكل وغيرها، ومسك بسبب ذلك جماعة وضرب آخرون.
وفي هذا اليوم والذي قبله صارت أمراء الألوف تخاطب الأمير الكبير وهم وقوف، وصار لا يقوم لأحد منهم عند ذهابه وإيابه، وكان الأمير أسنبغا الطيارى رأس نوبة النوب- رحمه الله- فى يوم الجمعة الذي مرض فيه رمل على كتابة الأمير الكبير على المراسيم وغيرها، وناهيك بأسنبغا، فإنه كان يوم ذلك أمثل الأمراء وأجلهم، رأيته أنا وهو يرمل على علامته من غير

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي   ابن تغري بردي ٢٨٩/٧

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة   ابن تغري بردي ٣٦/١٦

أن يحتشم معه الأمير الكبير في ذلك ولا تجمل معه، بل صار كلما علم العلامة ورمى بها أخذها أسنبغا ورمل عليها كما كان يفعله مع السلطان، فإن العادة لا يرمل على السلطان إلا رأس نوبة النوب «١» .

هذا وقد تحقق أهل القلعة زوال ملك الملك المنصور، وهم على ما هم عليه من الشدة فى القتال، والقيام بنصرة ابن أستاذهم، غير أنهم كما **قيل في الأمثال**: «سلاح حاضر وعقل غائب» ، لكونهم شبابا لم تمر بهم التجارب، ولا لهم ممارسة بالحروب، ولا يعرفون نوعا من أنواع الخديعة والمكر بأخصامهم، وأيضا لم يكن عندهم من الأمراء وغيرهم ممن له خبرة بهذه الأنواع غير أمير واحد وجندى، وكل منهما غير مقبول الكلمة عندهم. فالأمير كزل المعلم، والجندى السيفى كمشبغا الظاهرى- برقوق- المعلم، وأما من عداهما من الأمراء فحالهم معروف لا يحتاج إلى بيان، وأعظم من كان هناك من الأمراء." (١)

"لا غير، كل ذلك لما تقدم ذكره أنه ليس عندهم من يدبر أمورهم، وإلا فكان يمكنهم أن يطلعوا إلى القلعة ويحصنوها ويقاتلوا بها أياما حتى تعمل مصالحهم، وإذا سلموها يعطوها بالأمان والرضا، هذا إذا لم يكن لهم نهضة للهروب والخروج من الديار المصرية، والاختفاء في مكان من الأمكنة من القاهرة، كما فعل غيرهم من الملوك السالفة، على أن أصحاب الأمير الكبير كان أخذ منهم التعب والجهد في هذا اليوم والذي قبله أمرا كبيرا، وكل أكثرهم من القتال، فلو امتنعت السلطانية بباب السلسلة يوما أو يومين لطال أمرهم بعد ذلك، ووقع لهم أمور ليس في ذكرها الآن فائدة، وكان أمر المماليك الظاهرية فى مبدأ الأمر عجيبا من شدة بأسهم أولا، وفي تهاونهم آخرا، وقد **قيل في الأمثال**:

«على قدر الصعود يكون الهبوط» .

ولما بلغ الأمير الكبير إينال طلوع الملك المنصور من الإسطبل السلطانى إلى القصر الأبلق ندب في الحال الأمير جرباش المحمدى الناصرى المعروف بكرد إلى الطلوع إلى باب السلسلة وتسليم الإسطبل السلطانى، ولم يتحرك الأمير الكبير من مكانه، ولا ظهر عليه فرح ولا كآبة، فهذا أيضا مما تعجبت منه، وطلع الأمير جرباش إلى باب السلسلة بعد أن استولى أصحاب الأمير الكبير عليها.

وكان من خير أخذهم لباب السلسلة أن الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدى أمير سلاح لما قام الملك المنصور وطلع إلى القصر، وتشتت عساكره ثم دخل قانى باى الچاركسى مبيت الحراقة من الإسطبل قام تسم المذكور ومشى إلى المقعد الذي كان يجلس به الملك المنصور في أيام الوقعة، وأشار إلى القوم بمنديل كان بيده كمن يطلب الأمان، ثم ركب في الحال وفي زعمه أن الجماعة تتلقاه بالرحب والقبول، لأياد كانت له، وصحبة عند الأمير الكبير قديما وحديثا، وأيضا أن غالب من كان من أصحاب الأمير الكبير هو خچداشه أو صاحبه، فركب فرسه ونزل حتى وقف عند باب السلسلة أسفل الحدرة، وفتحت خوخة باب السلسلة ودخل القوم، فحال ما وقع بصرهم عليه تناولته الألسن والأيدى بالسب والضرب، حتى أخذ وأنزل بغير تخفيفة على حالة غير مرضية،." (٢)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة   ابن تغري بردي ١٦/٤٩

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة   ابن تغري بردي ١٦/٥٢

"القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والأدعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون هذا وقد أسلم كثير منهم عند بديهة سماعه وسجد آخرون دهشة لقوته وبكى أناس منهم فرقا واعترتهم روعة لمفاجأته وكلهم ممن لم يفهم معناه ولا تفسيره روي أن نصرانيا سمع قارئا فوقف يبكي فقال بكيت للشجا والنظم وان اعرابيا سمع قارئا يتلو فاصدع بما تؤمر فخر ساجدا وقال سجدت لفصاحته وفي الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي أن يطير وكلم عتبة بن ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف. قال القاضي عياض وأنت اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله (والادعا) بالكسر أيضا (عواره) بضم المهملة وقد يفتح قال الجوهرى العوار العيب (الفوه) بكسر اللام وضم الفاء أي اعتادوه ويجوز سكون الواو مع فتح الفاء أي موجدوه بفتح الميم وسكون التحتية ثم زاى مصدر ماز يميز بمعني ميز يميز تمييزا (وقد أسلم كثير منهم عند بديهة سماعه) قال عياض في الشفاء حكي أن عمر ابن الخطاب كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسري المسلمين يقرأ آية في كتابكم فتأملتها فاذا هي قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية (فرقا) أي خوفا (للشجا) بفتح المعجمة والجيم والمد يقال شجاه يشجوه اذا أحزنه واذا أطربه أيضا (وقال سجدت لفصاحته) ذكر ذلك عياض في الشفا عن أبي عبيد القاسم بن سلام بالتشديد وفي الحديث (الصحيح) في البخاري وغيره (حم كتاب فصلت آياته الى آخره) قد سبق ذكر هذه القصة (ولكم في) وجوب (القصاص) على الجاني عمدا (حياة) وذلك لانه اذا علم أنه سيقتص منه ترك القتل فحي هو ومن أراد قتله وقيل في المثل القتل انفي للقتل وقيل في المثل القتل قلل." [1]

"وليس الاهتزاز ما ذهبوا إليه من الحركة ولا العرش ما ذهب إليه الآخرون.

بل الاهتزاز: الاستبشار والسرور، يقال: "إن فلانا ليهتز للمعروف" أي يستبشر ويسر.

"إن فلانا لتأخذه للثناء هزة"، أي ارتياح وطلاقة.

ومنه قيل في المثل: "إن فلانا إذا دعي اهتز، وإذا سئل، ارتز"١.

والكلام لأبي الأسود الدؤلي، يريد: أنه إذا دعي إلى طعام يأكله اهتز، أي: ارتاح وسر.

وإذا سئل الحاجة، ارتز: أي ثبت على حاله ولم يطلق.

فهذا معنى الاهتزاز، في هذا الحديث.

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ٢/٢٠٥

وأما العرش، فعرش الرحمن، جل وعز، على ما جاء في الحديث.

وإنما أراد باهتزازه، استبشار الملائكة الذين يحملونه ويحفون حوله، بروح سعد بن معاذ.

فأقام العرش مقام من يحمله ويحيط به من الملائكة؛ كما قال الله عز وجل: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ ٢.

يريد: ما بكى عليهم أهل السماء، ولا أهل الأرض.

فأقام السماء والأرض، مقام أهلهما.

وكما قال: ﴿واسأل القرية﴾ ٣، أي: سل أهلها.

---

١ ارتز: البخيل عند المسألة: بقي وبخل، والسهم في القرطاس: ثبت. "القاموس المحيط ص٦٥٨".

٢ الآية: ٢٩ من سورة الدخان.

٣ الآية: ٨٢ من سورة يوسف. الآية: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها ... ﴾ .." (١)

"قال ابن إسحاق [١] : وزعم عاصم بن عمر بن قتادة أن ثابت بن وقش قتل يومئذ مع ابنيه.

وذكر الواقدي جماعة قتلوا سوى من ذكرنا.

وقال البكائي: قال ابن [إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة [٢]] عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد رفع حسيل [٣] بن جابر- والد حذيفة بن اليمان- وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه- وهما شيخان كبيران-: «لا أبا لك، ما ننتظر؟ فو الله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار [٤] ، إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا الشهادة مع رسوله؟ فخرجنا حتى دخلا في الناس، ولم يعلم بهما. فأما ثابت فقتله المشركون، وأما حسيل فقتله المسلمون ولا يعرفونه [٥] .

قال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أتي [٦] لا يدرى ممن هو، يقال له قزمان. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له: إنه لمن أهل النار. فلما كان يوم أحد قتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتمل إلى دار بني ظفر، فجعلوا يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان، فأبشر. قال: بماذا أبشر؟ والله إن

---

[١] سيرة ابن هشام ٣/ ١٨٩.

[٢] ما بين الحاصرتين إضافة من سيرة ابن هشام ٣/ ١٦٧.

[٣] حسيل: بالتصغير.

[٤] الظمء: ما بين الشربتين أو السقيتين. **يقال في المثل**: ما بقي من عمره إلا ظمء حمار أي شيء يسير.

---

(١) تأويل مختلف الحديث الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٣٨٧

[٥] انظر الإصابة ١/ ١٩٦ (ثابت بن وقش) و ١/ ٣٣١ رقم ١٧٢٠ (حسيل بن جابر) والخبر في السيرة ٣/ ١٦٧، ١٦٨.

[٦] الأتي: الذي لا يدرى من أين أتى.." (١)

"ومن شعر عميد الدولة.

إلى متى أنت في حل وترحال ... تبغي العلى والمعالي مهرها غالي؟ [١]

يا طالب المجد، دون المجد ملحمة [٢] ... في طيها خطر بالنفس والمال

ولليالي صروف قل ما انجذبت ... إلى مرادها في سعي ولا مال [٣]

---

[١] في الخريدة: «غال» ، والمثبت يتفق مع (الفخري) .

[٢] في الأصل: «ملجمة» .

[٣] في الخريدة ورد هذا الشطر هكذا:

«إلى مراد امرئ يسعى لآمال»

والأبيات في: خريدة القصر ١/ ٩١، والفخري ٢٩٧.

وقال ابن العماد: كان ذا شهامة وصرامة، وحصافة وفصاحة، وحماسة وسماحة. له من الوقار والهيبة ما لم يعرف في غير الطود الأشم، والبحر الخضم. ورد مع فخر الدولة أبيه بغداد في أيام القائم بأمر الله سنة أربع وخمسين، وولي أبوه الوزارة، وكان بميافارقين يخدم بني مروان، ثم كاتب أمير المؤمنين وبذل بذولا، وأخرج إليه نقيب النقباء طراد الزينبي، فقرر معه ما أراد تقريره. ثم خرج معه كأنه مودع له، وتم إلى بغداد، وتولى وزارة القائم، وبقي فيها إلى آخر عهد القائم، ومعه ولداه أبو منصور، وأبو القاسم زعيم الرؤساء. فلقب هذا عميد الدولة. وكان ينوب عن والده. فلما عزل أبوه في أيام المقتدي بعد ما وزر له سنين سنة إحدى وسبعين، خرج عميد الدولة إلى نظام الملك واسترضاه، وعاد إلى بغداد وتولى الوزارة مكان أبيه. وخرج أبوه عن السلطان ملك شاه لفتح ديار بكر ومحاربة ابن مروان في ميافارقين، وكان فتحها على يده. وبقي في وزارة المقتدي إلى أن عزل، وتولى الوزير أبو شجاع، ثم وزر للمقتدي بالله بعد عزل أبي شجاع ثانيا، ووزر بعد وفاته للمستظهر بالله، وعزل مرة وأعيد إلى الوزارة، وعزل في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، وعاش بعد ذلك.

وله مقطعات حسنة، فمنها له، وأورده السمعاني في الذيل:

يقول صديق باللسان مخاتر ... كما قيل في الأمثال عنقاء مغرب

فأما إذا ما رمت شخصا معينا ... من الناس موجودا، فذلك متعب

(الخريدة ج ١/ ٨٧٠- ٩١) و «مخاتر: مخادع» .

وقال ابن طباطبا:

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢/٢٠٤

كان القائم والمقتدي يرسلانه في رسائل إلى السلاطين فتنجح على يده. وكان فاضلا حصيفا، فاستحلاه نظام الملك وزير السلطان، وكان يعجب منه ويقول: وددت أني ولدت مثله. ثم زوجه ابنته. واستوزره المقتدي وفوض الأمور إليه. ثم عزله فشفع له نظام الملك فأعيد إلى الوزارة. فقال ابن الهبارية الشاعر يهجو عميد الدولة:

لولا صفية ما استوزرت ثانية ... فاشكر حرا صرت مولانا الوزير به

صفية بنت نظام الملك الوزير التي تزوجها عميد الدولة.

ثم وقع بين عميد الدولة وبين سلاطين العجم وقعة فطلبوا من الخليفة، ثم أخرج ميتا فدفن،." (١)

"الموصوفين بالكرم.

توفي سنة سبع وتسعين.

وثقه جماعة.

٢٩٨- (طويس صاحب الغناء) [١] اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدني المغني.

كان ممن يضرب به المثل في الحذق بالغناء.

وقال الشاعر:

تغنى طويس والسريجي بعده ... وما قصبات السبق إلا لمعبد

وكان أحول، مفرطا في الطول. **ويقال في المثل**: «أشأم من طويس» لأنه ولد في اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قيل، وفطم في يوم وفاة الصديق، وبلغ يوم مقتل عمر، وتزوج يوم مقتل عثمان، وولد له يوم مقتل علي.

توفي بالسويداء على مرحلتين من المدينة، في درب الشام سنة اثنتين وتسعين.

وأصل اسمه طاوس.

---

[١] المعارف ٣٢٢، الأغاني ٣/ ٢٧- ٤٤. وفيات الأعيان ٣/ ٥٠٦- ٥٠٧ رقم ٥١٩، نهاية الأرب للنويري ٤/ ٢٤٦- ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٦٤ رقم ١٤٢، فوات الوفيات لابن شاكر ٢/ ١٣٧- ١٣٨ رقم ٢٠٦، سرح العيون ٣٨٠، مرآة الجنان ١/ ١٨١، البداية والنهاية ٩/ ٨٤، الوافي بالوفيات ١٦/ ٥٠١- ٥٠٢ رقم ٥٥١، النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٥، شذرات الذهب ١/ ١٠٠.." (٢)

"وثقه ابن معين وغيره.

توفي سنة خمس وتسعين، قاله الفلاس.

وقال الواقدي: سنة سبع.

٢٩٧- طلحة بن عبد الله بن عوف ١ -خ٤- القرشي الزهري، قاضي المدينة في أيام يزيد بن معاوية.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٤/١٦٩

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٦/٣٩٥

يروي عن: عمه عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وسعيد بن زيد، وابن عباس، وغيرهم.

روى عنه: الزهري، وسعد بن إبراهيم، وأبو الزناد، وأبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر.

وكان فقيها نبيلا عالما جوادا ممدحا، وهو طلحة الندى أحد الطلحات الموصوفين بالكرم.

توفي سنة سبع وتسعين.

وثقه جماعة.

٢٩٨- طويس صاحب٢ الغناء اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدني المغني كان ممن يضرب به المثل في الحذق بالغناء وقال الشاعر:

تغنى طويس والسريجي بعده ... وما قصبات السبق إلا لمعبد

وكان أحول، مفرطا في الطول. **ويقال في المثل**: "أشأم من طويس " لأنه ولد في اليوم الذي قبض فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما قيل، وفطم في يوم وفاة الصديق، وبلغ يوم مقتل عمر، وتزوج يوم مقتل عثمان، وولد له يوم مقتل علي.

---

١ انظر الطبقات الكبرى لابن سعد "٥/ ١٦٠" والجرح والتعديل "٤/ ٤٧٢" وسير أعلام النبلاء "٤/ ١٧٤-١٧٥".

٢ انظر الأغاني "٣/ ٢٧-٤٤" وسير أعلام النبلاء "٤/ ٣٦٤" والبداية والنهاية "٩/ ٨٤".." [1]

"مروان الحمار ١

مروان الحمار، آخر خلفاء بني أمية، أبو عبد الملك بن محمد بن مروان بن الحكم، ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم، وبالحمار؛ لأنه لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه.

كان يصل السير بالسير، ويصبر على مكاره الحرب، **ويقال في المثل**: فلان أصبر من حمار في الحروب؛ فلذلك لقب به.

وقيل: لأن العرب تسمى كل مائة سنة حمارا، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك.

ولد مروان بالجزيرة وأبوه متوليها سنة اثنتين وسبعين، وأمه أم ولد، وولي قبل الخلافة ولايات جليلة، وافتتح قونية سنة خمس ومائة،

وكان مشهورا بالفروسية، والإقدام، والرجولة، والدهاء، والعسف، فلما قتل الوليد وبلغه ذلك وهو على أرمينية دعا إلى بيعة من رضيه المسلمون فبايعوه، فلما بلغه موت يزيد أنفق الخزائن، وسار فحارب إبراهيم فهزمه، وبويع مروان وذلك في نصف صفر سنة سبع وعشرين، واستوثق له الأمر، فأول ما فعل أمر بنبش يزيد الناقص، فأخرجه من قبره وصلبه لكونه قتل الوليد.

ثم إنه لم يتهن بالخلافة؛ لكثرة من خرج عليه من كل جانب إلى سنة اثنتين وثلاثين، فخرج عليه بنو العباس، وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح فسار لحربهم، فالتقى الجمعان بقرب الموصل، فانكسر مروان، فرجع إلى الشام، فتبعه عبد الله، ففر مروان إلى مصر، فتبعه صالح أخو عبد الله، فالتقيا بقرية بوصير، فقتل مروان بها في ذي الحجة من السنة.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٦/٢١٩

ومات في أيامه من الأعلام: السدي الكبير، ومالك بن دينار الزاهد، وعاصم بن أبي النجود المقري، ويزيد بن أبي حبيب، وشيبة بن نصاح المقري، ومحمد بن المنكدر، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع مقرئ المدينة، وأبو أيوب السختياني، وأبو الزناد، وهمام بن منبه، وواصل بن عطاء المعتزلي.

وأخرج الصولي عن محمد بن صالح قال: لما قتل مروان الحمار قطع رأسه ووجه به إلى عبد الله بن علي فنظر إليه وغفل، فجاءت هرة، فاقتلعت لسانه وجعلت تمضغه، فقال عبد الله بن علي: لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا ذلك.

---

١ تولى الخلافة ١٢٧هـ وحتى ١٣٢هـ.." (١)

"تبخر الجارية وتطيب وتعدل ويشد وسطها بمئزر ويأخذ المنادى بيدها ويدور بها في السوق وينادي عليها ويحضر التجار الفجار يقلبون يدها ورجلها وساقها وأفخاذها وسرتها وصدرها ونهدها. ويقلب ظهرها ويشبر عجزها ويقلب لسانها وأسنانها وشعرها ويبذل المجهود. وإن كنا عليها ثياب خلعها وقلب وابصر وفي أخر الأمر يقلب فرجها وجحرها معاينة من غير ستر ولا حجاب. فإذا قلب ورضى واشترى الجارية تبقى عنده مدة عشرة أيام زائد وناقص فإذا رعى وشبع ومل وتعب وقضى وطرء وانقطع وطره يقول زيد المشترى لعمرو البائع: بسم الله يا خواجا بيني وبينك شرع محمد بن عبد الله فيحضرى عند الحاكم فيدعى عليه العيب.

ذكر البيع والعيب

حدثني الحسن بن علي حزور الفيروزكوهي قال: إني بعت جارية هندية بعدن على رجل أسكندراني بقيت عنده مدة سبعة أيام فلما شبع استعيب فيها وأحضرني إلى الحاكم وادعى علي بالعيب. فقال الحاكم: وما عيبها؟ قال: هي واسعة الرحم رهلة الفرج. فقلت له: إذا كان ايرك صغيرا وأنت تتباخل على الجارية بشرى الماء فما يصنع رحمها السمين الأبيض المنتوف الطيب. فلما سمعها الحاكم قال لمن حضر: أخرجوهم! فخرجنا ورحت إلى شغلي وبقيت الجارية في كيسة ولم ادر ما فعل الدهر بهما. وإذا اشترى زيد ثوبا واستغلاه فرق طرفه ورده على صاحبه لاستظهار عيبه ويأخذ الدلال دلالته عند القاضي عنف وكره ويحكم له الحاكم على كل دينارين فلسين دلالة فان با ع على دكانك له من كل دينار فلس وإن با ع جملة فعلى المائة دينار ولهم، في كل قطعة نيل ربع. ولو أراد بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لما قدر إن لم يكن معة خط جواز وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت مكن مال أو عشور ويكتب في الرقعة علامة الوالي ويخرج بعد ذلك وإن لم يكن له ضامن وإلا اخذ منادي ينادي عليه في الأسواق: إن فلان بن فلان خارج من الباب فكل من له عليه شيء يطالبه! فان ظهر عليه شيء كفى الله المؤمنين القتال وإن لم يظهر عليه شيء خرج إلى أي موضع شاء كما قيل في المثل: المفلس في أمان الله، وكما قال:

قليل الهم لا ولد يموت ... ولا أمر يحاذره يفوت

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/١٩٠

قضى وطر الصبا وأفاد علما ... فغايته التفرد والسكوت

ذكر خراب عدن." (١)

"أملكه حتى بقيت ليس في داري غير البواري، فأصبحت يوما وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، كما **يقال في المثل**، ففكرت كيف أعمل! فوقع لي أن أكتب إلى محبرة ابن أبي عباد الكاتب- وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنين ولزم بيته، وحالفه النقرس فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولا على الأيدي أو في محفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف وكبر النفس وعظم النعمة، ومواصلة الشرب والقصف- وأن أتطايب عليه ليدعوني وآخذ منه ما أنفقه مدة وكتبت إليه:

ماذا ترى في جدي ... وفي غضار موارد

ومسمع ليس يخطي ... من نسل يحيى بن خالد؟

فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانه إلى داري وأنا جالس على بابي، فقلت له: لم جئت ومن دعاك؟ قال: أنت. فقلت له: إنما قلت لك ماذا ترى في هذا، وعنيت في بيتك، وما قلت لك أنه في بيتي، وبيتي والله أفرغ من فؤاد أم موسى. فقال: الآن قد جئت ولا أرجع، ولكن أدخل إليك واستدعي من داري ما أريد.

قلت: ذاك إليك. فدخل فلم ير في بيتي إلا بارية. فقال: يا أبا الحسن هذا والله فقر يصيح هذا ضر مدمع، ما هذا؟ فقلت: هو ما ترى. فأنفذ إلى داره فاستدعى فرشا، وآله، وقماشا، وغلمانا، وجاء فراشوه ففرشوا ذلك، وجاءوا من الصفر والشمع وغير ذلك بما يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه، وهو شيء كثير بآلات ذلك، وحاشر ابنه بالصواني والمخروط والفاكهة وآله التبخير والبخور، والوان الأنبذة، وجلس يومه ذلك وليلته عندي يشرب على غنائي وعلى غناء مغنية أحضرتها له كنت آلفها، فلما كان من غد سلم إلى غلامه كيسا فيه ألفا درهم، ورزمة ثياب صحاح، ومقطوعة من مفاخر الثياب، واستدعى محفته فجلس، وشيعته. فلما بلغ آخر الصحن قال: مكانك يا أبا الحسن احفظ بابك، فكل ما في ذلك لك فلا تدع أحدا يحمل منه شيئا، وقال: للغلمان اخرجوا فخرجوا بين يديه وأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة! أخبرني أبو القاسم الأزهري قال أنشدنا محمد بن العباس الخزاز قال أنشد أبي جحظة البرمكي لنفسه وأنا حاضر:

لي صديق عدمته من صديق ... أبدا يلقني بوجه صفيق

قوله أن شدوت أحسنت عندي ... وبأحسنت لا يباع الدقيق

أخبرني علي بن المحسن قال حدثنا الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب أنشدني." (٢)

"كفى زاجرا للمرء أيام دهره ... تروح له بالواعظات وتغتدي «١»

فائدة أخرى: إن وسائل المعرفة لدى الإنسان هي: العقل والحس والمشاهدة، والمسموعات هي من أبواب المحسوسات، ولا يمكن معرفة أحوال العالم عن طريق العقل؛ كما لا يمكن لإنسان ما أن يبقى حيا مدى الدهر ليطلع على أحوال وأخبار

---

(١) تاريخ المستبصر ابن المجاور، يوسف بن يعقوب ص/٥٧

(٢) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢٨٧/٤

العالمين.

إذن فالطريق لمعرفة أحوال وأخبار البشر، والطريق لمعرفة الأقوال والأخبار والآثار هو طريق التأمل في التواريخ، وفوائده مستنبطة بالاستماع.

فائدة أخرى: علم التواريخ علم لذيذ ومستساغ تغلب فيه الهشاشة والبشاشة على الملل والسأم؛ ولا تعجز خطوات خطراته عن نيل المقصود [٩] ، ولا يقصر البنان واللسان عن تحصيله وتفصيله، ولا ينقص من قدره الانقطاع عن مشاهدة المحسوسات من وقائعه، ويعبق نسيم عرفه من بساتين أنس الصدور وحظائر قدس القلوب، والإنسان مجبول على حب الإحاطة بالعلم وأحوال العالم الكائنة والموجودات، وحال حاسة السمع عند استماعها الأخبار والحكايات، كحال العين في نظرها للوجوه الجميلة؛ فكما أن كمال العين هو بالنظر إلى الوجوه الجميلة، فإن كمال السمع بالاستماع إلى التواريخ والأخبار، وليس في حواس الإنسان أشرف من حاستي السمع والبصر، **وقيل في الأمثال**: «لا تشبع عين من نظر، ومسمع من خبر، وأرض من مطر» «٢» .." (١)

"الكوفة فسار بها الرجل قال فإذا أخبث ما سخر لآدمي فأتى (١) مسجد الكوفة وشريح في مجلس القضاء فقال لم أر فيها شيئا مما وصفت فأدناه شريح وأفهمه ما قال له ثم أقاله أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن (٢) رحمه الله قال قرأت على أبي محمد السلمي عن أبي بكر الخطيب أحمد بن علي بن ثابت قال قرأت على أبي الحسين أحمد بن محمد القطان عنأبي بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش أنبأ محمد بن إسحاق السراج أنبأ داود بن رشيد (٣) بن عدي عن مجالد بن سعيد قال قلت للشعبي **يقال في المثل** إن شريحا أدهى من الثعلب فما هذا فقال لي ذا كان شريحا خرج أيام الطاعون إلى النجف فكان إذا قام يصلي يجئ ثعلب فيقف تجاهه فيحاكيه ويخيل بين يديه فيشغله عن صلاته فلما (٤) ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميه وجعل قلنسوته وعمامته عليه فأقبل الثعلب فوقف على عادته فوقف شريح من خلفه فأخذه بغتة فلذلك يقال هو أدهى من الثعلب وأحيل أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد ثنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد أنبأ أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان أنبأ أبو الميمون البجلي ثنا أبو زرعة النصري (٥) حدثني أحمد بن شبويه ثنا الفضل بن موسى السيناني عن الأعمش عن إبراهيم أنه سئل عن شريح فقال ذاك رجل (٧) شاعر أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور أنبأ أبو الحسن بن أبي الحديد أنبأ جدي أنبأ أبو محمد بن زبر (٨) نا إبراهيم بن مهدي بن عبد الرحمن الأيلي نا أبو

---

(١) بالأصل: فإذا ولعل الصواب ما أثبت

٢ - ()كذا لعل الخبر من زيادات القاسم بن أبي القاسم بن عساكر

(٣) بياض بالأصل مقدار كلمتين

(٤) بياض بالأصل والعبارة في مختصر ابن منظور ١٠ / ٣٠١ فلما طال ذلك

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٩٨

(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١ / ٦٦٦ وبالأصل: البصري خطأ والصواب ما أثبت النصري

(٦) بالأصل السناني خطأ والصواب ما أثبت انظر تهذيب التهذيب ٧ / ٢٨٦

(٧) في تاريخ أبي زرعة: امرؤ

(٨) بالأصل: " ربد " والصواب ما أثبت." (١)

"سفيان عن ابن شبرمة قال كان الشعبي إذا سئل عن مسألة قال زباء ذات وبر لا تنقاد ولا تنساق ولو سئل عنها أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) لأعضلتهم أنبأنا أبو طالب بن يوسف أنا إبراهيم بن عمر البرمكي ح وحدثنا أبو المعمر الأنصاري أنا المبارك بن عبد الجبار أنا علي بن عمر الزاهد وإبراهيم بن عمر قالا أنا أبو (١) عمر بن حيوية أنا عبيد الله بن عبد الرحمن نا أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال في حديث الشعبي أنه كان إذا سئل عن معضلة قال زباء ذات وبر أعيت قائدها وسائقها لو ألقيت على أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) لأعضلت بهم يرويه ابن عيينة عن ابن شبرمة عن الشعبي قوله زباء ذات وبر يريد أنها مسألة شاقة صعبة وضرب الزباء من الإبل لها مثلا **يقال في المثل** كل أزب نفور (٢) وقال زيد الخيل * فجاد عن الطعان أبو أثال *كما جاد الأزب عن الظلال (٣) * وفي بيت آخر *كما حاد الأزب عن الظعان (٤) وهو حبل يشد به الهودج والأزب من الإبل يكثر شعر حاجبيه فهو يراه فينفر قوله لأعضلت بهم أي اشتدت عليهم ومنه يقال داء عضال أي شديد وأما قول عمر أعوذ بالله من كل معضلة (٥) ليس فيها أبو حسن يعني عليا فإنه من عضلت المرأة إذا نشب الولد فلم يخرج منه إلا قليل وبقي سائره معترضا قال الشاعر

---

(١) كتبت فوق الكلام بالأصل بين السطرين وانظر م

(٢) المثل في تاج العروس (زبب) وهو لزهير بن جذيمة العبسي انظر جمهرة الأمثال ٢ / ١٥٢ والمستقصي ١ / ٣٩٧

(٣) البيت في شعره (شعراء إسلاميون) ص ١٩٨ برواية: فحاد

كما حاد

(٤) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ط بيروت ص ١٢٠ وصدره فيه: أثرت الغي ثم نزعت عنه

(٥) وروي معضلة كما في النهاية لابن الأثير (عضل) أراد المسألة الصعبة أو الخطة الضيقة المخارج من الإعضال أو التعضيل." (٢)

"وتحمي فرخها وتحب ولدها ولا تمكن إلا زوجها وتقطع في أول القطائع وترجع في أول الرواجع ولا تطير في التحسير ولا تغتر بالتشكير ولا ترب بالوكور ولا تسقط على الجفير أما قوله تقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع فإن الصيادين إنما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أن القواطع قد قطعت فتقطع الرخمة أولا فتنجو يقال قطعت الطير قطاعا إذا قطعت من بلد إلى بلد وقطع الرجل البلد قطوعا وقطع الأديم قطعا وقوله ولا تطير في التحسير يريد أنها تدع الطيران أيام

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٨/٢٣

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٦٩/٢٥

التحسير كلها فإذا نبت الشكير وهي صغار الريش لم تتحامل به كما يفعل بعض الطير ولكنها تنتظر حتى يصير للريش قصب ثم تطير (١) وقوله لا ترب بالوكور يقال أرب فلان بالمكان وألب به إذا أقام فيه ووكور الطير يكون في عرض الجبل يقول فهي لا ترضى بمواضع الوكور فتبيض فيها ولكنها تبيض في أعالي الجبال حيث لا يبلغه إنسان ولا سبع ولا طائر ولذلك **يقال في المثل** دونه بيض الأنوق إذا كان لا يوصل إليه وكذلك يقال دونه النجم ودونه العيوق وقال الكميت (٢) * ولا تجعلوني في رجائي ودكم * كراج (٣) على بيض الأنوق احتيالها * يقول لا تجعلوني كمن رجا ما لا يكون واحتبا لها صيدها بالحبالة يريد أن من رجا أن يصيدها على بيضها فقد قدر ما لا يكون وقوله ولا تسقط على الجفير وهي الجعبة يقول لا تسقط في مواضع تراها فيه لأنها تعلم أن فيها سهاما أخبرنا أبو المعالي محمد بن إسماعيل الفارسي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان الجلاب (٤) بهمذان نا

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من الأصل واستدرك عن م

(٢) البيت في ديوانه ٢ / ٨١ والمقاييس " حبل "

(٣) بالأصل وم: " كراخ " والصواب ما أثبت عما سبق وباعتبار ما يلي

(٤) قسم من الكلمة مطموس والمثبت عن م." (١)

"* لا ترمين هداك الله معترضا * بالظن منك فما بالي وحلوانا ذاك الحريص على ما نال من طمع * وهو البعيد فلا يحزنك إن خانا ماذا أردت إلى إرساله سفها * ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه * للراكبين له سرا وإعلانا عرضته لعلي إنه أسد * يمشي العرضنة (١) من آساد خفانا قد كنت في منظر عن ذا ومستمع * تحمي العراق وتدعى خير شيبانا لو كنت أديت مال القوم (٢) مصطبرا * للحق أحييت أحيانا وموتانا لكن لحقت بأهل الشام ملتمسا * فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا فاليوم تقرع سن العجز (٣) من ندم * ماذا تقول وقد كان الذي كانا أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة * لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا * فلما وقع الكتاب إليه علم أنه (٤) قد هلك ولم يلبث التغلبيون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم حلوان فأتوا مصقلة فقالوا إنك بعثت صاحبنا فأهلكته فما أن تحييه وإما تديه قال أما أن أحييه فلا أستطيع ولكن سأديه فوداه وبلغني أن مصقلة قال في ذلك * لعمري لئن عاب أهل العراق * علي انتعاشي بني ناجية لأعظم من عتقهم رقهم * وكفى بعتقهم عالية وزايدت فيهم لإطلاقهم * وغاليت إن العلى غالية * ثم إن معاوية بعد ذلك ولى مصقلة طبرستان وبعثه في جيش عظيم فأخذ العدو عليه المضايق فهلك وجيشه **فقيل في المثل** حتى يرجع مصقلة من طبرستان أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون عن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحسني أنا أبو القاسم علي بن محمد بن الفضل الدهقان المعلم نا محمد بن علي بن

---

(١) إعجامها مضطرب بالاصل ود وفي م و " ز ": " العرضه " والمثبت عن الطبري يقال: يمشي العرضنة: يعدو ليسبق

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٧٥/٢٥

غيره

(٢) كذا بالاصل وبقية النسخ وفي تاريخ الطبري: ما للقوم

(٣) كذا بالاصل والنسخ وفي تاريخ الطبري: من الغرم

(٤) يعني رسوله الذي بعثه بالكتاب إلى أخيه نعيم بن هبيرة." (١)

"وتبعه من يثق به من العساكر وانخرم أمر المتوافقين ولم يسعهم الرجوع عن عزيمتهم فساروا إلى بيت الباشا يريدون نهبه فمانعهم المرابطون وتضاربوا بالرصاص والبنادق وقتل بينهم أشخاص ولم ينالوا غرضا فساروا على ناحية القلعة واجتمعوا بالرميلة وقراميدان وتحيروا في امرهم واشتد غيظهم وعلموا أن وقوفهم بالرميلة لا يجدي شيئا وقد اظهروا المخاصمة ولاثمرة تعود عليهم في رجوعهم وسكنوهم بل ينكسف بالهم وتنذل أنفسهم ويلحقهم اللوم من اقرانهم الذين لم ينضموا إليهم فأجمع رأيهم لسوء طباعهم وخبث عقيدتهم وطرائقهم أنهم يتفرقون في شوارع المدينة وينهبون متاع الرعية وأموالهم فإذا فعلوا ذلك فيكثر جمعهم وتقوى شوكتهم ويشاركهم المخلفون عنهم لرغبة الجميع في القبائح الذميمة ويعودون بالغنيمة ويحوصلون من الحواصل ولايضيع سعيهم في الباطل كما **يقال في المثل** ما قدر على ضرب الحمار فضرب البرذعة ونزلوا على وسط قصبة المدينة على الصليبة على السروجية وهم يكسرون ويهشمون أبواب الحوانيت المغلوقة وينهبون ما فيها لأن الناس لما تسامعوا بالحركة اغلقوا حوانيتهم وابوابهم وتركوا اسبابهم طلبا للسلامة وعندما شاهد باقيهم ذلك اسرعوا للحوق وبادروا معهم للنهب والخطف بل وشاركهم الكثير من الشطار والزعر والعامة المقلين والجياع ومن لادين له وعند ذلك كثر جمعهم ومضوا على طريقهم إلى قصبة رضوان إلى داخل باب زويلة وكسروا حوانيت السكرية وأخذوا ما وجدوه من الدراهم وما احبوه من أصناف السكر فجعلوا يأكلون ويحملون ويبددون الذي لم يأخذوه ويلقونه تحت الارجل في الطريق وكسروا أواني الحلو وقدور المربيات وفيها ماهو من الصيني والبياغوري والافرنجي ومجامع الاشربة واقراص الحلو الملونة والرشال والملبس والفانيد والحماض والبنفسج وبعد أن ياكلوا ويحملواهم واتباعهم ومن انضاف لهم من الاوباش البلدية والحرافيش والجعيدية يلقون ما فضل عنهم على قارعة الطريق." (٢)

"الحبالى ايضا ولم يأسروا منها أحدا قط وتركوها أرضا قفرا ولم يسكنها احد الى اليوم وسموها ما وباليغ اي قرية بؤس.
ولما فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خراسان سمع ان السلطان جلال الدين قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلا ونهارا بحيث ان المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم إذا نزلوا.

فحين وصلوا الى غزنة أخبروا بان جلال الدين من خمسة عشر يوما رحل عنها وهو عازم على ان يعبر نهر السند. فلم يستقر جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في أطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط. وبالغ المغول في المكاوحة وتقدم جنكزخان ان يقبض حيا ووصل جغاتاي واوكتاي ايضا من جانب خوارزم.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٧٣/٥٨

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٤٨٢/٣

فلما رأى جلال الدين انه يوم عمل شهم وضرغم إبطال المغول وتطلب اطلابهم وحمل عليهم حملات وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الأمر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشاب ليحضروه غير مؤوف بين يدي جنكزخان امتثالا لمرسومه فكانوا يتقدمون اليه قليلا قليلا. فلما عاين تضييق الحلقة عليه نزل فودع أولاده بل اكباده من نسائه وخواصه باكيا كئيبا ثم رمى عنه الجوشن وركب جنيبه وهو كالأسد الغيور وهم بالعبور وافحم فرسه النهر فانقحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان وأصحابه ينظرون اليه ويتأملونه حيارى. ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجبا والتفت الى ولديه وقال لهما: من اب [١] مثل هذا الابن ينبغي ان يولد. إذا نجا من هذه الوقعة فوقائع كثيرة تجري على يديه. ومن خطبه لا يغفل من يعقل. وأراد جماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فمنعهم جنكزخان قائلا: انكم لستم من رجاله لأنه كان يرامي المغول بالسهام وهو في وسط الشط. فلما فاتهم أخذوا امر الخان بإحضار حرمه وأولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع. ولأن جلال الدين عند ما أراد الخوض في النهر القى جميع ما كان صحبته من آنية الذهب والفضة والنقرة فيه امر الغواصين فاخرجوا منها ما أمكن إخراجه. وكان هذا الأمر الذي هو من عجائب الأنام ودواهي الأيام في رجب **فقيل في المثل**: عش رجبا تر عجبا.

وفيها اعني سنة ثماني عشرة وستمائة كان اجتماع الملك المعظم والملك الأشرف مع نجدة صاحب ماردين وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج ورد دمياط منهم. فأحاطوا

[-١] من اب ر من الأب.." (١)

"وأما محمد فهو إنقشاري وصنعته الصياغة. وقتل في قتلة اليمن في قضية القلعة بالمدينة المنورة عن غير ولد.

وأما جمال فتوفي وأعقب ولدا.

ويعرف هذا البيت بالمدينة المنورة ببيت دشيشة. وسبب هذا اللقب أن الخطيب عبد الرحمان مغلباي كان إذا خطب يسرع في الخطبة إسراعا كليا فسماه العوام دشيشة. وكان الخطيب المذكور ابن خالة والدهم محمد جمال. وقد **قيل في المثل** المشهور:

إن المناسبة تقع بأدنى ملابسة.

بيت البحيري

" بيت البحيري " نسبة إلى البحيرة، مدينة مشهورة بالديار المصرية.

وأول من قدم منهم المدينة المنورة العلامة الفهامة الشيخ جمال الدين محمد البحيري المالكي في حدود سنة ١٠٠٠. وكان رجلا فاضلا عالما عاملا. وكان يدرس بالروضة النبوية. رأيت له بخطه تذكرة علية عند صاحبنا الخطيب محمد زين العابدين

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٢٣٦

الخليفتي مشتملة على كثير من الفوائد التي هي على فضله شواهد. وتوفي سنة ١٠٦٨. وقد اشترى الدار الكبرى التي في قبلي دارنا الكبرى المعروفة بالسهروردية بخط زقاق الزرندي، والحديقة." (١)

"من أحسن المجاورين. وكان بيننا وبينه محبة عظيمة. وكان يتعاطى بيع القماش في الدكان. وصارت له ثروة عظيمة بسبب ذلك. وتوفي سنة ١١٦٠. وأعقب من الأولاد: حمزة، وعبد الرحمان.

فأما حمزة فكان رجلا مباركا. وسافر إلى المغرب، وغاب فيه مدة مديدة. ثم رجع إلى المدينة ولم يحصل شيئا. **ويقال في المثل** " ما في الغرب ما يسر القلب ". وتوفي سنة ١١٨٣. وأعقب من الأولاد: عبد الله، ومحمدا. وكلاهما يتعاطى صنعة القزازة. وهما موجودان اليوم.

وأما عبد الرحمان فنشأ نشأة صالحة. وصار جوربجيا في وجاق النوبجتية. وتولى أمين بندر ينبع المحروس. وصار محتسبا. وصار يتعاطى البيع والشراء. وصارت له ثروة بسبب ذلك. وتزوج بنت عبد الجواد الصعيدي. وهي أيضا صاحبة ثروة من مال أبيها. وله منها أولاد وبنات موجودون بقيد الحياة. وتوفيت سنة ١١٩٤.

بيت الغم

" بيت الغم ". أصلهم الخواجة عبد الغني علي محمد سليمان الهندي الفتني. قدم المدينة المنورة سنة ١١٣٠. وكان قبل ساكنا بمكة المكرمة.." (٢)

"ما أطلعت بأسها كيما تهددني ﷺ حصاء (١) تطرح من تغشى على شزن (٢)

إلا تذكرت ابن زيد وهو ذو صلة ﷺ عند السنين (٣) وعواد على الزمن

فاسلم ولا زال من عاداك محتملا ﷺ غيظا ولا زال معفورا (٤) على الذقن

لن يعتب الله أنفا فيك أرغمه ﷺ حتى تزول رواسي الصخر من حضن (٥)

إذا خلوت به (٦) ناجيت ذا طهر ﷺ يأوي إلى عقل صافي العقل مؤتمن

طلق اليدين إذا أضيافه طرقوا ﷺ يشكون من مرة شكوى ومن وسن

باتوا يعدون نجم الليل بينهم ﷺ في مستحير (٧) النواحي زاهق السمن

---

(١) تعليق للمؤلف: الحص: تناثر الشعر.

(٢) تعليق للمؤلف: الشزن: شدة الاعياء.

(٣) السنين: القحط.

(٤) تعليق للمؤلف: العفر: التراب.

---

(١) تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب   الأنصاري، عبد الرحمن بن عبد الكريم ص/١٢٧

(٢) تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب   الأنصاري، عبد الرحمن بن عبد الكريم ص/٣٧٨

(٥) تعليق للمؤلف: حضن: جبل"قلت: قال البكري: جبل في ديار بني عامر، **يقال في المثل**: أنجد من رأى حضنا". فمن أقبل منه فقد أنجد، ومن خلفه فقد اتهم (معجم ما استعجم: ١ / ٤٥٥) .

(٦) سقطت من نسخة ابن المهندس، وهي من د.

(٧) تعليق للمؤلف: استحار بالمكان: أقام به".." [١]

"رأسها رأس فرس، وعنقها عنق ثور، وصدرها صدر أسد، وجناحها جناح نسر، ورجلاها رجلا جمل، وذنبها ذنب حية، وبطنها بطن عقرب.

وقال الهيثم بن عدي، عن مجالد بن سعيد: قلت للشعبي: **يقال في المثل**: إن شريحا أدهى من الثعلب، واحيل فما هذا؟ فقال لي: ذاك إن شريحا خرج أيام الطاعون إلى النجف، فكان إذا قام يصلي يجئ ثعلب فيقف تجاهه فيحاكيه ويخيل بين يديه فيشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة واخرج كميه وجعل قلنسوته وعمامته عليه، فأقبل الثعلب فوقف على عادته، فأتاه شريح من خلفه فأخذه بغتة، فلذلك يقال: هو ادهى من الثعلب وأحيل.

قال شريك، عن يحيى بن قيس الكندي: أوصى شريح أن يصلى عليه بالجبانة وأن لا يؤذن به أحد ولا تتبعه صائحة، وان لا يجعل على قبره ثوب، وأن يسرع به السير، وأن يلحد له.

وقال محمد بن إسماعيل الأحمسي، عن المحاربي: زعم أشعث بن سوار أن شريحا مات وهو ابن مئة وعشر سنين. وفي رواية أخرى: عن اشعث بن سوار أنه مات وله مئة وعشرون سنة (١) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة (٢) ، وأبو عبيد، والهيثم بن عدي، وأبو نعيم (٣) ، وغير واحد: مات سنة ثمان (٤) وسبعين.

---

(١) تاريخ الدوري: ٢ / ٢٥٠ والذي فيه: مات وهو ابن مئة وعشر سنين، وتاريخ البخاري الكبير: ٤ / الترجمة ٢٦١١. والذي فيه: مات وله مئة وعشرون سنة.

(٢) المصنف: ١٣ / ١٥٧٨١.

(٣) تاريخ البخاري الكبير: ٤ / الترجمة ٢٦١١، وطبقات خليفة: ١٤٥.

(٤) هكذا بخط المؤلف، والذي نقله ابن أبي شيبة في مصنفه والبخاري وغيره عن أبي نعيم أنهما قالا: ست وسبعين"ولكن انتظر الاختلاف في الرواية بعد قليل.." [٢]

"(يا طبيبا منجما وفقيها ... شاعرا شعره غذاء الروح)

(فهو طورا كمثل جامع سفيان ... وطورا يحكى سفينة نوح)

وقال الجاحظ قال أبو عبيدة زعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار أن أهل سفينة نوح كانوا قد تأذوا من الفأر فعطس الأسد عطسته فخرج من منخريه زوج سنانير فلذلك السنور أشبه شيء بالأسد وسلح الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال   المزي، جمال الدين ١٥٦/٦

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال   المزي، جمال الدين ٤٤٤/١٢

أشبه شيء بالفيل

قال كيسان لأبي عبيدة ينبغى أن يكون ذلك السنور هو آدم السنانير وتلك السنورة حواءها فقال أبو عبيدة وضحك منه ألم تعلم أن لكل جنس من الحيوانات آدم وحواء فضحك القوم من ذلك

٤٤ - (غراب نوح) يضرب مثلا للرسول الذى لا يعود أو يبطىء عن ذى الحاجة من غير إنجاح وذلك أن نوحاعليه السلام أرسل الغراب من السفينة ليأتيه بخبر الماء فاشتغل بميته وجدها ولم يعد إلى نوح حتى أرسل مكانه الحمامة فجاءته بالخبر

قال الجاحظ **يقال في المثل** فلان لا يرجع حتى يرجع غراب نوح كما يقول أهل البصرة حتى يرجع نشيط من مرو وكما يقول أهل." [1]

"الأثافي (١) ؟، وعزا إليه - وحاشاه - كل عيب ضافي، ونسب إليه بعض العقائد المخالفة لأهل السنة، التي لم يكن البعض منها مسطورا في كتبه، وليس له في البعض الآخر سوء المقاصد، مع أنه قد صرح في سائر تأليفاته بخلاف تلك المرويات وبضد هاتيك المعزوات (٢) ، وكذا في وقت المحنة. فتبين عند النقاد أنه منا بريء، وعن ضرها عرى، وبعضها افتراء صرف في معاصريه الراوين، أو الحسدة والمخالفين، الذين لايذكرون موقفهم بين يدي رب العالمين.

ولما تعلقت في هذه الأذهان عبارة منها بسمع كثير من الطلاب، العارين عن الإطلاع على تفصيل الأدلة من الكتاب والسنة، ولم يميزوا القشر من اللباب - وقد **قيل في المثل** ((من يسمع يخل)) (٣) .

شوقتني كثرة السائلين وأجر فصل الخطاب بين المتجادلين، وحثني اتباع قول النبي الأمين عليه أفضل صلاة المصلين، وأزكى سلام المسلمين: ((من أنعش حقا جرى له أجره حتى يأتي الله تعالى يوم القيامة فيوفيه ثوابه)) ، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((من قال في مؤمن ماليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال (٤) حتى يأتي بالمخرج)) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه﴾ [آل عمران١٨٧] وغير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث العظيمة إلى بيان ما في هذه العبارات وأشباهها في بعض الكتب المتفرقات وتحرير أقوال العلماء في

---

(١) الأثافي: جمع الأثفية - بضم الهمزة وكسرها - وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها. (م)

(٢) في (ص) المفريات والقعل (عزا) واوي.

(٣) يخل: أي يتخيل. ومعناه من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع في نفسه المكروه. (م)

(٤) الردغة - بسكون الدال وفتحها -: الطين والوحل الكثير. وطبقة الخبال: ما سال من جلود أهل النار. (م)." [2]

"وأبو زيد الكبرقال الشاعر

(إما ترى شكتي رميح أبي ... زيد فقد أحمل السلاح معا)

وأبو مالك وأبو عمرة الجوع **ويقال في المثل** (أبي أبو عمرة إلا ما أتاه) يقوله الرجل قد سلم للدهر وقال الشاعر

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٤٠

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ١٤/١

(إن أبا عمرة حل حجرتي ... وصار بيت العنكبوت برمتي)

وأم حلس كنية الاتان وهي أم الهنبر أيضا والهنبر الجحش ويقولون (أحمق من أم الهنبر) وعند فزارة أن أم الهنبر الضبع

وأم الندامة العجلة

وأم رمال وأم خنور وأم رغم وأم عمرو وأم عامر كل ذلك الضبع ومن العرب من يجعل أم خنور الداهية ومنهم من يجعلها النعيم ومنهم من يجعلها الدنيا

وأم فروة النعجة

وأم الهيثم وأم الحوار العقاب قال الشاعر

(وكأنها لما عدت سروية ... مسعورة باللحم أم حوار)

سروية أي عقاب من عقبان السراة." (١)

"لا ظل للمرء يعرى من نهى وتقى ... وإن أظلته أوراق وأفنان

والناس أعوان من والته دولته ... وهم عليه إذا عادته أعوان

سبحان من غير مال باقل حصر ... وباقل في ثراء المال سبحان

لا تودع السر وشاء به مذلا ... فما رعى غنما في الدو سرحان

لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم ... غرائز لست تحصيهن ألوان

ما كل ماء كصداء لوارده ... نعم ولا كل نبت فهو سعدان

لا تخدشن بمطل وجه عارفة ... فالبر يخدشه مطل وليان

لا تستشر غير ندب حازم يقظ ... قد استوى فيه أسرار وإعلان

فللتدابير فرسان إذا ركضوا ... فيها أبروا كما للحرب فرسان

وللأمور مواقيت مقدرة ... وكل أمر له حد وميزان

فلا تكن عجلا في الأمر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران

كفى للعيش ما قد سد من عوز ... ففيه للحر قنيان وغنيان

وذو القناعة راض من معيشته ... وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان

حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... إذا تحاماه إخوان وخلان

هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان

إذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه في بسيط الأرض أوطان

يا ظالما فرحا بالعز ساعده ... إن كنت في سنة فالدهر يقظان

ما استمرأ الظلم لو أنصفت آكله ... وهل يلذ مذاق المرء خطبان

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٤٤/١

يا أيها العالم المرضي سيرته ... أبشر فأنت بغير الماء ريان

ويا أخ الجهل لو أصبحت في لجج ... فأنت ما بينها لاشك ظمآن

لا تحسبن سرورا دائما أبدا ... من سره زمن ساءته أزمان

يا رافلا في الشباب الوحف منتشيا ... من كأسه هل أصاب الرشد نشوان

لا تغترر بشباب رائق خضل ... فكم تقدم قبل الشيب شبان

ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم ... يكن لمثلك في الإسراف إمعان

هب الشبيبة تبلى صاحبها ... ما غذر أشيب يستهويه شيطان

وكل كسر فإن الدين يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران

وقال ابن أبي بكر المقري المتوفى سنة ١٠٠١ هـ؟

زيادة القول تحكي النقص في العمل ... ومنطق المرء قد يهديه للزلل

إن اللسان صغير جرمه وله ... جرم كبير كما قد قيل في المثل

عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة ... كحدة السيف لا تغني عن البطل." (١)

"وفهم ما يراد به وما نزل لأجله، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته وتنزيلها على أدواء قلبك، ولا يعرف قدر هذه الطريقة إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وقطاعها والله المستعان انتهى كلامه قال ونزل السيد المذكور على العبد الحقير، وكان نزوله كنزول العافية على السقيم والشفاء للجرح الأليم، والحمد لله على ذلك، ونسأله التوفيق لدوام الشكر على ما هنالك. ثم بدا له التوجه إلى جهة بندر المخا ثم جهة موزع، فلما وصل إلى تلك الجهات ازدحم عليه الخاص والعام وانتفعوا به في أمر دينهم انتفاعا عظيما، لأن السيد هديه في عباداته وعاداته الهدي النبوي لاسيما الصلاة فإنه نفع الله به يقيمها ويحسنها على الوجه التام، الذي وردت به الأحاديث الصحاح والحسان، عن معلم الشريعة صلى الله عليه وسلم، لا يلتزم في إقامتها ولا إقامة غيرها مذهبا من المذاهب، بل مذهبه ما صح به الحديث كما هي طريقة خلائق من العلماء الأعلام.

ومذهبي كل ما صح الحديث به ... ولا أبالي بلاح فيه أوزاري

وله كلام منظوم رائق عذب. ثم عاد بعد إقامته في تلك الجهات إلى زبيد، والعود كما يقال في المثل السائر أحمد، ولم تزل الأيام والليالي زاهرة رياضها بلطائف علومه، ورقائق فهومه، معمورة أوقاتها بعباداته، والأقلام تكتب من إملاء السيد من الفوائد العوائد، النوادر والشوارد، ما ملئت منه الدفاتر وفي هذه المدة وقعت إجازات منه لكل من طلب ذلك، بل إجاز أهل زبيد خصوصا وأهل اليمن عموما، كما وقع نظير ذلك للحافظ ابن حجر العسقلاني عند قدومه زبيد فإني رأيت بخط الفقيه." (٢)

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢/٤٣١

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٢٠٩

"ومعناه أنه طلب ما لا يكون، فلما لم يجده، طلب ما يطمع في الوصول إليه، وهو مع ذلك بعيد. كذا قاله جماعة ممن تكلم على الأمثال. وهو غلط لأن أم معاوية ماتت في المحرم سنة أربع عشرة. في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما والصواب الذي في نهاية ابن الأثير وغيرها أن رجلا قال لمعاوية رضي الله تعالى عنه: افرض لي قال: نعم قال:

ولولدي: قال: لا، قال: ولعشيرتي، قال: لا. ثم تمثل معاوية رضي الله تعالى عنه بقول الشاعر طلب الأبلق العقوق إلى آخره. والعقوق الحامل من الفوق والأبلق من صفات الذكور، والذكر لا يحمل. فكأنه قال طلب الذكر الحامل وبيض الأنوق، مثل يضرب للذي يطلب المحال الممتنع.

وقال السهيلي في أوائل الروض: الأنوق الأنثى من الرخم **يقال في المثل** أراد بيض الأنوق إذا طلب ما لا يوجد لأنها تبيض حيث لا يدرك بيضها في شواهق الجبال. وهذا قول المبرد «١» في الكامل ولم يوافق عليه. فقد قال الخليل «٢» : الأنوق الذكر نت الرخم. وهذا أشبه بالمعنى لأن الذكر لا يبيض، فمن أراد بيض الأنوق فقد أراد المحال، كمن أراد الأبلق العقوق.

وقال القالي في الأمالي: الأنوق يقع على الذكر والأنثى من الرخم.

وحكم الأنوق يأتي إن شاء الله تعالى في باب الراء في الرخمة.

تتمة:

السهيلي اسمه عبد الرحمن بن محمد السهيلي الخثعمي الإمام المشهور قال أبو الخطاب «٣» بن دحية: أنشدني السهيلي أبياتا وقال ما سأل الله تعالى بها أحد حاجة إلا قضاها، وفي رواية إلا أعطاه الله إياها وكذلك من استعمل إنشادها وهي «٤» :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن ... امنن فإن الخير عندك أجمع

ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقري أدفع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا لجودك أن تقنط عاصيا ... فالفضل أجزل والمواهب أوسع

وكان السهيلي مكفوف البصر توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى والله الموفق للصواب.

الإوز:

بكسر الهمزة وفتح الواو البط واحدته إوزة وجمعوا بالواو والنون فقالوا: اوزون.

وقد أجاد في وصفها أبو نواس «٥» حيث قال:." (١)

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٧٢/١

"ألا أيها ذا اللائمي في خليقتي ... هل النفس فيما كان منك تلوم

فكيف ترى في عين صاحبك القذى ... وتنسى قذى عينيك وهو عظيم «١»

الصارخ:

الديك، روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، عن مسروق، قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: كان يحب الدائم. قال: قلت: أي حين كان صلى الله عليه وسلم يصلي؟ قالت: «كان إذا سمع الصارخ قام يصلي» «٢» . قال النووي: الصارخ هنا الديك، باتفاق العلماء، وسمي بذلك، لكثرة صياحه في الليل. قال أبو حامد، في الإحياء:

وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه.

الصافر:

ويقال أيضا: الصفارية طائر معروف من أنواع العصافير، ومن شأنه أنه إذا أقبل الليل، يأخذ بغصن شجرة ويضم عليه رجليه، وينكس رأسه، ثم لا يزال يصيح حتى يطلع الفجر، ويظهر النور. قال القزويني: إنما يصيح خوفا من السماء أن تقع عليه. وقال غيره:

الصافر التنوط الذي تقدم في باب التاء المثناة فوق، وأنه إن كان له وكر جعله كالخريطة، وإن لم يكن له وكر، شرع يتعلق بالأغصان كما ذكرنا.

وحكمه

: حل الأكل لأنه من أنواع العصافير.

الأمثال

: قالوا: «أجبن وأحير من صافر» «٣» . وأما قولهم: «ما في الدار صافر «٤» » ، فقال أبو عبيدة والأصمعي: معناه مفعول به، كما قيل: ماء دافق، وسر كاتم، أي مدفوق ومكتوم. وقال غيرهما: ما بها أحد يصفر.

التعبير

: الصافر تدل رؤيته على الحيرة والاختفاء والركون إلى ذوي الأقدار، خوف العدو، لأنه **يقال في المثل**: «أحير من صافر» ، كما تقدم.

الصدف:

من حيوانات البحر، وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إذا أمطرت السماء فتحت الصدف أفواهها، وهو غلاف اللؤلؤ، الواحدة صدفة. والصوادف الإبل التي تأتي والإبل على الحوض، فتقف عند أعجازها تنتظر انصراف الشاربة، لتدخل هي. ومنه قول الراجز:

الناظرات العقب الصوادف

ومن خواص اللؤلؤ، أنه يذهب الخفقان ويزيل داء المرة السوداء، ويصفي دم القلب والكبد، ويجلو البصر، ولهذا يجعل في

الأكحال. وإذا حل حتى يصير ماء رجراجا وطلي به البهق أذهبه من أول طلية لا غير.

وأما رؤيته في المنام

، فهو على وجوه كثيرة: فإنه يدل على غلمان وجوار وولدان، ومال وكلام حسن، فمن رأى أنه يثقب لؤلؤا ثقبا مستويا، فإنه يفسر القرآن صوابا، ومن رأى اللؤلؤ بيده." (١)

"الجوارح دابة وحشية أكبر من السنور، وأصغر من الكلب، والجمع عنوق. **يقال في المثل** «١» :

«لقي عناق الأرض وأدنى عناق أي داهية» . يريد أنها من الحيوان الذي يصاد به إذا علم.

العنبس:

الأسد، وبه سمي الرجل وهو فنعل من العبوس. والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم ستة: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو وسموا بالأسد والباقون يقال لهم الأعياص.

العنس:

الناقة القوية الصلبة ويقال هي التي اعنونس ذنبها، أي وفر. قاله الجوهري.

والعنسة أيضا اسم للأسد علم مشتق من العنوس قاله ابن سيده.

العنبر:

سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلودها الترس. ويقال للترس عنبر. وقد تقدم ذكرها في باب الباء الموحدة.

روى «٢» البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر علينا أبا عبيدة، نلتقي عيرا لقريش، وزودنا جرابا فيه تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يطعمنا تمرة تمرة، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله.

فانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا شيء كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر. قال: فقال أبو عبيدة: إنها ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليها شهرا، ونحن ثلاثمائة، حتى سمنا، يعني تقوينا، وزال ضعفنا، وإلا فما كانوا سمانا قط، قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيها بالقلال الدهن ونقتطع القطعة قدر التور. ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في عينها، وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامه، ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها، وتزودنا من لحمها.

فلما قدمنا المدينة، أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا ذلك له فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه فتطعمونا» ؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله.

وسرية أبي عبيدة هذه يقال لها سرية الخبط. وكانت في رجب سنة ثمان من الهجرة، وكان فيها عمر بن الخطاب وقيس بن سعد مع أبي عبيدة رضي الله تعالى عنهم. وحديثها رويناه في الغيلانيات وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٨٠

رضي الله تعالى عنه، في سرية فيها المهاجرون والأنصار، ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر، إلى حي من جهينة، فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمرا بجزور، يوفيني الجزور ههنا، وأوفيه التمر بالمدينة؟ فجعل عمر يقول: وا عجبا لهذا الغلام لا مال له يدين في مال غيره! فوجد رجلا من جهينة، فقال له قيس:

يعني جزورا أوفيكه وسقا من تمر المدينة. فقال الجهني: والله ما أعرفك، فمن أنت؟ فقال: أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم. فقال الجهني: ما أعرفني بنسبك، وذكر كلاما، فابتاع منه خمس." (١)

"الخواص

: إذا وضع نسج العنكبوت على الجراحات الطرية، في ظاهر البدن حفظها بلا ورم، ويقطع سيلان الدم إذا وضع عليه، وإذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها. والعنكبوت الذي ينسج على الكنيف، إذا علق على المحموم يبرأ بإذن الله تعالى. وإن لف في خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفعه وأذهبها، وكذلك إذا سحق العنكبوت وهو حي، ومرخ به صاحب الحميات أذهبها. وإذا بخر البيت بورق الآس الرطب هرب منه العنكبوت، قاله صاحب عين الخواص.

التعبير

: العنكبوت في المنام رجل قريب العهد بالزهد، وقيل: العنكبوت امرأة ملعونة تهجر فراش زوجها. وبيت العنكبوت ونسجها وهن في الدين للآية الكريمة المتقدم ذكرها في الأمثال. وقيل: العنكبوت في الرؤيا نساج فمن نازع العنكبوت نازع رجلا نساجا أو امرأة والله أعلم.

العود:

المسن من الإبل وهو الذي قد جاوز في السن البازل والخلف وجمعه عودة، والناقة عودة. **ويقال في المثل**: «زاحم بعود أودع» «١» ، أي استعن على أمرك بأهل السن وأهل المعرفة، فإن رأي الشيخ المسن خير من رأي الغلام ومعرفته. والعود المطافيل، تقدم ذكرها في أول الباب، في لفظ عائد. قال الجوهري: يقال لها ذلك إذا ولدت لعشرة أيام أو خمسة عشر يوما ثم هي مطفل بعد والجمع مطافيل ومطافل.

العواساء:

بفتح العين ممدود الحامل من الخنافس حكاه أبو عبيدة.

العوس:

بالضم ضرب من الغنم يقال كبش عوسي.

العومة:

بالضم دويبة تسبح في الماء، كأنها فص أسود مد ملكة والجمع عوم. قاله الجوهري.

العوهق:

الخطاف الجبلي ويقال للغراب الأسود، ويقال للبعير الأسود الجسيم العوهق الطويل يستوي فيه الذكر والأنثى.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٢١٤

العلا:

القطا وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف.

العلام:

الباشق، وقد تقدم ذكره في باب الباء.

العيثوم:

الضبع حكاه الجوهري عن أبي عبيدة، وقال غيره: العيثوم أنثى الفيل.

العير:

الحمار الوحشي والأهلي أيضا والجمع أعيار ومعيوراء وعيور. روى «٢» ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد الله السلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردا تجرد العيرين» ورواه البزار من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. وروى النسائي في عشرة النساء، من حديث عبد الله بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتى أحدكم أهله فليلق على نفسه ثوبا ولا يتجردا تجرد العيرين» «٣» . وروى." (١)

"واسط: وهي بين البصرة والكوفة، وهي مدينتان على جانبي دجلة، وبينهما قنطرة كبيرة مصنوعة على جسر من سفن يعبر عليها من جانب إلى جانب، فالغربية تسمى كسكران، والشرقية تسمى واسط العراق، وهما في الحسن والعمارة سواء، وهما أعمر بلاد العراق وعليهما معول ولاة بغداد.

وعبادان: وهي مدينة عامرة على شاطئ البحر في الضفة الغربية من الدجلة، وإليها مصب ماء الدجلة **ويقال في المثل**: ما بعد عبادان قرية. ومن عبادان إلى الخشبات وهي خشبات منصوبات في قعر البحر بإحكام وهندسة وعليها ألواح مهندسة يجلس عليها حراس البحر ومعهم زوارق، وهو البحر الفارسي شاطئه الأيمن للعراق والأيسر لفارس.

أرض الفرس: وهي بلاد فارس، ومسكنهم وسط المعمورة. وهي مدن عظيمة وبلاد قديمة وأقاليم كثيرة وهي ما دون جيحون ويقال لها إيذان، وأما ما وراء جيحون فهور أرض الترك ويقال لها قزوين. وأرض فارس كلها متصلة العمائر وهي خمس كور: الكورة الأولى: أرجان، وهي أصغرهن وتسمى كورة سابور، والكورة الثانية اصطخر وما يليها، وهي كورة عظيمة وبها أعظم." (٢)

"فصل في خصائص البلدان

لم تذكر في ترجمة العنوان لأبي منصور الثعالبي رحمة الله تعالى عليه. فمنها: الشام جعلها الله دار الإسلام على التأبيد والدوام، ومن خصائصها أنها كانت مواطن الأنبياء عليهم السلام ومعدن الزهاد وعش العباد؛ ومن خصائصها التفاح الذي يضرب به المثل في الحسن والطيب والرائحة، ومنها الزجاج الذي يشبه به كل شيء رقيق في ألسنة الأنام: أرق من زجاج الشام،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٢٢٨

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٢٠

ومن خصائصها غوطة دمشق. وأطيب نزه الدنيا أربع: غوطة دمشق، ونهر الأبلة، وشعب بوان، وصغد سمرقند.
مصر: خلد الله ملك سلطانها؛ ومن خصائصها كثرة الذهب والدنانير، وكان يقال في المثل السائر ما معناه: من دخل مصر ولم يستغن فلا أغناه الله، ومنها." (١)

"بعد ذلك.

وله مقطعات حسنة، فمنها له وأورده السمعاني في الذيل:

يقول صديق باللسان مخاتر ... كما قيل في الأمثال عنقاء مغرب

فأما إذا ما رمت شخصا معينا ... من الناس موجودا فذلك متعب

وله:

إلى متى أنت في حل وترحال ... تبغي العلى والمعالي مهرها غال

يا طالب المجد دون المجد ملحمة ... في طيها بالنفس والمال

ولليالي صروف فلما انجذبت ... إلى مراد امريء يسعى لآمال

ذكر فصل في عميد الدولة ذكره ابن الهمذاني في تأريخه، قال:." (٢)

"ليال من هجر ويقال في المثل: أوسع من الدهناء. كذا في معجم البكري.

والحروراء أيضا: قرية بظاهر الكوفة ينسب إليها الحرورية وهي طائفة من الخوارج كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليا رضي الله عنه والنسبة إليه حروري. كذا في العباب للصاغاني. وهذه الكلمة لم يوردها البكري في معجمه.

وليس المراد قرية الكوفة وإلا لقال: بحروراء.

وقوله: اسلمي دعاء لدار سلمى بالسلامة لها.

وقوله: إلى جانب حال من دار أيضا: أي ممتدة إلى جانب الصمان بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم.

قال البكري في معجمه: هو جبل ينقاد ثلاث ليال وليس له ارتفاع سوى الصمان لصلابته وتخرج من البصرة على طريق المنكدر لمن أراد مكة فتسير إلى كاظمة ثلاثا ثم إلى الدو ثلاثا ثم إلى الصمان ثلاثا ثم إلى الدهناء ثلاثا.

وقوله: فالمتثلم معطوف على جانب قال البكري: هو بضم أوله وفتح ثانيه وفتح الثاء المثلثة وفتح اللام المشددة: موضع بالعالية. انتهى.

والعالية: مافوق نجد إلى تهامة. ولم يذكرها البكري في معجمه.

وقوله أقامت به البردين بفتح الموحدة: مثنى برد وأراد به طرفي الشتاء. والبردان أيضا: الغداة والعشي.

ويجب أن يكون هذا البيت بعد قوله: ومسكنها البيت ليعود ضمير به إلى المسكن كما في رواية ابن الشجري وإلا كان ينبغي أن يقول: أقامت بها البردين ليعود ضمير بها إلى الدار فإنها مؤنثة كما ذكرنا. وإن أرجعنا ضمير به إليها باعتبار المنزل

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٣٦٦

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق جـ ١ العماد الأصبهاني ص/٩١

فهو تعسف.

وقوله: وبين الدخول فجرثم أي: بين مواضع الدخول فمواضع جرثم. والدخول تقدم." (١)

"يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه. والتوطئة التذليل والتمهيد يقال دابة وطئ يا فتى وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره وفراش وطئ إذا كان وثيرا لا يؤذي جنب النائم عليه.

قال أبو العباس: حدثني العباس بن الفرج الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: قيل لأعرابي وهو المنتجع بن نبهان: ما السميدع فقال: السيد الموطأ الأكناف. وتأويل الأكناف: الجوانب **يقال في المثل**: فلان في كنف فلان كما يقال فلان في ظل فلان وفي ذرا فلان وفي ناحية فلان وفي والثقة: مصدر وثقت به أثق بكسرهما: إذا ائتمنته. والأخ يستعمل بمعنى الملازم والمداوم.

والحقيقة: ما يحق على الرجل أن يحميه. والباسل: الشجيع الشديد الذي يمتنع أن يأخذه أحد في الحرب والمصدر البسالة وفعله بسل بالضم. وأراد بصاحب هذه الصفات الفاضلة محمدا صلى الله عليه وسلم .

(وما ترك قوم لا أبا لك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل)

ما: استفهامية تعجبية مبتدأ عند سيبويه وترك: خبر المبتدأ وعند الأخفش بالعكس. وقوله: لا أبا لك يستعمل كناية عن المدح والذم ووجه الأول: أن يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه ووجه الثاني: أن يراد أنه مجهول النسب والمعنيان محتملان هنا. والسيد من السيادة وهو المجد والشرف. وحاطه يحوطه حوطا. رعاه وفي الصحاح: وقولهم فلان حامي الذمار أي إذا ذمر وغضب حمي وفلان أمنع ذمارا من فلان. ويقال الذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن)

يحميه لأنهم قالوا: حلمي الذمار كما قالوا حامي الحقيقة.." (٢)

"وأنشد بعده الشاهد الحادي والعشرون بعد الأربعمائة كاللذ تزبى زبية فاصطيدا على أن حذف الياء من الذي وتسكين الذال لغة. قال ابن الأنباري في المقصور والممدود: زبي وجمعها زبية وهي أماكن تحفر للأسد. أنشد الفراء:

(فكنت والأمر الذي قد كيدا ... كاللذ تزبى زبية فاصطيدا)

والزبى: أماكن مرتفعة **يقال في المثل**: قد بلغ الماء الزبى.

قال العجاج: قد بلغ الماء الزبى فلا غير وقد أخذه القالي في المقصور والممدود وزاده. قال: ومن أمثالهم: قد بلغ السيل الزبى يقال ذلك عند شدة الأمر. ومنه حديث عثمان: أما بعد فقد بلغ السيل الزبى. ويقال: إن النمل إذا أحست بندى الأرض ترفعت إلى زباها خوفا من السيل فيستدل بذلك من فعلها على كثرة المطر وخصب السنة. قال الكميت." (٣)

"عيالا، فمعناه إن من الحديث ما يستثقل السامع أن يعرض عليه ويستشق الانصات إليه.

[١٥٣] ويقولون: فلان في رفهة، والمسموع عن العرب في رفاهة ورفاهية، كما قالوا: طماعة وطماعية، وكراهة وكراهية.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٧/١١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٦٦/٢

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣/٦

وقد قيل فيها: رفهنية، كما قالوا: بلهنية، واشتقاق لفظ الرفاهية من الرفه، وهو أن تورد الإبل كلما شاءت كل يوم، فكأنهم قصدوا بها التوسع، فأما الرفة فهي أصل لفظة الرفه التي هي دقاق التبن في لغة من قالها بتخفيف الفاء، فهي تجري مجرى شفة التي أصلها شفهة، وقد حذفت إحدى الهائين منها، بدليل تصغيرها على شفيهة.

ويقال في المثل: فلان أغنى من التفة عن الرفة،." (١)

"وهذا عندي أمدح شئ قيل في وصف جماعة. وأنشدنا أبو أحمد لعيسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن:

(الى مستنير الوجه طال بسؤدد ... تقاصر عنه الشاهق المتطاول)

(مدحتك بالحق الذي أنت أهله ... ومن مدح الأقوام حق وباطل)

(يعيش الندى مادمت حيا فإن تمت ... فليس لحي بعد موتك طائل)

(وما لامرىء عندي مخيلة نعمة ... سواك وقد جادت علي مخايل)

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى:

(فتى لو ينادي الشمس ألقت قناعها ... أو القمر الساري لألقى المقالدا)

وهذا وقول أبي الطمحان من الغلو، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموما لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ما هما عليه، ومثل هذا الغلو قول طريح بن إسماعيل:

(أنت ابن مسلنطح البطاح ولم ... يضرب عليك الحني والولج)

(لو قلت للسيل دع طريقك ... والموج عليه كالهضب يعتلج)

(لارتد أوساخ أو لكان له ... في جانب الأرض عنك منعرج)

وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هيبة ولا مخافة، والعرب تقول أجرأ من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراءة وترك الهمز من الجري، **ويقال في المثل** لا أفعل كذا حتى يرد وجه السيل، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم:

(بيمن أبي أسحق طالت يد العلا ... وقامت قناة الدين واشتد كاهله)." (٢)

"فعهدتها أصفى من الماء (١) ، وألطف من الهواء (٢) ، وأثبت من الجبال، وأقوى من الحديد (٣) وأشد امتزاجا من اللون في الملون، وأنفذ استحكاما من الأعراض في الأجسام، وأضوأ من الشمس، وأصح من العيان، وأثقب من النجم، وأصدق من كدر القطا (٤) ، واعجب من الدهر، واحسن من البر، وأجمل من وجه أبي عامر، وألذ من العافية، وأحلى من المنى، وأدنى من النفس، وأقرب من النسب، وأرسخ من النقش في الحجر، ثم لم ألبث أن رأيت تلك المودة قد استحالت عداوة أفظع من الموت، وأنفذ من السهم (٥) ، وأمر من السقم، وأوحش من زوال النعم، وأقبح من حلول النقم، وأمضى

---

(١) درة الغواص في أوهام الخواص الحريري ص/١٩٢

(٢) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢٤/١

من عقم الرياح (٦) ، وأضر من الحمق، وأدهى من غلبة العدو، وأشد من الأسر، وأقسى من الصخر (٧) ، وأبغض من كشف الأستار، وانأى من الجوزاء (٨) ، وأصعب من معاناة السماء، وأكبر من رؤية المصاب، وأشنع من خرق العادات، وأقطع من فجأ البلاء، وأبشع من السم الزعاف (٩) ، وما لا يتولد مثله عن الذحول والتراث وقتل الآباء وسبي الأمهات. وتلك عادة الله في أهل الفسق القاصدين سواه، الآمين غيره؛ وذلك قوله عز وجل ﴿يا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ

---

(١) **يقال في المثل**: أصفى من الماء، أرق من الماء (الدرة الفاخرة ٢٦٣، ٢٠٩) ، وبعض هذه الأمثال مما صاغه ابن حزم وبعضها مما درج في الاستعمال.

(٢) **يقال في المثل**: أرق من الهواء (الدرة الفاخرة: ٢٠٩) .

(٣) يقال أصلب من الحديد، أشد من الحديد (الدرة: ٢٦٣، ٢٣٦) .

(٤) يقال: أصدق من قطاة (الدرة: ٢٦٥) .

(٥) يقال: انفذ من ابرة انقذ من سنان (الدرة ٣٩١) .

(٦) يقال: أسرع من الريح (الدرة: ٢١٧، ٤٤١) .

(٧) يقال: أقسى من حجر، أقسى من صخرة (الدرة: ٣٥١) .

(٨) يقال: أنأى من الكواكب، أبعد من النجم، من السماء، من الثريا الخ (الدرة: ٣٩١، ٧٥) .

(٩) الزعاف والذعاف: كلاهما صحيح.." [1]

"الاحتواء من المستدير، ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس، وهذه خاصية هذا الشكل.

فانظر كيف ألهم الله تعالى هذا النحل- على صغر جرمه- اتخاذ هذه الأشكال المتساوية الأضلاع بحيث لا يزيد ضلع عن ضلع ولا ينقص؛ لطفا به، وعناية بوجود ما هو محتاج إليه ليتهنى عيشه، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأوسع فضله وامتنانه!.

وقال بعض الحكماء: «وبيوت النحل من أعجب الأشياء؛ لأنها مبنية على الشكل الذى لا ينحرف، كأنه استنبط بقياس هندسى، ثم هو من دائرة مسدسة لا يوجد فيها اختلاف، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة؛ وذلك أن الأشكال من الثلاثة إلى العشرة إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل، وجاءت بينها فروج إلا الشكل المسدس، فإنه إذا اجتمع إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة، كل هذا بغير قياس ولا آلة، ولا بركاز، بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير، وإلهامه أياها» .

وقال آخر: «جمع الله تعالى في النحلة السم والعسل، ليكون دليلا على كمال قدرته، وأخرج منها العسل، ممزوجا بالشمع، وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء» .

---

(١) رسائل ابن حزم ابن حزم ٢٨٣/١

وفي «تاريخ أصبهان» «١» في ترجمة أحمد بن الحسن، عن عمر يرفعه:

«أول نعمة تقع في الأرض العسل» «٢» .

ويقال في المثل: «أنحل من نحلة، وأهدى من نحلة» ويقال: «كلام كالعسل، وفعل كالأسل» .." [١]

"وقد كف قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما روى أن أحدا منهم منع من المسجد. وقد نقل في الأخبار أن " ابن أم مكتوم " – وكان اسمه عمرا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله – شكا إليه مجيئه للمسجد وكان بعيد الدار، وبينه وبين المسجد أشب، أي شجر ملتف. فلم يرخص له صلى الله عليه وسلم في ذلك. – وابن أم مكتوم من المهاجرين، عامر بن لؤي، واسم أم مكتوم " عاتكة ابنة عبد الله ابن عنكثة بن عامر بن مخزوم ".

أو ليس " أبي بن كعب " كان يقرىء الناس القرآن " في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والمسلمون بعد مجمعون على أن الأعمى مندوب إلى حضور الجماعات إذا كان يقدر على ذلك. وقد روي عن " أبي حنيفة " أنه كان يكره إمامة الأعمى، والناس على خلافه. " والإمامة لعمري غير الدخول، ولو سمع هذه الحكاية عنك أضراء المساجد الذين يقرئون فيها القرآن ويلقنونه الناس، لابتهلوا عليك في أعقاب الختمات، فلقيت من العقوبة ما يتعوذ من قليله الكفرة والمؤمنون. ولو علم هذا منك قوم يتوسلون في المساجد يخبطون الأرض بالعصى، لوقفوا لك في بعض طرقك وخبطوك بعصيهم خبط الراعي السلمة، فما أجدر دمك عند ذلك أن يكون فزغا جبارا؛ ولديها تنسى ما لقيت من وبيل الغلام الغارم الذي يستأجر لسوقك.

ثم أضفت إلى دعواك هذه، أنه كان لا يمنع أن تلقى البساطة على الضرير. ولو بلغت هذه المقالة رجلا في هذه البلدة وهو ضرير حنزقر أعجر قد جعل له " السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء " – أعز الله نصره – جراية في وقف الجامع " بمعرة النعمان " فخظى وبظى وقويت نفسه ونفذ عزمه، لقعد لك في بعض المضايق ومعه عرزجلة عجراء، هي في العصى مثله في الناس قصيرة غليظة، فاستقبلك بها لبنا وبزرا بزرا وهو يرتجز بصدر هذه الآية:

ليس على الأعمى حرج ... ولا على الأعرج حرج

وتحمله الرغبة في إقامة الوزن على أن يسكن جيم حرج وجيم الأعرج.

فأما تسكين جيم حرج، فكما تسكن الحروف في القوافي. وأما تسكين جيم الأعرج، فضرورة، كما " قال الشاعر:

إنك لو باكرت مشمولة ... حمراء مثل الفرس الأشقر

رحت وفي رجليك ما فيهما ... وقد بدا هنك من المئزر

وإنما قلت: يرتجز بصدر هذه الآية، لأن أشياء في الكتاب الكريم قد استعان بها الشعراء في النظم، ففيه آيتان متصلتان حذفت منهما لام واحدة، ووصلهما " الحكمى " بالوزن الخفيف فقال:

أرأيت الذي يكذب بالدين ... فذاك الذي يدع اليتيما

وآية أخرى إذا حذف منها إن، أمكن أن توصل بالضرب الأول من السريع فقال:

---

(١) رسائل المقريزي المقريزي ص/٣١٨

يا أيها الناس اتقوا ربكم زلزلة الساعة شيء عظيم

ويحك! ألم يكفك أنك ادعيت كراهته لدخول الأعمى المسجد، حتى جعلته لا يمنع أن تلقى السباطة على الضرير؟ فإن كان مؤمنا فكيف يأمر بذلك؟ وإن كان كافرا فغير هذا الصنيع يجب أن يكون عقوبة للكافر.

والعجب كل العجب لهذا التضرير، له جزء في ملكك وهو يسمع خبط حوافرك والنبأة من شحيجك في ليل ونهار، كيف لا يزجرك عن هذه المقالة إن كان قد علمها منك؟ وكيف يصل إلى علم تكل؟ هيهات هيهات! ولو علم كان ضعيفا ركيكا خليقا أن يحتمل كل ضيم وأن يصبر على كل أذاة. وبعض من لا يعرفه من العامة يظن أنه من أهل العلم. كذبت الظنون، لو كان كذلك لولب من حضرة " السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء " – أعز الله نصره – لأنه كما **قيل في المثل**: لا مخبأ لعطر بعد عروس.

ولكنه، المسكين لا يبهج لثناء يكذب عليه.

وزعمت أنه كان يجيز التيمم من التراب وعليه أبوال البغال. فمن حدثك هذا؟ أبغل أسنده لك عن بغل؟ لا اختلاف بين الفقهاء أن بول ما لا يوكل لحمه ليس بطاهر. وإنما جاءت الرخصة في أبوال الإبل، أفحسدتنا على ذلك يا لعين؟ أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العرنيين أن يخرجوا إلى الإبل فيصيبوا من أبوالها وألبانها؟ والعرب إلى اليوم فيهم من يشرب أبوال البكرات في الربيع من غير علة دعتهم إلى ذلك. أذكرت ما ذكرت ليفتخر به رهطك، وإنهم من ذلك الفخر لبرآء؟." (١)

"وسوف تبطل ذوات السموم فلا ينتفع بها، بالذنب ولا الرأس، ولا يهش من أولع بها للمراس. وما يصنع القوم في هذه الحزة بالنصيح والشليل، وهو أوان يلقي الرجل أسمال قميصه ويقتنع بزهيد القوت لخميصه؟ وكأني بالضعفاء من أهل القصبة أو هذي القريات وقد عمدوا لهذه البقول فنهبوها نهب المنفسات، وحملوها في الكرزة والجشر إلى شعث يابسات من كل عجوز كالسفود لا تعرف حلب الرفود. فإذا فني ما ظهر منها للعين حفروا عما بطن باليدين، فترى صاحب الجمازة من الحليت يحتفر كأنه الشب يكشف عن أصول الرخامى النابتة سقاها الربب، فهو كما قال " عبيد ":

أو شبب يحفر الرخامى ... تحفزه شمال هبوب

وكما قال " خفاف ":

يصيدك العير يرف الندى يحفر في مبتكر راعد

وييئس العامل مما في البستان فيذر الاستقاء. وأفوز بالراحة بعض ساعة من اليوم، فأكون كما **قيل في المثل**: " نعيم كلب في بؤسي أهله " – وذلك أن القوم إذا أصابتهم السنة ماتت أموالهم فنعم بأكلها الكلب – ثم يجيء رسول الملاك فأقرب إلى ما هو شر علي وأشق: أوتي بأشياء كثيرة مختلفة يراد مني أن أسير حاملا لها في الرفقة، منها جربة فيها جشب من الطعام، وسفيح قد مليء من الأسفار، ومخلاة عظيمة قد أخذت فوق ما تحتمل من العسوم، وقراطف أخلاق، وبراجد وضروب مما لا أعلم إلا أنها مثقلة ولا أطيق. فأحمل وأنا أفكر وآسف على ما كنت فيه، وأتمنى العدوة إلى هذا المدار؛

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج أبو العلاء المعري ص/٣٦

والحمل يتساقط ويتواقع كما قال " سعد بن مالك ":

وتساقط التنواط والذنبا ... ت إذ جهد الفضاح

من فر عن نيرانها ... فأنا ابن قيس لا براح

فيلهمني الله تعالى أني لا أخلص إلا بسوء الخلق، وألتفت فأرى عجوزا تريد أن تركب على ذلك الحمل، أو شيخا شرا من تلك العجوز:

سليمى أنت في العير

قفي إن شئت أو سيري

فأما أنا فما عندي من نطيش. وآخذ عند ذلك في ضرب الند والزم.

خسا زكا، إليك إليك:

من مبلغ عني يزيد بن الصعق

دونك ما استحسنته فاحس وذق

٣ق - د كنت حذرتك آل المصطلق

وقلت يا هذا. أطعني وانطلق

إنك إن حملتني ما لم أطق

ساءك ما سرك مني من خلق

والذين أرادوا تحميلي، قيام ينظرون ويقولون: ما كانت هذه له بعادة!

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

فأضرب عصيا كثيرة وأنا لا أزيد على خبط الأرض بالحوافر، فليت شعري على اي صرعى أقع؟ هل أترك وما أريد، أم أحمل على شصاصاء؟ وأما يهود فهي في هذه البلدة ثلاث فرق: صباغون، ودباغون، وحاكة في الكلم لا غون.

فأما أهل الصبغ فيردون إلى الناس متاعهم أصفر وأحمر وأزرق كأنه أنوا الربيع، وإن قدروا على ما في الأنفس لحقوا باليرابيع.

وأما أصحاب الأهب والنفوس فيشفقون عليها إشفاق تاجر اليمن على الشفوف، ويرون الآفق من حفظ أفيقه، وفائت المنية من أحرز منيئته.

فيظل الواحد منهم وقد جمع فوق رأسه أصنافا من الأدمة وهو يتخير لها المعاقل.

وأين الهرب من قضاء الله؟

لن يسبق الله على حمار ... ولا على ذي سيعة سيار

قد يصبح الله أمام السار

وأما الحائك فيطوي الشقة وبعضها قد نسج وبعضها ليس بنسج، كأنها كلمة الفحل من الشعراء قد نظم بعضها وتصور الغابر منها وإنما شبهته بالشاعر لأن "كعب بن زهير " قال:

فمن للقوافي بعد كعب يحوكها ... إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

وإنك لتشاهد هذا الرجل من يهود وقد أحس بالخويخية فصار وجهه مثل الفرسكة، وعمد إلى الخوخة فاستخرج منها مشمشيات الألوان كان يدخرها لأم خشاف والعنقفير، وجعل هبرزيا في فيه وأزم عليه إلا مقدار الحذرفوت، فكأنما غيب منه الفوقانية إلا مثل الفسيط. وبادر به إلى المكارين يكشر لهم عن ذلك الخبيء. ويكون كراؤهم قد وقع بالدراهم، فتحملهم بالرغبة فيما مظهر لهم، على الغدر. فكلما أجابوه إلى ما يسأل أبرز لهم شيئا من الدينار، حتى إذا تمت الموافقة بصق نقيشا يتلهب فبل عند ذلك بعير يحمل عليه أو بغل.." (١)

"والصيف ضيعت اللبن، محسنة فهيلي، وابتدئيهن بفعال سبيت. وإذا أرادوا أن يخبروا بأن المرأة كانت تفعل الخير ثم هلكت فانقطع ما كانت تفعله، جاز أن يقولوا: ذهب الخير مع عمرو ابن حممة. وجائز أن يقولوا لمن يحذرونه من قرب النساء: لا تبت من بكري قريبا؛ والبكري أخوك فلا تأمنه. ومثل هذا كثير.

وأما شكواه إلي، فإنني وإياه لكما **قيل في المثل**: الثكلى تعين الثكلى، وعل ذلك حمل الأصمعي قول أبي داود:

ويصيخ أحيانا كما اس ... تمع المضل دعاء ناشد

كلانا بحمد الله مضل، فعلى من نحمل وعلى من ندل؟ أما المطية فآلية، وأما المزادة فخالية، والركب يفتقر إلى الحصاة، وكلهم بهش للوصاة:

يشكو إلي جملي طرل السرى ... صبر جميل، فكلانا مبتلى

إن اشتكت السمرة سفن العاضد إلى السيالة، فإنها تشكو النازلة إلى شاك، والصدق أفضل من الابتشاك. ولا أرتاب أنه يحفظ قول الفزازي منذ خمسين حجة أو أكثر:

أعيين هلا إذ بلت بحبها ... كنت استعنت بفارغ العقل

أقبلت تبغي الغوث من رجل ... والمستغاث إليه في شغل!

ولا يزل أهل الأدب يشكون الغير في كل جيل، ويخصون من العجائب بسجل سجيل. وهو يعرف الحكاية أن مسلمة بن عبد الملك أوصى لأهل الأدب بجزء من ماله، وقل: إنهم أهل صناعة مجفوة. وأحسب أنهم والحرفة خلقا توأمين، وإنما ينجح بعضهم في ذات الزمين، ثم لا تلبث أن تزل قدمه، ويتفرى بالقدر أدمه. وقد سمع في مصر بقصة أبي الفضل وسعيد،." (٢)

"بالكتابة» . **ويقال في المثل**: ما حفظ فر، وما كتب قر «١» . ويقال: الحفظ صيد، والكتابة قيد. الشعبي: إذا سمعت شيئا فاكتبه ولو في الحائط. وقيل:

تكثر من العلم لتفهم، وتقلل منه لتحفظ. قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه. وأنشأ رضي الله عنه يقول:

ما حوى العلم جميعا أحد ... لا ولو مارسه ألف سنه

إنما العلم بعيد غوره ... فخذوا من كل شيء أحسنه «٢»

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج أبو العلاء المعري ص/٨٤

(٢) رسالة الغفران أبو العلاء المعري ص/١٣٠

أرسطو: ليكن ما تكتبه من خير ما تقرأ، وما تحفظ من خير ما تكتب.

وقيل: القلم قيم الحكمة، وإن لهذه العلوم نفرة فاجعلوا الكتب لها حماة، والأقلام عليها رعاة. ثمامة بن الأشرس «٣» : ما أثبتته الأقلام لا يطمع في دروسه الأيام. وقيل: الأقلام رسل الكلام. قال فيلسوف: الخط لسان اليد.

قال أقليدس: الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية. ويقال: الخط عند الفقير مال، وعند الغني جمال، وعند الأكابر كمال. قيل: الدواة من أنفع الإداوات «٤» ، والحبر أجدى من التبر. وقيل: الدواة غدير تفيض ينابيع الحكمة من قراره، وتنشأ سحب البلاغة من أقطاره.

ونظر جعفر البرمكي إلى خط حسن فقال: لم أر باكيا أحسن تبسما من." (١)

"ولا تعتب الدهر الخؤون فدأبه ... لعقد اجتماع الشمل دون المدى حل

لحى الله دهرا لا يزال مولعا ... بتكدير صفو العيش ممن له فضل

يفرق حتى شمل رجلي ونعلها ... أشد فراق لا يرى بعده شمل

فما شئت فاصنع ما اللبيب بجازع ... ولا تارك صفوا إذا زلت النعل

بحقك قم نسعى إلى الرضح سحرة ... نجدد أفراحا لكل صدا تجلو

إلى دار لذات وروض مسرضة ... برحب فناها من غصون المنى ظل

ولابن قلاقس، وقد سرقت نعله:

قل لنجم الدين يا من نهتدي ... من محياه بأسنى قبس

ما الذي أوجب عودي راجلا ... بعد أن وفيتكم ذا فرس

خلعوا نعلي لما علموا ... أنني من ربعكم في قدس

(

تتمة (

يقال في المثل للمتساويين في الخير: فرسا رهان.

وهذا كما أفاده بعضهم باعتبار ابتداء الجري؛ لتساويهما حين الإرسال، وأما في المنتهى فيغلب سبق أحدهما، فكيف يجعلان متساويين، وقد ضربت أنا المثل للمتساويين في الدناءة بفردتي النعل، وثوري الحراث؛ فإنه لا ينتفع بأحدهما دون الآخر، فقلت:

وثقيلين هما ما افترقا ... منهما الدهر أبو الغدر استغاث." (٢)

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٦

(٢) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٣٢٣

"أسبابه، حتى قامت به الأدلة، وسلمت بلا فاصلة كل علة، وجرت في بحاره مياه الفضائل، حتى كاد أن يكذب القائل:

مثل العروض له بحر بلا ماء

فكم وشى رداء الآداب ووشع، ورد شمسها من المغرب كما ردت ليوشع، ولكل عصر يوشع يرد شمس الفضل بعد الأفول، وتشرق شمس العصر على القصر والطلول.

يقرى وفود الطلب بيانا، ويقر عيون الأمل حسنا وإحسانا.

وله في المعالي أرومة، وفي مغارس الفضل جرثومة.

غذى بلبان وليدا وعد لبيد إذا قيس بفصاحته بليدا.

راق في جيد دهره قلادة الأوصاف، وتحلت بعذب مدائحه أفواه الرواة من سائر الأطراف، حتى تهادته الدول، لذيذ الكرى للمقل.

فهو أندى على الأكباد من قطر الندى، وألذ في أفواه الأجفان من كحل الكرى.

فالكون إما ناطق فمعظم ... حرماته أو ناطق فمسبح

ثم إن الدهر اقتطف ثمرة فؤاده، وقطع فلذة كبده ببعض أولاده، فهادر إلى طيبة وقال بها في ظلال النعيم، إلى أن دعاه لجواره المولى الكريم.

وكنت كتبت إليه أسلية، وأصبره في بنيه وأعزيه:

كن المعز لا المعزى به ... إنكان لا بد من الواحد

لعل الله يخلف ما أخذ من بنيك ومالك، ويجعل الباقي منهم كما **قيل في المثل**: فتى ولا كمالك. وأنت لا تعدم أجر الصبر على كمالك.." (١)

"قلت من أنتم فصدت وقالت ... أمبد سؤالك العالمينا «١»

قلت بالله ذى الجلالة لما ... أن تبلت الفؤاد أن تصدقينا

أى من تجمع المواسم أنتم ... فأبيني لنا ولا تكذبينا

فرأت حرصى الفتاة، فقالت ... أخبريه بعلم ما تكتمينا

نحن من ساكنى العراق، وكنا ... قبلها قاطنين مكة حينا

قد صدقناك إذ سألت فمن ... أنت عسى يجر شأن شؤونا

ونرى أننا عرفناك بالنعت ... ظنونا وما قتلنا يقينا

بسواد الثنيتين ونعت ... قد نراه لناظر مستبينا

قولها: «وكنا قبلها قاطنين مكة حينا» أرادت إذ كانت مكة لخزاعة.

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٣٥٨

وكان آخر من نبذ مفتاح الكعبة من خزاعة أبو غبشان، فباعه من قصى بزق خمر؛ **فقيل في المثل**: «أخسر صفقة من أبي غبشان» . وكان أبو غبشان إذ با ع المفتاح قصيا مريضا قد يئس من نفسه، فلما أبل من مرضه لامه قومه، وسألوه استرجاعه، وذلك الذى هاج الحرب بين خزاعة وقريش، فظفر قصى واستولى على مكة، وجمع قريشا بها؛ ولذلك سمى مجمعا، قال مطرف الخزاعى:

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقال الطائى:

ولما نضا ثوب الحياة وأوقعت ... به نائبات الدهر ما يتوقع

غدا ليس يدرى كيف يصنع معدم ... ذرى دمعه في خده كيف يصنع

ولم أنس سعى الجود خلف سريره ... بأكسف بال يستقل ويظلع «٢»

وتكبيره خمسا عليه معا لنا ... وإن كان تكبير المصلين أربع

وما كنت أدرى يعلم الله قبلها ... بأن الندى في أهله يتشيع." (١)

"الحظوة فيما تريد، فلا تأل جهدا ولا تزل مجتهدا متوددا للناس حتى تستدرك ما فاتك مما تطلب. وأصله في المرأة إنها إن لم تحظ عند زوجها فلا ينبغي لها أن تقصر في طلب الحظوة حتى تنالها.

قيل: وأصله أن رجلا كانت لا تحظى عنده امرأة فتزوج امرأة فلم تأل جهدا في أن تحظى عنده، فلم يقنعه ذلك وطلقها، فقالت ذلك أي: إن لم أحظ عنده فأني لم أقصر، فصار مثلا في كل من اجتهد في أمر ليناله وتعذر وهو لم يقصر في طلبه والسعي فيه.

واعلم إنه **يقال في المثل** بالنصب والرفع بحسب تقدير المحذوف، فمن نصب فمعناه باعتبار الأصل إن لا أكن عندك أيها البعل حظية فلا أكون ألية في الحظوة بتحسين خلقي وخلقي حتى أدركها. ومن رفع فله وجهان: أحدهما أن تكون الحظية مصدرا لا وصفا. والمعنى إن أخطأتني الحظوة عندك فلا أكون ألية في طلبها أو فلا يقع مني ألو وتقصير. الثاني أن تكون الحظية وصفا على بابها إلا إنها راجعة إلى غير القائلة والمعنى: إن لا تكن لك في الناس حظية تحظى عندك فأنا لا أكون ألية في طلبها حتى أنالها منك، أو نحو هذا من التقادير آتى يصح بها المعنى، كما يجري في نحو: إن خيرا فخير، وإن سيفا فسيف. وقد قرر في النحو ما فيه من التقادير وما هو الأرجح منها وهو معروف.

إن لا أكن صنعا فإني أعتثم.

الصنع: الحاذق الماهر. يقال: رجل صنيع وصنع بكسر فسكون، وصنع بفتحتين، ويروى بهما قول أبي ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تبع

وقال حسان رضي الله عنه في الأخير:

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٢٩٤/١

اهدي لهم مدحتي قلب يوازره ... فيما أحب لسان حائك صنع

ويقول: امرأة صناع، على مثال رزان، ضد الخرقاء. قال امرؤ القيس:

وعين كمرأة الصناع تديرها ... بمحجرها من النصيف المنقب." (١)

"الألمعي الذي يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

وقال الآخر:

بصير بأعقاب الأمور إذا التوت ... كأن له في اليوم عين على غد

وقال ابن الرومي:

كمال وإفضال وبأس ونجدة ... وظن يريه الغيب لارجم راجم

وقال آخر:

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى ... إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من لم ينتفع بظنه، لم ينتفع بيقينه. وقال عبد الملك بن مروان: ما فرق بين عمر وعثمان إلا اختلاف الضن: ظن عمر فأصاب فتحفظ، وظن عثمان فأخطأ فأمهل.

إنه لنكد الحظيرة.

النكد: لشدة والقلة؛ يقال: نكد عيش القوم إذا اشتد، ونكد ماء البئر إذا قل، وناقة نكود قليلة الدر، ورجل نكد: عسير؛ والحظيرة والحظار بالظاء المشالة: ما يجعل للماشية ويحاط بالشجر ونحوه للتأويل إليه ويمنعها من الحر والبرد، لأنها من الحظر وهو المنع.

يضرب هذا المثل للرجل القليل الخير وللبخيل مع السعة، فكأن ضيق حضيرته كناية عن ضيق خيره وقلة فضله، كما **يقال في المثل** الآخر من هذا المعنى: فلان ضيق العطن، وإنما العطن مبركة الإبل عند الماء؛ لكن جعل كناية عما مر. ويقال في ضده: فلان رحب الفناء، وسابغ الذيل، وغمر الرداء، ونحو ذلك. وقال أبو القاسم بن سلام: أراه سمى أمواله حظيرة لأنه حظرها عنده ومنعها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. وهو بعيد عن صنيع الكلام وأسلوب العرب في هذا النحو كما قررناه.

إنه لهتر اهتار.

الهتر بكسر الهاء وسكون المثناة الفوقية: العجب والداهية، فيقال: فلان هتر اهتار." (٢)

"ويضرب مثلا للرجل الداهي، كما تقدم في قولهم: صل اصلال. قال أوس بن حجر في الهتر بمعنى العجب:

الم خيال موهنا من تماضرا ... هدوا ولم يطرق من الليل باكرا

وكان إذا ما التم منها بحاجة ... يراجع هترا من تماضر هاترا

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٠١/١

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٢٦/١

وعن أبن الأعرابي: الهتر والهتر، " بالضم والكسر: ذهاب العقل. وفي الصحاح: الهتر: العجب والداهية، والهتر " السقط من الكلام، يقال: هتر هاتر، وهو توكيد. ومنه بيت أوس المذكور عنده.

إنه لواقع الطائر.

مثل للرجل الساكن الأمور. وهو في الأصل أما مشبه بالبعير يقع غليه الطائر وينزع ما عليه من القراد، فيسكن البعير استلذاذا لذلك ولا يتحرك لئلا ينفر الطائر فيطير عنه، كما **يقال في المثل** الآتي: كأن على رأسه الطير؛ وأما مشبه بالطائر الواقع في سكونه على ضرب من التجريد، كما مر في ساكن الريح.

انك لا تجني من الشوك العنب.

يقال: جنى الثمرة، واجتناها، وتجناها، وكل ما يجنى من الثمر فهو جنى بالفتح والقصر وجناة؛ والشوك، بفتح الشين المعجمة، معروف؛ الواحدة: شوكة؛ وشجرة شاكة وشوكة وشائكة: ذات شوك: والعنب معروف. ومعنى المثل أن الشر لا تستحصل منه خيرا، والفساد لا تكتسب منه صلاحا، كما إن العنب ليس بخارج من الشوك. فإذا أوقعت شرا أو ظلمت أحدا فقد غرست شوكا، ولا تحصده إلا شوكا. وفي الحكمة: من يزرع خير يحصد غبطة، ومن يزرع الشر يحصد الندامة. وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس ناطما لهذا المثل بعينه:

إذا وترت أمرءا فأحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا." (١)

"جسمي من الجراحة، وأنا أيضا قارح الأقداح أي كامله شديده لأن القارح من الخيل الذي تناهت سنه وكملت قوته.

والثاني هي الخفي أنه يقول: أصبت من الأعداء وانصرفت عنهم وأنا لم أصب أي لم أوجد جذع البصيرة قارح الأقدام بل وجدت قارح البصيرة جذع الأقدام؛ لأن بصيرة القارح المجرب هي التي لا تضطرب ولا تستحيل وبصيرة الجذع أي الصغير لا تثبت ولا تدوم وإقدام الجذع قوي ماض لأنه لا ينثني ولا يردعه شيء.

واستظهار هذا التفسير الثاني الذي امتدح فيه بالسن على الأول الجلي إنه يستحيل أن يقول: انصرفت ولم أصب من أعدائي بشيء. وكيف وهو يقول قبله: حتى خصبت بما تحذر من دمي: أحناء سرجي؟ فهذا اعتراف بأنه أصيب بالجرح. فكيف ينقض كلاوه؟ وأجيب من قبل أهل المذهب الأول بأنه أراد بقوله: لم اصب لم أقتل. يقال: فلان أصيب أي قتل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في أمرئه: أميركم زيد: فإن أصيب فجعفر فإن أصيب فعبد الله بن رواحة. فقتلوا كلهم. وقال أصحاب الرأي الثاني: كيف يحسن منه أن يقول: أقتل وهو ينشدهم الشعر والمصيبة تطلق على أعم من القتل؟ قال تعالى:) الذين أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإن إليه راجعون (.

قلت: وهذا الكلام ضعيف إذ لا مانع من أن يقول افتخارا: قتلتهم وأهلكتهم ولم يقتلوني. وأما عموم المصيبة فغير مانع من

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٢٧/١

التخصيص بقرينة المقام وسياق الكلام مع أن استنكافه من يكون إقدامه قارح ورضاه بإقدام الجذع مخول فإن العرب ما زالت تفضل القارح على الجذع كما قال زهير:

يفضله إذا اجتهدا عليها ... تمام السن منه والذكاء

ولذلك **قيل في المثل**: مذكية تقاس بالجذاع. وقيل أيضا: جري المذكيات غلاب، ة قد تقدم في هذا الكتاب معا.

وقول زهير بن مسعود السابق: فلم أرقه إن ينج منها يريد الطعنة التي طعن.." (١)

"لا خير في طمع يهدي إلى طبع ... وغفة من قوام العيش تكفيني

الغفة بضم الغين المعجمة بعدها فاء: البلغة من العيش. ويقال للفأر أيضا لأنه بلغة للسنور. وأما العفة بالعين المهملة المضمومة فهي بقية اللبن في الضرع ومعناه صحيح في البيت أيضا. وسيأتي ما في ذم الطمع والحرص مستوفى إن شاء الله تعالى.

رب عجلة تهب ريثا.

العجلة معروفة. يقال: عجل بالكسر يعجل عجلا وعجلة فهو عجل بالكسر وعجلان؛ والهبة: العطية. وهب الشيء يهبه بالفتح فيهما هبة. والريث بالمثلثة: البطء. يقال: راث ريثا. أي رب عجلة منك تعطيك ريثا وتهب لك بطئا.

والمعنى أن الرجل ربما عجل في أمر ليفعله سريعا فأداه عجله إلى البطء وذلك بسبب تضييع ما ينبغي أن يحافظ عليه فيضطر إلى العودة إليه ثانيا. وعبر بلفظ الهبة مجازا لما كان ذلك سببا لذلك.

ويقال في المثل: رب عجلة وهبت ريثا وتهب ريثا بلفظ الماضي والمضارع والمعنى واحد.

ورأيت في نسخة عتيقة من نوادر أبي علي القالي: تهب ريثا مضموم الهاء مشدد الباء بضبط القلم على إنه من الهبوب. وهو يفيد المعنى غير أن الأول أوضح في المقصد وكأن هذا تصحيف والله اعلم. وهذا المثل في ألسنة العوام اليوم موجود معناة يقولون: من عجل أبطأ.

رب قول أشد من صول.

القول معروف والصول: القهر والسطوة والاستطالة. صال عليه يصول صولا. والمعنى إنه رب كلام يعاب به الإنسان هو أشد عليه من الصولة. وهذا من كلام أكثم بن صيفي.." (٢)

"المصاب وينعق بين الخلان والأحباب إن رأى شملا مجتمعا أنذر بشتاته ربعا عامرا أنذر بخرابه ودروس عرصاته يعرف النازل والساكن بخراب الدور والمساكن ويحذر الآكل غصة المأكل ويبشر الراحل بقرب المراحل ينعق بصوت فيه تحزين كما يصيح بالتأذين. وأنشد على لسان حاله:

أنوح على ذهاب العم مني ... وحق أن أنوح وأن أنادي

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم   الحسن اليوسي ٣١/٣

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم   الحسن اليوسي ٤٣/٣

وأندب كلما عاينت ربعا ... حدا بهم أوشك البين حادي

وتقدم تمام هذه القصيدة في الدال.

أشأم من قدار.

قدار بالقاف والدال المهملة على مثل غراب هو قدار بن سالف عاقر الناقة والقدار: الجزار. وقد قيل إن قدارا هذا كان جزارا.

وقد **يقال في المثل**: أشأم من أحمر ثمود وهو قدار المذكور. قال زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قيل: أراد " أحمر ثمود " فغلط. وقيل ثمود من عاد وكان من خبره في عقر الناقة على اختصار أن ثمودا كانت تبني على طول أعمارها. فاتخذوا من الجبال بيوتا يسكنوها في الشتاء كما قال الله تعالى وبنو قصرا يسكنونها في الصيف. فلما بعث الله إليهم صالحا على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال له زعيمهم: إن كنت صادقا فأظفر لنا من هذه الصخرة ناقة على صفة كيت وكيت! فأتى الصخرة فتمخضت كالحامل وانشقت عن الناقة ثم تلاها سقبها. فآمن به كثير منهم. فكان شربها يوما وشربهم يوما. فإذا كان يوم شربها حلبوها فملؤوا من لبنها كل إناء ووعاء. فلما امتنعت إياهم من الماء في يوم شربها استثقلوها. وكان فيهم امرأتان: عنزة وصدوق بذلنا أنفسهما لقدار على أن يعقر الناقة. وكان قدار أشقر أزرق قصيرا. وكان له صديق يعينه على الفساد في الأرض وكانا في تسعة من أهل الفساد. فضرب قدار عرقوبها بسيفه وضرب صاحبه العرقوب الآخر والتهموا لحمها. فخرجت ثمود إلى صالح وتزعم أنها لا ذنب لها.." (١)

"وما تأخر. قال: يا رب ما بلغ من محبتك لأمته قال: يستغفرني مستغفرهم فأغفر له ويدعوني داعيهم فأستجيب له قال: يا رب فاجعلني منهم قال: تقدمت واستأخروا.

فائدة: قال النحويون الأغلب على معد وقريش وثقيف التذكير والصرف.

ابن عدنان بفتح العين وإسكان الدال المهملتين ثم نونين بينهما ألف: مأخوذ من عدن بالمكان إذا أقام به. حكاه ابن الأنباري والزجاجي وغيرهما.

وكنيته أبو معد قال البلاذري ويقال إن أول من كسا الكعبة عدنان، كساها أنطاع الأدم.

وله من الولد معد والديث بدال مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فمثلثة. وأبي وألعي بهمزة وعين مهملة مفتوحتين وسكون المثناة التحتية وبعضهم يقول بكسر العين وتشديد الياء والثبت الأول. وعدي بضم العين وفتح الدال المهملة مصغرا، كذا وجدته في نسخة صحيحة مقروءة مقابلة على عدة نسخ من تاريخ البلاذري.

وذكر السهيلي عدن بن عدنان وقال: وإليه تنسب عدن ونازعه في الزهر في ذلك، وقال إنها منسوبة إلى غيره فالله تعالى أعلم.

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٣/٢١١

والحارث والمذهب ولذلك **يقال في المثل**: أجمل من المذهب.

وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى من ولد عدنان عكا ونوزع في ذلك بأمرين: أحدهما أن عدنان والد عك بفتح العين وهو ابن عبد الله بن الأزد. وقال ابن المعلى في كتاب الترقيص: وعلى ذلك علماء عك والثاني على تقدير تسليم ما ذكره ابن إسحاق: ليس عك ابنا لصلب عدنان إنما هو على ما ذكره الكلبي والبلاذري في آخرين: عك واسمه الحارث بن الديث بن عدنان.

تنبيه: قد قدمنا أن ما سبق هو النسب الصحيح المجمع عليه في نسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ما بين عدنان إلى إسماعيل فيه اضطراب شديد واختلاف متفاوت حتى أعرض الأكثر عن سياق النسب بين عدنان وإسماعيل. ولكن لا خلاف أن عدنان من ذرية إسماعيل. وإنما الخلاف في عدد ما بينهما. وقد اختلف النسابون في ذلك، فذهب جماعة إلى إنه لا يعرف. ومما استدلوا به ما

رواه ابن سعد إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد، ثم يمسك ثم يقول: كذب النسابون

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه.." (١)

"الثاني عشر: قال السهيلي: خص الذهب لكونه مناسبا للمعنى الذي أريد به فإن نظرت إلى لفظ الذهب فمطابق للذهاب، فإن الله تعالى أراد أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرا وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه **يقال في المثل**: «أنقى من الذهب» وقالت بريرة في عائشة رضي الله تعالى عنها: ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر. وقال حذيفة رضي الله تعالى عنه في صلة- بكسر الصاد المهملة- ابن أشيم- بالشين المعجمة- وزن أعلم: إنما قلبه ذهب. وقال جرير بن حازم رحمه الله تعالى، وهو بالحاء المهملة والزاي، في الخليل بن أحمد: إنه لرجل من ذهب. يريد النقاء من العيوب.

فقد طابق طست الذهب ما أريد بالنبي صلى الله عليه وسلم من نقاء قلبه.

ومن أوصاف الذهب أيضا المطابقة لهذا المقام: ثقله ورسوبه فإنه يجعل في الزئبق الذي هو أثقل الأشياء فيرسب. والله سبحانه وتعالى يقول: إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا [المزمل ٥] وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إنما ثقلت موازين المحقين يوم القيامة لإتباعهم الحق وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا. وقال في أهل الباطل بعكس ذلك.

وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الوحي وهو على ناقته فثقل عليها حتى ساخت قوائمها في الأرض. فقد طابقت الصفة المعقولة الصفة المحسوسة.

ومن أوصاف الذهب أيضا: أنه لا تأكله النار، وكذلك القرآن لا تأكل النار يوم القيامة قلبا وعاه ولا بدنا عمل به. قال عليه الصلاة والسلام: «لو كان القرآن في إهاب ثم طرح في النار ما احترق [(١)] » .

ومن أوصاف الذهب المناسبة لأوصاف القرآن والوحي: أن الأرض لا تبليه وأن الهواء لا يذريه وكذلك القرآن لا يخلق على

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١/٢٩٥

كثرة الرد ولا يستطاع تغييره ولا تبديله.

ومن أوصافه أيضا: نفاسته وعزته عند الناس. وكذلك القرآن والحق عزيزان، قال تعالى:

وإنه لكتاب عزيز [فصلت ٤١.]

فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه فإن نظرت إلى ذاته وظاهره فإنه زخرف الدنيا وزينتها، وقد فتح بالقرآن والوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وأمته خزائن الملوك وتصيير ذلك إلى أيديهم

[(١)] أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٥٥ والطبراني في الكبير ٦/ ٢١٢ وابن عدي في الكامل ١/ ٤٦ والعقيلي في الضعفاء ٢/ ٢٩٥ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٦١ وعزاه لأحمد وأبو يعلى والطبراني وقال: فيه ابن لهيعة وفيه خلاف وفسره بعض رواة أبي يعلى بأن من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من الخنزير.." (١)

"للأصيلي فقط وهو المشهور في اللغة. وفي لغة أرعوفة. وفي رواية عند أحمد «رعوثة» ، بثاء مثلثة بدل الفاء وهي لغة أخرى معروفة. وفيها لغة أخرى «زعوبة» بالزاي والموحدة، وهما بمعنى واحد. والراعوفة [(١)] حجر يوضع عند رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي، وقد يكون في أسفل البئر إذا احتفرت، يجلس عليها الذي ينظف البئر، وهو حجر يوجد صلبا لا يستطاع قلعه.

«أفتاني فيما استفتيته فيه» : أجابني فيما دعوته، فأطلق على الدعاء استفتاء لأن الداعي طالب، والمجيب مستفتى، والمعنى: أجابني عما سألته عنه، لأن دعاءه كان الله أطلعه على حقيقة ما هو فيه لما اشتد عليه الأمر.

«أنشط من عقال» [(٢)] : بضم الهمزة. وفي رواية إسقاط الألف، أي حل كما قال في النهاية، وكثيرا ما يجيء في الرواية «كأنما نشط من عقال» وليس بصحيح، يقال: نشطت العقدة إذا عقدتها، وأنشطتها وانتشطتها إذا حللتها. انتهى. قال في البارع تقول العرب: «كأنما أنشط من عقال» ، بضم الهمزة. **ويقال في المثل** للمريض: يسرع برؤه، والمغشي عليه تسرع إفاقته في أمر شرع فيه عزيمته: «كأنما أنشط من عقال» ، ويقال نشط، انتهى. فأثبت ما في الرواية لغة، وهو أعرف باللغة من صاحب النهاية.

«تنشرت» : ظاهر صحيح البخاري أنه من النشرة، ويحتمل أنه من النشر بمعنى الإخراج فيوافق رواية من رواه بلفظ «أفأخرجته؟» ورواية «أفلا» وحذف المفعول للعلم به ويكون المراد بالمخرج ما حواه الجف لا الجف نفسه، ليتأكد الجمع المتقدم ذكره. والنشرة ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرا أو مسا. قيل للنشرة ذلك لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء. والله أعلم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٦٨/٢

[(١)] انظر اللسان ٣/ ١٦٧٣.

[(٢)] انظر اللسان ٦/ ٤٤٢٨.." (١)

"وأنشدني أبو علي:

من لي من هجران ليلى من لي

والحبل من حبالها المنحل

تعرضت لي بمكان حل

تعرض المهرة١ في الطول

تعرضا لم تأل٢ عن قتلا لي٣

هكذا أنشدنيه: "عن قتلا"، وحمله تأولين:

أحدهما أنه قال: يجوز أن يكون أراد الحكاية، كأنه حكى النصب الذي كان معتادا من قولها في بابه، أي كانت تقول: قتلا قتلا، أي أنا أقتله قتلا، ثم حكى ما كانت تلفظ به، كما تقول: بدأت بالحمد الله، وقرأت على خاتمة: الله ربنا.

وكقول الآخر٤:

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعار٥

أي وجدنا هذا مكتوبا عندهم، والمعار ها هنا: السمين، هكذا قال أبو حاتم.

وليس المعار هنا من باب العارية٦ كما يظن قوم.

---

١ المهرة: هي الأنثى من ولد الفرس. "ج" مهر. مادة "م. هـ. ر". اللسان "٦/ ٤٢٨٧".

٢ تأل: تدخر.

٣ معنى هذا الشاهد والكلام عليه سبق.

٤ البيت أنشده اللسان في "عير" ونسبه إلى الطرماح بن حكيم، ثم نقل عن ابن بري نسبته إلى بشر بن أبي خازم.

٥ المعار: أعار الفرس: سمنه، أو ضمره بترديده، من عار يعير: أذا ذهب وجاء، وأعاره صاحبه، فهو معار. مادة "ع ي ر" اللسان "٤/ ٣١٨٦".

إعراب الشاهد: أحق: مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة. الخيل: مضاف إليه.

بالركض: جار ومجرور. المعار: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

٦ العارية: ما تعطيه غيرك على أن يرده لك، **يقال في المثل**: "كل عارية مستردة"، "ج" عوار مادة "ع. و. ر". اللسان "٤/ ٣١٦٨".." (٢)

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤١٥/٣

(٢) سر صناعة الإعراب ابن جني ٢٤٣/١

"لو تركها غرق في بحار الوحول أو لو تصدق بها للاحتساب وجعلها طعمة للذباب وهزوة للكلاب لكي تستريح من صب صوت العذاب فكم طوينا بها والليل حالك مهامه فسيحة الارجا والمسالك في سعة الصدر الكريم أو قريب من ذلك حتى أشرفنا على البلد المعروف والوطن المألوف فخرج إلى استقبال الداعي كل كبير وصغير ونحن لهم بصدد التوقير إلى أن غصت أفواه الطرق بالناس وأسفرت وجوه المحبين بالاستيناس

فقلت لصاحبي انعم صباحا ... لعمرك قد تعارفت الوجوه

وأوقد في بعض الأسواق الشموع والشمس في الرابعة والدعوات لأولياء النعم متتابعة والتأمين بالارتفاع حتى من ذوات القناع ولا سيما عند وصول الداعي للدار واجتماعه بمن كان له في الأنتظار من أهل وحرم وأتباع وخدم كان أبكاهم ألم الفراق وتجرعوا مرارة كاسه الدهاق فرب قارة في كنها لم تخرج وطفل من وكنه بعد لم يدرج وكان الارجاف بنا أقعدهم عن النهوض ومنع أجفانهم من لذة الغموض وتخلى عنهم كل صديق كان يعد للمضيق

لا تعدن للزمان صديقا ... وأعد الزمان للأصدقاء

وبحمد الله تعالى سهام مطاعن الأعداء علينا طاشت وأباطيل الحساد اضمحلت وتلاشت ومودات من قد كانوا دفنوا المعرفة عاشت ومن غضب من غير شيء كان من غير شيء رضاه فلا بلغ حاسد ما يتمناه وبتوفيق الله تعالى قد بذل الداعي ما في طوق الامكان من إكرام كافة الاخوان ولم يبدلا حد منهم صفحة انكار ولا أحوجه إلى مضض الاعتذار

على أنني أقضي الحقوق بطاقتي ... وأبلغ في رعى الذمام لهم جهدي

وما مثل الداعي ومثل من دبت إليه منهم عقارب النميمة ورموه عن قوس الزور والبهتان بكل عظيمة إلا كما قيل

كل يوم يقول لي لك ذنب ... يتجنى ولا يرى ذاك مني

فانا الدهر في اعتذار إليه ... وإذا ما رضى فليس يهني

ربما جئته لاسلفه العذ ... ر لبعض الذنوب قبل التجني

على أن الأكثر فيما تقولوه وازهقه الله فبطل كما قيل في المثل مكره أخاك لا بطل

ورب اشارة عدت كلاما ... ولفظ لا يعد من الكلام

ونثار المترجم من جزيل وأشعاره كثيرة وكأنت وفاته في ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى وبنو كيوان بدمشق طائفة." (١)

"وأنشد ابن الأعرابي لرجل يخاطب امرأة:

فلا وأبيك لا أولى عليها ... فتمنع طالبا مني يمين

فإني لست منك ولست مني ... إذا ما طار من مالي الثمين

وقال الأقرع بن معاذ في مثله:

إن لنا صرمة تلفي محبسة ... فيها معاد وفي أربابها كرم

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١٠٦/١

تسلف الجار شربا وهي حائمة ... ولا يبيت على أعناقها قسم

ونسبهما صاعد إلى الحكم الخضري وقال بشار يهجو بخلاف ذلك:

إذا جئته في حاجة سد بابه ... فلم تلقه إلا وأنت كمين

فقل لأبي يحيي متى تدرك العلا ... وفي كل معروف عليك يمين

ويرويه أبو علي: ألا ذهب الحلو الخلال الحلاحل على الإضافة بالخاء معجمة جمع خلة. وقوله: تصيب مرادي قوله ما يحاول. المرداة حجر يرمى به يقال رديت الرجل أرديه إذا رميته، والمرداة أيضا حجر يكون عند جحر الضب، يقال في المثل "كل ضب." (١)

"وإني من القوم الذين همو همو ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه

" قلت وقول السموأل:

إذا سيد منا خلا قام سيد ... قؤول لما قال الكرام فعول "

وأنشد أبو علي " ١ - ٦٦، ٦٦ " للأعشى:

زنادك خير زناد الملوك ... صادف منهن مرخ عفارا

ع بعده:

فإن يقدحوا يجدوا عندها ... زنادهمو كابيات قصارا

ولو رمت تقدح في ليلة ... حصاة بنبع لأوريت نارا

يقال في المثل: " أرخ يديك واسترخ إن الزناد من مرخ " يضرب لمن طلب حاجة فيؤمن أن لا يلح فيها فإن صاحبه كريم.

والكابية من الزناد التي لا توري. وروى أبو عبيدة:

ولو بت تقدح في ظلمة صفاة بنبع ... والصفا لا توري وكذلك النبع.

قال أبو علي: الأعلى زند والأسفل زندة.

وقد جعل أمية ابن أبي الصلت الزندة طروقة فقال:

والأرض نوخها الإله طروقة ... للماء حتى كل زند مسفد

وأنشد أبو علي " ١ - ٦٧، ٦٦ " للعجاج:

عاين حيا كالحراج نعمه

وقبله قال وذكر جيشا غزاهم:." (٢)

"(حتى أجاز سالما حماره ... مستقبل القبلة يدعو جاره)

وذكر الزبير بن بكار خبر الإجازة من المزدلفة فأفاد ما لم يفده ابن إسحاق فاقتضى ذلك ذكرنا له قال بعد أن ذكر خبر

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢٢٥/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢٣٦/١

الإجازة من عرفة قال أبو عبيدة والإجازة الثانية من جمع غداة النحر إلى منى وكان ذلك إلى بني زيد بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر وكان آخر من ولي ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد الحارث وكان يجيز على حماره قال السهيلي فكانت له أتان عوراء خطامها من ليف وكان **يقال في المثل** أصح من حمار أبي سيارة قال أبو الحسن الأثرم قال أبو عبيدة أظنه كان سمينا وقال محمد بن الحسن عاش حمار أبي سيارة أربعين سنة لا يصيبه فيها عرض فقيل أصح من عير أبي سيارة قال الزبير بن بكار حدثني إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران قال أخبرني عقال بن شيبة قال فلم تزل الإجازة في صوفة حتى أخذتها عدوان حتى أخذتها قريش قلت هذا صريح في خلاف ما تقدم من أن الإجازة من عرفة في آل صوفة استمرت إلى آخر الإسلام وكان آخرهم كرب بن صفوان وكذلك الإجازة من مزدلفة استمرت في عدوان حتى كان آخرهم أبا سيارة عميلة بن الأعزل فلعل قائل هذا أشار إلى ما وقع لقصي من أخذ ذلك من صوفة وعدوان ثم ترك ذلك قصي لأنه كان يراه ذنبا فتركه وذكر القاضي حدثني أحمد بن سليمان قال حدثني أبو زيد بن مبارك قال حدثني أبو ثور عن ابن جريج قال وقال مولى ابن عباس كانت الحمس من عدوان يقومون بالمزدلفة حتى يدفعوهم ومن يعرف بعرفة من المزدلفة غداة جمع وكان يدفع بهم أبو سيارة على حمار له عرى وكان يقول أشرق ثبير كيما نغير وكان كرب بن صفوان يأخذ بالطريق فلا يفيض أحد من عرفات حتى يجيز وكانوا يقفون ولا يعرفون الوقوف بها فيقيمون ويفتخرون بآبائهم وأفعالهم." (١)

"عبد الملك فزاده عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه تبادله وهي أول ما ولي فخرج إليها فلما قرب سأل عنها فقيل له إنها وراء هذه الأكمة فقال أف لبلد تسترها الأكمة ورجع **فقيل في المثل** أهون على الحجاج من تبالة ثم وصل إلى ما وصل إليه وزعم بعض الرواة أن أول أمر الحجاج أنه كان معلما للصبيان وكان يسمى كليبا وفيه يقول الشاعر // (من المتقارب) //

(أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر)

(رغيف له فلك ما يرى ... وآخر كالقمر الأزهر)

يشير إلى الناس أن خبز المعلمين يختلف في الصفر والكبر بحسب اختلاف بيوت الصبيان ثم صار دباغا ويستدل على ذلك بحكايته مع كعب الأشقري وذلك أن المهلب بن أبي صفرة لما أطال قتال الأزارقة وكان الحجاج أرسله لذلك كتب إليه يستبطئه في تأخير مناجزتهم فقال المهلب لرسوله قل له إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال كعب الأشقر وكان من جند المهلب // (من الكامل) //

(إن ابن يوسف غره من غزوكم ... خفض المقام بجانب الأمصار)

(لو عاين الصفين حين تلاقيا ... ضاقت عليه برحبها الأقطار)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢٦١/١

(ورأى معاودة الدباغ غنيمة ... أيام كان محالف الإقتار)

فبلغت أبياته الحجاج فكتب إلى المهلب بإشخاصه فأشخصه المهلب إلى عبد الملك وكتب إليه يستوهبه منه فقدم كعب برسالة المهلب إلى عبد الملك فاستنشده فأعجبه ما سمع وكتب إلى الحجاج يقسم عليه أن يعفو عن كعب فلما دخل كعب على الحجاج قال إيه يا كعب ورأى معاودة الدباغ غنيمة فقال أيها الأمير لوددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وما يرده المهلب من خطرها أن أنجو منها وأكون حجاما أو حائكا فقال له الحجاج أولى لك لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع فالحق بصاحبك وروى ابن الكلابي عن عوانة بن الحكم قال سمع الحجاج تكبيرا في السوق وهو في الصلاة فلما انصرف صعد المنبر فقال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق قد سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به الله في." (١)

"بالحمار أيضا لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه كان يصل السري بالسري ويصبر على مكاره الحرب **ويقال في المثل** فلان أصبر من حمار أو لأن العرب تسمى كل مائة سنة حمارا فلما قارب ملك بني أمية في زمنه مائة سنة لقبوه بالحمار قال مروان وا لهفتاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه وكان من أولاد عظماء النصارى من أهمل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر أصابه مثل هذا مدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعمره خمسون سنة وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وقيل ستون وفي روض الأخبار ذهبنت الدولة من بني أمية في عهد ثلاثة من الرجال مروان ابن محمد وصاحب عسكره يزيد بن عمر بن هبيرة وكان خطيبا شجاعا يضرب بشجاعته المثل ووزيره وكاتبه عبد الحميد وكان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد قال المطرزي في شرحه على المقامات الحريرية كان لمروان عبد الحميد كاتبا والبعلبكي مؤذنا وسلامة الحادي حاديا فأحضروا إلى السفاح بعد قتل مروان فقال سلامة الحادي استبقني يا أمير المؤمنين فإني أحسن الحداء قال وما بلغ من حدائك قال تعمد إلى إبل ظمئت ثلاثا ثم توردها فإذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء فترفع رءوسها وتدع الشرب ثم لا تشرب حتى أسكت فأمر بإبل ظماء فقرب منها الماء ثم حدا فرفعت رءوسها فلم تزل رافعة حتى سكت من حدائه فاستبقاه وأجازه ثم قال البعلبكي إني مؤذن منقطع النظير قال وما بلغ من أذانك فقال تأمر جارية فتقدم لك طستا وتأخذ إبريقا بيدها وأشرع في الأذان فتدهش ويذهب عقلها حتى تلقي الإبريق من يدها وهي لا تعلم فأمر بذلك فوجده صحيحا فاستبقاه وأجازه وقال عبد الحميد استبقني يا أمير المؤمنين فإني فريد الدهر غي الكتابة والبلاغة فقال ما اعرفني بك فأنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا." (٢)

"١٠١ - ومن ذلك: (البرسيم) بفتح الموحدة، لنبات شبيه بالرطبة وأجل منها. وإنما هو بكسرها (٢٠٠) .

١٠٢ - ومن ذلك: (الفجل) بالكسر، لهذه الأرومة التي يقال فيها: إنها هاضمة غير منهضمة، حتى **قيل في المثل**: (ليت الفجل يهضم نفسه) (٢٠١) . والصواب أن يقال: الفجل، بالضم، أو بضمتين (٢٠٢) .

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٣/٢٩٥

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٣/٣٤٩

١٠٣ – ومن ذلك: (الحصرم) بضمتين، كهدهد، للعنب ما دام أخضر. والصواب أن يقال: حصرم، بكسرتين، كزبرج (٢٠٣) .

١٠٤ – ومن ذلك: (أدنة) بتحريك المهملة، لبلد قرب طرسوس. وإنما هي بتحريك المعجمة (٢٠٤) .

١٠٥ – ومن ذلك: عين (بازان) للأبزن الذي يأتي إليه ماء العين عند الصفا. والأبزن، مثلثة الأول (٢٠٥) : حوض يغتسل فيه، وقد يتخذ من نحاس، معرب (آب زن) (٢٠٦) . وأهل مكة يقولون: بازان، لذلك الأبزن الذي عند الصفا، ويريدون (آب زن) أي الأبزن، لأنه شبه حوض كما أفاده (١٣٣ ب) صاحب القاموس (٢٠٧) . قال: ورأيت بعض العلماء العصريين أثبت

---

(٢٠٠) معجم أسماء النباتات ١٨.

(٢٠١) مجمع الأمثال ٢ / ٢٥٧.

(٢٠٢) القاموس ٤ / ٢٨. وينظر: المدخل إلى تقويم اللسان ق ١ ص ٧٨.

(٢٠٣) المدخل إلى تقويم اللسان ق ٢ ص ٢٨١.

(٢٠٤) معجم ما استعجم ١٣٢، معجم البلدان ١ / ١٣٢، الروض المعطار ٢٠.

(٢٠٥) الدرر المبثثة في الغرر المثلثة ٦٤.

(٢٠٦) شفاء الغليل ٣٧، الألفاظ الفارسية المعربة ٧.

(٢٠٧) القاموس ٤ / ٢٠١.." (١)

"بابنته إليه علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا، أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف ووهن، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، وما لنا في ذلك من ثورة [١] ، ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن قد رددناها، فسلها سرا، وألحقها بأبيها، قال:

ففعل. فأقامت ليالي، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(شعر لأبي خيثمة فيما حدث لزينب) :

قال ابن إسحاق: فقال عبد الله بن رواحة، أو أبو خيثمة، أخو بني سالم ابن عوف، في الذي كان من أمر زينب– قال ابن هشام: هي لأبي خيثمة–:

أتاني الذي لا يقدر الناس قدره ... لزينب فيهم من عقوق ومأثم

وإخراجها لم يخز فيها محمد ... على مأقط وبيننا عطر منشم [٢]

---

(١) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ ابن الحنبلي، رضي الدين ص/٥٤

وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم ... ومن حربنا في رغم أنف ومندم

قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه ... بذي حلق جلد الصلاصل محكم [٣]

فأقسمت لا تنفك منا كتائب ... سراة خميس في [٤] لهام مسوم [٥]

---

[١] الثؤرة: طلب الثأر.

[٢] المأقط: معترك الحرب. وعطر منشم: كناية عن شدة الحرب، وهو مثل، وأصله فيما زعموا، أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب، فيشترى منها للموتى، حتى تشاءموا بها لذلك.

وقيل: إن قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم في طيب منشم المذكورة تأكيدا للحلف، فضرب طيبها مثلا في شدة الحرب.

وقيل: منشم امرأة من غدانة، وهو بطن من تميم، ثم من بنى يربوع بن حنظلة، وأن هذه المرأة هي صاحبة يسار، الذي يقال له: يسار الكواعب، وأنه كان عبدا لها، وأنه راودها عن نفسها، فقالت له: أمهلني حتى أشمك طيب الجزائر. فلما أمكنها من أنفه أنحت عليه بالموسى، حتى أوعبته جدعا، **فقيل في المثل**: لاقى الذي لاقى يسار الكواعب، فقيل: عطر منشم. (راجع الأمثال وفرائد اللآل، والروض)

[٣] بذي حلق، يعنى الغل. والصلاصل: جمع صلصلة، وهي صوت الحديد.

[٤] في م، ر: «من» .

[٥] الكتائب: العساكر. والسراة: السادة. والخميس: الجيش: واللهام: الكثير. والمسوم: المعلم، من السمة، وهي العلامة.." (١)

"أخفش [١] دقيق الصوت، وأول ولاية وليها تبالة [٢] فلما رآها احتقرها وانصرف، **فقيل في المثل**: «أحقر من تبالة على الحجاج» [٣] وولي شرطة أبان بن مروان في بعض ولايات أبان، فلما خرج ابن الزبير، وقوتل زمانا، قال الحجاج لعبد الملك: إني رأيت في المنام [٤] كأني أسلخ عبد الله بن الزبير، فوجهني إليه، فوجهه في ألف رجل، وأمره أن ينزل الطائف حتى يأتيه أمره [٥] ففعل، ثم كتب إليه بقتاله، وأمده، فحاصره حتى قتله، ثم أخرجه فصلبه، وذلك في سنة ثلاث وسبعين، فولاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين، فكان يصلي بالموسم كل سنة، ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فوليها عشرين سنة، وأصلحها، وذلل أهلها، وحدثني أبو اليمان [٦] عن حريز [٧] بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن أبي عذبة الحضرمي قال:

---

[١] في الأصل، والمطبوع: «أخفض» وهو تحريف، والتصحيح من «المعارف» لابن قتيبة ص (٣٩٦) بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر.

---

(١) سيرة ابن هشام ت السقا   عبد الملك بن هشام ١/٦٥٥

قال ابن منظور في «لسان العرب» «خفش» (٢/ ١٢١٠) : الخفش: ضعف في البصر وضيق في العين، وقيل: صغر في العين خلقة، هو فساد في جفن العين واحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح، خفش خفشا، فهو خفش وأخفش.

[٢] قال البكري: تبالة: بفتح أوله وباللام، على وزن فعالة: بقرب الطائف، على طريق اليمن من مكة، وهي لبني مازن ... وهي التي يضرب بها المثل، فيقال: أهون من تبالة على الحجاج» . وانظر تتمة كلامه في «معجم ما استعجم» (١/ ٣٠١) .

[٣] كذا في الأصل، والمطبوع: «أحقر من تبالة على الحجاج» ، والذي في «المعارف» لابن قتيبة- الذي ينقل عنه المؤلف- و «معجم ما استعجم» للبكري، و «لسان العرب» لابن منظور «تبل» : «أهون من تبالة على الحجاج» .

[٤] في «المعارف» لابن قتيبة: «رأيت في منامي» .

[٥] في «المعارف» لابن قتيبة: «حتى يأتيه رأيه» .

[٦] هو الحكم بن نافع البهراني الحمصي، محدث راوية من شيوخ البخاري، وابن حنبل، توفي سنة (١٢٢ هـ) . وسوف ترد ترجمته في المجلد الثالث من كتابنا هذا.

[٧] في الأصل، والمطبوع: «جرير بن عثمان» ، وهو خطأ، والتصحيح من «المعارف» لابن قتيبة، و «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١/ ٤١٢) ، و «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٢/ ٤٤١) .." (١)

"ذي الشرف في الناس كأنه النجم في علو قدره والنمارق جمع نمرقة وهي الوسادة والوامق المحب. وقوله إياه الشمس ضوءها إياة وزنها فعلة وأصله إيوة ويقال أياء الشمس بغير مفتوح ممدود وإيا بكسر الهمزة وبغير تاء مقصور كل ذلك جائز. وقوله " الرياح أربع الشمال وهي تأتي من ناحية الشام " صفة في الأصل وليس باسم وكذلك الجنوب وسميت شمالا لأنها تهب عن شمال الكعبة وسميت الجنوب جنوبا لأنها تهب من الجانب الآخر وهو يمين الكعبة وبذلك سمى اليمن والشأم وسميت القبول قبولا لأنها تهب من قبل الكعبة والقبول هي الصبا وسميت الدبور دبورا لأنها تهب من دبر الكعبة وفي الشمال سبع لغات يقال شمال وشمأل وشأمل وشمول وشيمل وشمل وشمل والفعل من هذه الرياح الأربع فعلت بغير ألف شملت وجنبت وصبت وقبلت. وقوله ودراري النجوم عظامها الواحد دري إنما نسب إلى الدوران كان الكوكب أكثر ضوءا من الدر لأنه يفضل الكواكب بضيائه كما يفل الدر سائر الحب ودري بمعناه وكسر أوله حملا على وسطه وآخره لأنه يثقل عليهم ضمة بعدها كسرة وياءان كما قالوا للكرسي كرسي والسها وزنه فعل من السهو وقولهم أريها السها وتريني القمر هذه امرأة يكلمها رجل بما خفي وغمض من الكلام وكانت تكلمه بما ظهر ووضح فجعل السها مثلا لكلامه له لأنه خفي وجعل القمر مثلا لكلامها لأنه واضح بين وهذا المثل لابن الغز وكان عظيم الذكر فكان إذا واقع امرأة ذهب عقلها فأنكرت امرأة ذلك فقالت سأجرب فلما واقعها قال أترين السها قالت ها هو ذا وأشارت إلى القمر فضحك وقال أريها السها وتريني القمر فلما كان أيام الحجاج شكي إليه خراب السواد فحرم لحوم البقر ليكثر الحرث فقال بعض الشعراء:

شكونا إليه خراب السواد ... فحرم فينا لحوم البقر

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٣٧٨/١

فكان كما قيل في بعده ... أريها السها وتريني القمر

ويقال للسها الصيدق. والعيوق نجم أحمر مضيء يتلو الثريا لا يتقدمها ووزنه فيعول من عاق يعوق لأن العرب تزعم أن القمر رام المسير عليه فاعتاقه عن ذلك ولا يكون منزلا للقمر **ويقال في المثل** أبعد من العيوق يراد من مجرى القمر لأنه يجري بالبعد منه.." (١)

"وقال السيرفي: ليس بالقوي، وقال البيهقي في سننه: لا يحتج بحديثه وبنحوه قاله ابن طاهر: وأما الحافظ المنذري وأمه اضطرب حاله فيه قتادة، وحدثنا من رواية بقوله لا يحتج به وتارة يحسنه، وتارة يسكت عنه مهما صحت، ولذلك فعل الترمذي وهو في هذا أعذر فإن حاله عنده بحسب الشواهد وعدمها معتبرة بذلك ولا عذر لأبي محمد وأما تخريج مسلم له في المقرونات فليس بمحمد ولا في المناظرات، وقد تكلم في أبيه بعض أهل الأنساب بما استوجبه ذكره في هذا الباب، وهو أن من ينسبه ابن تميم رهط الصديق، يقول علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم وقال بعضهم علي بن عبد الله بن جدعان، وقال آخرون علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان وزعم ابن القطان أن هذا كله ضرب من الهذيان وأن عبد الله بن جدعان كان عقيما لا يولد له فادى رجلا سماه زهير، وكناه أبا مليكة، فولده كلهم ينسبون إليه وفقد أبو مليكة فلم يرجع وكان عمل عصيدة (١) ثم خرج في حاجة فلم يرجع **فقيل في المثل** لا أفعل كذا حتى يرجع أبو مليكة إلى عصيدته،/وقال أحمد بن يحي البلاذري: في كتاب أنساب الأشراف وأخبارهم من تأليفه، قالوا: وكان عبد الله بن جدعان عقيما وادعى بنوة رجل فسماه زهيرا وكناه أبا مليكة فولده كلهم ينسبون إلى أبي مليكة ويقال أبو مليكة بن عبد الله بن جدعان، وبنحوه ذكره الهيثم بن عدي في تاريخه، وذكره الخرائطي في كتاب اعتلال القلوب تأليفه من حديث هشام بن محمد عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس عن المطلب بن أبي وداعة كانت تباعة ابنة عامر تحت عبد الله بن جدعان فمكثت عنده زمانا فقال لها هشام بن المغيرة المخزومي يوما في انطران ما تصنعين بهذا الذي لا يولد له فذكر حديثا طويلا، وبنحوه ذكره أبو الفرج الأصبهاني وأبو عبيد المرزباني في الكتاب

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/١٣٣

المستنير من تأليفه، والوزير أبو القاسم في كتاب أدب الخواص أبو محمد
الرشاطي رحمهم الله تعالى، ورواه أبو عبد الرحمن في سننه وأخرج عليا من
سننه بمتابع صحح به الإسناد وبرد حرارة الأكباد أنابه المسند الفقيه أبو محمد

---

(١) قوله: " عصيدة " العصيدة: دقيق يلت بالسمن ويطبخ. وجمعها عصائد.." [١]

"وحدثني عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه قال سئل أبو هريرة هل يصلي الرجل في ثوب واحد فقال نعم فقيل له هل تفعل أنت ذلك فقال نعم إني لأصلي في ثوب واحد وإن ثيابي لعلى المشجب

---

٣٢١ - ٣١٨ - (مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه قال: سئل أبو هريرة: هل يصلي الرجل في ثوب واحد؟ فقال: نعم، فقيل له: هل تفعل أنت ذلك؟ فقال: نعم إني لأصلي في ثوب واحد وإن ثيابي لعلى المشجب) بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الجيم فموحدة عيدان تضم رءوسها ويفرج بين قوائمها توضع عليها الثياب وغيرها.

وقال ابن سيده: المشجب خشبات ثلاث يعلق عليها الراعي دلوه وسقاءه، **ويقال في المثل**: فلان من حيث قصدته وجدته.

قال الباجي: اقتصر على الجائز دون الأفضل ليبين جوازه فيقتدى به في قبول رخصة الله تعالى، ولعل السائل ممن لا يجد ثوبين فأراد تطييب نفسه وإعلامه بصحة ذلك وأنه يفعله مع القدرة على ثوبين فكيف بمن لا يقدر، أو أخبره بفعله النادر أو بفعله في منزله دون المساجد.

قال مالك في المبسوط: ليس من أمر الناس أن يلبس الرجل الثوب الواحد في الجماعة فكيف بالمسجد؟

وقال تعالى ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١] (سورة الأعراف: الآية ٣١) قال السدي: هي ما يواري العورة، والأظهر أنه الرداء أو ما يتجمل به من الثياب.." [٢]

"سمئت الشيء سآمة: مللته. التكاليف: المشاق الشدائد. لا أبا لك: كلمة جافية لا يراد بها الجفاء وإنما يراد بها التنبيه والإعلام.

يقول: مللت مشاق الحياة وشدائدها، ومن عاش ثمانين سنة مل الكبر لا محالة.

-٤٧

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

يقول: وقد يحيط علمي بما مضى وما حضر، ولكني عمي القلب عن الإحاطة بما هو منتظر متوقع.

-٤٨

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

---

(١) شرح ابن ماجه لمغلطاي علاء الدين مغلطاي ص/٧٨٢

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٩٧/١

الخبط: الضرب باليد، والفعل خبط يخبط. العشواء: تأنيث الأعشى، وجمعها عشو، والياء في عشي منقلبة عن الواو كما كانت في رضي منقلبة عنها، والعشواء: الناقة التي لا تبصر ليلا، **ويقال في المثل**: هو خابط خبط عشواء، أي قد ركب رأسه في الضلالة كالناقة التي لا تبصر ليلا فتخبط بيديها على عمى، فربما تردت في مهواة وربما وطئت سبعا أو حية أو غير ذلك.

قوله: ومن تخطئ أي ومن تخطئه، فحذف المفعول، وحذفه سائغ كثير في الكلام والشعر والتنزيل. التعمير: تطويل العمر. يقول: رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق وترتيب وبصيرة، كما أن هذه الناقة تطأ على غير بصيرة، ثم قال: من أصابته المنايا أهلكته ومن أخطأته أبقته فبلغ الهرم.

٤٩-

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

يقول: ومن لم يصانع الناس ولم يدارهم في كثير من الأمور قهروه وغلبوه وأذلوه وربما قتلوه، كالذي يضرس بالناب ويوطأ بالمنسم. الضرس: العض على الشيء بالضرس، والتضريس مبالغة. المنسم للبعير: بمنزلة السنبك١ للفرس، والجمع المناسم.

٥٠-

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

---

١ السنبك: طرف الحافر.." (١)

"أي تفاخر.

أخي عزمات لا يريد على الذي ... يهم به من مقطع الأمر صاحبا

يقال: ما له عزم وماله عزيمة، أي تثبت وصبر فيما يعزم عليه. وحقيقة العزم: توطين النفس وعقد القلب على ما يرى فعله، ولذلك لم يجز على الله عز وجل. والاعتزام: لزوم القصد وترك الانثناء، ولذلم قيل اعتزم الفرس على الجري. يصف نفسه بأنه صاحب هم وأخو عزمات، مستبد برأيه فيها غير متخذ رفيقاً، ولا مستنصر أخا وصديقا، و " مقطع الأمر " أراد فصله والخروج منه. ويروى: " أخي غمرات " وهي الشدائد. ويروى: " من مفظع الأمر " وهو من مفظع الأمر وأفظع، فظاعة وإفظاعا، وهو فظيع ومفظع. أو من أفظعني الأمر ففظعت به، أي أعياني فضقت به ذرعا. وقوله: " صاحبا " صغة في الأصل استعملت استعمال الأسماء، فلم يجر مجرى أسماء الفاعلين، ويجري على طريقته قولهم والد.

إذا هم لم تردع عزيمة همه ... ولم يأت ما يأتي من الأمر هائبا

اللهم: ما تحيل لفعله وإيقاعه فكرك. والهمة: اسم الحالة التي تكون عليها في ذلك. **ويقال في المثل** لمن يعير بطول الأمل: " تهم ويهم بك "، ومنه المهمات، وهذا يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأي الأول. وهذا طريقه الفتاك لأن الرجوع عن الرأي إلى غيره طريقة من يتدبر العواقب فيترك الشيء إلى الشيء لما يرجوه من حسن المآب. فقال: إذا هم هذا الرجل بشيء أنفذ

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني   الزَّوْزَني، أبو عبد الله ص/١٤٩

عزيمته ولم يردعها، ولم يفعل ما يفعله خائفا. ومثله قول الآخر:

جسور لا يروع عند هم ... ولا يثني عزيمته اتقاء

ويقال: ردعته فارتدع، أي كففته ورددته ردعا. ومنه الرداع في العلة وهو النكس، يقال ردع ردعا ورداعا. والهيبة تكون من الذعر ومن الإجلال جميعا، ويقال للجبان هيوب وهيوبة، والهاء للمبالغة، وللمحتشم مهيب. وفي الحديث: " الإيمان هيوب ". ويقال: تهيبت الشيء وتهيبني بمعنى، لما كان لا يلتبس، ومثله من المقلوب كثير.." (١)

"ضيع. ويقال: ضاع الشيء ضيعة وضياعا، وتركهم بضيعة ومضيعة. وإذا أخذ الرجل فيما لا يعنيه، قيل: فشت عليه الضيعة. ويقاربه قولهم:

اتسع الخرق على الراقع

وقوله: وهو مدبر يجوز أن يكون الضمير للأمر، والمعنى قاسى أمره، أي شقي به وهو مول فائت. ويجوز أن يكون الضمير للمرء، والمعنى عالج أمره وكابده مدبرا فيه غير مقبل ولا منصور، ومعنى البيت إذا الرجل لم يطلب رشده ولم ينفذ الحيلة في إصلاح أمره، في الوقت الذي يجب أن يفعله، وقد صار الأمر جدا لا شبهة فيه، عالجه وهو هكذا، أو عالجه والأمر هكذا. ومثله:

ولكن من لا يلق أمرا ينوبه ... بعدته ينزل به وهو أعزل

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

السائر عنهم في مثل قولهم: روئ تحزم، فإذا روأت فاعزم، فيقول: صاحب الحزم هو الذي يستعد للأمر قبل نزوله، ويدبره قبل فوته، حتى إذا نزل به يكون عارفا بالقصة فيه، سالكا للوجه الذي يفصله منه. وهذا كما قيل في المثل: قبل الرماء تملأ الكنائن. والحزم في اللغة: الشد والضبط، ومنه الحزام، والحزمة، والحيزوم، والمحزم، والخطب: الأمر المطلوب، ويقال خطبت الأمر فأخطب، كما تقول طلبته فأطلب.

فذاك قريع الدهر ما عاش حول ... إذا سد منه منخر جاش منخر

ذاك أشار به إلى أخى الحزم. وقريع الدهر يحتمل وجهين: يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر، ويكون من قرعت الشيء أي اخترته وخصصته بقرعتي، ويقال هو قريعهم وقريعتهم وقريعهم بمعنى واحد. ويجوز أن يكون بمعنى من قرعه الدهر بنوائبه حتى جرب وتبصر. ويكون قريع في الوجهين فعيلا في معنى مفعول. ولا يمتنع أن يكون المراد بقريع الدهر فحل الدهر، ويكون في هذا الوجه قريع في معنى فاعل، لأنه يقرع الناقة أي يضربها. وما تقدم أحسن. وقوله ما عاش في." (٢)

"نهدا وذا شطب يق ... د البيض والأبدان قدا

نهدا، أي فرسا غليظا. والنهود في الثدي: بيان حجمه ونتوه من هذا وسيفا ذا شطب: ذا طرائق، يقطع البيض والدروع قطعا. والقد: القطع طولا، والقط: القطع عرضا. والبدن من الدرع: قدر ما يستر البدن. ويقال سيف مشطب: فيه شطوب

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٥

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٨

وطرائق.

وعلمت أني يوم ذا ... ك منازل كعبا ونهدا

قوله: يوم ذاك يجوز أن يشار بذلك إلى أمر قد علمه السامعون، وهو الحرب، لأن النزال يكون فيها. ويجوز أن يكون أشار به إلى السلاح الذي زعم أنه أعده. ويوم السلاح: يوم الحرب. ويجوز أن يكون أشار به إلى الحدثان، لأنه قد قال أعددت للحدثان. ومعنى البيت: علمت أن منازل هؤلاء فأعددت لهم هذا السلاح، لعلمي بالحاجة إليه. والحازم يتهيأ للأمر قبل وقوعه، فكأنه قال: فعلت ذلك بحزامتي، وعلمي بموارد الأمور ومصادرها.

قوم إذا لبسوا الحدي ... د تنزروا حلقا وقدا

انتصب حلقا على أنه بدل من الحديد، ويريد به الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين. والقد، أراد به اليلب، وهو شبه درع كان يتخذ من القد. ويروى: خلقا وقدا ويكون انتصاب خلقا على التمييز، أي تشبهوا بالنمر في أخلاقهم وخلقهم. ودل على الخلق قوله قدا. ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبسوا الحديد الدروع واليلب تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب. ويجوز أن يريد بتنمروا تلونوا بألوان النمر، لطول ثباتهم وملازمتهم الحديد، وحينئذ يصح أن يكون انتصاب حلقا على التمييز. والمعنى الأول أجود. فإن قيل: كيف دخل قوله: وقدا بالعطف على حلقا في أن يكون بدلا من الحديد وليس منه؟ قيل: لما كان يغني غناء درع الحديد، جاز أن يصحبه في أن يكون بدلا. وقوله إذا لبسوا الحديد ظرف لتنمروا.

كل امرئ يجري إلى ... يوم الهياج بما استعدا

هذا كما قيل في المثل: قبل الرماء تملأ الكنائن، فيقول: كل رجل يجري إلى يوم الحرب بما أعده واستعده. والضمير من صلة ما محذوف استطالة للاسم.." (١)

"الشفا: حرف الشيء. ويمشي في موضع الحال. والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى إذا أشفى ابن عمي على بلاء وشر يخاف عليه منه، ويخشى عطبه فيه، فإني لا أدفع في صدره تحاملا عليه ليقتحمه، ولا أزج به فيه لأغرقه. ويجوز أن يريد: إذا انحرف عني مهاجرا لي ومشى على جانب من المؤانسة معي لا أنفره، ولا أتمم استيحاشه بما أثير من كوامن غيظه، وإن بلغني الدواهي عنه، وقاسيت الشدائد من التأذي به. أي لا أنتهز الفرصة في مكاشفته وإن اتصل بالسوء تعرضه، ودام فيما يعن اعتراضه. والجنادع في الأصل تستعمل في هوام الأرض، تستعمل كناية عن ضروب المكاره وأنواع الأذى. ومن قولهم: " بدت جنادعه والله جادعه ". وهذا كما استعاروا العقارب فقالوا: دبت عقاربه. وقال الخليل: الجنادع: جنادب في حجرة الحشرات يخرجن إذا كان الحافر يبلغ أقصاها. ومنه قيل في المثل: " جاءت جنادع الشر "، أي أوائله. واستعمل في الكلام أيضا فقيل جنادع القول لما يسوء منه. ويجوز في قوله " يمشي على شفا " وجه آخر حسن، وهو أن يكون يمشي في معنى ينم ويحطب. وفي المثل: " هو أضرب من مشي بشفة ". وكأنه مأخوذ من قوله تعالى " مشاء بنميم "، ويكون على هذا قوله " على شفا " متعلقا بمضمر، كأنه قال: يفعل ذلك كائنا على شفا أو حاصلا؛ والمعنى منحرفا: أي لا أدفعه عن التحريش والنميمة قهرا وعنفا، ولكن أعطفه بالحسنى.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٣١

ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه ... لترجعه يوما إلي الرواجع

قوله " أواسيه " أي أجعله إسوة نفسي، فأقاسمه مالي وملكي: يقول: لكني أتناسى ذنوبه وهفواته، وأتغابى جرائمه وزلاته، وأحسن التأتي في أثناء ذلك لمواساته، عند ما أنتظر من فيئته وعطفته، حتى يرده إلى ما كان عليه من قبل دواعي الأحوال، وتشابك الأرحام، ورواجع العقب، ولواحق السبب. وهذا الذي وصفه هو الغاية في الإبقاء والاستبقاء.

وحسبك من ذل وسوء صنيعة ... مناواة ذي القربى وإن قيل قاطع

يقول: كافيك من سوء الفعل واكتساء الذل، أن تناوئ أقاربك وإن كانوا قاطعين عاقين، مهاجرين مصارمين. وإنما قال " من ذل " لأن عز الرجل بعشيرته، ومن." (١)

"ومهجتي، كما يعتاد الصالب وهي الحمى التي معها صداع محموما بخيبر. وإنما قال ذلك لأن خيبر محمة، وحماها موصوفة بالشدة. **ويقال في المثل**: " صالبي أشد من نافضك ". وحكى الأصمعي أن أعرابيا ثقلت عليه مؤن عياله لكثرتهم، فحدثته نفسه بأنه لو نقلهم إلى خيبر لنقصهم وباؤه، وأثر فيهم بالتقليل صالبه، وأوردهم خيبر، وأنشأ يقول:

ويحك حمى خيبر استعدي ... هاك عيالي فاذهبي وجدي

وباكري بصالب وورد ... أعانك الله على ذا الجند

فحموا بأجمعهم وسلموا، ثم تلف هو من بينهم.

وقوله وأشعر سخنة يروى بضم السين وكسرها. فالسخنة كالحمرة، والسخنة كالجلسة. ومعنى أشعر جعل شعاري. والشعار: ما يلي الجسد من الثياب، وتوسع فيه فقيل أشعر قلبي هما. ويقال شعرت المرأة، أي نمت معها في شعارها.

خليلاي هو جاء النجاء سملة ... وذو شطب لا يجتويه المصاحب

موضع قوله خليلاي مع خبره نصب على الحال من قوله وقفت بها، واستغنى بالضمير فيه عن إدخال الواو العاطفة لأنه يعلق من الحال بالأول ما يعلقه الواو. ومعنى قوله هوجاء النجاء ناقة في نجائها وسرعة مرها هوج واضطراب. ويقال نجاء أهوج، كما يقال عدو واله. وقد تجاوزوا هذا الحد حتى قالوا غبار مجنون، وزمام سفيه. والشملة: الخفيفة. وقوله وذو شطب أراد به سيفا ذا طرائق. لا يجتويه أي لا يكرهه متحمله لجودته. وهذا الكلام إشارة إلى أن أصحابه خذلوه ولم يروا مساعدته في الوقوف على الدار.

وقد عشت دهرا والغواة صحابتي ... ألئك خلصاني الذين أصاحب

قرينة من أسفى وقلد حبله ... وحاذر حراه الصديق الأقارب

يذكر ما تعاطاه من البطالة أيام صباه، فيقول: بقيت زمانا فيما مضى من عمري طويلا متباعد الأطراف، والذين أصاحبهم وأوثر معاشرتهم أهل الغواية، وأرباب." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٢٩٢

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥١٢

"يريد أن داره كان مجمعا لأناس هو ينظم شملهم، ويؤلف جمعهم، فإن حزبهم من النوائب عادياتها فرقما عنهم، وإن حل بفنائهم من أثقال الزمان ما يبهظمم آساهم وتحمل عنهم. وقوله عاديات يجوز أن يكون من العداء الظلم؛ يقال عدا يعدو عدوا وعداء وعدوانا. ويجوز أن يكون من العدو، يريد مسرعات النوائب وصادماتها. ومعنى يصدع يفرق، ومنه تصدعت الأرض بفلان، إذا تغيب فارا.

وجربت ما جربت منه فسربني ... ولا يكشف الفتيان غير التجارب

يريد أن ينبه على أن ما وصفه به لا عن تقليد أو شك والتباس، ولا عن تخمين أو حدس وقياس، بل عن تجريب واستكشاف على مر الأيام. فيقول: لم أرض منه بعفو أفعاله وما يختاره في مقاصده، بل أخذت أستدرجه وأتعرف غور مقاله وفعاله بالسبر والنظر، فلم أر إلا ما سر وآنس، وزاد في العلم به فأبهج. وقوله ولا يكشف الفتيان غير التجارب، يشبه الالتفات، كأنه أقبل بعد ما خبر، على إنسان فقال: إن الفتيان تتشابه ظواهر أمورهم، ولم يخبرك عنهم مثل مجرب. ولهذا **قيل في المثل** السائر:

ترى الفتيان كالنخل ... وما يدريك ما النخل

بعيد الرضا لا يبتغي ود مدبر ... ولا يتصدى للضغين المغاضب

قوله بعيد الرضا يريد أنه ليس بسريع الفيئة إذا سخط، لكنه يعرك أذى مجاذبه ومجاوره بجنبه، ويصبر ما أمكن، فإذا أظهر النكير، وتلقى ما يزاوله بالضجر الشديد، لم يرضه أدنى المعاذير فعل من لا حمية له ولا عزيمة. وقوله لا يبتغي ود مدبر وصفه بأنه آخذ بالصرم إذا أحوج إليه، غير راغب في الزاهد فيه. وهذا كما يقال: فلان وصال صروم.

وقله ولا يتصدى للضغين المغاضب معنى يتصدى أن ينظر إليه نظر غير محتفل به، وكالمعرض عنه، حتى يخرجه ذلك إلى ما يطلبه. يريد أنه لا يتعرض لعدوه والمضطغن عليه، بل يتركه ينطوي على ما في صدره من غل وعداوة، ولا يخرجه إلى مبادرة ومكاشفة، بل يجري على المداجاة معه، منتظرا ما يكون منه،." (١)

"بالفيث يصوب فيحيي العباد ثم يعيش الناس في آثاره بعد انقطاعه ومضيه. وقوله كما كان بعد السيل مجراه ارتفع مجراه بكان، وكان الحكم أن يليه فلم يسغ لأن الضمير فيه يرجع إلى السيل وقد تقدم عليه، والإضمار قبل الذكر أو ما يجري مجراه لا يجوز، فامتنع رده إلى رتبته من ولي العامل له، لشيء يرجع إلى الضمير المتصل به لا لشيء يرجع إليه. وتلخيص الكلام: كما كان مجرى السيل مرتعا بعده.

وقوله ولما مضى معن لما يجئ لوقوع الشيء لوقوع غيره، وهو علم للظرف. فيقول: حين مضى معن لسبيله وانقطعت حياته، فقد الجود وانمحت آثاره، فأصبحت المكارم ذليلة إذ مات من يربها ويعمرها، كمن جدع أنفه مثلة وعقوبة، وإرغاما وإهانة. **ويقال في المثل**: " منى أنفي وإن كان أجدع ". والعرنين: ما ارتفع من الأنف والأرض، وأوائل الشيء، وأشراف القوم وسادتهم، وكما ضرب المثل بجدع الأنف في الإذلال، ضرب بصلم الأذن فيه لذلك. قال:

فمشوا بآذان النعام المصلم

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٥٢

وقال آخر:

ماذا أجال وتيرة بن سماك ... من دمع باكية عليه وباك

ذهب الذي كانت معلقة به ... حدق العناة وأنفس الهلاك

يقول على وجه التعدب وإكبار الأمر: أي دمع أراقه وتيرة بن سماك من عين باكية عليه وباك. يريد أن المصيبة به أثرت في جماهير الناس وطوائف الخلق، وأنهم لم يملكوا فيما دهمهم إلا البكاء إطفاء لنار الوجد، وإراحة من تعب القلب، وماذا يغني العويل، وهو الراحة المطلوبة من البكاء إذا حقت الحقيقة، إلا زيادة في اللوعة وإنجاد للمصيبة. وقد تقدم القول في ماذا، وشرحنا أمره.

وقوله: ذهب الذي كانت معلقة به يريد أنه كان يفك الأسراء، وينعش الفقراء، حتى أن من ابتلي بأسر، أو رمي بفقر، فإنه لم يعد لفكه ولم يرج لجبره." (١)

"منحطا عنه، وواقعا دونه، وفيه إظهار العجز عن مكابدة الصبابة، والتصريح بسوء الملكة. ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها أرباب الهوى، والحكام على مدعي العشق ولهم. ومعنى (أدلنني) جعلن لي دولة. ويروى: أدرن لي فينتصب دولة على أنه مفعول به. والدائرات كالدائلات لا فصل. ومن روى (أدلن لي) انتصب دولة على أنه مصدر، فيكون موضوعا موضع الإدالة. ويقال: أدالك الله من عدوك، أي جعل لك عليه دولة.

وقال آخر:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتبعتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

الرائد: الذي يتقدم القوم فيطلب لهم الماء والكلأ، ولذلك **قيل في المثل**: (لا يكذب الرائد أهله) لأنه إن كذبهم هلك معهم. فيقول: إنك إذا جعلت عينك رائدا لقلبك تطلب له مصب هواه، ومقلا لهوه وصباه، أتعبتك مناظرها في مطالبك، وأوقعتك مواردها في أشق مكارهك؛ وذلك أنها تهجم بالقلب في ارتياده لها على مالا يصبر في بعضه على فراقه مع مهيجات اشتياقه، ولا يقدر على السلو عن جميعه مع تذكر غرائب الحسن منه، فهو الدهر ممتحن ببلوى مالا يقدر على كله، ولا يصبر عن بعضه. والجناية فيهما للعين، لكونها قائدا للفؤاد إلى الردى وسائقا، وهاديا لدواعي الحب إليه وحاديا.

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام حيث يقول:

لم تطلع الشمس المضيئة مذ رأت ... عيني خلال الخدر شمسا تغرب

لأعذبن جفون عيني إنما ... بجفون عيني حل ما أتعذب

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٦٢

وأبين من هذا قول الآخر:

ألا إنما العينان للقلب رائد ... فما تألف العينان فالقلب يألف." (١)

"فإنك واستبضاعك الشعر نحونا ... كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا

قوله سفهت عشيرة، قال يونس: سفه لغة في سفه، وعلى هذا تنصب عشيرة على المفعول به، ويجوز أن يكون مما نقل عنه الفعل، كأه قال: سفهت عشيؤتك فنقل السفه إلى نفسه فقال: سفهت، فأشبه عشيرة المفعول، فنصب نصب التمييز. وقوله يتدعر أي يخبث ويفجر. يقال: رجل داعر بين الدعارة. وحكى: في خلقه دعارة، في معنى زعارة، وعلى زنته. ومنه عود دعر، أي كثير الدخان. والحوتكي: القصير الصغير. ومعنى ألاقه: ألصقه وضمه أبناء عمه إلى أنفسهم، فبغى لما رأى ذلك. واستبضاع السلعة: أن تحملها بنفسك؛ وإبضاعها: بعثها، وكما **قيل في المثل**: "كمستبضع تمرا إلى أهل خيبر، لكثرة نخلها، قيل أيضا كمستبضع التمر إلى أهل هجر، وهذا كما قيل كمستبضع الملح إلى بارق.

ومعنى الأبيات: هلا إذ كنت سفيه العشيرة لئيم الفصيلة، أمسكت عن الخنا والفحش، وصنت نفسك ولم تعرضها للهجاء الممض: هذا وما كنت إلا حقيرا قليلا؛ قميئا صغيرا، رق له أقاربه بعد كا كانوا ينفونه ويتبرمون منه، فألصقوه بأنفسهم، فطغى من ذلك واستلى. وأما علمت أنك وحملك الهجاء إلينا في الندم والخسران، وسوء العاقبة، كمن حمل التمر إلى خيبر يتجر فيه، فرجع نادما، وحصل خاسرا.

عمارة بن عقيل

بني منقذ لا آمن الله خوفكم ... وزادكم ذلا ورقة جانب

فمن يرتجيكم بعد نائلة التي ... دعت ويلها لما رأت ثأر غالب

دعته وفي أثوابه من دمائها ... خلبطا دم من ثوبه غير ذاهب

نائله: امرأة زوجت قاتل أبيها أو أخيها، فجعل عمارة يعيرهم ذلك.

والعرب تقول: دم فلان في ثوب فلان، إذا كان قاتله.." (٢)

"فالشرط الأول قوله إن شئت فاقطعني كما قطع السلا وهذا يحتمل معنيين: أحدهما أن يريد إن شئت خصني بقطيعة لا وصال يتعقبها، كما أن السلا، وهو الجلدة التي يلتف فيها الولد عند خروجه من بطن أمه، إذا قطع عنه لم يعد إليه. ويجوز أن يكون المعنى: اقطعني قطيعة لا يرجى معها وصل؛ لأن السلا إذا انقطع في بطن الحامل لم يمكن استخراجه، ولا يرجي الخلاص معه. ولهذا ضرب المثل به في الشدائد فقيل: انقطع السلا في البطن. والمراد في هذه القطيعة المذكورة أن تبقى العلائق التي بينهما على ما حصلت وثبتت لا يغير منها شيء.

والشرط الثاني: وإن شئت أقبلنا بموسى رميضة، يقول: وإن شئت أخذ كل منا موسى محددة، فقطعنا بها الأواصر التي بيننا.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٨٦٨

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٠٦

وهذا مثل، والمعنى أن لنا الأسباب التي توصلنا بها فصارت مثل الأنساب، وحللنا عقد العرى الوثيقة فيما تواشجنا فيه حتى نصير كالأجانب لا وصل تجمعنا، ولا أواخي تنظمنا، إلا ما طوى البعاد بيننا من قرب الجوار والدار.

والشرط الثالث: ولإن قلت لا إلا التفرق بالأيدن معها، فيكون النوى مبددة شمائلنا، فلا نلتقي في شعب ومسلك، ولا نتحاذى في منزل ومجمع، ولا نتجاوز في محل ومقر، فإنا نبعد بعدا كما نختار؛ وأدام الله تفرقة النوى بيننا ولا جمع ما تشتت منها.

ويقال: سكين رميض: حاد. وكل حاد رميض، ومنه ارتمض من كذا، إذا اشتد عليه وأغضبه. وقوله فإني أرى عينك الجذع، يقول: إن العداوة بيننا رسختوثبتت واستحكمت من جهتك، فلا استبقاء معك، ولا صبر عللا أذى مضض منك، حتى تعجب لأدنى شيء يحول، وتستعظم أصغر ما يحدث ويدور، وأنا أرى الجذع يعترض في عينيك فلا أنكر، ولا أحاسب عليه ولا أضايق. وهذا كما **يقال في المثل**: " تبصر القذاة في عين أخيك، وتدع الجذع المعترض في حلقك ".." [(١)]

"ويلازمكم، فتصير كالمثلة عليكم، فكأن آذانكم قد استوعب صلمها، عقوبة لكم بما عاملتم به جاركم من إحفار وإسلام، حين قتل في جواركم، واستبيح محرماته في ذممكم. ثم قال مستهزئا ومعيرا: يا جيران ابن مية، أنبئوني أنصرتكم له عين أم ضمار، ووفاؤكم بما عقدتم له حق أم كذاب. والعين: ما يحضر ويشاهد، لذلك **قيل في المثل**: يدع العين ويتبع الأثر. والضمار: الغائب الذي لست منه على ثقة. قال الأعشى:

نرانا إذا أضمرتك البلاد ... نجفى وتقطع منا الرحم

وقوله تجلل خزيها عوف بن كعب، يريد: لبس خزى هذه الغدرة وتغطى بذمها قبائل عوف بن كعب كلها لا أنتم فحسب، لأعقابها بعدها عذر يقبل، ولا تنصل يسنع.

وقوله وإنكم وما تخفون منها، يريد مثلكم في ستركم أمرها، وتقديركم إخفاءها، على إنتشارها وذهابها في الناس، وعلى تغشيكم بدرنها، واستقذار الناس لكم لوسخها، مثل امرأة شاب رأسها ولا خمار لها فتختمر، مع ميلها إلى أن لا يرى شيبها. والمعنى: الأمر أظهر من أن يكتم أو يدفن.

وقال آخر:

تولت قريش لذة العيش واتقت ... بنا كل فج من خراسان أغبرا

فليت قريشا أصبحت ذات ليلة ... تؤم بها موجا من البحر أكدرا

هذا كلام رجل قد جمره الوالي، وتبرم بغربته، وشقى بالتباعد عن أهله ووطنه، فيقول: تفرد قريش بالتنعم والتلذذ، واستأثر بالعيش الطيب والرتعة الهنيئة، ورمت بنا مرامي منكرة لا راحة معها، ولا طائل فيها، وسدت طرق المفاوز الغبر التي لا تسلك ولا تعبر، بينها وبين أهل المشرق، وبودي أن ثبتت قريش على ليلة تفضى بها صبيحتها إلى أن تسلمها إلى موج

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٤٢

أكدر، يجرفها إلى البحر ويغرقها. وهذا مثل، والمعنى: أتمنى أن تشملها بلية تفنيها وتريح العباد والبلاد منها. والكدر: نقيض الصفاء. ويقال: عيش أكدر، وقد كدر. وجعل الموج كذلك تهويلا، وتكثيرا لماء." (١)

"الله فيه، وأمحق من باب أفعل الذي لا فعلاء له واللعق، هو لما في النحي لا له، فتوسع فيه.

وقالت امرأة من طيىء

فلو أن قومي قتلتهم عمارة ... من السروات والرءوس الذوائب

صبرنا لما يأتي به الدهر عامدا ... ولكنما إثآرنا في محارب

قبيل لئام إن ظفرنا عليهم ... وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب

العمارة: الحي العظيم يطيق الانفراد، وقد يفتح العين منه فيقال: العمارة، لغة. ومثله العميرة، وقيل: هما جميعا البطن. والسروات: الرؤساء. والذوائب: الأعالي، وهو جمع ذوابة، واستعملوا الذنائب في خلافه، وهو جمع ذنابة، وهما اسمان في الأصل وصف بهما. وأثار: جمع الثأر. يقول: هم الذين أصابوبنا عن ذلتهم وخستهم، فالبلاء أعظم، وقرح القلب أوجع، ولو أصابنا غيرهم كان الخطب أيسر، والصبر عليه أوسع. وهذا كما يقال في المثل السائر: " وذات سوار لطمتني ". وقولها قبيل لئام، هو تفصيل ما أجمله. وقولها إن ظفرنا عليهم عدي ظفرنا تعدية علونا، لأنه في معناه، وهم يحملون الضمير على الضمير. والمعنى: لا اشتفاء في الانتقام منهم إذا نيلوا، ولا ينيمون طلاب الأوتار إذا ثأروا. وجواب الشرط، وهو قوله إن ظفرنا، متقدم يشتمل عليه قوله قبيل لئام، لأن فيه معنى الفعل.

ومثل قولها وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب قول امرىء القيس:

ولم يغلبك مثل مغلب

إلا أنه السبب.." (٢)

"حبه للضيف، لذلك قال الآخر:

حبيب إلى كلب الكريم مناخه ... بغيض إلى الكوماء والكلب أبصر

وحبه للظاعن، لذلك قيل في المثل: " أحب أهل الكلب إليه الظاعن " وحبه لوقوع الآفات في المال، لذلك قيل في المثل: نعيم كلب في بؤسي أهله. واللام من قوله للقرى يجوز أن يتعلق بقوله جاوبه، أي لهذه العلة جاوبه، ويجوز أن يتعلق بقوله مستسمع الصوت.

وقال سالم بن قحفان

لا تعذليني في العطاء ويسري ... لكل بعير جاء طالبه حبلا

فإني لا تبكي على إفالها ... إذا شبعت من روض أوطانها بقلا

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٥٩

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٨٣

فلم أر مثل الإبل مالا لمقتن ... ولا مثل أيام العطاء لها سبلا

كانت امرأته عاتبته وأنكرت منه تبذير المال، وقلة الفكرفي عواقب الأمور وحاضر العيال، وقال لها اطرحي اللوم معي فيما تعودته وأجري عليه من البذل والسخاء، وهيئي لكل بعير جاء طالب له حبلا يقتاده به، حتى تكوني شريكا لي في العطاء ومعينا، واعلمي أني إن أبقيت على مالي وسعيت في توفيرها وتثميرها، وأهنت نفسي بإعزازها، فإنها لا تبكي على إفالها إذا مت وقد طاع لها المرتع من قبل فشبعت من بقول الرياض، وسمنت بالتوديع وحسن الإرعاء، ولا تذكرني بجميل، وإنما يفعل ذلك من أحسنت إليه في حياتي واصطفيته بإسدائي، وآثرته باتخاذ الأيادي إليه، وإكمال النعم عليه.." (١)

"(كل امرئ يجري إلى ... يوم الهياج بما استعدا)

(لما رأيت نساءنا ... يفحصن بالمعزاء شدا)

٣ – (وبدت لميس كأنها ... بدر السماء إذا تبدى)

٤ – (وبدت محاسنها التي ... تخفى وكان الأمر جدا)

٥ – (نازلت كبشهم ولم ... أر من نزال الكبش بدا)

٦ – (هم ينذرون دمي وأنذر ... إن لقيت بأن اشدا)

٧ – (كم من أخ لي صالح ... بواته بيدي لحدا)

٨ – (ما إن جزعت ولا هلعت ... ولا يرد بكاي زندا)

والقد أراد به اليلب وهو شبه درع كان يتخذ من الجلد الغير المدبوغ

١ – كل امرئ هذا كما قيل في المثل قبل الرماء تملأ الكنائن

٢ – قوله يفحصن بالمعزاء أي يؤثرن فيها من شدة الجري والمعزاء الأرض الصلبة وشدا مفعول له أي يفحصن لشدهن

٣ – لميس اسم امرأة أي برزت هذه المرأة كاشفة عن وجهها كأنه بدر السماء إذا تبدى وإنما فعلت ذلك إما للتشبيه بالإماء لتأمن السباء وإما لما داخلها من الرعب

٤ – بدت محاسنها ظهرت

٥ – كبش الكتيبة رئيسها يقول لما رأيت الشدة نازلت كبش الأعداء ولم يرد عني الفزع من منازلته

٦ – بأن أشد أي بأن أحمل عليهم يقول هم ينذرون أنهم إن لقوني قتلوني وأنا أنذر إن لقيتهم حملت عليهم

٧ – بوأته أنزلته أي كم من أخ لي موثوق فجعت به

٨ – الهلع أشد الجزع مع عدم الصبر ويستعملون الزند في معنى الشيء القليل كما يستعملون النقير والقطمير." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١٠٧

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٥١/١

"وقال الواحدي هذا البيت رأس في صحة الإلف وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول لو فارقني شيبي إلى الصبا لبكيت عليه لإلفي إياه لأني خلقت ألوفا

١٣ – الغريب الفسطاط مدينة مصر وفيه ست لغات فسطاط وفستاط بالتاء بدلا من الطاء وفساط بالتشديد وكسر الفاء وضمها في الثلاث وأزرته حملته على الزيارة والقوافي جمع قافية وقد تكون القصيدة المعنى قال الواحدي ذكر في البيت الأول أنه ألوف لما يصحبه في أي حال كانت مكروهة أو محبوبة ثم استثنى فقال لكني على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواي والنصح والشعر على زيارة جواد بها كالبحر

١٤ – الإعراب عطف جردا على ما تقدم من قوله حياتي الغريب جردا يريد خيلا قليلات الشعر وهو مدح في الفرس والعوالي الرماح المعنى وأزرته خيلا جردا تركنا الرماح بين آذانها فباتت تتبع عوالي الرماح في سيرها كقول الخنساء

(ولما أن رأيت الخيل قبلا ... تباري بالخدود شبا العوالي)

١٥ – الغريب الصفا الصخر وواحده صفاة **يقال في المثل** ما تندى صفاته والجمع صفا بالقصر وأصفاء وصفى على فعول قال الأخيل

(كأن متنيه من النفى ... من طول إشراف على الطوى)

(مواقع الطير على الصفى ...)

والصفواء الحجارة اللينة الملمس قال امرؤ القيس

(كميت يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتنزل)

والبزاة جمع باز وحوافيا جمع حاف ونصبه على الحال المعنى يقول إذا وطئت هذه الجرد في الصخر وهي حافية بغير نعال أثرت فيه مثل صدور البزاة وهو من التشبيه الجيد ووصف حوافرها بالشدة والصلابة وأنها تؤثر في الصخر حافية وهو منقول من قول الراجز." (١)

"تهدي له كل ساعة خبرا ... عن جحفل تحت سيفه بائد

يقول لا تمضي ساعة إلا وهي تورد عليه خبرا عن عسكرهلك تحت سيفه يعني تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحي

وموضعا في فتان ناجية ... يحمل في التاج هامة العاقد

الموضع المسرع في سيره والفتان غشاء للرحل من أدم والناجية الناقة السريعة يقول وتهدي له موضعا في رحل ناقة تحمل إليه رأسا في تاج من عقده على رأسه

يا عضدا ربه به العاضد ... وساريا يبعث القطا الهاجد

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٢٨٥/٤

العاضد المعين يقال عضده إذا أعانه ويجوز أن يريد به الدولة يعني أن الدولة تعضد به الخلافة ويجوز أن يريد الله تعالى أي أنه يعضد به الإسلام وجعله ساريا بالليل لكثرة غاراته وطلبه الأعداء وإذا سرى ليلا في الفلوات بنه القطا وأثارها عن أفاحيصها كما قيل في المثل لو ترك القطا ليلا لنام

وممطر الموت والحيوة معا ... وأنت لا بارق ولا راعد

يقال برقت السماء ورعدت وأبرقت وأرعدت وأبي الاصمعي أبرق وأرعد يقول أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيي أولياءك بالبذل والإحسان فكأنك سحاب للموت والحيوة غير أنه لا برق لك ولا رعد

نلت وما نلت من مضرة وه ... سوذان ما نال رأيه الفاسد

وهسوذان ملك الديلم بالطرم يضعف رأيه بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة يقول نلت منه ما أردت ولم تنل من مضرته ما نال رأيه الفاسد وهذا من قول الأول، لن يبلغ الأعداء من جاهل، وما يبلغ الجاهل من نفسه، ثم ذكر فساد رأيه فقال

يبدأ من كيده بغايته ... وإنما الحرب غاية الكائد

يقول يبدأ من الكيد بما هو من الغاية ثم فسر غاية الكيد بالحرب يعني أنه يبتدىء بما لا يصار إليه إلا في الإنتهاء أي كان سبيله أن لا يحاربكم حتى يضطر إلى ذلك

ماذا على من أتى محاربكم ... فذم ما اختار لو أتى وافد

يقول الذي يأتيكم يحاربكم ثم يذم اختياره في عاقبة امره لأنه لا يظفر بما يريد ماذا عليه لو وفد عليكم سائلا

بلا سلاح سوى رجائكم ... ففاز بالنصر وانثنى راشد

يقارع الدهر من يقارعكم ... على مكان المسود والسائد

يقول من قارعكم قارعه الزمان على مقداره رئيسا كان أو مرؤوسا

وليت يومي فناء عسكره ... ولم تكن دانيا ولا شاهد

أي وليت اليومين اللذين هزم فيهما وهسوذان ولم تحضر الوقعتين ولكن من هزمه جيش أبيك فكأنك هزمته وهو قوله

ولم يغب غائب خليفته ... جيش أبيه وجده الصاعد

أي كانت لك خليفتان إن غبت ببدنك جيش أبيك وجدك العالي

وكل خطية مثقفة ... يهزها مارد على مارد

المارد الذي لا يطاق خبثا يقول يهز المثقفة كل رجل مارد على فرس مارد وهذا تفصيل بعد الإجمال لأن هؤلاء كانوا من جيش أبيه وقد ذكرهم

سوافك ما يدعن فاصلة ... بين طري الدماء والجاسد

سوافك من نعت قوله وكل خطية وقوله ما يدعن فاصلة قال ابن جنى كانه قال ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلنه دماء قال ابن فورجة اين ما زعم في هذا البيت وإنما يعني أنها إذا أراقت دما فجسد أي لزق اتبعته طريا من غير فاصلة وكأنه ظن أنه عنى بالفاصلة المفصل وإنما الفاصلة حال يفصل بين امرين كما يقول ضربني فلان وأعطاني من غير فاصلة أي من غير أن فصل بينهما بحال

إذا المنايا بدت فدعوتها ... أبدل نونا بداله الحائد

اخبر عن المنايا وهو يريد أهلها لأن المنايا لا تقول شيئا والمعنى أن أهل الحرب يعني جيش عضد الدولة يقولون عند الحرب جعل الله الحائد منا حائنا أي من حاد منا صار هالك

إذا درى الحصن من رماه بها ... خر لها في أساسه ساجد

كنى عن الخيل وإن لم يدر لها ذكر للعلم بذلك يقول إذا علم الحصن أن عضد الدولة رماه بالخيل سقط ساجدا له ولخيله يعني تسقط حيطانه هيبة له

ما كانت الطرم في عجاجتها ... إلا بعيرا أضله ناشد

الطرم ناحية وهسوذان والناشد الطالب يقول خفى في عجاجة الخيل واحاط به العجاج فكأنه بعير أضله من يطلبه

تسأل أهل القلاع عن ملك ... قد مستخه نعامة شارد." (١)

"وما ذكره المسعودي في نسب السميدع يخالف ما ذكره السهيلي في نسبه، لأن المسعودي ذكر أنه السميدع بن هوثر -بثاء مثلثة قيدها- البكري بن لابي بن قطور بن كركر بن عملاق١ فوقعت المخالفة في اسمين، أحدهما قطور بدل قطورا، وجيدان بدل عملاق، ولعل الصواب ما ذكره السهيلي، إلا أن يكون ذلك تصحيفا من ناسخ النسخة التي رأيتها من "تاريخ المسعودي"، ورأيت فيها ما يقتضي أن هوبر بالباء ذكر "شارح العبدونية" نسب السميدع كالمسعودي، إلا أنه انتهى في نسبه إلى الكركر، ووقع في بعض نسخ الشرح ابن هود، وليس السميدع هذا بالسميدع الذي حاربه يوشع بن نون، وإن كانا قد اتفقا في الاسم واسم الأب، وفي الانتساب إلى العماليق، ولأن المسعودي قال في أخبار يوشع بن نون:

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٣٩٢

وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوثر[2] بن ملك إلى يوشع بن نون، فكانت له معه حروب إلى أن قتله يوشع، واحتوى على جميع ملكه، ثم قال: وقد قيل إن يوشع بن نون كان يريد[3] محاربته لملك العماليق وهو السميدع، ببلاد أيلة صوب مدين[4] ... انتهى.

والدليل على ما ذكرناه من أن السميدع هذا ليس بالسميدع الذي حاربه يوشع بن نون: أن السميدع ملك قطور كان في زمن الخليل عليه السلام على ما يقتضي كلام المسعودي في الخبر الذي سبق ذكرنا له باختصار، ويوشع المحارب للسميدع كان بعد الخليل عليه السلام بزمن طويل، لأن بين يوشع والخليل عليه السلام خمسة آباء، فإنه على ما ذكره المسعودي: يوشع بن نون بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإذا كان بين يوشع والخليل عليه السلام هذه الآباء كان متأخرا عن الخليل بدهر طويل، فيكون كذلك السميدع، والسميدع ملك قطورا من العماليق، والزباء الملكة من ذريته على ما فهم السهيلي[1] من كلام صاحب "الأغاني"[5]، والله أعلم.

وذكر السهيلي ما يقتضي أن قطورا الذي منهم السميدع هذا من جرهم، لأنه قال لما ذكر الآباء التي بين عدنان وإبراهيم عليه السلام: وذكر -يعني الطبري[6] فيهم أيضا دوس العتقي، وكان أحسن الناس وجها، وكان **يقال في المثل**: أعتق من دوس، وهو الذي هزم جيش قطورا من جرهم[7] ... انتهى.

---

١ الروض الأنف ١/ ١٣٦.

٢ في مروج الذهب: "هوبر".

٣ في مروج الذهب: "كان بدء محاربته".

٤ مروج الذهب ١/ ٥١.

٥ في كتابه "الأمثال" كما صرح السهيلي في الروض الأنف ١/ ١٣٩.

٦ تاريخ الطبري ٢/ ٢٧٥.

٧ الروض الأنف ١/ ١٢.." (١)

"بالسعة وبعد السمافة وقلة الماء والإيحاش وصعوبة المسلك، وما يجري مجرى ذلك.

الصنف الثاني المياه الأرضية؛ وهي على ضربين

الضرب الأول الماء الملح

ووقع في لغة الإمام الشافعي رضي الله عنه الماء المالح؛ وهو أحد العناصر الأربعة، وسيأتي في الكلام على الأرض في المقالة الثانية أنه محيط بالأرض من جميع جهاتها إلا ما اقتضته الحكمة الإلهية لعمارة الدنيا من كشف بعض ظاهرها الأعلى، وأنه تفرعت منه بحار منبثة في جهات الأرض لتجري السفن فيها بما ينفع الناس.

وقد ذكر الحكماء أن في الماء الملح كثافة لا توجد في الماء العذب، ومن أجل ذلك لا ترسب فيه الأشياء الثقيلة كما ترسب

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٤٧١/١

في الماء العذب، حتى يقال: أن السفن التي تغرق في البحر الملح لا تبلغ أرضه بخلاف التي تغرق في الأنهار فإنها تنزل إلى قعرها، وشاهد ذلك أنك إذا طرحت في الماء العذب بيضة دجاجة ونحوها غرقت فيه، فإذا أذبت في ذلك الماء ملحا بحيث يغلب على الماء وطرحت فيه البيضة عامت، وقد اختلف في الماء الملح هل هو كذلك من أصل الخلقة أو عرضت له الملوحة بسبب مالاقاه من سبخ الأرض على مذهبين. ومن خصائص البحر الملح أنه في غاية الصفاء حتى إنه يرى ما في قعره على القرب من شطه.

ويوصف البحر بالسعة والطول والعرض وكثرة العجائب حتى **يقال في المثل**:

«حدث عن البحر ولا حرج» .

الضرب الثاني الماء العذب

قالت الحكماء: والسبب فيه أن الأبخرة تتصاعد من قعر الأرض فتدخل في." (١)

"قال اللص لعمري لقد حسنت عبارتك ونمقتها وحسنت إشارتك وطبقتها ونثرت خيرك على فخ ضيرك وقد **قيل في المثل** السائر على ألسنة العرب أنجز حر ما وعد أدرك الأسد قبل أن يلتقي على الفريسة لحياه ولا يعجبك من عدو حسن محياه وأنشد

(لا تخدش وجه الحبيب فإنا ... قد كشفناه قبل كشفك عنه)

(واطلعنا عليه والمتولي ... قطع أذن العيار أعير منه)

ألم يزعم القاضي أنه كتب الحديث زمانا ولقي فيه كهولا وشبانا حتى فاز ببكره وعونه وحاز منه فقر متونه وعيونه

قال القاضي أجل

قال اللص فأي شيء كتبت في هذا المثل الذي ضربت لك فيه المثل وأعملت الحيل

قال القاضي ما يحضرني في هذا المقام الحرج حديث أسنده ولا خبر أورده فقد قطعت هيبتك كلامي وصدعت قبضتك عظامي فلساني كليل وجناني عليل وخاطري نافر ولبي طائر

قال اللص فليسكن لبك وليطمئن قلبك اسمع ما أقول وتكون بثيابك حتى لا تذهب ثيابك إلا بالفوائد

قال القاضي هات

قال اللص حدثني أبي عن جدي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يمين المكره لا تلزمه فإن حلف وحنث فلا شيء عليه) وأنت إن حلفت حلفت مكرها وإن حنثت فلا شيء عليك انزع ثيابك." (٢)

"قال: حدثني السدي محمد بن زياد قال: حدثني الهلالي قال: كان النمري مقدما عند الرشيد، وكان يمت له بأم العباس بن عبد المطلب وهي نمرية، وكان هارون يعطيه فيجزل له.

وكان مع ذلك فاسقا معلنا بفسقه وكان أحمق..

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢/١٩٦

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٩/٢٣١

ويقال في المثل: لن يخطئك من طويل إما قرحه في رجله وإما خلل في عقله.

ويمنعني من لذة العيش أنني ... أراه إذا قارفت لهوا يرانيا

أخده من قول الآخر:

وإني لأستحييك حتى كأنما ... علي بظهر الغيب منك رقيب

في المختصر ومحاسن أخلاق وفضل على إخوانه، ومذهبه في لك كله مذهب جميل يرجع إلى حياء وعفاف وسخاء ونبل في نفسه.

وفي مجونه يقول:

ما بالكم يا ظباء وجرة أم ... ما بالكم يا جآذر البشر." (١)

"مشهور بالذكاء وجودة الفهم والبراعة مع حسن أخلاق جميلة مات أبوه وعمره أربع سنين فكفله عمه الإمام العلامة ولي الله شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الناشري مدة يسيرة ثم لما توفي عمه المذكور انتقل إلى عمه الآخر شيخ الإسلام شمس الدين علي بن أبي بكر الناشري فحفظ القرآن العظيم ثم جمع للقراء السبعة عند المقرىء شهاب الدين أحمد بن محمد الأشعري قبل بلوغ عمره عشرين سنة وكان موفقا في صغره كما **قيل في المثل** عاش طفل ما مربيه أب قرأ النحو على الشيخ إسماعيل بن إبراهيم البومة وعلى الإمام المقدسي وغيرهما وأخذ الحديث والفقه عن جماعة منهم عمه شيخ الإسلام شمس الدين علي بن أبي بكر الناشري المقدم الذكر وابن عمه شيخ الإسلام الطيب بن أحمد الناشري ومن مشايخه في القراءات والنحو والفروع والحديث والأصول وسائر العلوم نفيس الدين العلوي وحافظ العصر شهاب الدين ابن حجر والشريف الحسيب تقي الدين المالكي والإمام وجيه الدين البرشكي والفقيه شرف الدين إسماعيل المقرىء والفقيه شرف الدين الدمتي والفقيه جمال الدين بن الخياط والمقرىء شمس الدين الشرعبي وغير من ذكرنا منهم من قرأ أو سمع منه وأجازوا له وقد جمعهم بخطه بجزء لطيف ذكر أنه وقفه على أهله وعليه خط جماعة كثيرين من أهل العصر بمصر والشام والقدس وغيرها." (٢)

"وهنا نقول ان بعض القبائل دخلها بعض الفروع من القبائل الأخرى المجاورة ولا يزال معروفا مثل الاهيازع كما اشير الى ذلك اثناء البحث عن قبائل شمر.

وكذا (بنو وهب) فانهم من شمر وسكنوا مع عنزة. (٢) ولا تختلف قبائل عنزة عن قبائل شمر في الكثير من اعتياداتها وكافة احوالها الا قليلا وكانتا خرجتا الى العراق وسورية في حين واحد تحملان عين التقاليد والعوائد وتوطنتا متقاربتين القبيلة تغزو الأخرى أو تتصالح معها أحيانا. وللآداب اشتراك تام وللقصيدة من كل شاعر بدوي شهير لها تأثيرها على القومين على حد سواء..

والآن بين قبائل شمر وعنزة صفاء تقريبا. وقد شاهدت بين الشيخ عجيل الياور شيخ مشايخ شمر، وبين الشيخ محروت الهذال شيخ مشايخ عنزة مودة وألفة فلا أثر للتنافر. هذا وان والدة محروت بنت النمياط احد رؤساء التومان من شمر،

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ابن المعتز ص/٤٣٨

(٢) طبقات صلحاء اليمن = تاريخ البريهي عبد الوهاب البريهي ص/١١٥

والصهرية بين امثال هذه القبائل لها حسن اثر في الألفة بين القبائل سوى ان هكذا مسائل اجتماعية يكون الغالب فيها العداء الموروث والرؤساء لا يخرجون عن نهج قومهم ورغبتهم كما ثبت في وقائع كثيرة، والرئيس يكون مضطرا لموافقة قبيلته فلا يخرج عن ارادتها ولا يرضى أن يتجاوز أحد عليها أو تنالها اهانة، أو كسرة..

فلا يدع مجالا لقبول مثل هذه ولا تؤثر الصهرية على حد قول القائل:

وهل أنا الا من غزية ان غوت ... غويت وان ترشد غزية ارشد

ولنترك الآن الأبحاث العامة ولنرجع الى القبائل وبيان فروعها أو بالتعبير الأصح نعين درجة اتصالها بعضها ببعض. ونعيد القول هنا عمن كتب عن القبائل مثل الحيدري والآلوسي فانهم لم يراعوا التفخيذ وطريقه وانما لاحظوا تعداد القبائل فلم يتبعوا الطريق العلمي مقرونا بالمحفوظ بقدر الامكان..

وهنا قبل ان اتكلم عن قبيلة عنزة لزم ان اشير الى ان قبائل كثيرة من عنزة قد مالت الى العراق وسكنته برمتها دون ان تبقي لها أثرا في نجد أو في الحجاز مع عنزة التي هي اصل القبيلة وامثال هذه لا نتعرض لها هنا وانما نجدها الآن ريفية، ومستقلة باسمها الخاص.. والمشتقات من عنزة كثيرة جدا لذا أرجئنا البحث عنها الى موطنها من عشائر الريف.. وفي كثرة هذه القبيلة حاضرا ما يغنينا عن بيان مشتقاتها من القبائل الريفية ولكن نعين انتسابها عند الكلام عليها في حينه.

ان قبائل عنزة ينتمون جميعهم الى جد واحد هو عنزة بن وائل وهم يقولون انهم اولاد قشير بن عنز بن وائل وهذا لم يعثر عليه في كتب الأنساب ولا ذكر في سلسلة (عنز) المعروف. ولعل الغلط في المحفوظ تطرق بنسيان الجد الأعلى واتصاله بالأشخاص التاريخية. والظاهر ان احد رؤسائهم كان يسمى قشيرا ونسوا اتصاله لأنه جد أعلى.

وهم كثيرون لا يكادون يحصون بل أن كل فرع يماثل في عدده أكبر القبائل. وهذه الوفرة لم تكن قريبة العهد، ولذا **يقال في المثل** الشايع (عنزة دود الفرث) مبالغه في زيادة العدد.

والمعروف اليوم انهم ينقسمون الى جذمين كبيرين (بشر) و (مسلم) ومن هذين تفرعت كافة قبائلهم.

١

- قبائل بشر

فمن بشر تكونت قبائل عديدة يجمعها: أ. ضنا عبيد. وهو ابن بشر وقبائله: الأسبعه.

الفدعان.

ب. (العمارات) من عماره: الجبل.

الدهامشه. (عيال دهمش) . وجبل ودهمش اخوان.

١ - ضنا عبيد ١ - السبعة: (الاسبعة) وهؤلاء رئيسهم راكان ابن مرشد من الكمصة وصالح ابن هديب. وهم مع الفدعان من ضنا عبيد. وهؤلاء مع العمارات يقال لهم (بشر) و (الأسبعة) قبيلة كبيرة من قبائل عنزة. ونخوتها (عرفة سبيعي) . ويسكنون اليوم سورية وفي الشتاء يميلون الى العراق في أراضي (لاهه) والكعرة في العراق، ويجاورهم الفدعان، والرولة، ويعدون من حيث المجموع ثمن عنزة.

قال في عشائر العرب: " ومنهم السبعة المشهورون، والكماة المدخرون النازلون المخوف، والمقرون الضيوف، ذوو الأكف الوطف والرماح الرهف، والمارقون من الذم مروق السهم من الصف أولئك هم خيرة البرية. " اه ص٥٧ - ١ وفرقهم: الاعبده. رئيسهم برجس بن هديب، ويتجولون في وادي المياه الى المناظر حتى حمص. وفروعهم: الموايجه. فخذ الرؤساء.

الامسكة. رئيسهم ابن جلادان وابن هدلان.

الدوام. رئيسهم هزاع الفككي.

البيايعه. رئيسهم سلمان بن موينع.

الأعرفه. رئيسهم ظاهر بن فاعور.." (١)

"فإذا وصل القاتل مأمنه عد ذلك المجلى، والدغيرات من شمر المجلى الوحيد، ثم صارت عبده كلها مجلى، ولا يكفي أن يركن وحده، وإنما أقربه الى ثلاثة أظهر مطالبون بالدم ويضطرون أن يلجأوا الى الدغيرات، وأما الظهر الرابع والخامس فإنهما بوسعهما أن يخلصا أنفسهما بما يقدمونه فالخامس يعطي ناقة والرابع أربعا، والأكثر على اعتبار ان الخامس يقدم ويسلم من المطالبة.

وولي المقتول وأقاربه الأدنون لا يتركون المطالبة، فإذا ظفروا بالقاتل قتلوه وحينئذ يحق للدغيرات أو لعبدة مطاردته وقتله من يوم قتل أو ليلته الى وقت الظهر، وفي هذه الحالة لو تمكنت منه وقبضت عليه قتلته وصار دمه هدرا. ولكنها ليس لها حق تعقيب أثره لأكثر من هذه المدة، ولا يحق لها المطالبة بالحشم عن انتهاك حرمة مجلاها، كما أن أقارب المجني عليه وأوليائه لو عقروا الابل، أو الخيل، أو الدواب الأخرى دون أن تتمكن القبيلة المجلى فيها من قتله أو الظفر به سقط حقها، ولا يتوجه الفصل عليه، ويهدر الدم من المطالبة به ... وقبل أن يتمكن المرء من الدخالة، أو الوصول الى المجلى يحق لأهل القاتل وأقاربه قتله، أو عقر دوابه وإهانة أقاربه بما لا يتسر ... وهذه تسمى (فورة الدم) ولا يختلف فيها البدوي عن غيره ...

ويلاحظ هنا ان المرء قد يقتل جاره، أو قريبه ويتدخل القوم في الصلح لقطع دابر الفتنة وحرب البسوس مشهورة ويتشائم القوم منها ومن حدوث وقائع أمثالها ... فلا يكفي الصلح لإزالة الأحقاد وتحريك الضغائن لأدنى سبب، وتجارب عديدة برهنت على ان الغضاضة لا تنطفي ولا يزول أثرها الى مدة ...

ومن ثم يختارون (الجلاء) على القاتل جزاء ما ارتكبه ليبعد عن النظر حتى تنسى الواقعة. وهذا تختلف مدته بالنظر لفظاعة الجريمة، او لوجود القريبة لمن ارتكبت ضده، ووجود من هم عصبة يخشى أن يبطشوا به وهكذا ... وكل هذا يلجأ اليه تسكينا لثائرة الغضب وتأمينا لنسيان الجريمة وتقليل شأنها بتقادم عهدها ...

١٩ - التحالف - الوجه

قد يحتاج بعض القبائل ان يركن الى أخرى ويعتز بها، وتكون هي أيضا قوة وذلك لما يرون من غارات خارجية، أو تهديد، أو مجرد حذر ... ومن ثم يتحالفون على أمر. وهذا معتبر دائما إلا أن ينقضه أحد الطرفين ... وقد يكون الحلف للهجوم

---

(١) عشائر العراق عباس العزاوي ص/٧٦

على عدو ومفاجأته بقوة على حين غرة ...

أو تطلب بعض القبائل الوجه للاجتياز، أو للمرعى، أو ما مثل ... وهذا يجري من القبائل الضعيفة تجاه القوية.. فتنال حقا بهذه الموافقة ...

وهناك أمر آخر وهو أن يكون البيت المنفرد قد جنى جناية، أو ناله ما يكره من أقاربه فرحل عنهم مغاضبا، ومال الى قبيلة قريبة اليه او بعيدة فيكون نزيلها ... وهذا له حقوق كثيرة، وليس عليه التكاليف التي تلتزمها القبيلة، بل هو محترم، مرعي الجانب، عزيز المكانة ... والحشم يترتب عند اهانته من آخر ... وقد تتقاتل القبيلة فيما بينها من جراء ما يصيبه من ضيم او تعد ...

وهذه خصائص معروفة للعرب من قديم الزمان، ولا تزال الى اليوم، والإسلام زادها قوة وتمكينا بحثه على مراعاة العهود ... إلا أنه وجهها للصلاح ...

٢٠ – البينة

يقال في المثل (البينات يطردن الذمايم) ، ويقولون (الشاهد ماله حتن) أي مدة، وتقبل الشهادة الخطية، ويقبل الشاهد واليمين وهذا في الغالب لا يكون إلا في المسائل المدنية أو الشخصية ... وأما القتل وما ماثل فهذا له أحكام خاصة وذلك في حالة النسف وهو دفع الخصومة وتوجيهها الى آخر وفي هذه الحالة لا يسمح الا شاهدان. وتقبل الشهادة من اثنين على شهادة الميت؛ والمرأة لا تقبل مفردة.

٢١ – النسف

وهذا أغرب من سابقه. نرى البدوي لا يوجه عليه إلا اليمين، وإن المطالبة تتوجه عليه حتى يفصل النزاع بواسطة العارفة ... فإذا طلب القاتل الرجوع الى العارفة وقال لا اريد إلا الحق ووافق الطرف المخاصم حينئذ وقبل توجيه اليمين قد ينسف المطالب بالدية. وذلك أنه يقول ان الضارب فلان وشهودي فلان وفلان ... ! فإذا قدم الشهود صرفت المقابلة عنه وتوجهت الى من شهد الشهود عليه. وهذا لا يثبت عليه الحكم بمجرد هذه الشهادة فهي لا تفيد أكثر من توجيه المطالبة الى آخر ... ! والبدوي في الغالب يأنف من هذا التوجيه ويدفعه بما أمكنه، وقد يقدم على الحلف ولا يوجه المطالبة على غيره..." (١)

"بن صالح عن عنبسة عن يونس عن ابن شهاب، قال: قال أنس: عن أبي ذر، وأخرجه أيضا في باب قوله: ﴿وكلم اموسى تكليما﴾ (النساء: ٤٦١) في أواخر الكتاب عن عبد العزيز بن عبد اعن سليمان عن شريك بن عبد اعن أنس بن مالك. وأخرجه مسلم في الإيمان عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب، وعن أبي موسى عن ابن أبي عدي، وعنه عن معاذ بن هشام. وأخرجه الترمذي في التفسير عن محمد بن بشار عن غندر. وأخرجه النسائي في الصلاة عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي، وقد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة، لكن طرقه في الصحيحين دائرة عن أنس مع اختلاف أصحابه عنه، فرواه الزهري عن أبي ذر كما في هذا الباب، ورواه قتادة عنه عن مالك بن صعصعة، ورواه شريك بن أبي نمر وثابت البناني

---

(١) عشائر العراق عباس العزاوي ص/١١٩

عنه عن النبي بلا واسطة، وفي سياق كل منهم ما ليس عند الآخر. وأخرجه النسائي أيضا من طرق كثيرة عن أنس.
ذكر لغاته ومعانيه: قوله: (فرج عن سقف بيتي) ، بضم الفاء وكسر الراء وبالجيم أي: فتح فيه فتح، وروي: (فشق) ، فإن قلت: كان البيت لأم هانىء، فكيف قال: بيتي، بإضافته إلى نفسه؟ قلت: إضافه إليه بأدنى ملابسة، وهذا كثير في كلام العرب، كما يقول أحد حاملي الخشبة للآخر: خذ طرفك. فإن قلت: روي أيضا أنه كان في الحطيم، فكيف الجمع بينهما؟ قلت: أما على كون العروج مرتين فظاهر، وأما على كونه مرة واحدة فلعله، بعد غسل صدره دخل بيت أم هانىء ومنه عرج به إلى السماء، والحكمة في دخول الملائكة من وسط السقف ولم يدخلوا من الباب، كون ذلك أوقع صدقا في القلب فيما جاؤا به. قوله: (ففرج صدري) ، بفتح الفاء والراء والجيم، وهو فعل ماض، أي: شقه، ويروى: (شرح صدر) ، ومنه: شرح اصدره. فإن قلت: ذكر في سير ابن إسحاق: شق صدره وهو مسترضع في بني سعد عند حليمة، ورجحه عياض. قلت: أجاب السهيلي بأن ذلك وقع مرتين، والحكمة في الشق الأول نزع العلقة التي قيل له، عند نزعها: (هذا حظ الشيطان منك) . وفي الثاني: ليكون مستعدا للتلقي لما حصل له في تلك الليلة. وقد روى الطيالسي والحارث في (مسنديهما) من حديث عائشة: أن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبرائيل عليه السلام، إليه بالوحي في غار حراء، وفي (الدلائل) لأبي نعيم، (والأحاديث الجياد) للضياء محمد بن عبد الواحد: أن صدره شق وعمره عشر سنين. قوله: (ثم غسله بماء زمزم) الغسل: طهور، والطهور: شطر الإيمان، وزمزم، غير منصرف: اسم للبئر التي في المسجد الحرام. قوله: (بطست) بفتح الطاء وسكون السين المهملة وفي آخره تاء مثناة من فوق، وقال ابن سيده؛ الطس والطسة والطسة، معروف، وجمع: الطس أطساس وطسوس وطسيس، وجمع: الطسة والطسة طساس، ولا يمنع أن يجمع الطسة على طسيس، بل ذلك قياسه، والطساس بائع الطسوس، والطساسة حرفته، وعن أبي عبيدة: الطست فارسي. قلت: هو في الفارسية بالشين المعجمة. وقال الفراء: طي تقول: طست، وغيرهم يقول: طس، وهذا يرد ما حكاه ابن دحية، قال الفراء: يقال: الطسة، أكثر في كلام العرب، والطس، ولم يسمع من العرب: الطست، وفي كتاب (التذكير والتأنيث) لابن الأنباري، يقال: الطست، بفتح الطاء وكسرها، قاله أبو زيد، وقال ابن قرقول: طس، بالفتح والكسر والفتح أفصح، وهي مؤنثة، وخص الطست بذلك دون بقية الأواني لأنه آلة الغسل عرفا. قوله: (من ذهب) ليس فيه ما يوهم استعمال آنية الذهب لنا، فإن ذلك فعل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم أن يكون حكمهم حكمنا، أو لأن ذلك كان أول الأمر قبل استعمال الأواني من النقدين، لأنه كان على أصل الإباحة، والتحريم إنما كان بالمدينة، وإنما كان من ذهب لأنه أعلى أواني الجنة، وهو ورأس الأثمان، وله خواص منها: أنه لا تأكله النار في حال التعليق، ولا تأكله الأرض، ولا تغيره، وهو أنقى كل شيء وأصفاه، **ويقال في المثل**: أنقى من الذهب، وهو بيت الفرح والسرور. وقال الشاعر:
(صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء)

وهو أثقل الأشياء فيجعل في الزئبق الذي هو أثقل الأشياء فيرسب، وهو موافق لثقل الوحي، وهو عزيز، وبه يتم الملك. قوله: (ممتلىء حكمة وإيمانا) الحكمة: اسم من حكم بضم عين الفعل أي: صار حكيما، وصاحب الحكمة. المتقن للأمور، وأما: حكم، بفتح عين الفعل، فمعناه: قضى، ومصدره: حكم بالضم، والحكم أيضا: الحكمة بمعنى: العلم، والحكيم: العالم،

وزعم النووي: أن الحمكة فيها أقوال مضطربة، صفي لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتملة على المعرفة با تعالى، المصحوب." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاتحة الكتاب شفاء من كل سم. والتاسع: الكافية لأنها تكفي عن غيرها. والعاشر: الأساس لأنها أول سورة القرآن فهي كالأساس. والحادي عشر: السؤال لأن فيها سؤال العبد من ربه. والثاني عشر: الشكر، لأنها ثناء على الله تعالى. والثالث عشر: سورة الدعاء لاشتمالها على قوله: (اهدنا الصراط) .

وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة

أي: وسميت سورة الفاتحة أم الكتاب وذلك بالنظر إلى أن الأم مبدأ الولد، وقيل: سميت بها لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى والتعبد بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وقيل: لأن فيها ذكر الذات والصفات والأفعال. وليس في الوجود سواء. وقيل: لاشتمالها على ذكر المبدأ والمعاش والمعاد، وسميت: أم القرآن لأن الأم في اللغة الأصل، سميت به لأنها لا تحتمل شيئا مما فيه النسخ والتبديل، بل آياتها كلها محكمة فصارت أصلا، وقيل: سميت أم القرآن لأنها تؤم غيرها كالرجل يؤم غيره فيتقدم عليه.

والدين الجزاء في الخير والشر كما تدين تدان وقال مجاهد بالدين بالحساب مدينين محاسبين

أشار به إلى تفسير الدين في قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ وهو كلام أبي عبيدة حيث قال: الدين الجزاء والحساب، **يقال في المثل**: كما تدين تجازي، أي كما تفعل تجازى به، وروي هذا حديثا مرسلا، رواه بعد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروي أيضا بهذا الإسناد عن أبي قلابة عن أبي الدرداء موقوفا، وأبو قلابة: عبد الله بن زيد لم يدرك أبا الدرداء. قوله: (وقال مجاهد: بالدين بالحساب) . هو تفسير قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ (الماعون: ١) ووصله عبد بن حميد في التفسير من طريق منصور عن مجاهد في قوله: ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ (الانفطار: ٩) ، قال: الحساب والدين يأتي لمعان كثيرة: (العادة) (والعمل) (الحكم) (والحال) (والحق) (والطاعة) (والقهر) (والملة) (والشريعة) (والورع) (والسياسة) ، قوله: (مدينين محاسبين) ، أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿فلولا أن كنتم غير مدينين﴾ (الواقعة: ٨٦) وفسر مدينين بقوله: محاسبين، بفتح السين.

٤٤٧٤ – ح دثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة قال حدثني خبيب بن عبد الرحمان عن حفص ابن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال ألا أعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له ألم نقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٤٢/٤

مطابقته للترجمة ظاهرة، ويحيى بن سعيد القطان، وخبيب، بضم الخاء العجمة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وفي آخره باء موحدة: ابن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف، بفتح الياء آخر الحروف وتخفيف السين المهملة: أبو الحارث الأنصاري الخزرجي المدني، وحفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو سعيد، بفتح السين وكسر العين وسكون الياء آخر الحروف: ابن المعلى، بضم الميم وفتح العين واللام المشددة على لفظ إسم مفعول من التعلية، واختلف في إسم أبي سعيد هذا فقيل: اسمه رافع، وقيل: الحارث، وقيل: أوس، وقال أبو عمر: من قال هو رافع بن المعلى فقد أخطأ لأن رافع بن المعلى قتل ببدر، وأصح ما قيل الله أعلم في اسمه: الحارث بن نفيع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني زريق الأنصاري الزرقي توفي سنة أربع وسبعين وهو ابن أربع وسبعين، وقال أبو عمر أيضا: لا يعرف في الصحابة إلا بحديثين: أحدهما: عن شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن إلى آخر ما ذكر هنا، والآخر: عند الليث بن سعد وهو حديث طويل، وأوله:." (١)

"أحد، أي: لا تنقله الناس إلى بيوتهم لرداءته، وفي رواية أبي عبيد: (فينتقى) ، من النقى بكسر النون وهو المخ، أي: يستخرج نقيه، وحاصله: أنه قليل الخير من جهة أنه لحم جمل لا لحم غنم، وأنه مهزول رديء وأنه صعب التناول لا يوصل إليه إلا بمشقة شديدة أي: خيره قليل ذاتا وصفة. وقال أبو سعيد النيسابوري: ليس شيء أخبث غثاثة بين الأنعام من الجمل لأنه يجمع خبث الريح وخبث الطعم حتى ضرب به المثل، وصفت زوجها بالبخل وقلة الخيروبعده من أن ينال خيره مع قلته كاللحم الهزيل المنتن الذي يزهد فيه فلا يطلب، فكيف إذا كان في رأس جبل صعب وعر لا ينال إلا بمشقة، وذهب الخطابي إلى أن تمثيلها بالجبل الوعر هنا إشارة إلى سوء خلقه، والذهاب بنفسه وترفعه تيها وكبرا، تريد أنه: مع قلة خيره يتكبر على عشيرته فيجمع إلى البخل سوء الخلق، وهو تشبيه الجلي بالخفي، والمتوهم بالمحسوس والحقير بالخطير.

قوله: (وقالت الثانية) أي: المرأة الثانية، وهي عمرة بنت عمرو التميمي. قوله: (لا أبث) من البث بالباء الموحدة والثاء المثلثة وهو الإظهار والإشاعة، وفي رواية حكاها عياض: (لا أنثه) . بالنون بدل الباء أي: لا أنشره ولا أشيعه، ووقع في رواية الطبراني: (لا أنم) ، بالنون والميم من النميمة. قوله: (إني أخاف أن لا أذره) فيه تأويلان لأن الهاء إما عائدة إلى الخبر أي: خبره طويل إن شرعت في تفصيله لا أقدر على إتمامه لكثرته أو إلى الزوج وتكون: لا، زائدة أي: أخاف أن يطلقني فأذره، أي: فأتركه. وقال الكرماني: التأويل الثالث أن يقال: إن معناه أخاف أن أبث خبره، إذ عدم الترك وهو الإبثاث والتبيين، ووقع في رواية الزبير: زوجي من لا أذكره ولا أبث خبره. قوله: (أذكر عجره وبجره) جواب: إن، والعجر، بضم العين المهملة وفتح الجيم، والبجر بضم الباء الموحدة وفتح الجيم، والمراد بهما: عيوبه، والمشهور في الاستعمال أن يراد به الأمور كلها، وقيل: العجرة نفخة في الظهر والبجرة نفخة في السرة، ويقال: العجر معقد العروق والعصب في الجسد حتى تراها ناتئة في الجسد، والبجر كذلك إلا أنها مختصة بالبطن فيما ذكره الأصمعي، وأحدها بجرة، ومنه قيل: رجل أبجر إذا كان عظيم البطن، وامرأة بجراء، ويقال الفلان بجرة إذا كان ناتيء السرة عظيمها، وقال الأخفش: العجر العقد تكون في سائر البدن، والبجر تكون في القلب، وقال أبو سعيد النيسابوري: لم يأت أبو عبيدة بالمعنى في هذا، وإنما عنت أن زوجها

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٨٠/١٨

كثير العيوب في أخلاقه منعقد النفس عن المكارم، وقال ابن فارس: **يقال في المثل**: أفضيت إليه بعجري وبجري أي: بأمري كله وعن الأصمعي: يستعلمل ذلك في المعائب، أي: ذكر عيوبه، وقال يعقوب: أسراره، وعبارة غيره: عيوبه الباطنة وأسراره الكامنة، وعن علي، رضي الله تعالى عنه، في وقعة الجمل: (إلى الله أشكو عجري وبجري) أي: همومي وأحزاني، وقيل: العجر ظاهرها والبجر باطنها. قال الشاعر:

(لم يبق عندي ما يباع بدرهم ... يكفيك عجر حالتي عن بجري)

(إلا بقايا ماء وجه صنته ... لأبيعه، فعسى تكون المشتري)

قوله: (قالت الثالثة) ، أي: المرأة الثالثة وهي: حيي بنت كعب اليماني. قوله: (العشنق) بفتح العين المهملة والمعجمة وفتح النون المشددة، وبالقاف، وقال أبو عبيدة وجماعة: هو الطويل، وزاد الثعالبي: المذموم الطول، وقال الخليل: هو طويل العنق وقال ابن حبيب: هو المقدام على ما يريد الشرس في أموره، وقيل: السيىء الخلق، وقال الأصمعي: أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله بلا نفع، ويجمع على: عشانقة، والمرأة عشنقة، وقال أبو سعيد الضرير: الصحيح أن العشنق الطويل النجيب الذي يملك أمر نفسه ولا يحكم النساء فيه، بل يحكم فيهن بما شاء، فزوجته تهابة أن تنطق بحضرته فهي تسكن على مضض. قال الزمخشري: وهي الشكاية البليغة. قوله: (إن أنطق أطلق) يعني: إن ذكرت عيوبه يطلقني (وإن أسكت أعلق) يعني: إن أسكت عنه أعلق يعني يتركني لا عزبا ولا مزوجة، كما في قوله تعالى: ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ (النساء: ٩٢١) فكأنها قالت: أنا عنده لا ذات زوج فانتفع به ولا مطلقة فأتفرغ لغيره. فهي كالمعلقة بين العلو والسفل لا تستقر بأحدهما، وكل واحد من قولها: (أطلق) و (أعلق) على صيغة المجهول مجزومان لأنهما جواب الشرط.

قوله: (قالت الرابعة) ، وهي: مهدد، بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الدال المهملة الأولى، ويقال: مهرة بالراء بنت أبي هرومة بالراء المضمومة، ويقال: أرومة. قوله: (كليل تهامة) شبهت زوجها بليل تهامة، وتمدحه أي: كليل أهل مكة أصحاب الأمن، أو كليل ركدت الرياح فيه، أو كليل الربيع وقت تغير الهواء من البرودة إلى الحرارة وظهور اعتداله." [1]

"٣٨ - (باب الرجل يتزوج المرأة فيجدها حبلى)

[٢١٣١] (ثم اتفقوا) أي مخلد بن خالد والحسن بن علي ومحمد بن أبي السري (يقال له) أي لذلك الرجل (بصرة) بفتح أوله وسكون المهملة بن أكثم بالمثلثة ويقال بسرة بضم أوله وبالسين ويقال نضلة بنون مفتوحة ومعجمة صحابي من الأنصار كذا في التقريب (والولد عبدلك) قال الخطابي في المعالم لا أعلم أحدا من العلماء اختلف في أن ولد الزنى حر إن كان من حرة فكيف يستعبده ويشبه أن يكون معناه إن ثبت الخبر أنه أوصاه به خيرا وأمره باصطناعه وتربيته واقتنائه لينتفع بخدمته إذا بلغ فيكون كالعبد له في الطاعة مكافأة له على إحسانه وجزاء لمعروفه **وقيل في المثل** بالبر يستعبد الحر انتهى

(قال الحسن) أي بن علي (فاجلدها) أي بصيغة الواحد (وقال بن أبي السري فاجلدوها) أي بصيغة الجمع (أو قال

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ١٧٠/٢٠

ـــQقال الحافظ شمس الدين بن القيم رحمه الله هذا الحديث قد اضطرب في سنده وحكمه واسم الصحابي راويه فقيل بصرة بالباء الموحدة والصاد المهملة وقيل نضرة بالنون المفتوحة والضاد المعجمة وقيل نضلة بالنون والضاد المعجمة واللام وقيل بسرة بالباء الموحدة والسين المهملة وقيل نضرة بن أكثم الخزاعي وقيل الأنصاري وذكر بعضهم أنه بصرة بن أبي بصرة الغفاري ووهم قائله

وقيل بصرة هذا مجهول وله علة عجيبة وهي أنه حديث يرويه بن جريج عن صفوان بن سليم عن سعيد بن المسيب عن رجل من الأنصار

وبن جريج لم يسمعه من صفوان إنما رواه عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيي الأسلمي عن صفوان وإبراهيم هذا متروك الحديث تركه أحمد بن." (١)

"يراقب للغنى وجها ضحوكا ... ووجها للمنية مكفهرا

ومن جعل الظلام له قعودا ... أصاب به الدجى خيرا وشرا

وكان يقال: من سره أن يعيش مسرورا فليقنع، ومن أراد الذكر فليجهد.

قيل للعتابي: فلان بعيد الهمة، قال: إذن لا يكون له غاية دون الجنة. وقيل لبعض الحكماء: من أسوأ الناس حالا؟ قال: من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته.

وقال عدي «١» بن الرقاع: [كامل]

والمرء يورث جوده أبناءه ... ويموت آخر وهو في الأحياء

أبو اليقظان قال: كان أول عمل وليه الحجاج تبالة، فسار إليها فلما قرب منها قال للدليل: أين هي وعلى أي سمت هي؟ قال: تسترها عنك هذه الأكمة. قال لا أراني أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة! أهون بها ولاية! وكر راجعا. **فقيل في المثل**: «أهون من تبالة على الحجاج» . وقال الطائي: [طويل]

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال رجل لآخر: أبوك الذي جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفرق الجماعة، لا جرم لقد هزم ثم أسر ثم قتل ثم صلب. قال الآخر: دعني من ذكر هزيمة أبي ومن صلبه، أبوك ما حدث نفسه بشيء من هذا قط. قال حاتم طيء: [طويل]

لحى الله صعلوكا مناه وهمه ... من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

يرى الخمص «٢» تعذيبا وإن يلق شعبة ... يبت قلبه من قلة الهم مبهما." (٢)

"باب العز والذل والهيبة

أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدثنا عمر بن السكن قال: قال سليمان ابن عبد الملك ليزيد بن المهلب: فيمن العز بالبصرة؟

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ١١٨/٦

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٣٧/١

فقال: فينا وفي حلفائنا من ربيعة، فقال عمر بن عبد العزيز: ينبغي أن يكون العز فيمن تحولف عليه يا أمير المؤمنين. قالت قريبة: إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذلة. قال رجل من قريش لشيخ منهم: علمني الحلم، قال: هو، يا ابن أخي، الذل، أفتصبر عليه؟. وقال الأحنف: ما يسرني بنصيبي من الذل حمر النعم، فقال له رجل: أنت أعز العرب، فقال: إن الناس يرون الحلم ذلا، فقلت ما قلت على ما يعلمون.

وقرأت في كتاب للهند أن الريح العاصف تحطم دوح الشجر ومشيد البنيان ويسلم عليها ضعيف النبت للينه وتثنيه. **ويقال في المثل**: «تطأطأ لها تخطئك» ، وقال زيد «١» بن علي بن الحسين حين خرج من عند هشام مغضبا: ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل؛ وتمثل: [سريع]

شرده الخوف وأزرى به ... كذاك من يكره حر الجلاد

منخرق الخفين يشكو الوجى ... تنكبه أطراف مرو «٢» حداد

قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس «٣» :." (١)

"يتبعه بصره حتى خفي علينا تعجبا من حرصه وما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرق المال جميعه وممن عمرت الوفود أرجاء ناديه وغمرت بالجود فواضله وأياديه أجواد العرب في الجاهلية الذين ضرب بهم المثل في الجود ثلاثة لا رابع لهم وهم كعب بن مامة الأيادي وهرم بن سنان النمري وحاتم الطائي وقد جمعهم بعض الشعراء في بيت واحد فقال مادحا من أبيات

لو أدرك العصر من كعب ومن هرم ... وحاتم جود كفيه لما ذكروا

ومن أجواد العرب عمرو بن عبد مناف فإنه أول من هشم الثريد وجمع قومه عليه فسمى لذلك هاشما وفيه يقول الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

ويقال في المثل ما أحد كهاشم وإن هشم ولا كحاتم وإن حتم وأجواد العرب في الاسلام عبد الله بن عباس وأخوه عبيد الله فمن المأثور عن عبد الله أن رجلا أراد مضارته فأتى وجوه قريش وهم جلوس في فضاء الكعبة وقال يقول لكم عبد الله تغدوا عنده اليوم فأتوه وقت الغداء حتى ملؤا البيت فسألهم عن مجيئهم فأخبروه الخبر فأمر قوما بشراء فاكهة وأمر قوما بالخبز وقوما أن يطبخوا وقدمت الفاكهة إليهم فما فرغوا من أكلها حتى قدمت الموائد فأكلوا وانصرفوا ثم قال عبد الله لوكيله أيوجد مثل هذا كل يوم إذا أردناه قال نعم قال فليتغدوا عندنا كل يوم وأما عبيد الله فإنه كان لفرط جوده يسمى معلم الجود وهو أول من وضع الموائد على الطرق وكانت نفقته في كل يوم خمسمائة دينار وكان إذا خرج من دوره طعام إلى رحابه ومساجده لا يرد إليها منه شيء فإن لم يجد من يأكله ترك مكانه فربما أكلته السباع وكان هو والناس في ماله سواء من سأله أعطاه ومن." (٢)

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤٠٧/١

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٣٠٩

"الصلاة ودلالته على الترجمة من جهة تأكيد الأمر باللبس حتى بالعارية للخروج إلى صلاة العيد فيكون ذلك للفريضة أولى قوله وقال عبد الله بن رجاء هو الغداني بضم المعجمة وتخفيف المهملة وبعد الألف نون هكذا في أكثر الروايات ووقع عند الأصيلي في عرضه على أبي زيد بمكة حدثنا عبد الله بن رجاء قال وفي بعض النسخ عن أبي زيد وقال عبد الله بن رجاء كما قال الباقون قلت وهذا هو الذي اعتمده أصحاب الأطراف والكلام على رجال هذا الكتاب وعمران المذكور هو القطان وفائدة التعليق عنه تصريح محمد بن سيرين بتحديث أم عطية له فبطل ما تخيله بعضهم من أن محمدا إنما سمعه من أخته حفصة عن أم عطية وقد رويناه موصولا في الطبراني الكبير حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن رجاء والله أعلم

(قوله باب عقد الإزار على القفا)

هو بالقصر قوله وقال أبو حازم هو بن دينار وقد ذكره بتمامه موصولا بعد قليل قوله صلوا بلفظ الماضي أي الصحابة وعاقدي جمع عاقد وحذفت النون للإضافة وهو في موضع الحال وفي رواية الكشميهني عاقدو وهو خبر مبتدأ محذوف أي وهم عاقدو وإنما كانوا يفعلون ذلك لأنهم لم يكن لهم سراويلات فكان أحدهم يعقد إزاره في قفاه ليكون مستورا إذا ركع وسجد وهذه الصفة صفة أهل الصفة كما سيأتي في باب نوم الرجال في المسجد

[٣٥٢] قوله حدثني واقد هو أخو عاصم بن محمد الراوي عنه ومحمد أبوهما هو بن زيد بن عبد الله بن عمر وواقد ومحمد بن المنكدر مدنيان تابعيان من طبقة واحدة قوله من قبل بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جهة قفاه قوله المشجب بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الجيم بعدها موحدة هو عيدان تضم رؤوسها ويفرج بين قوائمها توضع عليها الثياب وغيرها وقال بن سيده المشجب والشجاب خشبات ثلاث يعلق عليها الراعي دلوه وسقاءه **ويقال في المثل** فلان كالمشجب من حيث قصدته وجدته قوله فقال له قائل وقع في رواية مسلم أنه عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت وسيأتي قريبا أن سعيد بن الحارث سأله عن هذه المسألة ولعلهما جميعا سألاه وسيأتي عند المصنف في باب الصلاة بغير رداء من طريق بن المنكدر أيضا فقلنا يا أبا عبد الله فلعل السؤال تعدد وقال في جواب بن المنكدر فأحببت أن يراني الجهال مثلكم وعرف به أن المراد بقوله هنا أحمق أي جاهل والحمق وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه قاله في النهاية والغرض بيان جواز الصلاة في الثوب الواحد ولو كانت الصلاة في الثوبين أفضل فكأنه قال صنعته عمدا لبيان الجواز إما ليقتدي بي الجاهل ابتداء أو ينكر علي فأعلمه أن ذلك جائز وإنما أغلظ لهم في." (١)

"(قوله باب ما جاء في فاتحة الكتاب)

أي من الفضل أو من التفسير أو أعم من ذلك مع التقييد بشرطه في كل وجه قوله وسميت أم الكتاب أنه بفتح الهمزة يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة هو كلام أبي عبيدة في أول مجاز القرآن لكن لفظه ولسور القرآن أسماء منها

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٤٦٧/١

أن الحمد لله تسمى أم الكتاب لأنه يبدأ بها في أول القرآن وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة ويقال لها فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بها في المصاحف فتكتب قبل الجميع انتهى وبهذا تبين المراد مما اختصره المصنف وقال غيره سميت أم الكتاب لأن أم الشيء ابتداؤه وأصله ومنه سميت مكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها وقال بعض الشراح التعليل بأنها يبدأ بها يناسب تسميتها فاتحة الكتاب لا أم الكتاب والجواب أنه يتجه ما قال بالنظر إلى أن الأم مبدأ الولد وقيل سميت أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى والتعبد بالأمر والنهي والوعد والوعيد وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش ونقل السهيلي عن الحسن وبن سيرين ووافقهما بقي بن مخلد كراهية تسمية الفاتحة أم الكتاب وتعقبه السهيلي قلت وسيأتي في حديث الباب تسميتها بذلك ويأتي في تفسير الحجر حديث أبي هريرة مرفوعا أم القرآن هي السبع المثاني ولا فرق بين تسميتها بأم القرآن وأم الكتاب ولعل الذي كره ذلك وقف عند لفظ الأم وإذا ثبت النص طاح مادونه وللفاتحة أسماء أخرى جمعت من آثار أخرى الكنز والوافية والشافية والكافية وسورة الحمد والحمد لله وسورة الصلاة وسورة الشفاء والأساس وسورة الشكر وسورة الدعاء قوله الدين الجزاء في الخير والشر كما تدين تدان هو كلام أبي عبيدة أيضا قال الدين الحساب والجزاء **يقال في المثل** كما تدين تدان انتهى وقد ورد هذا في حديث مرفوع أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وهو مرسل رجاله ثقات ورواه عبد الرزاق بهذا الإسناد أيضا عن أبي قلابة عن أبي الدرداء موقوفا وأبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء وله شاهد موصول من حديث بن عمر أخرجه بن عدي وضعفه قوله وقال مجاهد بالدين بالحساب مدينين محاسبين وصله عبد بن حميد في التفسير من طريق منصور عن مجاهد في قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين قال بالحساب ومن طريق ورقاء بن عمر عن بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى فلولا أن كنتم غير مدينين غير محاسبين والأثر الأول جاء موقوفا عن ناس من الصحابة أخرجه الحاكم من طريق السدي عن مرة الهمداني عن بن مسعود وناس من الصحابة في قوله تعالى مالك يوم الدين قال هو يوم الحساب ويوم الجزاء وللدين معان أخرى منها العادة والعمل والحكم والحال والخلق والطاعة والقهر والملة والشريعة والورع والسياسة وشواهد ذلك يطول ذكرها." (١)

"وبعد خيره ببعد اللحم على رأس الجبل والزهد فيما يرجى منه مع قلته وتعذره بالزهد في لحم الجمل الهزيل فأعطت التشبيه حقه ووفته قسطه قوله قالت الثانية زوجي لا أبث خبره بالموحدة ثم المثلثة وفي رواية حكاها عياض أنث بالنون بدل الموحدة أي لا أظهر حديثه وعلى رواية النون فمرادها حديثه الذي لا خير فيه لأن النث بالنون أكثر ما يستعمل في الشر ووقع في رواية للطبراني لا أنم بنون وميم من النميمة قوله إني أخاف أن لا أذره أي أخاف أن لا أترك من خبره شيئا فالضمير للخبر أي أنه لطوله وكثرته إن بدأته لم أقدر على تكميله فاكتفت بالاشار إلى معايبه خشية أن يطول الخطب بإيراد جميعها ووقع في رواية عباد بن منصور عند النسائي أخشى أن لا أذره من سوء وهذا تفسير بن السكيت ويؤيده أن في رواية عقبة بن خالد إني أخاف أن لا أذره أذكره وأذكر عجره وبجره وقال غيره الضمير لزوجها وعليه يعود ضمير عجره وبجره بلا شك كأنها خشيت إذا ذكرت ما فيه أن يبلغه فيفارقها فكأنها قالت أخاف أن لا أقدر على تركه لعلاقتي به وأولادي منه وأذره

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١٥٦/٨

بمعنى أفارقه فاكتفت بالإشارة إلى أنه له معايب وفاء بما التزمته من الصدق وسكتت عن تفسيرها للمعنى الذي اعتذرت به ووقع في رواية الزبير زوجي من لا أذكره ولا أبث خبره والأول أليق بالسجع قوله عجره وبجره بضم أوله وفتح الجيم فيهما الأول بعين مهملة والثاني بموحدة جمع عجرة وبجرة بضم ثم سكون فالعجر تعقد العصب والعروق في الجسد حتى تصير ناتئة والبجر مثلها إلا أنها مختصة بالتي تكون في البطن قاله الأصمعي وغيره وقال بن الأعرابي العجرة نفخة في الظهر والبجرة نفخة في السرة وقال بن أبي أويس العجر العقد التي تكون في البطن واللسان والبجر العيوب وقيل العجر في الجنب والبطن والبجر في السرة هذا أصلهما ثم استعملا في الهموم والأحزان ومنه قول علي يوم الجمل أشكو إلى الله عجري وبجري وقال الأصمعي استعملا في المعايب وبه جزم بن حبيب وأبو عبيد الهروي وقال أبو عبيد بن سلام ثم بن السكيت استعملا فيما يكتمه المر ويخفيه عن غيره وبه جزم المبرد قال الخطاب أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة قال ولعله كان مستور الظاهر رديء الباطن وقال أبو سعيد الضرير عنت أن زوجها كثير المعايب متعقد النفس عن المكارم وقال الأخفش العجر العقد تكون في سائر البدن والبجر تكون في القلب وقال بن فارس **يقال في المثل** أفضيت إليه بعجري وبجري أي بأمري كله قوله قالت الثالثة زوجي العشنق بفتح المهملة ثم المعجمة وتشديد النون المفتوحة وآخره قاف قال أبو عبيد وجماعة هو الطويل زاد الثعالبي المذموم الطول وقال الخليل هو الطويل العنق وقال بن أبي أويس الصقر من الرجال المقدام الجريء وحكى بن الأنباري عن بن قتيبة أنه قال هو القصير ثم قال كأنه عنده من الأضداد قال ولم أره لغيره انتهى والذي يظهر أنه تصحف عليه بما قال بن أبي أويس قاله عياض وقد قال بن حبيب هو المقدام على ما يريد الشرس في أموره وقيل السيء الخلق وقال الأصمعي أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله بغير نفع وقال غيره هو المستكره الطول وقيل ذمته بالطول لأن الطول في الغالب دليل السفه وعلل ببعد الدماغ عن القلب وأغرب من قال مدحته بالطول لأن العرب تتمدح بذلك وتعقب بأن سياقها يقتضي أنها ذمته وأجاب عنه بن الأنباري باحتمال أن تكون أرادت مدح خلقه وذم خلقه فكأنها قالت له منظر بلا مخبر وهو محتمل وقال أبو سعيد الضرير الصحيح أن العشنق الطويل النجيب الذي يملك أمر نفسه ولا تحكم النساء فيه بل يحكم فيهن بما شاء فزوجته تهابه." (١)

"عمر وهو صاحب الفتوح ومصبح الملوك بشر صبوح فقم على قدم الهمم وسر إلى أعدائك وتقدم وقد اعلمناك لتكون على بصيرة من الامر وإياك أن تهمل الامر فرب صغير أمر عاد كبيرا ويسير عاد عسيرا والحرب أوله شرر وآخره نار تسعر والسلام قال: وبعثا الكتاب مع نجاب فلما وصل به إلى كسرى وقرىء عليه انتفض لذلك واهتز على سريره وأحضر الاساورة والموابذة والديلم والسهارجة وقرأ عليهم كتاب الملوك وقال لهم: ما ترون في هذا الامر الذي قد وقفنا عليه وأشرفنا من زماننا عليه واعلموا أن هؤلاء العرب قد أخرجهم الجدب والجهد فهم ينظرون لهم مواضع يسكنون اليها وينزلون فيها وقد أذاقوا الروم شرا وأنزلوا بهم ضرا وملكوا المدائن واحتووا على الخزائن.

وكانت الروم قد اجتمعوا عن بكرة أبيهم وما كان منهم أحد إلا أتى الشام وتلاقوا في الحرب بمكان ي قال له: اليرموك وهذه شرذمة من العرب قد سرحوا بلادكم وقد عولوا على أن ينزعوا الملك من أيديكم ولا ينفعكم لا أن تكشفوا عن ساق

---

(١) فتح الباري لابن حجر   ابن حجر العسقلاني ٩/٢٦٠

العزم وتتشحوا بوشاح الحزم وتذبوا عن أهليكم وأموالكم وأولادكم وحريمكم وبلادكم واعلموا أن العرب لهم الطمع وقد دخل في قلوبهم أن يملكوا بلادكم وحصونكم متى رأوكم ناكلين عن قتالهم فشلين عن نوالهم مالوا عليكم ميلة الأسود على فرائسها فاحسموا موادهم من أول يوم وقد **قيل في الأمثال** من نظر في العواقب أمن غائلة النوائب ثم إنه فتح خزائن الاموال والخلع وخلع على الهرمزان وقدمه على خمسين ألفا وخلع على عطارد بن مهرود وقدمه على عشرين ألفا وخلع على قارين بن همام وقدمه على عشرين ألفا وأمرهم أن يضربوا خيامهم بأرض زوندان ففعلوا ذلك وكتب من وقته إلى خراسان وما وراء النهر يستفزهم ومن معهم من الأجناد على قتال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصلت الكتب إليهم أقبلوا يهرعون إلى العراق كالجراد المنتشر وكان في جملة القوم شهريار بن كباد والفرحان الأهوازي والهزيل بن جسوم جاسر الهمذاني ومعهم أربعون فيلا ووفد الجانيوس بن قتاد.

قال الراوي: فلما اجتمعت الجيوش خرج كسرى يحرضهم بأرض شهرطاق وفراشة وكان رأس جيشه مهرمان فعرض الجيوش فإذا هي مائة ألف وخمسون ألفا غير الأتباع وقدم الديلم والعجم وأمامهم الفيلة وعقدوا على ظهورها الاسرة بثياب الديباج وعلى كل سرير أربعون رجلا مقاتلة وهم يضربون بالطبول والصنوج في خراطيهما أعني الفيلة السيوف ليقاتلوا بها وكان فيها فيل أعور كأنه الجبل العظيم وكان هو المقدم على الفيلة حيثما سار سارت وراءه وإن وقف وقفت وقد ربط وراء الفيلة عجل يحمل بيوت السلاح والأموال فلما عولوا على المسير عاد الملك أزدشير إلى من ذكر من المقدمين وقال اعلموا يا أهل فارس إنكم ما زلتم ملوكا وهيبتكم في قلوب الترك.." (١)

"تمنعه، والخل والخمر مثلان للخير والشر، **يقال في المثل** " ما فلان بخل ولا خمر " أي لا خير فيه ولا شر عنده، وأنشدوا على هذا بيت النمر المتقدم إنشاده، وقيل: هما مثلان مضروبان لقلي الخير وكثيره، ولا شر هناك، وإلى هذا أشار أبو عبيد فيما تقدم من كلامه؛ قال أبو علي: وأما قول العرب في أمثالها " ليس بخلة ولا خمرة " فهو كقولهم: سويقة ودقيقة وعسلة وضربة.

قال أبو عبيد: وكذلك قولهم " سواء عليك هو والقفر " يقول: إذا نزلت به فكأنك بالقفار الممحلة. قال: ومنه قول ذي الرمة في بيت عاب فيه قوما، إلا أنا نكره ذكره.

ع: ليس فيه شيء من الاقذاع فيكره ذكره، وقد أنشد عدة أبيات هي في الهجو أشد منه، قال ذو الرمة يهجو المرئيين (١) :

تخط إلى القفر امرأ القيس إنه ... سواء على الضيف امرؤ القيس والقفر

يحب امرؤ القيس القرى أن يناله ... ويأبى مقاريها إذا طلع النسر وطلوع النسر في أول الليل يكون عند كلب البرد وشدة الزمان.

١٩٦ -؟ باب صفة البخيل مع السعة والوجد

قال أبو عبيد: من أمثالهم في ذلك " رب صلف تحت الراعدة (٢) " قال: والراعدة هي السحابة ذات الرعد، والصلف قلة

---

(١) فتوح الشام الواقدي ١٧١/٢

النزل والخير.

---

(١) ديوان ذي الرمة رقم: ٢٩.

(٢) قال أبو عبيدة في شرح النقائض: ٢٧١ يراد به الرجل يقل خيره مع ظاهر يستعظم.." (١)

"يقال " رهباك خير من رحماك (١) " يقول: فرقه (٢) خير من حبه لك وأحرى أن يعطيك عليه.

ع: هكذا حكاها أبو زيد وصح عنه رهباك ورحماك بفتح أولهما والضم فيهما فصيح.

وإلا قول أبي عبيد: إذا أعطى البخيل شيئا مخافة ما هو أشد منه قالوا: " قد يضرط العير والمكواة في النار " وهذا المثل يروى عن عمرو بن العاصي أنه قاله في فلان.

ع: قال العلماء بالأخبار: إن أول من نطق بهذا المثل مسافر بن أبي عمرو وكان يهوى هندا بنت عتبة أم معاوية وكانت تهواه، فقالت له: إن أهلي لا يزوجوني منك لأنك معسر، فلو وفدت على بعض الملوك لعلك تصيب مالا فتتزوجني، فدخل إلى الحيرة وافدا على النعمان، فبينما هو مقيم عنده إذ قدم عليه قادم من مكة فأخبره بأشياء كانت بعده منها أن أبا سفيان تزوج هندا، فسقي بطنه من الغم، فأمر النعمان أن يكوى فأتى الطبيب بمكاويه فجعلها في النار ثم وضع عليه منها مكواة، وعلج من علوج النعمان واقف، فلما عاين ذلك ضرط، فقال مسافر: قد يضرط العير والمكواة في النار. ومات مسافر من علته (٣) ، وقد **قيل في المثل** غير هذا، والذي ذكرناه أحرى واصح.

١٩٨ -؟ باب البخيل يعتل بالإعسار

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا قولهم " قبل البكاء كان وجهك عابسا "

---

(١) ع: رغباك، ولعله أصح.

(٢) س: فرقه منك.

(٣) س: علته هذه.." (٢)

"الباب الرابع في أوائل الأشياء وأواخرها

الفصل الأول "في سياقة الأوائل"

الصبح أول النهار. الغسق أول الليل. الوسمي أول المطر. البارض أول النبت. اللعاع أول الزرع وهذآ عن آلليث. اللبأ أول اللبن. السلاف أول العصير. الباكورة أول الفاكهة. البكر أول الولد. الطليعة أول الجيش. النهل أول الشرب. النشوة أول السكر. الوخط أول الشيب. النعاس أول النوم. الحافرة أول الأمر وهي من قول الله عز وجل: ﴿أإنا لمردودون في الحافرة﴾ ١ اي في أول أمرنا. **ويقال في المثل**: النقد عند الحافرة. أي عند أول كلمة. الفرط٢ أول الوراد وفي الحديث: "أنا فرطكم

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٤٣٠

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٤٣٢

على الحوض" ٣ أي أولكم. الزلف أول ساعات الليل واحدتها زلفة عن ثعلب عن ابن الأعرابي. الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره عن الفراء. النقبة أول ما يظهر من آلجرب عن الأصمعي. العلقة أول ثوب يتخذ للصبي عن أبي عبيد عن العدبس. الاستهلال أول صياح المولود إذا ولد. العقي أول ما يخرج من بطنه. النبط أول ما يظهر من ماء البئر إذا حفرت. الرس والرسيس أول ما ياخذ من الحمى. الفرع أول ما تنتجه الناقة وكانت العرب تذبحه لأصنامها تبركا بذلك

الفصل الثاني "في مثلها"

صدر كل شيء وغرته أوله. فاتحة الكتاب أوله. شرخ الشباب وريعانه وعنفوانه وميعته وغلواؤه أوله. ريق الشباب وريقه أزله. ريق المطر أول شؤبوبه٤. حدثان الأمر أوله.

---

١ سورة النازعات: الآية١٠.

٢ الفرط: فرط القوم بفرطهم بقدمهم إلى الورد لإصلاح الحوض والدلاء القاموس ٨٧٩.

٣ حديث صحيح أخرجه الحميدي ٧٨٧ وأحمد ٣١٣/٤ والبخاري ٦٥٨٩ ومسلم ٢٢٨٩ وابن حبان ٦٤٤٥ من حديث جندب بن سفيان وله شواهد كثيرة.

٤ الشؤبوب: الدفعة من المطر وحد كل شيء وشده دفعه القاموس المحيط ١٣٧.." (١)

"لا يقيد عماله فقال: يا عمر إن خالدا تأول فأخطأ فارفع لسانك عنه، ثم كتب إلى خالد أن يقدم عليه، فقدم وأخبره بخبره فقبل عذره، وعنفه بالتزويج، وقيل إن خالدا كان يهوى امرأة مالك في الجاهلية، وكان خالد يعتذر في قتله فيقول: إنه قال لي وهو يراجعني: ما إخال صاحبكم إلا قد كان يقول كذا وكذا، فقال خالد، أو ما تعده صاحبك؟ ثم قدمه فضرب عنقه.

ومما يؤيد خالد وأن (١) مالكا مات مرتدا أن متمما لما أنشد عمر مراثيه في مالك قال له عمر: والله لوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ما رثيت أخاك، فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته، فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني أحد عن أخي بأحسن مما عزاني به متمم.

وقال الرياشي: صلى متمم بن نويرة مع أبي بكر رضي الله عنه الصبح ثم أنشده:

نعم القتل إذا الرياح تناوحت ... تحت الإزار قتلت يا ابن الأزور الأبيات ...

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ثم انخرط على سية قوسه مغشيا عليه.

وقيل لمتمم: ما بلغ من وجدك على أخيك؟ فقال: أصبت بإحدى عيني فما قطرت منها قطرة عشرين سنة، فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ.

ويقال في المثل: فتى ولا كمالك، ومرعى ولا كالسعدان، يعنون به مالكا هذا.

وقيل لمتمم: صف لنا مالكا فقال: كان يركب الجمل الثفال في الليلة القرة يرتمي لأهله بين المزادتين عليه الشملة الفلوات،

---

(١) فقه اللغة وسر العربية الثعالبي، أبو منصور ص/٣٧

يقود الفرس الحرون، ثم يصبح ضاحكا.

---

(١) ر: خالد أن.." [(١)]

"وقوله: " إذا طأطأ رأسه قطر " يعني من العرق.

والجمان: ما استدار من الدر، ويستعار لكل ما استدار من الحلي.

وقوله: " فيمسح عن وجوههم "كأنه يرفع غمهم بما لاقوا من الدجال.

وقوله: " فحرز عبادي إلى الطور " أي ضمهم إليه.

وقد سبق ذكر يأجوج ومأجوج في مسند أبي سعيد.

وقوله: " وهم " أي يأجوج ومأجوج " من كل حدب ينسلون " قال ابن قتيبة: أي من كل نشز من الأرض وأكمة ينسلون، من النسلان، وهو مقاربة الخطو مع الإسراع كمشي الذئب إذا بادر. وقال الزجاج: ينسلون: يسرعون.

وقوله: " حتى يكون رأس الثور خيرا لهم من مائة دينار " يشير إلى المجاعة.

والنغف: دود يكون في أنوف الغنم والإبل، واحدها نغفة، وهي محتقرة وإيلامها شديد، **ويقال في المثل**: " ما هو إلا نغفة ".

وقوله: " فيصبحون فرسى " أي مفروسين هالكين، وأصل الفرس دق العنق من الذبيحة، ثم سمي كل قتل فرسا.." [(٢)]

"تركني معلقة، لا أيما ولا ذات بعل، ومنه قوله تعالى: ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ [النساء: ١٢٩] .

وقوله الرابعة: زوجي كليل تهامة. ضربت ذلك مثلا، أي ليس عنده أذى ولا مكروه، لأن الحر والبرد كلاهما فيه أذى إذا اشتد.

وقولها: ولا مخافة. أي ليس عنده غائلة ولا شر أخافه. ولا سآمة: أي لا يسأمني فيمل صحبتي. وأبو عبيد يرويه: لا حر ولا قر بالرفع والتنوين، وكذلك باقي الكلمات.

وقول الخامسة: زوجي إن دخل فهد. تصفه بكثرة النوم والغفلة في المنزل، على جهة المدح، لأن الفهد موصوف بكثرة النوم، **يقال في المثل**: " أنوم من فهد " وأرادت أنه لا يتفقد ما يذهب من ماله ولا يلتفت إلى معايب البيت، ويبين هذا المعنى قولها: ولا يسأل عما عهد تعني عما كان يعهده عندها. وقال إسماعيل بن أبي أويس: إن دخل فهد: أي وثب كما يثب الفهد، فكأنها مدحت بعض أحواله وذمت بعضا.

وقولها: وإن خرج أسد. أسد واستأسد بمعنى واحد، والمعنى أنها تصفه بالشجاعة إذا خرج إلى البأس: أي إنه يقوم في الحروب مقام الأسد في شجاعته وحمايته.." [(٣)]

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣/٢٣٤

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ابن الجوزي ٤/٢٠٦

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين ابن الجوزي ٤/٢٩٨

"الحلق من الدم، فإذا عولج منه صاحبه قيل: عذرته فهو معذور، قال جرير:

(غمز ابن مرة يا فرزدق كينها ... غمز الطبيب نغانغ المعذور)

والدغر: أن ترفع المرأة ذلك الموضع بإصبعها. ومن الدغر قول علي عليه السلام: لا قطع في الدغرة. والمحدثون يقولون: الدغرة، بفتح الغين: وهي الخلسة. **ويقال في المثل**: " دغرا لا صفا " يقول: ادغروا عليهم ولا تصافوهم. ويقال: " دغرى لا صفى " مثل: حلقى عقرى.

ويقال: دغرى مثل جمزى، قال الراجز:

(قالت عمان دغرى لا صفا ...)

وقال ابن قتيبة: العذرة: وجع الحلق، وأكثر ما تعتري الصبيان فيعلق عليهم، والإعلاق والدغر شيء واحد: وهو أن يرفع اللهاة.

وقوله: " بهذا العلاق " قال أبو سليمان الخطابي: الصواب: بهذا الإعلاق مصدر أعلقت عنه.

وأما اللدود فهو ما دس في الأدوية في داخل الفم من جانبيه.

والعود الهندي: هو الكست، وهو القسط، يقال: كافور وقافور.." (١)

"بقي واحد يقال له: سيدك خاتون في أيام نقابة السيد الأجل السعيد جلال الدين محمد بن يحيى قدس الله روحه وحلق رأسه.

فصل والسيد عين الدين سلطان أبو علي الحسين بن أميرك، من أولاد زيد السيلقي الذي تقدم ذكره، بقي واحد يقال له: محمد، كان يدعي أنه ابنه، ومات محمد قبل السيد سيدك بسنين، وقد نفاه السيد سيدك وأشهد على نفيه.

فصل في ذكر السادات والأشراف الذين يأخذون الأرزاق وريوع الأوقاف من ديوان غزنة ونواحيها، باهتمام نقيب النقباء أبي محمد الحسن بن محمد الحسيني.

أولاد محمد بن الحنفية: علي بن الحسين، وأبناءه الحسين بن علي، والقاسم بن علي، ومنصور بن علي، وحمزة بن علي، وعبد الملك بن علي، وسكينة بنت علي، ورسية بنت علي.

ولحمزة: عزيز بن حمزة بن علي. ولعبد الملك: عقيل بن عبد الملك بن علي.

ومن أولاد جعفر: أبو المظفر عبد الجبار بن محمد الزينبي، وأحمد بن أبي طالب، وزيد بن أبي طاب قد مات بسرخس، وأبو طالب حمزة بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر بن علي بن منصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ويقال له: أبو طالب الفوشحي.

أولاد الرشيد بغزنة: علي بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد السلام الحسن بن عبد السلام أحمد بن عبد السلام

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين ابن الجوزي ٤/٤٦٣

حيدر بن الحسين بن عبد السلام في ناحية حمار.

وفي ناحية غزنة مائة نفر من أولاد عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. مقدمهم أبو علي علي بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخوه محمد بن علي.

أشراف ناحية السامولان بحد غزنة السيد هدنة ابن يوسف بن عيسى بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. أخوه عيسى بن يوسف. العقب من السيد هدنة بن يوسف: محمد، والحسن، والشريف. والعقب من عيسى: علي.

ومن سادات غزنة في نهرساس: أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى بن زيد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. أخوه داود بن محمد بن عيسى بن زيد.

العقب من أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن زيد بن أحمد بن يحيى بن الحسين: في أبي علي عمر، وأبي الفضل أحمد، وأبي منصور محمد، وأبي إسحاق الحسين بن علي، والحسن.

ولكل واحد منهم أولاد وأعقاب بتلك الناحية، حرس الله من بقي منهم، وغفر الله ذنوب من مضى، وأقر بهم يوم القيامة عين جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله.

فصل وقد فرغت من إتمام المجلد الأول من كتاب لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، في شهر الله المبارك رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة على موجب الاستطاعة والإمكان، وما أكلت رطب المشان بعلة الورشان، وجهد المقل مقبول، والكريم على الرضا ببذل الجهد مجبول.

وأقول: الحمد لله الذي جعل عالي مجلس الأمير السيد الأجل العالم الكبير عماد الدولة والدين جمال الإسلام والمسلمين، ملك النقباء في العالمين، صدر آل رسول الله صلى الله عليه وآله، ملكا للسادة مطاعا أحبائا لهم العالية من هذا العلم استنات الرحم البالية.

ودون في الكتب القيمة أنساب العترة الطاهرة، والذرية الطيبة، ونور هذا الكتاب بأنساب هؤلاء الذراري، كما نور الله تعالى السماوات بالكواكب الدراري.

فلا جرم صار حبائه مشربا عذبا موردا، بعدما كان مقام العقلاء والعلماء في مجلسه مقاما محمودا، يسوق كل فاضل إلى حضرته من غرائب العلوم هديا بالغ الكعبة، ورقى حضرته من سهام أوهامه وأفهامه ما في الحقنة والأفاضل، فازوا في حضرته من آفاق التوفيق بطوالع مسعودة، وظفروا في جنابه بكل ضالة منشودة.

هذا وقد صار فؤادي مشتغلا، وقودي مشعلا، وأصفت من عمري إلى الزود فصار إبلا في ما شرفين إشارته إلى جمع هذا الكتاب، ونظم تلك الأسباب، ونبه أدام الله علوه عند حروف العدى عمرا، وثبت مع ضعفي وعجزي كأني أحاكي بالوثوب عمرا، واستفرغت في أداء أمره جهدي.

وجددت بهذا العلم الذي أعرضت عنه مدة من الزمان عهدي **وقيل في الأمثال** جارا ملكا وبحرا وأنا أقول هذا جوار ما مثله في الدنيا من جوار، وهذا عرار نجد مع شميمه.." (١)

"وقال أبو الفتح البستي:

من شاء عيشا رغيدا يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالا

فلينظرن إلى من فوقه أدبا ... ولينظرن إلى من دونه مالا

(للشريشي) ١٢٥ وقيل: ده الكبر. متى كنت من أهل النبل لم يضرك التبذل ومتى لم تكن من أهله لم ينفعك التنبل. قال المأمون: ما تكبر أحد إلا لنقص وجده في نفسه. ولا تطاول إلا لوهن أحس من نفسه. قال بزرجمهر: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد عند الحكماء من الكبر مع الأدب والسخاء. قال منصور الفقيه: يا قريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع (للثعالبي)

ذم من اعتذر فأساء

١٢٦ **قيل في المثل**: عذره أشد من جرمه. رب إصرار أحسن من اعتذار. وقيل: تب من عذرك ثم من ذنبك قال الخبزري:

وكم مذنب لما أتى باعتذاره ... جنى عذره ذنبا من الذنب أعظما

(للثعالبي)

ذم الخمر

١٢٧ كان العباس بن علي المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها: أما المال فتبلعين. وأما المروءة فتخلعين. وأما الدين فتفسدين." (٢)

"بنار فأوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتي في الأرض حتى كادت روحي تخرج. فلما نضجت تركتها تفور وتغلي وفتت الخبز. وعمدت لأنزلها فانفلتت من يدي وانكسرت القدر على الأرض فبقيت ألتقط اللحم. وأمسح منه التراب وآكله وذهب المرق الذي كنت اشتهيته وهذا أعظم ما مر بي (للاتليدي)

الخطيب والتلميذ

٣٠٦ اشتهر في جزيرة صقلية أرخيلوخوس الخطيب الملقب بالغراب. وسار إليه الطلبة لاستفادة الخطابة منه. وكان من جملة قاصديه فتى من اليونان يقال له ثيسياس ورغب إليه في تعليم هذا الفن وضمن له عن ذلك مالا معينا فأجابه برغبته وعلمه. فلما أتقنها حاول الغدر به ورام فسخ ما وافقه عليه فقال له: يا معلم ما حد الخطابة. فقال: إنها المفيدة للإقناع. قال: إني أناظرك الآن في الأجرة. فإن أقنعتك بأنني لا أدفعها إليك لم أدفعها إذ قد أقنعتك بذلك. وإن لم أقدر على ذلك فلست

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب البيهقي، ظهير الدين ص/١١٩

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤٩/١

أعطيك شيئا لأنني لم أتعلم منك الخطابة التي هي مفيدة للإقناع. فأجابه المعلم وقال: وأنا أيضا أناظرك فإن أقنعتك بأنه يجب لي أخذ حقي منك أخذته أخذ من أقنع. وإن لم أقنعك فيجب أيضا أخذه منك إذ قد نشأت تلميذا يستظهر على معلمه. قد **قيل في المثل**: بيض رديء لغراب رديء (لابي الفرج)." (١)

"من يتقي الله يجد غب التقى ... يوم الحساب صائرا إلى الهدى

إن التقى أفضل شيء في العمل ... أرى جماع البر فيه قد دخل

خافوا الجحيم إخوتي لعلكم ... يوم اللقاء تعرفوا ما سركم

قد **قيل في الأمثال** لو علمتم ... فانتفعوا بذاك إن عقلتم

ما يزرع الزارع يوما يحصده ... وما يقدم من صلاح يحمده

فاستغفروا ربكم وتوبوا ... فالموت منكم فاعلموا قريب

(الأغاني) ٣٩ قال بعضهم:

حتام أنت بما يلهيك مشتغل ... عن نجح قصدك من خمر الهوى ثمل

تمضي من الدهر بالعيش الذميم إلى ... كم ذا التواني وكم يغري بك الأمل

وتدعي بطريق القوم معرفة ... وأنت منقطع والقوم قد وصلوا

فانهض إلى ذروة العلياء مبتدرا ... عزما لترقى مكانا دونه زحل

إن ظفرت فقد جاوزت مكرمة ... بقاؤها ببقاء الله متصل

وإن قضيت بهم وجدا فأحسن ما ... يقال عنك قضى من وجده الرجل

٤٠ قال بهاء الدين العاملي في كتاب رياض الأرواح:

ألا يا خائضا بحر الأماني ... هداك الله ما هذا التواني

أضعت العمر عصيانا وجهلا ... فمهلا أيها المغرور مهلا

مضى عصر الشباب وأنت غافل ... وفي ثوب العمى والغي رافل

إلى كم كالبهائم أنت هائم ... وفي وقت الغنائم أنت نائم." (٢)

"إن الشقي وافد البراجم

هو عمار بن صخر التميمي. والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم. وذلك أن الملك عمرو بن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بني تميم لثار له عندهم وكان قد آلى أن يحرق منهم مائة. فبينما هو يلتمس بقية المائة إذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن إن الملك إتخذ طعاما فعدل إليه. فقيل له ممن أنت. قال: من البراجم. فألقي في النار. **وقيل في المثل** أن الشقي وافد البراجم. ومن هنالك عيرت بنو تميم بحب الطعام

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب   لويس شيخو ١٣١/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب   لويس شيخو ٣٦/٣

شقائق النعمان

قال أبو محمد: شقائق النعمان منسوبة إلى النعمان بن المنذر. وكان خرج إلى الحضر وقد اعتم نبته من بين أخضر وأصفر وأحمر وإذا فيه من هذه الشقائق شيء. فقال: ما أحسنها احموها. فحموها فسميت شقائق النعمان

أفصح من سحبان وائل

هو وائل بن معن بن أعصر وكان خطيبا يضرب به المثل في الفصاحة. قال الشاعر في ضيف نزل به:

أتانا ولم يعدله سحبان وائل ... بيانا وعلما بالذي هو قائل

فما زال عنه اللقم حتى كأنه ... من العي لما أن تكلم باقل

أبر من العملس

كان برا بأمه وكان يحملها على عاتقه حمل إليها غبوقا من لبن في عس. فصادفها نائمة فكره إنباهها والانصراف عنها. فأقام مكانه قائما يتوقع انتباهها حتى أصبح

أبطش من دوسر

قالوا أن دوسر إحدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب. وكانت له خمس كتائب الرهائن والصنائع والوضائع والأشهاب ودوسر. أما الرهائن فإنهم كانوا خمس مائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجيء بدلهم خمسمائة أخرى وينصرف أولئك إلى أحيائهم. فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره. وأما الصنائع فبنو قيس وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه. أما الوضائع فإنهم كانوا ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملك العرب. وكانوا أيضا يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم ألف رجل وينصرف أولئك. وأما الأشاهب فأخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من أعوانهم سموا." (١)

"المسألة الثانية: ما حكم نكاح نسائهم؟

والجواب: حكم ذلك الحل والإباحة عند جمهور أهل العلم لقول الله سبحانه في الآية السابقة من سورة المائدة: ﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (١) والمحصنة هي الحرة العفيفة في أصح أقوال علماء التفسير، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية ما نصه.

وقوله: ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ (٢) أي وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات وذكر هذا توطئة لما بعده وهو قوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ (٣) فقيل: أراد المحصنات الحرائر دون الإماء

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٦٢/٥

حكاه ابن جرير عن مجاهد وإنما قال مجاهد: المحصنات الحرائر، فيحتمل أن يكون أراد ما حكاه عنه، ويحتمل أن يكون أراد بالحرة العفيفة كما في الرواية الأخرى عنه وهو قول الجمهور هاهنا، وهو الأشبه لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة، فيفسد حالها بالكلية ويتحصل زوجها على ما **قيل في المثل**: حشف وسوء كيل، والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا كما قال تعالى في الآية الآخرى: ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ (٤)

---

(١) سورة المائدة الآية ٥

(٢) سورة المائدة الآية ٥

(٣) سورة المائدة الآية ٥

(٤) سورة النساء الآية ٢٥." [١]

"المجتمع، وتسليح الفرد لمجابهة تلك الأخطار المحدقة والأعمال المسلطة.

فالإنسان لا بد أن يكون حذرا مستعدا للمعركة بما يناسب المقام من سلاح وقوة: قوة في الفهم والإدراك، وقوة في الحجة ورد الشبهات، وسلاح يقارع به ما سلط نحوه، وما نصب له من أهداف، كما **يقال في المثل** العربي: إذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب. والموجه للأمة الإسلامية شرور كثيرة يجب أن يتقى سلاحها بالتحصن والمدافعة. مع الحذر والحيطة.

ونستطيع أن نجمل مسارب التيارات المعاصرة في الأمور التالية:

الهجمة الشرسة على الإسلام والعداء للمسلمين.

قسر الأمور الإسلامية حتى توافق الأهواء.

التشكيك في التشريعات الإسلامية.

ما تنطوي عليه أفكار المبشرين والمستشرقين.

الحرب على اللغة العربية.

تسليط المغريات، والترغيب في الملذات.

إظهار شعارات مختلفة لتكون مجالات للترابط والتقارب مع الإسلام.

إيجاد هوة بالنفرة بين الشباب وبين قادتهم وعلمائهم.

تحريك النزعات العقدية، والنزعات العرقية.

تجسيم التيارات الفكرية، ونشرها وتمجيد أصحابها.

تبني التيارات الأدبية بمذاهبها وأهدافها.

تثبيط همم الشباب، وتشكيكهم في قدرة أمتهم الإسلامية في مسايرة الأمم الأخرى حضاريا وعلميا.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٨٣/٢١

وسوف نمر بكل واحد من هذه الأمور على عجل، لأن الوقت المخصص لا يسمح بالإطالة والاستقصاء لعل من معرفة الداء، يوفقنا الله." (١)

"ومرحبا قل لمن يأتيك يطلبه ... وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم

والنية اجعل لوجه الله خالصة ... إن البناء بدون الأصل لم يقم (١)

وله مداعبات إخوانية، وردود وفوائد علمية، لا يلتزم فيها المطلع المعتاد عنده، كما أنه لا يلتزم ذلك النهج في كل ما يطرح، إذ قد يخرج عن هذه القاعدة، كما في قصيدته التي ألقاها في حفل افتتاح معهد سامطة العلمي، المقام على شرف الملك سعود - رحمه الله- يوم السبت ١٨/ ١ / ١٣٧٤ هـ وتبلغ واحدا وسبعين بيتا، بدأ بهذا المطلع:

أهلا ففي ظلك الممدود والرحب ... ومرحبا من بني بر بخير أب (٢)

وإن أدب الشيخ حافظ: شعرا ونثرا، ليحتاج إلى وقفات وتأملات متأنية، يسير فيها المحلل لهذا الأدب خطوات مع أفكار هذا الأديب، ومؤثرات نفسه، ليبرز للقارئ ما وراء السطور من أفكار عميقة، وعبارات جزلة، وتوجيهات قيمة، هي منهج العلماء المخلصين.

ولما كانت تلك النصائح من قلب صادق- كما **يقال في المثل**: ما صدر من القلب استقر في القلب، وما كان من اللسان

---

(١) مقدمة سلم الوصول ص: ق.

(٢) انظر: " السمط الحاوي "، ص ١١٠ - ١١٣.." (٢)

"الإحساس، وتكبر لديهم المهمة، التي تشعرهم بالدور الملقى عليهم؛ ليكون الشباب يقظا وحذرا، ومستعدا للتهيؤ للمعركة بما يناسب المقام: من سلاح وقوة.

قوة في الفهم والإدراك، وقوة في الحجة ودرء الشبهات، وسلاح يقارع به ما سلط عليه، وما نصب نحوه من أهداف، **يقال في المثل** العربي: (إذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب).." (٣)

"قضايا ثقافية

من مواقف طه حسين

تجاه التراث الإسلامي

خالد بن سعود العصيمي

كانت الحلقة الأولى عرضا لما سجله طه حسين من آراء ومواقف معادية

للتراث الإسلامي من خلال كتبه. وفي هذه الحلقة يحلل الكاتب تلك الآراء

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٢١٨/٢٦

(٢) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ١٨٣/٤٨

(٣) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٢٣٢/٧١

والمواقف مفصحا عن مواردها ودوافعها وما تحمل في طياتها من اعتقاد وفكر؛ لتستبين سبيل طه حسين وسبل من اقتفى أثره.

- البيان -

آراء طه حسين بين الجدة والقدم:

إن ما طرحه طه حسين من آراء، وما ادعاه من نظريات ليست وليدة أفكاره بالجملة، بل جاءت تقليدا في بعض الأحيان، ومسخا وتشويها في أخرى، وسرقة وسطوا في ثالثة.

ففكرة بشرية القرآن وأنه من عمل محمد الذي عاش حياة خاصة، وهي حياة المكيين مأخوذة من المستشرق جب في كتابه: (المذهب المحمدي) ، وقد قام الدكتور محمد البهي - رحمه الله - بعقد موازنة بين ما ذكره جب في (المذهب المحمدي) وما ذكره طه حسين في (في الشعر الجاهلي) [١] واستخلص ما توافقا فيه، واختلفا فيه، فأما ما اتفقا فيه، فأوردها بإجمال:

١ - أن الحياة الجاهلية قبل الإسلام كانت حياة حضارية، وكانت حياة حافلة بالكياسة والسياسة، والنشاط الاقتصادي والنهضة الدينية.

٢ - أن محمدا - أو الإسلام أو القرآن - استغل المقدسات في مكة. وظاهرة استغلال هذه المقدسات - كما يرى صاحب المذهب المحمدي - تكمن في أن ثورة محمد أو الإسلام أخذت طابع الدين دون الطابع الاجتماعي، أما صاحب كتاب (في الشعر الجاهلي) فيرى أن ظاهرة استغلال المقدسات برزت عند محمد أو الإسلام في قبول قصة إسماعيل وتعليمه العربية اضطرارا مع أنها أسطورة أثبتت الحقائق العلمية - بزعمه - عدم وقوعها.

٣ - أن القرآن لم يكن جديدا كل الجدة على العرب، فما فيه من عقائد كانت تعرفها قلة، ويعرفها العرب في شبه الجزيرة، ولكن صاحب كتاب (المذهب المحمدي) يرى أن دليل معرفتهم لذلك هو عدم معارضة المكيين له، وما ظهر من معارضة أرجعه إلى المنافسة السياسية والخشية من انهيار اقتصادهم، بينما يرى صاحب كتاب (في الشعر الجاهلي) أن دليل ذلك هو قبول من قبل منهم، ومعارضة من عارض من بينهم، فلو لم يكن مألوفا لديهم لما عارض من عارض ولا قبل من قبل، ولا حفل به أحد ولا كان له أي خطر.

٤ - أن دعوة الإسلام دعوة محلية في جماعة خاصة وفي حياة خاصة؛ فالقرآن أو الإسلام انطباع واضح لهذه الجماعة الخاصة [٢] .

أما الفرق بين الكتابين في عرض بشرية القرآن فيمكن تلخيصه من كلام
الدكتور البهي فيما يأتي:
١- أن كتاب (المذهب المحمدي) يصف القرآن ويصف صلته بالعرب بقوله:
- فيه (أي القرآن) ما أخذ من الوثنية العربية.
- وفيه ما أخذ من المسيحية العربية.
- وفيه رد على اليهودية العربية [٣] .
وواضح مدى تأثره وتقليده لجب حتى في الأمور التي ظاهرها المخالفة.
أما فكرة كتاب (على هامش السيرة) فما هي إلا تقليد لكتاب (على هامش
الكتب القديمة) لجيل لومتير كما ذكر طه حسين في كتاب (الإسلام والغرب) الصادر
عام ١٩٤٦م في باريس، وقد وصفه بقوله: (وهذا الكتاب من عمل المخيلة
اعتمدت فيه على جوهر بعض الأساطير ثم أعطيت نفسي حرية كبيرة في أن أشرح
الأحداث وأخترع الإطار الذي يتحدث عن قرب إلى العقول الحديثة، مع الاحتفاظ
بالطابع القديم) [٤] .
وقد ذكر الأستاذ محمود شاكر في حديثه عن سطو طه حسين على كتابه
(المتنبي) أنه (حين قرأت شهادة الدكتور طه حسين على جيلنا المفرغ من ثقافة أمته
في سنة ١٩٣٥م: توهمت بحسن الظن أنه سوف يبدأ عهدا جديدا في تفكيره وأنه
سيفارق السنة التي سنها هو والأساتذة الكبار، أعني: سنة السطو، وسنة
التلخيص) [٥] ، (لكن سرعان ما تحقق الشك والريب فيما كتبه الدكتور طه، على الوجه الذي فصلته تفصيلا صريحا،
وكان ما كان، ورجعت ريمة إلى عادتها القديمة، كما **يقال في المثل**، بل هي لم تفارق عادتها قط ولا تملك أن تفارقها ضربة
لازب) [٦] .
أما كتاب (في الشعر الجاهلي) فقد تمثل فيه عدة أهداف:
الأول: محاولة تأكيد نظرية مسمومة ملخصها: أن الشعر الجاهلي موضوع
جله - إن لم يكن كله - بعد الإسلام [٧] .
الثاني: نفي كون الأدب العربي مرتبطا بالفكر الإسلامي لا ينفصل عنه،
ويلتزم بقيمه الأخلاقية ومفاهيمه العقائدية [٨] .
الثالث: الدعوة إلى تخلي الأديب عن العاطفة الدينية والقومية، ودراسة
الأدب كما يدرس العلم الطبيعي [٩] .
الرابع: محاولة الادعاء بأنه اعتمد على نظرية الشك التي أذاعها

ديكارت [١٠] .

والنظرية في مجموعها مسروقة سرقة كاملة من المستشرق اليهودي
مارجليوث، نشرها في المجلة الملكية الآسيوية (الإنجليزية) عدد يوليو
عام ١٩٢٥م، وهو بحث في ٢٢ صفحة بعنوان: (نشأة الشعر العربي) .

وكان موقف مارجليوث هو موقف الاشتباه والشك والترجيح، أما موقف طه
حسين فهو موقف الحسم بأن هذا الشعر وضع بعد الإسلام [١١] ولهذا سمى
بعضهم [١٢] كتابه: (الشعر الجاهلي) الحاشية الصغرى على مقالة مارجليوث، وكتابه: (في الأدب الجاهلي) الحاشية الكبرى على تلك المقالة.

وإذا كانت آراء طه حسين – كما رأينا – تقليدا ومسخا لأفكار بعض
المستشرقين وغيرهم، فيمكن أن نجيب عن قوله: (تأثري بالمستشرقين شديد جدا؛ ولكن لا بآرائهم؛ بل بمناهجهم في البحث) [١٣] نجيب (بأن عبارة: تأثره
بالمستشرقين شديد جدا صحيحة من كل وجه، أما استدراكه بأنه لم يتأثر بآرائهم
فليست صحيحة؛ لأنه ثبت بالبرهان الواقعي تطابق وجهات النظر في كثير من
الآراء التي لا يمكن أن تكون من باب وقع الحافر على الحافر.

الانتماء عند طه حسين:

عبر الدكتور السيد أحمد فرج عن ظاهرة طه حسين وأمثاله في الفكر
الإسلامي العام (بغسيل المخ) [١٤] ، وذلك أنهم أشربوا حب الثقافة الغربية،
وتعاظمت صورتها عندهم حتى لم يعد لثقافتهم العربية والإسلامية أدنى درجات
الاعتزاز والافتخار، وظهرت في كتابات طه حسين الفكرة الصليبية القائلة: إن
زمام الأمر بيد حضارتها، والغربي وحده هو الذكي المتفوق، أما العرب فهم
قطعان بربرية مفتقرة للذكاء، والعربي المسلم محكوم عليه بعدم الاقتدار على
التغيير لكون ذلك صفة كامنة فيه [١٥] .

وتولد عن هذه الفكرة (عقيدة سخيفة فاشية في الشرق، وهي أن الأوروبي لا
يخطئ أبدا) [١٦] ولهذا (كان عنده قناعة كاملة للاستجابة لمنطق الأوروبة بطريق
ترك الماضي الإسلامي كله، والذوبان في الثقافة الأجنبية والفكر السياسي
الأوروبي) [١٧] .

وولاؤه العظيم للغرب جعله يوظف القضايا التاريخية المتصلة بالأمة الإسلامية
لحضارة الغرب البائدة؛ فالدولة الإسلامية ورثت سياسة اليونان والفرس
وحضارتهم [١٨] .

و (لقد كانت لفلسفة أرسطاطاليس الأثر الأكبر في تكوين العقل العربي الإسلامي) [١٩] .
و (المسلمون أخذوا بأسباب الحضارة الفارسية واليونانية) [٢٠] .
و (وظيفة المحتسب في الإسلام تشبه ما كان شائعا عند اليونان ومعروفا من أمر تأديب العامة، ومراقبة أعمالهم) [٢١] .
ونتائج العقل الإسلامي كلها (تنحل إلى آثار أدبية وفلسفية وفنية متصلة بحضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن) [٢٢] .
ولو حاولنا استنطاق التاريخ عن بداية الحملة التغريبية على الأمة الإسلامية، لجاءتنا الإجابة بارتباط حملة التغريب مع الاحتلال الإنجليزي لمصر؛ فقد أعد الإنجليز أبواقا لهم تنطق بالعربية؛ فكان نصارى العرب – وبخاصة الشام – أشهر من شارك في تنفيذ هذا المخطط، وكانت مصر معدة أكثر من غيرها من الدول العربية والإسلامية لقيادة خطط التغريب؛ ففي أوائل القرن العشرين كانت سمة التفكير العام هي اتباع الأوروبيين في كل شيء [٢٣] .
وقد ساعد على نجاح هذه الخطة انبهار المهزومين المغلوبين بالغالب القوي، فهبوا يقلدون الغرب، وينادون بترك موروث العرب المسلمين.
ولخص الدكتور محمد محمد حسين برامج التغريب في قاعدتين ساسيتين:
الأولى: هي اتخاذ الأولياء والأصدقاء من المسلمين وتمكينهم من السلطة واستبعاد الذين يعارضون مشاريعهم ووضع العراقيل في طريقهم وصد الناس عنهم بمختلف الطرق، والقاعدة الأخرى: هي التسلط على برامج التعليم وأجهزة الإعلام والثقافة عن طريق من نصبوهم من الأولياء، وتوجيه هذه البرامج لتطوير الإسلام، وإيجاد تفسير جديد له يخدم أهدافهم ويدعم صداقتهم) [٢٤] .
والغريب أن طه حسين لا يداهن ولا يجامل في مسألة الدعوة إلى تقليد الغرب والسير على خطاهم، وأخذ ما عندهم من خير وشر دون تمييز؛ فهو يقول تحت عنوان: (وجوب الصراحة في الأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية) : (وهي واحدة فذة ليس لها تعدد وهي: أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها حلوها ومرها، ما يحب منها
وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب) [٢٥] .
وفي كتابه: (مستقبل الثقافة في مصر) أصر كل الإصرار على أن مستقبل الثقافة في مصر مرتبط بماضيها البعيد، ويدعي أن ماضيها مرتبط بالحضارة

اليونانية الأولى، وأن العقل المصري اتصل بالعقل اليوناني منذ عصوره الأولى
اتصال، تعاون وتوافق، وأنه: (إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض ... المتوسط، وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط) [٢٦] ، وأن مصر أمة غربية وليست أمة شرقية، وأنها كانت غربية منذ عهد الفراعنة حتى اليوم، ولم تكن يوما ما شرقية، ولم تطق أن تكون ... يوما ما شرقية [٢٧] .
وهو يعني بالغرب أوروبا، ويعني بالشرق الهند والصين واليابان، ويتجنب
أن يذكر غيرها من الأمم إلا تلميحا.
وقد كان طه حسين معجبا بفرنسا إعجابا صوره بنفسه، ولو قاله غيره عنه
لما صدق، فهو يقول: (كل شيء في فرنسا يعجبني، ويرضيني: خير فرنسا
وشرها، حلو فرنسا ومرها، نعيم فرنسا وبؤسها، كل ذلك يروقني ويلذني،
وتطمئن إليه نفسي اطمئنانا غريبا. إني لأحس نفسي تسبق القطار إلى باريس على
سرعة القطار) [٢٨] .
وهذا الولاء والمحبة لفرنسا جعل من (الفكر الفرنسي بالنسبة لطه حسين أكثر
من مدرسة أو من معين، لقد كان جزءا من حياته، وجزءا من إنتاجه، حتى تكاد
تحسب من خلال قراءة ما كتبه عن فرنسا، وعن أرجاء فرنسا، وعن تاريخ فرنسا، ما يقنعك بأن هذا الأثر لا ينتجه إلا من كان فرنسيا فكرا وثقافة وإحساسا؛ فعلاقته
بالفكر الفرنسي ليست علاقة أخذ فقط) [٢٩] .
ورافق هذه المحبة للغرب ولفرنسا بخاصة تبعية سياسية ودفاع عن الاستعمار؛ فبعد أن أوقعت فرنسا عدوانها على سوريا ولبنان، ويوم عقدت الجامعة العربية
دورتها الطارئة لمواجهة هذا الحدث أوائل عام ١٩٤٥م، ووفدت وفود البلدان
العربية إلى مصر ومن بينها وفدان يمثلان سوريا ولبنان؛ وإذا الدكتور طه يقول
في مقال له: (إن تصرف المستر تشرشل مع الجنرال ديجول لم يكن ملائما للتقاليد
الدبلوماسية؛ لأنه أعلن رسالته إلى الجنرال في لندن قبل أن تصل إلى الجنرال في
باريس، وأن هذا التصرف قد عقد الأمر بين الفرنسيين والبريطانيين) [٣٠] .
ويعلق خليل تقي الدين على مقال الدكتور طه هذا بقوله: (إذن فلعينيك أيتها التقاليد
الدبلوماسية، وفي سبيلك يجب أن تضرب دمشق إكراما لعيون اللباقة والسياسة،
ولا بأس من تهديم بضع مئات من المنازل، وتقتيل بضع مئات من
الأبرياء ...) [٣١] .
ولم ينس الغرب – والفرنسيون منهم بخاصة – هذا الولاء من طه حسين لهم، فأجزلوا له المكافأة، فكانت خطة توليه منصب مراقب الثقافة في وزارة المعارف

في مصر ١٩٣٩م، ثم توليه المستشار الفني للوزارة ١٩٤٢م، وأصبح بعد ذلك وزيرا للمعارف ١٩٥٠م [٣٢] .

ومن محاولات تكريمه لقيامه بالدور الذي صنع لأجله، منحه الدكتوراه الفخرية من جامعة ليون عام ١٩٣٨م، وإعطاؤه نيشان اللجيون دونور من درجة أوفيسيه، ثم توالت عليه الدكتوراهات الفخرية، فجاءته من جامعة مونبيليه ... ١٩٤٦ م، وجامعة روما ١٩٥١م، وجامعة أوكسفورد ١٩٥٠م وجامعة باريس ١٩٥٠ [٣٣] ، وقرر د. ريمون فرنسيس في مقال له بعنوان: (طه حسين والأدب الفرنسي) قرر أن طه حسين خادم الفكتر المخلص العبقري ... العظيم [٣٤] .

وبإزاء هذا نجد أن اليهود قد لقوا عند طه حسين كل تقدير، فكتاب: (في الشعر الجاهلي) ليس بحثا علميا كما يزعم طه حسين ولكنه كان يخدم زعما عبرانيا بعثه اليهود؛ إذ يزعم العبرانيون أنهم وحدهم ذرية إبراهيم، ولهذا نفى وجود إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – وقيامهما ببناء الكعبة، وعليه فليس لدين إبراهيم – عليه السلام – نفوذ في العرب قبل الإسلام، فهم مدينون لليهود في حظهم من الحضارة [٣٥] .

بل إن الدكتور عبد الحميد سعيد أشار في مارس عام ١٩٣٢م إلى أن طه حسين كان يكلف بعض تلاميذه بأن ينقدوا بعض آيات القرآن الكريم يعينها لهم، ويطلب منهم إثبات هذا النقد في كراسات يتلونها عليه، وأنه – أي الدكتور عبد الحميد – وجد في كراسة لأحد تلاميذه قولا عزاه لطه حسين وهو: إشارته إلى أن صلة النبي صلى الله عليه وسلم باليهود في المدينة قد أدخلت على عبارات القرآن الكريم بعد الهجرة إلى المدينة ليونة ورقة) [٣٦] .

وأقام طه حسين محاضرات عديدة بعد عام ١٩٣٥م تؤكد أن لليهود دورا في الحياة العربية، وفي تقديمه لأطروحة (إسرائيل) لولفنسون اليهودي، التي هي بعنوان: (تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام) يقول طه: (ليس من شك أن هذه المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيرا قويا في الحياة العقلية والأدبية للجاهليين من أهل الحجاز) [٣٧] .

وقد لقي طه حسين من اليهود ما لقيه من الفرنسيين، فقوبلت محاضراته وكتاباته بشيء غير قليل من الإطراء والإعلان؛ فقد علقت مجلة الشمس اليهودية الصادرة في (٧ يناير ١٩٤٤م) على محاضرة ألقاها طه حسين في دار المدارس الإسرائيلية بالإسكندرية؛ حيث تقول: (كانت محاضرة الدكتور طه عن اليهود والأدب العربي آية على يقظة الشرق وعنايته بتراثه، ومظهرا عمليا من تعاطف

وتساند بين أبناء العروبة، وقد جاءت في الوقت المناسب تذكر بما كان لليهود في العصور الخوالي من أيام بيضاء، وفضل عظيم في نشر النور والعرفان، وكانوا الواسطة إلى نقل الثقافة اليونانية إلى الشرق كما نقلوا ثقافة العرب إلى أوروبا) [٣٨] .

وجعل اليهود في مصر طه حسين أحد المقربين لهم، فأوكلوا له رئاسة تحرير (الكاتب المصري) التي صدرت في مصر سنة ١٩٤٥م وكانت تمول من قبل أسرة هراري اليهودية، وشاركه كتاب يمالئون اليهود كتوفيق الحكيم، ولويس عوض، وسهير القلماوي، وحسين فوزي [٣٩] .

وفي مقابل هذا الولاء للغرب واليهود، وهذه المحبة الجياشة للفرنسيين والحضارة الأوروبية، نجد الجفاء لكل ما يتصل بماضي الأمة العربية والإسلامية وحاضرها، ونجد الحط من شأن العرب وثقافتهم؛ فطه حسين يطلب ممن يقرأ له أن ينسى عروبته وإسلامه بذريعة البحث العلمي المجرد؛ حيث يقول: (يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به، وأن ننسى ما يضاد هذه القومية، وما يضاد هذا الدين ... يجب ألا نتقيد بشيء، ولا نذعن لشيء إلا مناهج البحث العلمي الصحيح) [٤٠] .

ويطلب عزل الإسلام عن الحياة؛ لأن الأديان لا تضع أسسا للأخلاق والأحكام مع بزوغ عصر النهضة الحديث؛ فالدين الإسلامي يجب أن يعلم فقط باعتباره جزءا من التاريخ القومي، لا دينا إلهيا منزلا بين الشرائع للبشر؛ فالقوانين الدينية لم تعد تصلح في الحضارة الحديثة أساسا للأخلاق والأحكام؛ ولذلك لا يجوز أن يبقى الإسلام في صحيح الحياة السياسية، أو أن يتخذ منطلقا لتجديد الأمة؛ فالأمة تتجدد بمعزل عن الدين) [٤١] .

وهذه هي العلمانية التي تفصل الحياة عن الدين، وهذا أثر من الآثار التي تركتها الثقافة الفرنسية في نفسه، وجعل يطبقها على الدين الإسلامي فيقول: (ومن الذي يستطيع أن يكلفني أن أدرس الأدب لأكون مبشرا بالإسلام أو هادما للإلحاد، وأنا لا أريد أن أبشر ولا أريد أن أناقش الملحدين) [٤٢] ، ويقول أيضا: (الأدب في حاجة إذن إلى هذه الحرية، هو في حاجة إلى ألا يعتبر علما دينيا ولا وسيلة دينية، وهو في حاجة إلى أن يتحرر من هذا التقديس) [٤٣] .

وازدراؤه لكل ما يمت للإسلام بصلة جعله يسلط معول الشك على تاريخ الأمة

من غير تحقيق أو تمحيص، وإنما اتباعا للهوى، وتقليدا للمستشرقين وأذنابهم؛ فهو يشك في كل ما روي من أحداث عصر الشيخين: الصديق والفاروق – رضي الله عنهما –[٤٤] ، ويتهم الرواة الذين عن طريقهم وصلتنا السنة النبوية ووصلتنا السيرة والتاريخ الإسلامي بأنهم: (يتكثرون في بعض الحديث، ويختلفون فيما يتكثرون فيه باختلاف نزعاتهم السياسية) [٤٥] .

وهكذا تجد جل بل كل ما كتبه رفعا لشأن الأوروبي، وحطا من شأن العربي المسلم، لماذا؟ لأن المحبة القلبية لهؤلاء غلبت، فطغت، فأخرجت غثاءا بله صديدا. يقول مصطفى صادق الرافعي – وقد صدق –: (فإنه – أي طه حسين – لا يكتب ولا يفكر إلا لغرض واحد يبتغي له وسائله وأسبابه بكل ما استطاع وهو توهين أمر الإسلام وصدعه من مفاصله، وتفكيك العقد المحكمة التي يتماسك بها في تاريخه، وناهيك به دائبا يجمع من هنا وهناك من أثينا إلى مكة ... !) [٤٦] .

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، للدكتور محمد البهي، ١٩٠ – ١٩٢.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، للدكتور محمد البهي: ١٩٠، ١٩١ (بتصرف) .

(٣) المرجع السابق، ١٩١، ١٩٢ (بتصرف) .

(٤) انظر: محاكمة فكر طه حسين، ١٨٣، ١٨٤.

(٥) المتنبي لمحمود شارك، ١٣٢/١٣١/١.

(٦) المتنبي لمحمود شاكر: ١٣٥/١ (بتصرف) وانظر في قضية سطو طه حسين على كتاب محمود شاكر، مقدمة الأستاذ محمود شاكر لكتاب المتنبي: ١ /٢٤–٣٥، ١٣١–١٣٥.

(٧) انظر: في الأدب الجاهلي لطه حسين: ٦٩.

(٨) أنظر: المرجع السابق، ٦٩، ٧٠.

(٩) انظر المرجع السابق: ٥٨–٥٩.

(١٠) انظر: المرجع السابق: ٦٩–٧٠.

(١١) انظر: محاكمة فكر طه حسين: ١٣٧.

(١٢) هو الأستاذ الكبير محمود شاكر، وانظر: (طه حسين الجريمة والإدانة) : ٤ والمتنبي لمحمود شاكر: ٢٠/١.

(١٣) طه حسين مفكر: ١٢٣.

(١٤) انظر: مشكلات في طريق التربية الإسلامية: ٥٢.

(١٥) انظر: المرجع السابق: ٥١.

(١٦) موقف مرجليوت من الشعر العربي لمحمد مصطفى هدارة ضمن أبحاث مناهج المستشرقين في الدراسات العربية

الإسلامية: ١/٣٩٨.

(١٧) انظر: مشكلات في طريق التربية الإسلامية: ٥٣.

(١٨) طه حسين مفكرا: ١٧١.

(١٩) المرجع السابق: ١٧١، وانظر حديث الأربعاء لطه حسين: ٣/ ٦٣٣، ٦٣٧.

(٢٠) مستقبل الثقافة في مصر: ٦٥.

(٢١) طه حسين مفكرا: ١٧١.

(٢٢) مستقبل الثقافة في مصر: ٣٩.

(٢٣) انظر: مشكلات في طريق التربية الإسلامية، ٥٨، ٥٩.

(٢٤) أزمة العصر لمحمد محمد حسين: ١٠٥، ١٠٦.

(٢٥) مستقبل الثقافة في مصر: ٥٤.

(٢٦) مستقبل الثقافة في مصر، ٢١، انظر: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر للدكتور محمد بن صادق الجمال: ٢/٥٩٨.

(٢٧) انظر: المرجع السابق: ٢٢-٣٠، ثم انظر: نقد كتاب في مستقبل الثقافة في مصر لسيد قطب، ١٠-٢٦.

(٢٨) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام: ٥٠ وطه حسين الجريمة والإدانة: ٤٨، وانظر إعجابه العميق بباريس فرنسا بكل ما فيها: (في الصيف) لطه حسين: ٥٤-١١٠.

(٢٩) طه حسين: الجريمة والإدانة: ٤٨.

(٣٠) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ٥١.

(٣١) المرجع السابق.

(٣٢) المرجع السابق، ٨٣، ٩٩.

(٣٣) انظر: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام: ٨٦، ٨٧.

(٣٤) طه حسين مفكرا: ٨.

(٣٥) انظر: مشكلات في طريق التربية الإسلامية: ٦٤، ٦٥ وهذه الفكرة أشار الدكتور السيد أحمد فرج إلى أنه قد خطط لها من قبل مؤسسات ثقافية يهودية، مثل الذي كتبه، مارجليوث في الشعر الجاهلي.

(٣٦) انظر نص محضر الجلسة الرابعة والعشرين لمجلس النواب المصري (٢٨ مارس ١٩٣٢م) كتاب محاكمة طه حسين: ١٥٤، ١٥٥.

(٣٧) محاكمة فكر طه حسين: ٢٦٨، وفي مقابل هذا الكلام يقول الدكتور فؤاد حسنين أستاذ اللغة العربية في جامعة القاهرة إبان وجود طه حسين فيها في قيمة هذه الرسالة: (ليس الأمر كما يعتقد المشرف أو يريد أن يعتقد، فهذه الرسالة التي أشرف عليها مشحونة بالأخطاء، فضلا عن أن المراجع العبرية لا تمت إلى البحث بصلة) طه حسين حياته وفكره: ٦٨.

(٣٨) انظر: محاكمة فكر طه حسين: ٢٧٠.

(٣٩) انظر: محاكمة فكر طه حسين، ٢٧٤، ٢٧٥.

(٤٠) في الأدب الجاهلي: ٧٠.

(٤١) انظر: مستقبل الثقافة في مصر: ٢٥، ٢٦ فهو يقرر فيها أن (وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول) وانظر: نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر، لسيد قطب: ١٦.

(٤٢) ، (٤٣) في الأدب الجاهلي: ٦٠ (٤٤) انظر: الشيخان: ٦.

(٤٥) انظر الشيخان: ٢٧.

(٤٦) تحت راية القرآن: ٢٠٧.." (١)

"لماذا ندرس التاريخ؟

إبراهيم بن سعد الحقيل

يقول القاضي الأرجاني:

إذا علم الإنسان أخبار من مضى توهمته قد عاش من أول الدهر

خلق الله الإنسان وجعل له عمرا لا يساوي شيئا في مقابل الأزمان والعصور التي عاشها أسلافه منذ بدء الخليقة. هذه الأزمان الطويلة ولدت لدى الإنسان حنينا إلى معرفة ما كان عليه أسلافه، وكيف كانت حياتهم، والأحداث التي أثرت على حياتهم وغيرت مجرياتها؛ لذلك تولد علم التاريخ.

وهو من العلوم القديمة قدم الخليقة، نقل بالرواية حتى عرف الإنسان الكتابة فدونه، واهتمت به الأمم فلا تجد أمة تحيا من دون تاريخ.

يقول ابن الأثير (١) : «لقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها، ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار؛ وهذا حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره، ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم أن فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة» .

ويقول ابن خلدون (٢) : «إن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروم أحوال الدين والدنيا» .

وقد نحا المسلمون في تاريخهم منحى شرعيا حين ربطوه بالقضاء والقدر، واعتقدوا الحكمة الإلهية في حوادثه سواء كانت خفية أو ظهرت وتبينت.

أسباب دراسة التاريخ والفوائد المرجوة من ذلك:

- أخذ العظة والعبرة:

---

(١) مجلة البيان مجموعة من المؤلفين ١٢٤/١٤٤

لقد ورد في القرآن الكريم تاريخ كثير؛ فقد قص ـ سبحانه وتعالى ـ علينا قصصا كثيرا عن الأنبياء والمرسلين، والطغاة المتجبرين أبانت حال المرسلين ـ عليهم السلام ـ وما كابدوا من مشقة وعنت وتكذيب واستهزاء وقتل في سبيل إيصال الرسالة الإلهية إلى الخلق. وما آل إليه مصير المكذبين؛ فقد سلط الله عليهم العقوبات الدنيوية التي أهلكتهم شر مهلك، فصاروا مثلا لمن بعدهم. يقول شعيب ـ عليه السلام ـ محذرا قومه: ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ [هود: ٨٩] ، ويقول ـ سبحانه ـ محذرا الكافرين: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [الروم: ٩] .

كما بين ـ سبحانه ـ مصير الطغاة والمتجبرين كفرعون وهامان وقارون؛ فهذا فرعون بعد أن أدركه الغرق وحانت ساعة الاحتضار وهو في ذل وصغار يقول ـ تعالى ـ في شأنه: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ [يونس: ٩٠] ، بعد أن كان يقول: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ . [النازعات: ٢٤] .

وبين ـ سبحانه ـ ما جرى للأمم المكذبة في مواضع كثيرة من القرآن.

فمن عرف مصير الطغاة والمتجبرين وما جرى للأمم السابقة المكذبة اتعظ وأخذ العبرة إذا كان ذا لب.

وفي التاريخ كم هائل من الحوادث التي حطت العالي وأنزلته من ذراه إلى الذل والمهانة؛ فهذا مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بعد أن كان خليفة أمره مطاع يلاحق ويقتل، فتسرع هرة إلى لسانه فتآكل هذا اللسان الذي كان يأمر وينهى، فأصبح في فم هرة تلوكه، ويقول عن ذلك القائد عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الذي حمل إليه رأسه (١) : «لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا ذلك» .

أما محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق من كان له الأمر والنهي فيلقى في تنور مليء بالمسامير، فلا يستطيع أن يتحرك، وتوقد عليه النار مرة بعد مرة حتى يهلك في قعر هذا التنور الذي أعده ليعذب به أعداءه ومن لا يثق فيهم ممن هم حوله وحول الخليفة (٢) .

وشاه إيران (محمد رضا بهلوي) الذي اكتوى بظلمه وجبروته الملايين يصبح طريدا بين البلدان كل يرفضه ولا يود استقباله، فيموت حسرة وندامة قبل أن يموت حقا.

والأمثلة كثيرة متوافرة في كتب التاريخ. يقول ابن الأثير عن ذلك (٣) : «إن الحكام ومن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سير أهل الجور والعدوان رأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها.

- عظمة الله سبحانه وتعالى:

من قرأ التواريخ وجد أن مصرفها عظيم حكيم يدع الظالم؛ فإذا أخذه لم يفلته وإن طال الزمان وكاد اليأس يدخل أهل الإيمان، كما أنه ـ سبحانه ـ رتب سننا كونية فيها حكم بالغة، وعبر لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان بل تعيد نفسها.

فالدولة المتجبرة الظالمة لا بد أن تسقط وتدول وإن رأى الناس بعد ذلك؛ فكم من دولة كانت تضم بين أجنحتها بلادا

كبيرة وخلقا عظيما؛ فلما طغت وظلمت نفسها ورعيتها وجيرانها سقطت وتفرق حكامها وأهلها شذر مذر، فلم يبق لنا منها إلا الذكر والأحداث المسطرة في بطون الكتب، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فالفراعنة بنوا حضارة لا زالت تبهر العقل بأهراماتها؛ أين هي؟ لقد ذهبت مع من ذهب وأصبحنا نتعجب من هلاكها واندثارها بمقدار تعجبنا من براعتها وعظمتها. وما الاتحاد السوفييتي منا ببعيد لقد هوى في ساعة كان الكل يعتقد بعدها، وتفرقت دوله التي جمعتها الشيوعية الظالمة، وسيتبعه - إن شاء الله - دولة أصبحت ترى الظلم والعدوان حقا لها ولا تأبه بغير مصالحها، فتذيق المسلمين صنوف القتل والدمار والذل والمهانة، وقد نرى ذلك بعيدا ولكنه قريب جدا بمقياس التاريخ.

- حفظ هوية الأمة:

إن هذا السبب من أهم أسباب دراسة التاريخ في هذا الزمان؛ فهذا التاريخ يحفظ هوية الأمة؛ فمن ليس له تاريخ فهويته مبتورة وليس له جذور؛ فالشجرة إن كانت من غير جذور لا شك أنها ستموت وتقتلعها الرياح، ونرى أثر ذلك فيمن تدثروا بلباس العصرية والإنسانية؛ فهم أصبحوا تابعين للغرب؛ لأنهم انبتوا عن تاريخهم؛ وهذا ما يريده ويسعى إليه الأعداء؛ ففي الشام أحيا لهم الأعداء الفينيقيين والكنعانيين فأصبحوا يفتخرون بهم وينتمون إليهم، بل يربطون حقوقنا في أرض فلسطين السليبة بهم. وفي مصر أحيا الأعداء الفراعنة بل نقبوا عن آثارهم وأصبحوا يسمون أهل مصر بأحفاد الفراعنة، وأصبحوا يتحدثون عن حضارة مصر ذات الخمسة آلاف سنة. وفي العراق تغنوا بالآشوريين وشريعة حمورابي التي يجعلونها أول قانون مدني على ظهر البسيطة، وتحدثوا عن الحضارة البابلية وغيرها من الحضارات التي قامت في العراق. وفي جزيرة العرب بعثوا ممالك اليمن من مملكة معين إلى مملكة سبأ.

وفي المغرب العربي نفخوا الروح في القومية الأمازيغية وحرصوا على أن يدونوا لغتهم وأن يوجدوا لهم تاريخا قبل الإسلام، رغم أنهم مسلمون ويعدون أنفسهم عربا كما يعدهم العرب منهم نظرا للتمازج الذي حدث بينهم منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا. وجميع ما أحيوا من تواريخ البلاد الإسلامية تواريخ أقوام طغاة ظالمين كانوا يشركون بالله فأهلكهم بذنوبهم فأصبحوا في ذمة التاريخ، ولكن كما يقال في المثل: «لأمر ما جدع قصير أنفه» إنهم بهذا يقطعون صلتهم بتاريخهم المرتبط بالإسلام، ويحاولون أن يصلوهم بمن عاش في هذه الأرض في العصور الغابرة من الأمم الكافرة لينسلخوا من الإسلام، بل ليرتبطوا بالكفر ممثلا في تاريخهم الجديد المزعوم. ونجد صدى ذلك ظاهرا في المناهج الدراسية التي تولي عناية كبيرة بتاريخ الأرض لا تاريخ سكانه. ففي مصر يدرس الطلاب تاريخ الفراعنة بشكل مطول في حين يختزل التاريخ الإسلامي بدءا من السيرة النبوية إلى التاريخ العثماني في صفحات عديدة لا توازي ما كتب عن الفراعنة أو القومية التي أطلت برأسها في أوائل القرن الماضي.

وسارعت أمريكا إلى تغيير مناهج التاريخ في العراق حتى لا يتخذ مظهرا للعداء لأمريكا أو أن يطغى عليها التشدد الديني والراديكالية المتطرفة، كما تريد أن يغدو منهج التاريخ في المدارس العراقية مركزا على الأدوار الحضارية والاجتماعية، ودور العراق منذ القدم في بناء الحضارة الإنسانية (١) .

هذه الأساليب الشيطانية أنتجت في مجتمعاتنا كل منبت عن دينه وأصله وتاريخه، فأصبح يتبرأ من حضارة الإسلام ليقع منتكسا في أحضان الحضارات الكافرة من أولها حتى الحضارة الغربية، ونتاجها كل فكر مسموم يهدم أساس المجتمع المسلم

ينفثونه في كتبهم ومقالاتهم.
وشاهدنا تركيا التي انسلخت من تاريخها الإسلامي الزاهر ونبشت ما يسمى تاريخا للبدو الترك قبل إسلامهم وتكوينهم لدول عظيمة أهمها وأعظمها الدولة العثمانية. لقد تعلقوا بأوروبا؛ فهم منذ ثلاثين عاما يطرقون أبواب الاتحاد الأوروبي فلم يقبلهم ولم يعترفوا بتاريخهم الجديد، فأضاعوا ماضيهم وحاضرهم.
أما دولة المسخ دولة يهود فقد انتسخت لها تاريخا من سراديب التاريخ تدرسه لأبنائها يقوم على صهينة التاريخ؛ بحيث تأخذ من التاريخ الإنساني ما يناسبها وتلبسه لباسا يهوديا يقوم على ادعاء الحق في فلسطين وغيرها، ووجوب بناء الهيكل (٢) .

- الحكم على الدنيا:
يقول ابن الأثير (٣) : إن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تبق على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غني عشقها وذاب فيها، ولا فقير زهد فيها وأعرض عنها وأقبل على التزود للآخرة، ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص» .
فانظر إلى سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم -؛ ففيها المثل الأعلى على احتقار الدنيا. يقول -صلى الله عليه وسلم - وقد دعاه أحد أصحابه إلى بعض اللين في العيش: «ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» (٤) .
وهذا طلحة بن عبيد الله ـ رضوان الله عليه ـ يؤتى إليه بمال كثير فيفرقه وهو في مجلسه ولم يبق معه قليل ولا كثير منه (٥) .
أما عمر بن عبد العزيز فقد ترك الدنيا وترك معها أولاده وليس لهم مال وهو الخليفة وبيده الخزائن والأمر والنهي (٦) .
والإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ عرف الدنيا وحقارتها وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة فأعرض عنها، وكان يعيش على الخبز رغم جوائز الخليفة التي يتمنى منه أن يقبلها.
وما الإمام ابن باز، والإمام الألباني ـ رحمهما الله ـ ببعيدين عنا تركا الدنيا وهما لا يملكان من حطامها شيئا، رغم أنهما يستطيعان جمع الكثير بدون سؤال.

- قراءة الأحداث:
ذلك أن أحداث التاريخ تتكرر؛ فهي سنن كونية تتكرر مرات ومرات؛ فما يجري أمامك لا شك أنه قد جرى نظيره قبل ذلك. يقول البيهقي (٧) : «لا توجد حادثة لم يحدث مثلها من قبل» .
ويقول ابن الأثير (٨) : «إنه لا يحدث أمر إلا تقدم هو أو نظيره» .
ويقول نيو توكررش (٩) : «إن التاريخ كله تاريخ الحاضر» .
وفي عالمنا المعاصر نوقن أن نهاية الحضارة الغربية قريبة قربا تاريخيا؛ فقد دفعت حضارات وإمبراطوريات كبيرة ثمن انغماسها في الشهوات والملذات واطراح الأخلاق، ناهيك عن التوحيد، كالإمبراطورية الرومانية، والبيزنطية، والفرعونية، كما هوت دول؛ لأنها تعجرفت وتجبرت وتعدت على غيرها ورأت أن لا شيء فوقها كما تفعل أمريكا اليوم في العالم. يقول ـ سبحانه

. عن قوم عاد: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ . [الشعراء: ١٢٨ - ١٣٠] .

فصب الله عليها شآبيب العقاب فأصبحت كأمس الذاهب.

ولا نشك لحظة أن التاريخ يعيد نفسه في صحوة الأمة ورجوعها إلى قيادة العالم نحو التوحيد والسلام؛ فقد أفاقت قبل تسعمائة سنة على غزو صليبي هادر أكل الأخضر واليابس، فلملمت أطرافها وطردتهم شر طردة، بل نقلت المعركة إلى عقر دارهم، فقرع أبطالها أبواب فيينا في معقل النصرانية الوثنية أوروبا، وها نحن اليوم نرى إرهاصات تلك الصحوة ولعلها تؤتي ثمارها قريبا فنرى المستعمر المتسلط المتبجح يهرب كما هرب من تسعة قرون.

- التخلق بالصبر والتأسي بالصابرين:

وهو سبب مهم؛ فالصبر حث عليه ديننا. يقول . تعالى .: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٣] ، وإمام الصابرين نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم -.

يقول ابن الأثير (١) : ومنها التخلق بالصبر والتأسي، وهما من محاسن الأخلاق؛ فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ولا ملك معظم ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم، ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد.

ويقول الثعلبي (٢) : ومنها قصص التهذيب والتأديب لأمته -صلى الله عليه وسلم -، ومنها قصص التأسي بهم فيما أثنى الله عليهم به.

وقد كابد المرسلون المشاق من تكذيب وامتهان وازدراء، وقتل منهم في سبيل الدعوة من قتل؛ فهم الأسوة والقدوة لنا.

وفي قصة يوسف . عليه السلام . أكبر دليل على عاقبة الصبر؛ فقد صبر وتمنى السجن ودخله مدة حتى أذن الله بخروجه منصورا مؤيدا. قال . تعالى .: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: ١١١] .

والتاريخ مليء بقصص الصابرين؛ فهذا الوزير المهلبي (٣) يتمنى الموت من الفقر والإقلال وسوء الحال فيقول:

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

إذا أبصرت قبرا من بعيد وددت لو انني مما يليه

ويتمنى أن يأكل لحما وكان معه صديق له فاشترى لحما وأطعمه إياه، وتدور الأيام ويتولى المهلبي الوزارة والأمر والنهي حتى إن مائدته مليئة بأصناف الطعام ويأكل كل لقمة بمعلقة من زجاج.

- معرفة نعم الله وتقديرها:

من قرأ التاريخ وهو في دعة علم مقدار ما قاساه من قبله من الشدائد وشظف العيش وكلب الزمان وانعدام الأمن والأمان، فلا بد أن يعرف مقدار نعم الله التي لا تحصى، فيقدرها بالشكر للمنعم الوهاب.

ولذلك كان الصحابة ممن أدرك الشدة والعناء مستحضرين لها دائما؛ فقد بكى سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . وقد

رأى ما يعيش فيه وتذكر مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ لما لم يجدوا له كفنا يواري جميع بدنه (٤) .
فقد مرت على البلاد المعروفة الآن بالسعودية والخليج قرون شداد، المعيشة قاسية، والأمن معدوم. كانوا يهاجرون للعمل في البلدان المجاورة والبعيدة أعمالا يستنكفون منها الآن، فلما دار الزمان صب الله عليهم من نعمه فأصبحت بلادهم مطلب الكثيرين، ونعموا بسعة العيش ونضارته وبالأمن والاستقرار. فيجب عليهم شكر هذه النعم؛ لأن تاريخهم القريب إذا قرؤوه فلا شك أنهم لا يودون التفكير فيه ناهيك عن العيش فيه؛ فبالشكر تدوم النعم: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم: ٧] .

- التشبه بالصالحين والأعلام:
يقول السخاوي (٥) عن فوائد علم التاريخ: «التشبه بذوي المروآت والأجواد والوفاء والفرسان والشجعان» .
إن من أسباب هداية الإنسان التأثر بغيره ممن سبقه من أهل الصلاح والتقوى والمروءة في جميع جوانب حياتهم؛ فإذا اطلع على سيرهم وأحوالهم تاق إلى التشبه بهم ومحاكاتهم فتحول إلى إنسان آخر، وهذا يساعد المربين فيجعلون التاريخ مدرسة تربوية ينهل منها المربون في كل زمان. فكم من مسلم تأثر بسيرهم وحاول أن يسير على خطاهم، وكم تأثر مسلم بضروب الشجاعة والإقدام التي يقرؤها، فترسخ فيه روح الحماس والشجاعة، لذلك حرص الناس بجميع مذاهبهم على السير والتراجم، وصنف المسلمون فيها كتبا لا حصر لها.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ١، ٧/٨.
(٢) المقدمة، ٦.
(١) تاريخ الخلفاء، ٢٥٥.
(٢) تاريخ الطبري، أحداث ٢٣٣ هـ.
(٣) الكامل في التاريخ، ١/٨.
(١) بناء التاريخ هاجس المجتمع العراقي النخبوي، سيار الجميل، الشبكة العنكبوتية.
(٢) التعليم في إسرائيل وتربية العنف، الدكتور عبد الله اليحيى، موقع المسلم نت.
(٣) الكامل في التاريخ، ١/٨.
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند، ١/٣٩١، والترمذي، وقال حسن صحيح برقم ٢٣٧٨، وصححه الحاكم في المستدرك، ٤/٣١٠.
(٥) الطبقات الكبرى، ٥/٢٢٠. (٦) سير أعلام البنلاء، ٥/١٤٠.
(٧) الإعلان بالتوبيخ، ٣٣. (٨) الكامل في التاريخ، ١/ ٨.
(٩) موسوعة التاريخ الإسلامي، ١/٣٦.
(١) الكامل في التاريخ، ١/٨.

(٢) الإعلان بالتوبيخ، ٣٧/٣٦.

(٣) وفيات الأعيان، ١٢٦/٣.

(٤) الطبقات الكبرى، ج٣.

(٥) الإعلان بالتوبيخ، ٣٧/٣٦.." [١]

"الكاتب: محمد رشيد رضا

تقريظ المطبوعات

(اللص والقاضي)

عن محمد بن مقاتل الماسقوري قاضي الري قال: كان محمد بن الحسين
يكثر الإدلاج إلى بساتينه فيصلي الصبح، ثم يعود إلى منزله إذا ارتفعت الشمس
وعلا النهار، قال محمد بن مقاتل فسألته عن ذلك، قال: بلغني في حديث عن
النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (حبب إلي الصلاة في الحيطان)
وذلك أن أهل اليمن يسمون البستان الحائط، قال محمد بن الحسين: فخرجت
إلى حائط لأصلي فيه الفجر؛ رغبة في الثواب والأجر، فعارضني لص جريء
القلب، خفيف الوثب في يده خنجر كلسان الكلب، ماء المنايا تجول على فرنده،
والآجال تحول في حده، فضرب يده إلى صدري، ومكن الخنجر من نحري،
وقال لي بفصاحة لسان وجراءة جنان: انزع ثيابك واحفظ إهابك، ولا تكثر
كلامك، تلاق حمامك ودع عنك اللوم، وكثرة الخطاب، فلا بد من نزع الثياب.
فقلت له: يا سبحان الله، أنا شيخ من شيوخ البلد، وقاض من قضاة المسلمين،
يسمع كلامي ولا ترد أحكامي، ومع ذلك فإني من نقلة حديث رسول الله – صلى
الله عليه وسلم – منذ أربعين سنة، أما تستحي من الله أن يراك حيث نهاك. فقال:
يا سبحان الله، أنت أيضا أما تراني شابا ملء بدني أروق الناظر وأملأ الخاطر
وآوي الكهوف والغيران، وأشرب القيعان والغدران، وأسلك مخوف المسالك،
وألقي بيدي في المهالك، ومع ذلك فإني وجل من السلطان، مشرد عن الأهل
والأوطان، وأخشى أن أعثر بواحد مثلك وأتركه يمشي إلى منزل رحب، وعيش رطب، وأبقى أنا هنا أكابد التعب، وأناصب النصب، وأنشأ اللص يقول:

---

(١) مجلة البيان مجموعة من المؤلفين ٢٥/٢١٦

تري عينيك ما لم تر إياه ... كلانا عالم بالترهات

قال القاضي: أراك شابا فاضلا ولصا عاقلا ذا وجه صبيح ولسان فصيح، ومنظر وشارة، وبراعة وعبارة. قال اللص: هو كما تذكر، وفوق ما تنشر. قال القاضي: فهل لك إلى خصلة تعقبك أجرا، وتكسبك شكرا، ولا تهتك مني سترا؟ ومع ذلك فإني مسلم الثياب إليك، ومتوفد بعدها عليك، قال اللص: وما هذه الخصلة؟ قال القاضي: تمضي معي إلى البستان، فأتوارى بالجدران، وأسلم إليك الثياب، وتمضي على المسار والمحاب. قال اللص: سبحان الله! تشهد لي بالعقل وتخاطبني بالجهل ويحك، من يؤمنني منك أن يكون لك في البستان غلامان جلدان علجان، ذوا سواعد شديدة، وقلوب غير رعديدة، يشداني وثاقا، ويسلماني إلى السلطان، فيحكم في آراءه، ويقضي علي بما شاءه، قال له القاضي: لعمري، إنه من لم يفكر في العواقب فليس له الدهر بصاحب، وخليق بالرجل من كان السلطان له مراصدا، وحقيق بأعمال الحيل من كان لهذا الشأن قاصدا، وسبيل العاقل أن لا يغتر بعدوه؛ بل يكون منه على حذر؛ ولكن لا حذر من قدر، ولكن أحلف لك ألية مسلم، وجهد مقسم، أني لا أوقع بك مكرا، ولا أضمر لك غدرا.

قال له اللص: لعمري، لقد حسنت عبارتك ونمقتها، وخشنت إشارتك وطبقتها، ونثرت خيرك على فخ ضيرك، وقد قيل في المثل السائر على ألسنة العرب: (أنجز حر ما وعد) (أدرك الأسد قبل أن يلتقي على الفريسة لحياه ولا يعجبك من عدو حسن محياه) ، وأنشد

لا تخدش وجه الحبيب، فإنا ... قد كشفناه، قبل كشفك عنه

واطلعنا عليه والمتولي ... قطع أذن العيار، أعير منه

ألم يزعم القاضي أنه كتب الحديث زمانا، ولقي فيه كهولا وشبانا، حتى فاز ببكره وعونه، وحاز منه معنى متونه وعيونه، قال القاضي: أجل. قال اللص: فأي شيء كتبت في هذا المثل الذي ضربت لك فيه المثل، وأعملت الحيل؟ قال القاضي: ما يحضرني في هذا المقام الحرج حديث أسنده، ولا خبر أورده، فقد قطعت هيبتك كلامي، وصدعت قبضتك عظامي، فلساني كليل، وجناني عليل وخاطري نافر، ولبي طائر، قال اللص: فليسكن لبك، وليطمئن قلبك، اسمع ما أقول، وتكون بثيابك حتى لا تذهب ثيابك إلا بالفوائد. قال القاضي: هات. قال اللص: حدثني أبي عن جدي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال، قال:

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يمين المكره لا يلزمه فإن حلف وحنث فلا شيء
عليه) وأنت إن حلفت حلفت مكرها، وإن حنثت فلا شيء عليك، انزع ثيابك.
قال القاضي: يا هذا قد أعيتني مضاة جنانك، وذرابة لسانك، وأخذك علي الحجج
من كل وجه وجانب، أتيت بألفاظ كأنها لسع العقارب، أقم ههنا، حتى أمشي إلى
البستان، وأتوارى بالجدران، وأنزع ثيابي هذه، وأدفعها إلى صبي غير بالغ، تنتفع
بها أنت ولا أتهتك أنا، ولا تجري على الصبي حكومة؛ لصغر سنه وضعف متنه،
قال اللص: يا إنسان، قد أطلت المناظرة، وأكثرت المحاورة، ونحن على طريق
ذي غرر، ومكان صعب وعر، وهذه المراوغة لا تنتج لك نفعا، وأنت لا تستطيع
لما أرومه منك دفعا، ومع هذا فتزعم أنك من أهل العلم والرواية، والفهم والدراية،
ثم تبتدع وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (الشريعة
شريعتي، والسنة سنتي، فمن ابتدع في شريعتي وسنتي فعليه لعنة الله) قال
القاضي: يا رجل، وهذا من البدع. قال اللص: اللصوصية بنية بدعة، انزع ثيابك، فقد أوسعت من ساعة مجالك، ولم أشدد
عقالك، حياء من حسن
عبارتك، وفقه بلاغتك، وتقلبك في المناظرة، وصبرك تحت المخاطرة. فنزع
القاضي ثيابه ودفعها إليه، وأبقى السراويل. فقال اللص: انزع السراويل؛
كي تتم الخلعة. قال القاضي: يا هذا دع عنك هذا الاغتنام، وامض بسلام، ففيما
أخذت كفاية، وخل السراويل فإنها لي ستر ووقاية، لا سيما وهذه صلاة الفجر قد
أزف حضورها وأخاف تفوتني فأصليها في غير وقتها، وقد قصدت أن أفوز بها
في مكان يحبط وزري، ويضاعف أجري، ومتى منعتني من ذلك، كنت كما
قال الشاعر:

إن الغراب وكان يمشي مشية ... فيما مضى من سالف الأحوال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها ... فلذاك كنوه أبا المرقال

قال اللص: القاضي -أيده الله تعالى- يرجع إلى خلعة غير هذه، أحسن منها
منظرا، وأجود خطرا، وأنا لا أملك سواها، ومتى لم تكن السراويل في جملتها،
ذهب حسنها، وقل ثمنها لا سيما والتكة مليحة وسيمة، ولها مقدار وقيمة، فدع
ضرب الأمثال واقنع عن ترداد المقال، ما دامت الحاجة ماسة إلى السروال. ثم
أنشد:

دع عنك ضربك سائر الأمثال ... واسمع، إذا ما شئت فصل مقالي
لا تطلبن مني الخلاص، فإنني ... أفتي متى ما جئتني بسؤال

ولأنت إن أبصرتني ذا ... قول، وعلم كامل وفعال
جارت عليه يد الليالي فإنني ... أبغي المعاش بصارم ونصال
فالموت في ضنك المواقف دون ... أن ألقى الرجال بذلة التسآل
والعلم ليس برافع أربابه ... أولا، فقد مسه على البقال
ثم قال: ألم يقل القاضي أنه يتفقه في الدين، ويتصرف في فتاوى المسلمين؟
قال القاضي أجل. قال اللص: فمن صاحبك من أئمة الفقهاء؟ قال القاضي: صاحبي محمد بن إدريس الشافعي، قال اللص: أسمع هذا وتكون بالسراويل، حتى لا تذهب عنك السراويل إلا بالفوائد؟ قال القاضي: أجل. يا لها من نادرة، ما أغربها، وحكاية ما أعجبها، قال: حدثني أبي عن جدي عن محمد بن إدريس يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلاة العريان جائزة، ولا إعادة عليه) تأول في ذلك غرقى البحر، إذا سلموا إلى الساحل، فنزع القاضي السراويل، وقال خذها وأنت أشبه بالقضاء مني، وأنا أشبه باللصوصية منك، يا من درس على أخذ ثيابي موطأ مالك وكتاب المزني. ومد يده؛ ليدفعه إليه فرأى الخاتم في إصبعه اليمنى فقال: انزع الخاتم. فقال: إن هذا اليوم ما رأيت أنحس منه صباحا، ولا أقل نجاحا، ويحك ما أشرهك وأرغبك، وأشد طلبك وكلبك، دع هذا الخاتم، فإنه عارية معي، وأنا خرجت ونسيته في إصبعي، فلا تلزمني غرامته.
قال اللص: العارية غير مضمونة ما لم يقع فيها شرط عندي، ومع ذلك أفلم يزعم القاضي أنه شافعي؟ قال: بلى. قال اللص: فلم تختمت في اليمنى.
قال القاضي: فأنا أعتقد ولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – وتفضيله؛ على كل المسلمين من غير طعن على السلف الراشدين، وهذا في الأصول اعتقادي، وعلى مذهب الشافعي في الفروع اعتمادي، فأخذ اللص في رد مذهب الرفض، وجرت بينهما في ذلك مناظرة طويلة، رويناها بهذا الإسناد، انقطع فيها القاضي، وقال بعد أن نزع الخاتم ليسلمه إليه: خذ يا فقيه، يا متكلم، يا أصولي، يا شاعر، يا لص. اهـ (من طبقات الشافعية الكبرى) .
***

(شرح عقيدة السفاريني)
للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي (رحمه الله تعالى) عقيدة منظومة اسمها: (الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية) بلغني أن الشيخ حسن

الطويل (عليه الرحمة) ، قال لما اطلع عليها ما معناه: إن هذه أول عقيدة إسلامية اطلعت عليها. ولناظمها شرح مطول عليها سماه (لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية) .

جمع فيه المؤلف أقوال السلف والخلف، ومذاهب الفرق في مسائل الاعتقاد، وبين رجحان مذهب السلف على غيره، مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية، وكذا العقلية، فيما يستدل على مثله بالعقل، واقتبس جل تحقيقاته فيه من كلام الإمامين الجليلين: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم، عليهما الرحمة والرضوان، فجاء كتابا حافل الري، جامعا لما لم يجمعه غيره من المأثور والمروي، كثير الفوائد، جم الأوابد والشوارد، لا يكاد يستغني عنه طالب السعة والتحقيق في العقائد الإسلامية، أو يحيط بما في كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية. نعم إنه ينكر عليه كثرة الروايات والأقوال المأثورة في أشراط الساعة، ونحوها من المسائل التي ليست من العقائد الدينية، ومنها ما لا يصح له سند، ولكن من يعلم أنه لا يجب عليه أن يعتقد ما لا يقوم عليه البرهان، لا يضره إيراد ذلك، وقد ينفعه الاطلاع على تلك الأقوال، فيستخرج من مجموعها ما يحق الحق ويبطل الباطل.

وجملة القول: إن هذا الكتاب لا يستغني عنه بشيء من كتب العقائد التي يتداولها طلاب العلم، وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان، ليس فيها بيان لمذهب السلف يجلي حقيقته، ويوضح طريقته، بل فيها ما يشعر بأن مذهب السلف هو التمسك بالظواهر من غير فهم ثاقب، ولا علم راسخ، وأن الخلف أعلم منهم، وهيهات هيهات لذلك، بل السلف أفهم، وأعلم، وأحكم، وما خالف المتكلمون فيه السلف فهو جهل مبين، أو نزغات شياطين، وبمثل هذا الكتاب تعرف ذلك.

رغب في نشر هذا الكتاب بعض محبي العلم والدين؛ من العرب الكرام المخلصين، فأرسل إلينا نسخة خطية منه، فطبعنا له عنها عددا معينا، جعله وقفا لله – تعالى – يوزع على طلاب العلم السلفيين في بلاد مختلفة، وطبعنا منه على نفقتنا طائفة من النسخ زيادة عن النسخ الموقوفة، بإذن الطابع الواقف، وهي تباع بمكتبة المنار بشارع درب الجماميز بثمن قليل بالنسبة حجم الكتاب، وحسن ورقه وطبعه.

جعل الكتاب جزأين، صفحات الأول ٣٨٨ والثاني ٤٤٨، ووضعنا له فهرسا مرتبا على حروف المعجم؛ لتسهيل مراجعة فوائده الكثيرة المطوية في مباحثه

المختلفة، وجدولا للخطأ والصواب، فدخل ذلك مع ترجمة المؤلف في ٣٨ صفحة فمجموع صفحات الكتاب ٨٦٤ ورقة كورق المنار، وثمن النسخة منه غير مجلدة عشرون قرشا صحيحا، ما عدا أجرة البريد.

***

(الوجيز في القانون الجنائي)

عمر بك لطفي من أشهر علماء القوانين في هذه الديار، أتقنها علما وتعليما وعملا، فقد كان مدرسا بمدرسة الحقوق، ووكيلا لها زمنا طويلا، والآن تحسبه مدرس شرف فيها، وهو الآن يشتغل بالمحاماة وبتدريس القانون الجنائي بمدرسة البوليس.

وقد ألف في هذه الأيام كتابا في القانون الجنائي سماه (الوجيز) ، فحسبنا في تقريظه أن نقول: إنه من تأليفه، وفي الدلالة على وجه الحاجة إليه إلحاح طلاب المدرستين الحقوق والبوليس عليه، بطلبه وإيداعه ما ألقاه من الدروس عليه.

طبع الجزء الأول من الكتاب على ورق جيد، فكان ٣٧٨ صفحة، وثمن النسخة منه ثلاثون قرشا، وهو يباع في إدارة مجلة المجلات العربية وفي المكاتب الشهيرة.

***

(لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر)

ألف ميخائيل أفندي بن أنطون الطقال الحلبي كتابا سماه (لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر، أو الغاية في البداءة والنهاية) وهو كتاب خيالي الوضع، أدبي المغزى، من أحسن ما كتب أهل هذا العصر عبارة وموضوعا، تقرأ الصفحات منه، ولا تكاد تعثر بشيء من الأغلاط التي اعتادها كتابنا عامة، وأهل الصحف منهم خاصة، ولا تقف عند معنى ينكره الأدب الصحيح، أو يمجه الذوق السليم، وفي بعض فصوله كثير من مفردات اللغة التي يحتاج إليها الكتاب، وهم في غفلة عنها؛ لقلة بحثهم واطلاعهم في الغالب. وقد طبعه وجعل ثمنه ريالا، وإننا نورد لك فصلا منه في تربية الطفل قال:

الفصل الأول من الباب الرابع

في الطلق والولادة وتربية الطفولة

قال والدي: كل امرأة عندنا (أي في الزهرة) خصوف [١] لا تجر [٢] ولدها، وهي تأكل، وتشرب، وتضحك، ولا تشكو، ولا تئن، ولا تتوجع شكوى وأنين

وتوجع بني آدم، بل تضع كأنها تمغص مغصا ليس بشديد، لا تحتاج إلى قابلة؛
لأنها لا يهددها خطر، إننا لا نظائر [٣] لأننا نقول من رضع من غير أمه فقد تخلق
بأخلاقها، إن المرأة بعد أن تحجم للمولود: أي بعد أن ترضعه أول رضعة،
ترضعه في كل ساعة حترتين (والحترة الرضعة الواحدة) ، حتى إذا بلغ الشهر
السادس من عمره، أرضعته في ثلاث ساعات مرة، فإذا زادت منعت، وعدت
جاهلة بين نسائنا، وهذا يحدث قليلا أو لا يحدث، لا تعجوه [٤] ولا تجدعه [٥] . إن
المرضع عندنا لا تأفل [٦] والرضيع لا يحصأ [٧] .

لا تضع الأم ولدها في سرير يهز، فقد عرفنا أنه تنجم عنه أخطار عظمية،
وربما كان سبب هلاك الطفل منها، إن الاهتزاز الشديد يؤثر في مجموع عصبه،
ويحدث له القيء، وغير ذلك من الأمراض، هذا إذا كان معافى. فإذا كان عليلا
متألما من حالة عصبية دماغية، أو معدية، أو غيرها، ازداد تألما بالهز، وتمكنت
منه العلل.

وقد علم أن كثيرين أصيبوا منه بالشوص والحول، هذا إذا لم يسقط الطفل من
سريره؛ لأن في سقوطه الوبال عليه، ومن المعلوم أن الطفل إذا هزز سريره؛ لا
ينام في أول الأمر إلا بعد أن يأخذه دوار، وربما كان التهزيز يمدد منه الرقبة، ويلوي
الرأس، وفي كلا الأمرين خطر عظيم عليه.

تلفه والدته بلفائف من المرن، لا تقمطه قمطا شديدا؛ لئلا يلوي الساقين
والقدمين والساعدين واليدين؛ ولئلا يضغط. تضعه في سرير ثابت، وتضع عليه
لحافا من المرن، يمنعه من التحرك القوي.

لا تتركه وحده، ولا تقدم إليه ما يمتصه؛ ليلتهي به عن الرضاع، يخرج من
غرفته في كل يوم ثلاث مرات، إلى محل طيب الهواء نقيه، وبعد خروجه تفتح
النوافذ؛ ليبدل هواءها، غير أنه يحترز عليه من البرد والحر، لا تسلمه أمه إلى
أحد، ولا تتخذ له مربية؛ فإن الوالدة أحن على الولد من غيرها، وأشد انتباها إليه،
وأحرص عليه. لا تقبله، ولا يقبله أحد؛ لئلا تنتقل إليه حيوانات فم المقبل
الضارة. لا يضحك تضحيكا شديدا؛ لئلا تغثى نفسه [٨] أو يغمى عليه، بل يترك
ليضحك حينما يشتهى ويريد ضحكا طبيعيا.

لا تلاعبه أمه بخفضه ورفعه، ولا تقبض يده بيدها، وترفعه أو تجره. لا
تضغطه بضمه إلى صدرها، ولا تجعل ملاعبته إلا بقدر جسمه، لا بقدر جسمها.
إذا لاعبته وانزعج أو كاد، تركته حالا؛ ليستريح ويرتاح [٩] .

لا تطعمه إلا بعد أن يسن [١٠] وتقوى أضراسه وأنيابه معا؛ فإن الأسنان وحدها لا تستطيع طحن الطعام وتنعيمه، فإن أطعمته أصيب بعلة الأسنان المعروفة عندكم تقريبا. وبعد الأسنان ونبات الأضراس وخروج الأنياب، تؤكله والدته أكلا خفيفا لطيفا، لا يقاسي في مضغه تعبا لئلا يبلعه. لا تطعمه إلا قليلا حينما ترى منه اشتهاء وإقبالا على المطعم، فإذا آنست منه قلة في الاشتهاء، رفعت الطعام وأخفته.

إذا أبصر شيئا ضارا ولو قليلا ورغب فيه منعته، واجتهدت في تحويل فكره عنه، ونقله إلى غيره فينتقل. لا يسمع أصواتا عالية مرتفعة على غرة، مزعجة كانت أو غير مزعجة، ولا تعرض عليه المتحركات السريعة الانتقال والتغير؛ لئلا تزيد في تحريك عينيه، ولا يحد أحد نظره إليه، ولا ينظره وهو قطوب عبوس؛ ليسكته ويسكنه بالإرهاب، بل يسكن بالكلام بالرقيق، ويلهى بالمناغاة [١١] إذا كان الصوت رخيما لا نبرة فيه، فإنه يأنس بهما، ويطيب خاطره. فإذا ربي هذه التربية، فلا خوف عليه أن يقصع [١٢] بل ينمو قويا: صحيح الجسم، والعقل. إذا أخذ في الكلام، قومت أمه لسانه. إننا لا نعرف الرتة [١٣] واللثغة [١٤] واللكنة [١٥] والفأفأة [١٦] والتمتمة [١٧] والرأرأة [١٨] واللجلجة [١٩] والخنخنة [٢٠] والمقمقة [٢١] والهتهتة والهثهثة [٢٢] والتعتعة والثعثعة [٢٣] واللفف [٢٤] والليغ [٢٥] ولا نعرف التبع [٢٦] .

إن الوالدة مؤاخذة بعي ولدها، وحصره وفهاهته، فتنبهه على كل كلمة غير فصيحة.

كلامنا فصيح بليغ، فكلنا لسن [٢٧] في بيان وتبيان [٢٨] اهـ.

***

(القواعد المنطقية)

كتاب مطول في علم المنطق، ألفه بالفرنسية (الأب تونجورجي اليسوعي) ، ونقله إلى العربية (الخوري جرجس فرج صفير الماروني) متصرفا بعض التصرف في الترجمة، كما قال في مقدمته. وقد تفضل بإهداء الكتاب إلينا مع رقيم، يرغب إلينا فيه بمطالعته وانتقاده، فمرت علينا شهور نرقب فيها فرص الفراغ لذلك، فلم يسنح منها شيء يكفي لمطالعته كله أو بعضه مطالعة نقد، فرأينا والشواغل عن مطالعة مثله تزداد، أن نجيل النظر فيه جولة عجلى، ونقرأ من بعض فصوله جملا، تسمح لنا بأن نحكم عليه حكما إجماليا، فرأينا أن الكتاب من أحسن ما

ألف وأفيده، وفيه من المباحث والفوائد ما لا يوجد في الكتب العربية المتداولة بين المشتغلين بهذا العلم، وهو يخالفها في كثير من الاصطلاحات، والتعريفات، والتقسيم، والترتيب، وفي هذه المخالفة من الفائدة زلزال الجمود على الكتب المألوفة، وتحريك الذهن في مسائل العلم، وتعويده الجولان في المعاني، وإطماعه في الإتيان بغير ما تلقاه من الكتب أو الأستاذين.

ورأيت في الترجمة ضعفا، يحول دون الفهم في بعض المواضع، وغلطا واضحا في العبارة كقوله في صـ ١٤٤ (لا يصح قولك، إما أنت جالس أو ماشي لعدم المساواة في التقسيم؛ إذ قد يكون لا جالس ولا ماشي) . وقوله في ص ٣١ (ففي الشق الأول فإما أنه يعم الماهية) ، ومع هذا نقول: إن الكتاب يفيد كل من يطالعه من أبناء العربية في هذا العلم، ولعل المترجم الفاضل، يعنى عند طبعه ثانية بتصحيح عبارته؛ لتكون الفائدة منه تامة. هذا وإن ثمن النسخة من الكتاب ٣ فرنكات، وهو يطلب من المطبعة المصرية بالإسكندرية.

***

(التقرير السنوي لمشيخة علماء الإسكندرية)

أرسلت إلينا هذه المشيخة تقريرها عن سنة ١٣٢٣ الدراسية، ولما نتمكن من مطالعته، ولكننا أجلنا الطرف في بعض صفحاته، فإذا به قد وقف عند قوله: (وإني لأرجو أن أقدم للعالم الإسلامي بعد أعوام قليلة من خيرة الشبان رجالا، تفتخر بهم الأمة المصرية، وتقوم بها الحجة على الذين يزعمون أن التعليم الديني لا ينهض بالأمم، ولا يصلح أن يشاد على دعائمه عرش المدنية، ولا أن يضم تحت راياته مفاخر التقدم والارتقاء) اهـ فذكرني هذا القول بأمر كنت عنه ذاهلا، ذكرني بأن من علماء مكة وأشرافها عالما يقيم الآن في بعض جزائر جاوة، أرسل ولدا له؛ ليطلب العلم في الإسكندرية، لما قرأه في الصحف المصرية ومنها المنار من تفضيل الطلب فيها على الطلب في الأزهر بالمراقبة والنظام والتدريج، فلم يقبله الشيخ محمد شاكر واعتذر عن ذلك بعدم حفظه للقرآن، وهو عذر لا ينطبق على قانون الأزهر؛ الذي تتبعه مشيخة الإسكندرية كسائر معاهد التعليم الديني في القطر، وكل ما تفضل به مشيخة الإسكندرية الأزهر هو أنها تنفذ من هذا القانون ما لا ينفذ فيه، فهذا الشرط الذي زاده الشيخ محمد شاكر على القانون، يقفل باب مشيخته في وجوه (العالم الإسلامي) ؛ لأن الذين يحفظون جميع القرآن في أكثر أقطار هذا العالم هم من العميان، أومن العلماء الذين يحفظونه في الكبر، ولا يرجى أن يرحل

أحد منهم إلى الإسكندرية؛ لطلب العلم. ولما كان الأزهر معهدا للعالم الإسلامي، وعلم واضع قانونه أن أكثر أقطار هذا العالم، لا يحفظون القرآن في الصغر، لم يشترط في قبولهم بالأزهر أن يكونوا من الحافظين، بل لم يشترط في المبصر من أهل القطر المصري، أن يكون حافظا للقرآن كله.

فإن الشيخ شاكر يحب أن يمتاز طلاب العلم عنده بحفظ القرآن كله، فله أن يكلفهم ذلك في مدة الطلب، وليس له أن يمنعهم من طلب علم الدين المفروض عليهم لأنهم قصروا من قبل في حفظ القرآن الذي لم يفرض على الأعيان.

فهذا المنع من العلم لا يجيزه الشرع ولا القانون فيما نعلم، ولا ينطبق على إرادة خدمة العالم الإسلامي بهذا التعليم الديني، إلا إذا أريد بالعالم الإسلامي مصر، وكان هذا الإصلاح الخاص للذين أحدثوا في الإسلام نفسه وطنية، لم ينزل الله بها من سلطان مستحسنا عند مثل الشيخ شاكر، وقد يرجح هذا قوله في الرجال الذين يريد أن يخرجهم (للعالم الإسلامي) ينهضون به، ويشيدون عرش المدنية على دعائمه (تفتخر بهم الأمة المصرية) ولكن هذه الوطنية المموهة بكلمات الدين والإسلام، يتبرأ منها دين الإسلام، وتنكرها قوانين المدنية عند جميع الأنام،

فأما الوطنية المعروفة عند الأمم التي قامت بالوطنية فهي عبارة عن اتحاد المقيمين في وطن واحد، المختلفين في الملل والنحل، على ما يرقي شأنه، ويزيد في عمرانه، وهذه الوطنية لا تعارض الإسلام الذي جعل المؤمنين إخوة، يتعاونون على البر والتقوى، ويتعاطفون، ويتراحمون كأنهم أعضاء جسد واحد، إن اختلفت أوطانهم وتناءت بلدانهم.

لا أطيل الكلام الآن في هذه المسألة، ولكنني أتمنى لو يقبل الشيخ شاكر هذا الطالب المكي وغيره ممن عساه يقصد إلى الطلب في الإسكندرية، وأن لا يمزج دعوته الدينية، بتلك النزعة المنكرة في الوطنية، وإلا فليجعل الدعوى على قدر الدعوة، إن كانت مما لا بد منه، وإنني لأشد تمنيا لو أعرف عذرا معقولا، لعدم قبول غير المصريين أو الحافظين طلابا للعلم الديني في مشيخة الإسكندرية.

وسنعود إلى قراءة التقرير وكتابة ما يبدو لنا في أمره أنه نافع إن شاء الله تعالى.

***

(البغاء أو خطر العهارة في القطر المصري)

ألف الدكتور بورتقاليس بك كتابا باللغة الفرنسية، الذي سماه بهذا الاسم، ونقله للغة العربية داود أفندي بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام. المؤلف طبيب

أخصى في معالجة الأمراض الجلدية والزهري، وما يتعلق بذلك، والكتاب صحي أدبي، يفهمه كل قارئ، وإننا نرى خير تقريظ له أن ننشر نبذا منه، لعل الذين تركوا الدين، فوقعوا في الأدواء التي تنشأ من الزنا، يعرفون الأخطار التي تساورهم في آحادهم وفي ذريتهم، فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة في كل دين، على أنني أعتقد بأنه لا علاج لهذه المصائب العمرانية، والاجتماعية، إلا التربية الدينية، وأن من يزعم أن الاقتناع بضرر المعاصي وحده، يعمل ما يعمل الدين في الردع عنها، فهو من الجاهلين كما بينا ذلك بعض البيان في مقالة (التعليم الديني) من هذا الجزء. قال المؤلف:

١٦

سبب المواصلة مع الغير مراقبات

إن العدوى تنتقل إلى الرجال الذين يخالطون النساء غير المراقبات انتقالا رائعا، لا يماثله انتقاله إليهم من النساء الموضوعات تحت المراقبة.

فالرجال على وجه عام، والمتزوجون منهم على نوع خاص، يخالطون العاهرات غير الموضوعات تحت المراقبة؛ أكثر من مخالطتهم العاهرات اللائى يفحصهن الأطباء؛ وسبب ذلك أن الفريق الأول من العاهرات، يظهر بغير مظهره أي بمظهر النساء النزيهات، إذ يقلن أن لهن أزواجا وأولادا، وأنهن إنما يسلمن أنفسهن، بعامل الحب والغرام والوجد والهيام، وأنهن لم يرتكبن هذا الخطأ إلا في هذه المرة، ثم يتممن خدع الرجال بأنهن يتوسلن إليهم، بأن لا يبوحوا بسرهن، إلى آخر ما هنالك من ضروب الخداع والنفاق.

فيصدق الرجال المخدوعون هذا الكلام، ويعتقدون صحة ما تقوله تلك العاهرات، بل هم يفتخرون بالاختلاط بهن كأن الواحد منهم قد اكتشف كنزا، وملك أمرا عزيزا.

وبما أن تلك النساء الخادعات، لا يعتنين بأنفسهن كسواهن ممن يحترفن حرفة البغاء علنا، فهن بحكم الطبيعة أقرب إلى العدوى، وأقدر على نقلها إلى كل من يقترب منهن وهم يظنون أنهم عشاق، وأنهم محبوبون معشوقون. وإذا أصيب المخدوع، وجاء يؤنب المرأة التي نقلت إليه العدوى، جاءته بألف حيلة وخدعة، وقلبت دماغه، وكذبت حسه، وأظهرت طهارتها ونقاوتها فيصدق، فما أضعف الرجل أمام المرأة، وما أصغر نفسه، وأقل إدراكه، وأخف عقله! !

١٨

مراقبة العاهرات

لا توجد في القاهرة مراقبة البوليس، ولا مراقبة الصحة، فالعاهرة حرة، تلطخ بالأمراض من أصابته، وتنقض على الناس انقضاض الوحش المفترس، ومن لم يصدق، فليمر عند منتصف الليل بشارع كامل ولا سيما تحت القناطر.

مع أن هذه العاهرات، لو أنهن ارتكبن في بلادهن ربع ما يرتكبنه هنا من مخالفة البوليس، ومخالفة قانون الصحة، لقبض عليهن سريعا، فلا تسمع بهن شفاعة، ولا يقبل رجاء، ولا تنفع رشوة، وبفضل ذلك كله، لا تجرؤ واحدة على مخالفة القانون، ومن هربت من الكشف الطبي، وضعت تحت المراقبة الشديدة على نوع أخص، فمع كل عاهر ورقة حمراء، تقضي عليها بأن تأتي إلى محل الكشف في كل أسبوع مرة، وهي فوق ذلك موضوعة تحت المراقبة الشديدة، فهذه التحوطات التي أسفرت عن نتائج حسنة جدا في أوربا لا وجود لها في القاهرة.

أما عاصية القانون: فهي العاهرة التي ترتكب خلسة واستراقا، ويعد من هذا النوع النساء المتزوجات اللائى لهن أزواج وأولاد؛ اللائى يعشن في أحضان عائلاتهن، والخياطات الفاسقات، والفاعلات، والمغنيات، والراقصات، والخادمات، وكل من كان على شاكلتهن، وارتضى الفجور والاستسلام للزنا والفسق، وبيع العرض بالمال.

فالحكومة لا تعرف هؤلاء، ولا تراقبهن، ولا تحمل منهن ورقة الكشف الطبي؛ مع أنهن لا يفرقهن عن العاهرات والبغيات فارق؛ غير أن العاهرات لا يسكن منزل العائلة، ولا يكتمن أمرهن عن الجمهور، وعن الحكومة، ومصالح الصحة، ويحملن الورقة الطبية التي تدل على احترافهن حرفة البغاء. أما تلك العاصيات فإن لهن منازل عائلية يبتن فيها، ولا يحملن ورقة الصحة. أما من حيث احتراف البغاء، والسعي وراء الرجال، واستثارة أميالهم، والتحكك بهم، فهن والعاهرات سواء، وإذا قبض البوليس على واحدة منهن وهي متلبسة بالجناية، أرسلها إلى الطبيب؛ ليكشف عليها.

ولقد قلت وأردد وأعيد الآن تكرارا: إن النسوة غير الخاضعات، هن أشد خطرا على الإنسانية من سواهن، ولا أخطئ إذا قلت: إن جميعهن مصابات بالأدواء الزهرية على اختلاف أنواعها، وثلاثة أرباعهن في حالة من الإصابة شديدة الخطر على الرجال، وشديدة العدوى لمن يختلط بهن.

وهذه المرتبة من النساء هي أيضا على نوعين: نوع عال، ونوع واطئ.

وقد لقبت مدام هنري تورو المرتبة الواطئة، بمرتبة الفعلة في هيأة الحب، وهي محتقرة مهانة، مرذولة كثيرة الخطر؛ لأنها تسلم نفسها لمن عثر عليها دون تردد، ولا إتمام نظر.

أما المرتبة العالية: فهي مع أنها محتقرة مرذولة كالمرتبة الأولى، إلا أنها أقل خطرا؛ لأنها لا تسلم نفسها إلى من عثر عليها، أو حاول التوصل إليها، ولا تطوف الشوارع للبحث عن صيد يقع في شراكها، ولكنها تتربع العربات، وتعيش عيشة الأغنياء، وتشهد التمثيل في التياترات، ولا يزيد عشاقها على اثنين أو ثلاثة؛ فلهذا لا تستطيع الواحدة منهن أن تبذر العدوى بين الجمهور، إذا كانت مصابة بالأمراض، بل إن عدواها تقتصر أو تنحصر في محبيها، ومحبو مثل هذه العاهرات هم الأغنياء وأصحاب الثروة، ولقد درج في القاهرة، أن يكون لكل شاب غني حظية أو حبيبة، حتى يكون ذلك الشاب معدودا في مصاف المتمدنين، ويؤمره اللطفاء والظرفاء من الراقين والسامين.

والواحدة منهن تقول معجبة بنفسها أنها لا تسمح لأحد بأن يدنو منها ويجامعها، إذا لم يدفع لها ٤٠ أو ٥٠ جنيها، فهن يحسبن لأنفسهن فضيلة غلو السعر، وارتفاع الأجرة، لا حفظ العرض والعفة، فمثل هذا الطلب لا يجيبه إلا العدد القليل من الجمهور، خلافا لتلك البغيات بنات السوق والشارع، فإن الواحدة منهن تسلم لأي كان عرضها، بما يكفي لدفع ثمن الخبز في يومها، أو ثمن الشرب في ليلتها.

فإذا هن تمكن من الخلاص من يد البوليس دهرا طويلا، فإن أكثرهن يقع في قبضته؛ لأن الفقر يقضي عليهن بأن يطفن الشوارع ويتحرشن بهذا وذاك، ويحرضن على الفسق والفجور كل مار، وكل سائر، فإذا نجون من يد البوليس مرة، فإنهن لا ينجون من يده كل مرة.

عدد المصابين في سنة واحدة

من أنعم النظر قليلا في حال تلك العاهرات، وكثرة عددهن، وكثرة المصابات منهن بالأمراض، وعرف أن الواحدة منهن، تسلم نفسها في كل ليلة لعدة رجال، قد يكونون سليمين من الأمراض والأدواء، عرف أن عدد الرجال الذين يصابون بأمراض أعضاء التناسل عظيم هائل، فإذا لم يصابوا يكون الفضل في ذلك للمراقبة الطبية، وللتحوطات الصحية التي تنتشل الإنسانية من هوة بعيدة القرار، وشر مستطير، لا يعرف أحد لولا وقاية الطب، ماذا يكون من ورائه على

الإنسانية كلها؟
فلهذا أرى أنه لا بد من مراقبة العاهرات في القاهرة، ولا أسلم قط بأن هذه المراقبة غير ضرورية، بل لا يمكنني أن أقتنع وأسلم بأن الخطر ليس شديدا على الإنسانية، وليس مهددا البلاد كلها.
وإذا ما خطر لي التأمل بإهمال المراقبة هنا جزعت؛ لعلمي ما وراء ذلك من الخطر، والمصاب الجليل، والضربة الشديدة.
يؤخذ من إحصاء مدينة باريز، على أن متوسط عدد النساء اللائي يقبض عليهن وهن مصابات بالأدواء هو ١١ امرأة في اليوم، من غير الخاضعات للمراقبة الطبية، فإذا حسبت هذا على دورة العام كان عدد المصابات ٣٦٠٠ مصابة أو ٤٠٠٠ مصابة، قد أخرجتهن حكومة باريز من وسط الجمهور، وحجرت عليهن وعزلتهن إلى أن يتم شفاؤهن، فإذا مكثن على معاطاة حرفتهن، ونقلن العدوى إلى شخص واحد في كل يوم، كان عدد الذين يصابون منهم في كل عام مليونا و٦٤٠ ألف رجل.
فلماذا لا تكنس شوارع مصر كما تكنس باريس من هذه العاهرات، ولماذا لا تعزل النساء الوطنيات، ولا تطرد من البلاد النساء الأجنبيات المريضات؟
بل لماذا لا تطهر شوارع المدن والحواضر من هذه المستودعات المخزونة فيها الأمراض والأوصاب، وفساد العائلات، والأجساد، والسلالة.
سؤال أردده في نفسي، ولا أجد عليه جوابا، ولكني أعرف أن آلافا من النفوس تضيع الآن ضحية الإهمال، وليس من يزع الشر أو يرد المصيبة.
***

(جناية أوربا على نفسها وعلى العالم)
أهدي إلينا هذا الكتاب أو القصة منذ أشهر، فاستكبرنا الاسم، وما بعده من الوصف وهو: (كتاب صحي عصري أدبي اجتماعي عمومي نسائي روائي)
وفهمنا من كلمة (روائي) أنه يبين فيه ما في هذه القصص، التي تسمى روايات من الجناية على الآداب، كما فهمنا من كل كلمة قبلها نحو ذلك، وعزمنا على مطالعة الكتاب قبل الكتابة عنه، فإذا هو قصة وضعية في بيان ضرر استعمال المشد الحديدي، الذي يضغط به النساء أحشاءهن. وقد أحسن واضع القصة أحمد أفندي فهمي فيما كتب، فجاء بالنزاهة والأدب في الغراميات، وأحسن في التنفير عن المشد، وكان كلامه مؤثرا يستعبر القارئ، ولكن الاسم أكبر من المسمى.

والقصة مطبوعة طبعا حسنا، وهي تطلب من مكتبة المعارف بالفجالة، فنحث القارئات قبل القارئين على مطالعتها.
***

(قاطع الحبل)

قصة من قصص (مسامرات الشعب) ، صدر منها جزءان، وهي مما اختاره للترجمة نقولا أفندي رزق الله المعروف بأدبه وحسن ذوقه في الاختيار.
***

(الريحانة)

مجلة تاريخية أدبية قصصية، تصدر في منتصف كل شهر عربي، لصاحبتها جميلة حافظ (صدر الجزء الأول منها في ١٥ المحرم، وقد جاء في فاتحته ما يأتي:

أفتتح مجلتي الريحانة بسم الله، الذي خلق الرجل والمرأة من أصل واحد، ووهبهما عقلا جوهره واحد، وسوى بينهما في الحقوق، فقال: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٢٨) وأسأله تعالى أن يوفقني إلى القيام بما عهدته إلى نفسي خير قيام.

(أمنيتي الوحيدة: أن تكون لحياتي ثمرة وغاية شريفتان في الوجود، لا أن تكون حياة خمول وكسل، تنقضي بلا ثمرة، وجودها عدم وعدمها خير) إلخ.

هذه الكلمة من الكلم الطيب، لا يتدبرها عاقل، ويأخذ على نفسه الميثاق ليعلن بها، إلا كانت حياته مباركة طيبة، وكان هو بها أسعد منه بكل ما يملك من عرض الدنيا. هذه الكلمة ترفع من تربى تربية حسنة إلى مراتب الكمال، وتكون خير مرب لمن قصر في تربيته الوالدون والمعلمون، وما كثر الذين يقدرونها قدرها في أمة من الأمم، إلا وارتقى شأنها، وصلحت حالها، وكانت من أسعد الأمم لا يفضلها إلا الأمة التي تسبقها في العمل بالكلمة. وإني لأرجو أن تكون هذه المجلة من أنفع المجلات، برعاية منشئتها لكلمتها، وعنايتها بالعمل بها. ولنا أن نعد من آيات هذه العناية، قولها في الجزء الثاني: (رأيت أن أساعد مشروع الجامعة بكل ما في وسعي، فأنا من الآن أتبرع سنويا بكل ما يزيد عن مصروف المجلة من جنيه إلى مائة، وما زاد عن المائة فيصرف في ترقية المجلة، بزيادة عدد صفحاتها، وإصدارها مرتين في الشهر بدون زيادة في قيمة الاشتراك. وهذا التبرع يبقى– إن شاء الله –ما بقيت المجلة، وبقي لها مشتركون) .

إننا لنشم من هذا القول عبير الإخلاص والصدق، ولكن رجاءنا في تحقق أمنية الكاتبة المخلصة ضعيف؛ لأنها جعلت قيمة الاشتراك ثلاثين قرشا، وهي تكاد لا تكفي لنفقات المجلة، على ما تعهد من قلة القارئات والقارئين، وكثرة مطل المشتركين، إلا أن تصادف المجلة من يقدر نية منشئتها حق قدرها، وينتدبون لمساعدتها على أمرها، وإننا ننصح لها بأن تزيد في قيمة الاشتراك الآن، فإن أهل الوفاء لا يثقل على الواحد منهم دفع عشرة قروش، أو عشرين قرشا في السنة، وأهل المطل يثقل عليهم أداء القرش الواحد، فإن لم تقبل نصيحتنا الآن، فستقبلها في يوم من الزمان.

***

(الجامعة الأسبوعية)

ارتحل فرح أفندي أنطون صاحب مجلة الجامعة الشهيرة إلى نيويورك، وجعلها مقرا له، ومصدرا للجامعة، ثم اشترك مع رشيد أفندي سمعان وهو من التجار الميالين إلى السياسة؛ في إصدار جريدة يومية باسم (الجامعة) ، واختار أن يجمعا من الجامعة اليومية أفضل مقالاتها وأخبارها كل أسبوع في نسخة أسبوعية ذات ثماني صفحات، وقد وافانا عدة نسخ من الجامعة الأسبوعية، فإذا هي من أحسن الجرائد العربية تحريرا، وأغزرها فائدة، وقيمة الاشتراك فيها عشرون فرنكا.

---

(١) الخصوف من النساء التي تلد، ولا تدخل في العاشر.

(٢) جرت المرأة ولدها وجرت به: وهو أن يجوز ولدها عن تسعة أشهر، فيجاوزها بأربعة أيام أو ثلاثة، فينضج ويتم في الرحم.

(٣) ظائرت مظائرة إذا اتخذت ظئرا، الظئر: المرضعة غير ولدها.

(٤) الأم تعجو ولدهاأي: تؤخر رضاعه عن مواقيته، ويورث ذلك ولدها وهنا.

(٥) جدع الغلام يجدع جدعا: ساء غذاؤه، والحثل أيضا سوء الرضاع، وقد أحثلته أمه؛ أي: أساءت غذاءه.

(٦) أفلت المرضع: ذهب لبنها.

(٧) حصأ الصبي من اللبن، وحصئ يحصأ، حتى امتلأ بطنه.

(٨) غثت نفسه، تغثي غثيا وغثيانا وغثيت غثي: جاشت وخبثت قال بعضهم: هو تحلب الفم فربما كان من القيء: وهو الغثيان.

(٩) ارتاح: سر ونشط.

(١٠) أي تنبت أسنانه.

(١١) المناغاة: تكليمك الصبي بما يهوي وناغت الأم صبيها: لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة.

(١٢) قصع الغلام: أبطأ شبابه وغلام قصع أي: بطيء الشباب (يعني حان وقت شبابه ولم يشب) وقصيع ومقصوع مثل: قصع، وقصع الغلام: ضربه ببسط كفه على رأسه، وقصع هامته كذلك قالوا: والذي يفعل به ذلك: لا يشب ولا يزداد، وغلام مقصوع وقصيع كادي الشباب إذا كان قميئا، لا يشب ولا يزداد، وقد قصع قصاعة.

(١٣) الرتة: حبسة في اللسان والرتة حبسة في لسان الرجل، وعجلة في كلامه.

(١٤) اللثغة: عقدة وعجز في الكلام واللثغة أن يصير الراء لاما في كلامه.

(١٥) واللكنة والحكلة: عقدة في اللسان، وعجز في الكلام والحلكة أيضا: العجمة في الكلام.

(١٦) الفأفأة: أن يتردد في الفاء.

(١٧) التمتمة: أن يتردد في التاء.

(١٨) الرأرأة: أن يتردد في الراء تكلم أو قرأ.

(١٩) اللجلجة: أن يكون فيه عي، وإدخال بعض الكلام في بعض.

(٢٠) الخنخنة: أن يتكلم من لدن أنفه ويقال: هي أن لا يبين الرجل كلامه، فيخنخن في خياشيمه.

(٢١) المقمقة: أن يتكلم من أقصى حلقة.

(٢٢) الهتهتة والهثهثة: حكاية التواء اللسان عند الكلام.

(٢٣) التعتعة والثعثعة أيضا: حكاية صوت العيي والألكن.

(٢٤) اللفف: أن يكون في اللسان ثقل وانعقاد.

(٢٥) الليغ: أن لا يبين الكلام أو يرجع الكلام إلى الياء، تأتأ تردد في التاء إذا تكلم، والاسم التأتأة، العقلة: اعتقال اللسان عن الكلام.

(٢٦) التبع: من يتبع بعض كلامه بعضا، والسريع الكلام رجل طعمطم في لسانه عجمة لا يفصح.

(٢٧) اللسن: جمع لسن، ورجل لسن أي: فصيح بليغ.

(٢٨) قيل الفرق بين البيان والتبيان: هو أن البيان عمل اللسان والتبيان عمل الجنان وقيل: إن التبيان أبلغ من البيان؛ لأن الزيادة في الحروف أعطته زيادة في المعنى.." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه

(س١٠) من ع. س. ط. في سنغافورة.

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ١٤١/١٠

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا، صاحب (المنار) المنير بمصر.

قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الأيام بين مجلة (الإمام) بسنغافورة ومن يثق بها، وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة وأرباب السلوك، وذلك بسبب السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه، ولأن المنار هنا له اعتبار عند أولي الأبصار، أحببنا أن يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جهيزة صوت كل خطيب، حيث قد امتلأت الأسماع نقيقا ، وأعمدة الجرائد سوادا ، والقلوب شبها فنؤمل بسط الجواب وبيان الحق بأدلته ودحض الشبه الباطلة ولا بد أن تكونوا قد كتبتم سابقا في هذا الصدد؛ فنرجوكم أن لا تحيلونا على ما ليس بأيدينا أثابكم الله.

أما السؤال المثير للجدال فهو: ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة النقشبندية المريدين، ومعناها أنه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد إحضار صورة الشيخ في قلب المريد ، ثم يشرع في الذكر مع حضورها ويتركه إذا غفل عنها؛ لأنه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المريد لخلو قلبه من صورة الشيخ، وأن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ (آل عمران: ٢٠٠) دليل لهم وقوله تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ (المائدة: ٣٥) أمر بها، أي مع التفسير المذكور إلى نحو ذلك، وجاء في سؤال آخر إلى مجلة الإمام: إن من حق الشيخ أن يمنع المريد عن إجابة أبيه وأمه المسلمين إذا نادياه ، ولو كان في النزع، وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس، وقد وقع ذلك هنا ومات المريض حزينا. ويقولون: إن الشيخ يربي التلميذ بذلك.

ومن السؤال أيضا قولهم: يجب على التلميذ متابعة شيخه بدون سؤال أو تردد ولا يجوز له أن يعترض على شيخه ولو رآه على فاحشة؛ لأنه كالنبي المرسل بالنسبة إليه ولا ينكر عليه ولا بقلبه وإن عقوبة الإنكار حينئذ الحرمان، وأوجبوا على المريد أن يعتقد أنه لا يمكن أن يصل إليه مدد ولا خير من ربه إلا بواسطة الشيخ؛ لأنه الوسيلة له. وللشيخ محلات للسلوك والتلقين يحشر إليها جملة من الرجال الشبان والنساء الشواب يجتمعون بها من غير محرمية، بل جلهم جهال بالواجبات العينية، وإن الذكر وحده كاف للوصول والقرب من الله ولو ترك أكثر الفروض العينية. وقد أجابتهم مجلة الإمام بالمنع في الجميع، وأن تلك المبادئ مما تبع ضلال الأمة فيها من قبلهم من الأمم، وإن بعضها فيه ميل إلى جانب الشرك، وقد نقل الإمام ما قاله المفسرون في الرباط الشرعي والوسيلة الشرعية ، وجزم بأن

عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله، وأن من زاد فيها كمن نقص منها، مبتدع مردود عليه قوله، وأن الرابطة بالمعنى المذكور في السؤال لم يعلمها النبي أحدا من أصحابه ، ولا علمها الصحابة أحدا من التابعين، وأن تطهير القلوب من الصور والتماثيل ليس بأولى من تطهير محلات العبادة منها. وأنه يحرم متابعة الشيخ فيما نهى الله عنه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن شرع للعباد ما لم يأذن به الله فهو ضال مضل، وأن أعظم مرشد وأعلم طبيب ديني هو نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وقد أكمل الله به الدين، فلا دواء ديني نافع إلا وقد بينه لنا، ومن لم تشف أمراض قلبه أدوية القرآن لا شفى الله مرضه، وأن النبي أرشدنا إلى دواء الوسواس، وهو ذكر الله ليخنس الشيطان، فمن لم يخنس شيطان وساوسه بذكر الله فهو الكاذب ، ومستحيل أن يخنس لحضور صورة شيطان مثله في قلب موسوس متهوس ، وما في السؤال من الآداب هو ضد الأدب في الإسلام ، ولم يؤدبنا به النبي ، ولم يعمل به الصحابة، فعلى طالب الحق أن يلزم هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويجتنب البدع إلى نحو ذلك.

واعترض أهل الطريقة بزعمهم أن الجنيد والجيلاني وأضرابهما أوجدوا الرابطة بمعناها المشروح أعلاه ، وإلزام المريد بما ذكر من الشروط، وأن لا يمنع المريد الشيخ أي شيء أراده من نفسه أو ماله سواء كان ذكرا أم أنثى، وأن الإمام وأصحابه خرجوا عن الدين ومرقوا منه بإنكارهم إلى نحو ذلك.

وإنا نسأل من المنار المنير إبداء ما يراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي، فإنا إلى ذلك محتاجون، نعد الأيام والساعات، والله المسئول أن يديمكم نفعا للعباد وشجى في حلوق أهل البدع والإلحاد آمين.

... ... ع. س. ط

***

(س١١) من س. س. في (كوالا لمغور) في جنوب ميلاي.

سيدي، تصدر في سنغافورة مجلة علمية ملية بلغة الملايو، اسمها (الإمام) يكتب فيها بعض رجال الإصلاح ، ومحررها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه، وهو من خيرة شبان هذه البلاد علما وعملا، اشتهر أخيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين.

وفي المجلة باب للفتوى، وقد سئل منذ أشهر عن الرابطة المعروفة عند أهل الطريقة النقشبندية، وهي إحضار المريد صورة الشيخ في القلب عند الذكر،

وبربطه من جملة الإرادة التامة ، واستفادة علم الواقعات حتى يفنى تصرفه في تصرف الشيخ أخذا من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ (المائدة: ٣٥) . وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (آل عمران: ٢٠٠) . وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (التوبة: ١١٩) . فأفتى الإمام بأن الآمرين بفعل هذه الرابطة والعاملين بها ليس لهم مستند من الكتاب أو السنة. وأن الآيات التي جعلوها سندا لهم لا تدل على مرادهم ألبتة. ثم أورد أقوال المفسرين كالخازن والجلالين في الآيات المذكورة ، إلخ ما جاء في الجواب. ثم قال: إذا فإحضار المريد صورة الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله. وهذا ما جاء الإسلام لمحوه، أو ما معناه. ثم أنحى على أهل الطرق الآن ، ونسب كثيرا منهم للدجل والتضليل، وأورد لنفي الرابطة آيتين آية: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ (النساء: ٣٦) وآية: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ (البينة: ٥) .ا. هـ بالمعنى.

فلما نشرت هذه الفتوى وهاته التصريحات التي لم يعهد لأحد من قبل هذا الشاب التصريح بها، قامت قيامة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ، ونسبوا للإمام ومحرره تضليل عباد الله الصالحين ، وأوهموا العامة أن الإمام يسعى في هدم المعتقدات ، وهم إلى الآن يحرضون العامة بهجر الإمام وعدم الاطلاع فيه. أما الحقير وكثير من متخرجي المدارس الأميرية فبقينا متوقفين حتى يأتينا من عند الأستاذ بيان شاف في هذه المسألة التي نعلم ويعلم الكثير أن لكم القدح المعلى في حلها والله يبقيكم لنا.

(ج) لو قلت: إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسألة لرجوت أن أكون صادقا، وإذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يذعن له كل عاقل منصف، ذلك بأنني قد سلكت الطريقة النقشبندية، وعرفت الخفي والأخفى من لطائفها وأسرارها، وخضت بحر التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تقذف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت في الدين، إلى مذهب السلف الصالحين، وعلمت أن كل ما خالفه فهو ضلال مبين.

وأمهد للفصل في المسألة تمهيدا يقرب المراد من طالب الحق، فأقول:

قد عرفنا من طباع البشر وأخلاقهم أن يألفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأنسوا به، فإذا وجدوا لهم مخالفا فيه تعصبوا له ، ووجهوا قواهم إلى استنباط ما يؤيده

ويثبته ويدفع عنه هجمات المخالفين لهم فيه، لا يلتفتون في ذلك إلى تحري الحق واستبانة الصواب فيما تنازعوا فيه. ولولا فشو هذا الخلق في الناس لما بقيت الأديان والمذاهب والأحزاب والشيع ، والحق في كل منها واحد لا تعدد فيه.

ثم إن من أخلاق البشر أيضا أن لا يجتمعوا على شيء إلا إذا اعتقدوا أن فيه خيرا لهم، وقد يكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال أو تجربة واختبار وللبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكمال.

على هاتين القاعدتين بني التعصب للمذاهب والطرق في جميع الملل، وعليه يتخرج أخذ كثير من أهل الصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة النقشبندية وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في غيرها من الطرق ، وبكثير من القواعد والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاءوا بما لم يكن عليه السلف الصالح.

يذهب الرجل المشهور بالصلاح أو العلم إلى شيء يظهر له بحسب اجتهاده أنه حق أو خير فيتبعه آخرون عن استحسان لما استحسنه ، ومعرفة بدليله أو عن محض التقليد، فإذا خالفهم غيرهم فيه عدوهم منتقصين لهم تعصبا لما هم عليه ، فيقوى الخلاف ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، وهم الذين يحكمون الدليل ويتحرون به استبانة الحق، فإذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه أتوا إليه مذعنين، وقبلوه راضين مطمئنين.

إذا تدبرت هذا فاعلم أن أئمة الصوفية وكبراءهم ما وضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المسلك طاعة عمياء مطلقة حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الأصول والقواعد إلا عن علم وتجربة واختبار وصلوا بها إلى مرتبة اليقين بأن ذلك مفيد لهم وموصل إلى الغاية التي يقصدونها بطريقتهم. وأعني بالعلم هنا علم النفس من حيث إدراكها وشعورها ووجدانها وصفاتها وأخلاقها. وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات وبنوا علمهم الإلهي عليها ، وكل منهما إذا وجد في علمه ما يخالف ظواهر الشرع لجأ إلى التطبيق بالتأويل والتماس ما يؤيده من القرآن العزيز والحديث الشريف، وقد يتمحل لذلك ويتكلف إذا اعترض عليه. كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا أن الأفلاك التسعة في الهيئة اليونانية هي: السموات ، والكرسي ، والعرش ، وكذلك فعل بعض أهل الطريق فيما ذكر في السؤال ، وما لم يذكر فيه من تأويل الآيات التي زعموا أنها تدل على مشروعية ما يسمونه الرابطة والتوجه ، ولا دليل في شيء منها على ذلك.

لو كان في الشرع دليل على أن ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة
والتابعين، بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمل به ، وتواتر عنه؛ لأنه
مما يتعلق بجوهر الدين، وهو عبادة الله ومعرفته، فلا يقاس على ما يمكن أن
يستنبط من القرآن من أسرار الكون التي لم تؤثر عن الصدر الأول.

قال السيد الآلوسي النقشبندي في باب الإشارة من تفسير سورة الجمعة: وذكر بعضهم أن قوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾ (الجمعة: ٢) بعد قوله سبحانه: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ (الجمعة: ٢) إشارة إلى الإفاضة القلبية بعد الإشارة إلى الإفاضة القلبية اللسانية، وقال بحصولها للأولياء المرشدين: فيزكون مريدهم بإفاضة الأنوار على قلوبهم، حتى تخلص قلوبهم وتزكو نفوسهم، وهو سر ما يقال له التوحيد عند السادة النقشبندية، وقالوا بالرابطة ليتهيأ ببركتها القلب لما يفاض عليه، ولا أعلم لثبوت ذلك دليلا يعول عليه عن الشارع الأعظم، صلى الله عليه وسلم، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم، وكل ما يذكرونه في هذه المسألة ويعدونه دليلا لا يخلو من قادح، بل أكثر تمسكاتهم فيها تشبه التمسك بجبال القمر، ولولا خوف الإطناب لذكرتها مع ما فيها.

ومع هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين – التوجه والرابطة – وقد شاهدت ذلك
من فضل الله عز وجل. وأيضا لا أدعي الجزم بعدم دليل في نفس الأمر ، وفوق
كل ذي علم عليم، ولعل أول من أرشد إليهما من السادة وجد فيهما ما يعول عليه،
أو يقال يكفي للعمل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم، وإن كان
للبحث فيه مجال، ولأرباب القال في أمره مقال. ا. هـ

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع ، الواقف على ما قال أنصار هذه
الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لهما على دليل، ولم يرضه
شيء مما قيل، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين، وأرضاه
ما وجد لهما من الأثر في قلبه، وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين، فإنني قد وجدت
أثر الرابطة والتوجه في نفسي: رأيت ما لم يره معي الناظرون، وسمعت ما لم
يسمعه مثلي المصغون، وشممت ما لم يكن يشم الحاضرون، ولا أحب شرح ذلك
في المنار ولا الخوض في علله وأسبابه، وما ذكرت هذه الإشارة إلا ليعلم السالكون
لهذه الطريقة بالفعل أنني لست منها كما **يقال في المثل**: (من جهل شيئا عاداه)
وإنما أتكلم فيها عن عرفان، وأحكم فيها بسلطان.

أقول: إن التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء، ولا يجوز أن يعدا من
العبادة المشروعة في الإسلام، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بهما،
وإنما أخشى أن يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة تقلدا من غير علم بالشرع،

وعرفان بحقيقة النفس، أقرب إلى الوثنية منهم إلى التوحيد، فيما يكون بين الشيخ والمريد، بل أجزم بأن من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي، وإن كنت لا أجيز رمي شخص معين به.

يمكن للمريد العارف بعقيدة الإسلام أن يجمع بين التوحيد وبين تخيل شيخه عند ذكر الله عز وجل ، بأن يتخيل أنه جالس في حضرته يراقب أدبه وحضور قلبه في ذكره، كما يذكر الله أو يقرأ القرآن أو العلم بحضرته، وهو يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد بقبيل العمل، وإنما يصمد في ذلك إلى الله تعالى وحده. فمثل هذا لا يعد مشركا لشيخه مع ربه، وهو لا يشغله تخيله لشيخه عن ذكره، إذ لا يستصحب الصورة المتخيلة عند تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مريده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغله وجوده عن فهم ما يقرأ. ومع هذا لا يجوز له أن يحكم بأن هذا الأمر مطلوب في الشرع، بل يكتفي بأن ينتفع بما جربه من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع.

وأما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ، فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون أن لشيوخهم سلطة غيبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق ، وأنهم بذلك وسطاء بين الله وخلقه، يقربونهم إليه زلفى إذا أرادوا، كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها. على أن للمسألة أصلا يعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المفتونين عن تجربة ووجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشريعة، ويعلم العارف المحقق أنه لا خلاف في الفعل، ولا منشأ للضلال إلا الجهل.

قد جرب أهل الطريقة أن يتوجهوا بهمتهم وإرادتهم إلى بعض شيوخهم الصالحين أو إلى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين أن تتصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة ما ، فيجدوا لذلك في نفوسهم أثرا حقيقيا لا يمكن لأحد أن يكابرهم فيه كما لا يكابر أحد ، ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الغم والحزن. فإذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشريعة: إنه مخالف لها، فإنه يشك في حقية الشريعة ولا يشك فيما هو فيه إلا أن يجمع له بينهما. ولمثل ذلك قالوا: إن سالك الطريق عرضة للزيغ والكفر إذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع ، فيبين له في مثل هذه المسألة أن هذا الأثر الذي يراه في نفسه من التوجه هو أثر طبيعي له ، ليس من الخوارق ، ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون إلا لله وحده ، وإذا رآه مرتقيا في سلوكه يبين له أن براهمة الهند يعرفون

التوجه والرابطة ، ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية، التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص الروحانية، ولكنهم في توجههم ورابطتهم دون السادة الصوفية، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها، وهما عند الصوفية من الوسائل التي يعرفون بها نفوسهم، ويعرجون منها إلى أن يصلوا إلى معرفة ربهم، فالاشتغال بهما كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبخار والكهرباء والضوء، فإن كان يقصد بذلك معرفة هذه الأشياء لذاتها مما ينتفع به في هذه الحياة المادية، كان مثله كمثل البرهمي في التوجه والرابطة، لا يزيد عن كونه عالما ماديا، وإن كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه وأسراره في خلقه كان مثله كمثل الصوفي في التوجه والرابطة ، وصار عالما ربانيا، فالأمور بالمقاصد والإرادات، كما بينا ذلك في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات.

إذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو العارفين من الصوفية تبين لك أن مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس ، وليست بحد ذاتها من الدين، فيستدل عليها بالآيات والأحاديث، وإن علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالإرادة طريقا لمعرفة الله تعالى، وبالقصد والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك. والأصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط﴾ (فصلت: ٥٣-٥٤) ، ولما كان محيطا بكل شيء كانت معرفة غاية كل شيء موصلة إليه إذا قصد بها ذلك. ولذلك قالوا إن لله طرائق، بعد أنفاس الخلائق.

وههنا ثلاث مسائل لا بد من التصريح بها وإيضاحها إيضاحا لا لبس فيه.

(إحداها) أن كل علم حقيقي يمكن أن يكون عبادة محمودة في الإسلام إذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه، وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الأذى عن عباد الله وإيصال الخير إليهم. ولكن العبادة في ذلك قلبية لا صورية ، فلا يقال: إن علم الضوء والكهرباء وعمل الأدوية وصنع الآلات مما يكون مع حسن النية من العبادات المشروعة في ذاتها التي تلتمس لها الدلائل من الكتاب والسنة. ومثلهما في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة.

(المسألة الثانية) أن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم ، أو مضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف

وما عدا ذلك فهو بدعة، والبدعة في الدين لا تكون إلا ضلالة كما ورد في الحديث، وأما البدعة التي تعتريها الأحكام. ويقال: إن منها ما هو حلال وما هو حرام، فهي البدعة في أمور الدنيا، علومها وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم: (من سن سنة حسنة فله أجرها) ، إلخ.

(المسألة الثالثة) أن جميع ما يبتدعه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والتربية والأعمال يشترط في جوازه أن لا يكون مخالفا لما هو مقطوع به من أمور الدين. فإذا فرضنا أن التوجه والرابطة ينافيان ما هو مقطوع به في الإسلام، فإنه لا يحل للمسلم العمل بهما. وقد علمت أنهما يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل المقلد.

ومن هذه المسألة أنتقل بك إلى القسم الثاني من الاستفتاء، وهو ما يفرضون من طاعة المريد لشيخه ولو في المعصية، وعدم إنكاره عليه وإن فعل المنكر، واعتقاد أنه لا يقبل له عمل ولا يصل إليه خير إلا بواسطته، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه إلى سؤال ولا جواب، فإن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ، ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة، يحكم الفقهاء بردة منكره ، ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم، بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة ، أو أعمال الدنيا، كالحرب وتدبيرها حتى يفسرها لهم ، ويفرق بين ما هو عن وحي وما هو عن سهو أو اجتهاد غيره أفضل منه.

والصوفية المحققون لا يشترطون على المريد إلا حسن الظن بشيخه، والأدب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو المقلدين، أو من دسائس الشياطين، ولا يقولون: إن عبادته لا تقبل ولا يصل إليه خير من ربه إلا بواسطة شيخه، بل يقولون: إنه لا يصل إلى المقصد من سلوكه إلا بتربية شيخه، وهذا صحيح في الغالب.

وأما ما احتجوا به على مجلة (الإمام) من (أن الجنيد والجيلاني وأضرابهما أوجبوا الرابطة) فهو بديهي البطلان عند كل أحد يعرف ما هو الإسلام، إذ من المقرر أنه ليس لأحد أن يوجب على عباد الله أمرا دينيا إلا رسل الله بإذن الله ، وهذا الغلو في إجلال المشهورين هو سبب التقليد منشأ فساد كل دين.

وإذا كانت المسألة بديهية عند كل من يعرف الإسلام، فهي من أعظم المشكلات عند جهلة العوام، لأن الكثيرين منهم لا يعرفون من الإسلام شيئا له سلطان على نفوسهم إلا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ، ولا علاج لهؤلاء إلا

تعليمهم ما هو الإسلام مع الحكمة ، التي يجمع فيها بين بيان الحق وبين الأدب عند ذكر أهل العلم والتقوى، وبيان أنهم غير معصومين من الخطأ، وأن كثيرا مما ينقل عنهم لا تصح نسبته إليهم، وأن أفضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم إذا كان مخالفا للشرع، لا مخالفة الشرع إذا ادعى بعض الناس أنهم خالفوه، فإن ذلك تقديم لهم على الله ورسوله، ثم تحسين الظن بنيتهم وقصدهم فيما أخطأ اجتهادهم فيه، وأن المجتهد المخطئ منهم يؤجر على اجتهاده، ولكن لا يتابع عليه.

وإنني أذكر شاهدا واحدا من خطأ أئمة الصوفية والعلماء في اجتهادهم المتعلق بالتصوف وهو خطأ الإمام الغزالي – الذي صرحت غير مرة بأن كتابه الإحياء كان أستاذي الأول الذي حبب إلي العلم والتصوف – ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غبارا من الشيوخ الصالحين المشهورين، ومنه يعلم أن كل اجتهاد خالف الكتاب والسنة فليس من الدين.

كان الغزالي في سياحاته أيام تصوفه يزور المشاهد، وقال: إن قبور الأنبياء والصالحين تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة وللتبرك، فزاد على ما ورد في حديث الإذن بزيارة القبور ما سماه التبرك. ويعني به ما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند زيارة المشاهد من الخشوع، والحال التي تزيده رغبة في الآخرة وإعراضا عن الدنيا. واستدل على مشروعية هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالرابطة التي نحن بصدد البحث فيها بحديث: (من بورك له في شيء فليلزمه) ، كأنه يقول: إننا وجدنا لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا، ووجد أن الدين في قلوبنا، وذلك هو البركة، لأن معناها الزيادة، وقد أمرنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا، فنحن عاملون بأمره في ذلك.

الخطأ في هذا من وجهين (أحدهما) أن الكلية ممنوعة، فإننا لو جعلنا للأنبياء والصالحين صورا وتماثيل تمثل لناظرها هيآتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين إليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرفة ، كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل، وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتماثيل في كنائسهم، والغزالي لا يجيز هذا في الإسلام، ومثله بناء المشاهد للصالحين ، وتشريف قبورهم ، واتخاذ المساجد عليها نهي عنه كما نهي عن الصور والتماثيل ، فثبت أنه لا يجوز لنا أن نحدث في الدين ما ليس منه، وإن كان إحداثه لغرض صحيح وقصد حسن، بل نتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة، وجرى عليه سلف الأمة، ونجعل اجتهادنا في اختيار النافع لنا محصورا فيما فوض إلينا من

الاستقلال بأمور دنيانا.

(والوجه الثاني) أن الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمر الدنيا دون ما استدل به عليه من جعله في أمر الدين. إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الألسنة ولم يروه به أحد. وما ذكره السيوطي في الدرر المنتثرة من عزوه إلى ابن ماجه بعد إيراده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره، وإنما مراده أن ابن ماجه رواه بالمعنى، وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير ، وهو (من أصاب من شيء فليلزمه) ، وقال: إنه رواه عن أنس وعائشة. أقول: وقد أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير، ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو (عن نافع قال: كنت أجهز إلى الشام وإلى مصر فجهزت إلى العراق ، فأتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها: يا أم المؤمنين ، كنت أجهز إلى الشام فجهزت إلى العراق، فقالت: لا تفعل ما لك ولمتجرك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له) تقول له: ما لك ولمتجرك القديم الذي تعودت الربح منه حتى تتركه وتقدم على ما تجهله؟ الزم ما رأيت الربح فيه. ومعلوم أن الأوامر والنواهي المتعلقة بأمر الدنيا كهذا الأمر لا يعد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعا، وإنما يسميه علماء الأصول أمر إرشاد يعتبر به ويعرض على المصلحة.

ولا يقال: إن حديث أنس عام؛ لأن عمومه في بابه على أنه روي بلفظ (من أصاب مالا من شيء) كما هو ظاهر حاشية ابن ماجه، ولأن هناك دليلا يمنع جريانه في أمر الدين ، وهو ما ذكرناه في الوجه الأول. على أن في سنده فروة أبا يونس عن هلال. قال الذهبي في الميزان: مختلف فيه ، ليس بقوي ، وقد ضعفه الأزدي. ولم يكن الغزالي في أيام تصوفه ، وزمن تأليفه الإحياء يبحث عن علل الحديث، وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية، ولذلك وقع في الإحياء كثير من الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة. وقد عكف على الحديث ، واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره، وإن اهتدى إلى حقية مذهب السلف قبل الانقطاع إلى الحديث.

وإذا كنا معشر المسلمين نعتقد أن الأولياء والصوفية غير معصومين من الخطأ، وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم ونراهم يخالف بعضهم بعضا، ويرد بعضهم على بعض، فهل يصح أن نجعل أقوالهم وأعمالهم أصلا من أصول

الدين.

وخلاصة القول أن التوجه والرابطة ليسا من عبادات الإسلام ولا دليل فيه
على كونهما مشروعين، ومن جعلهما عبادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد
الذين قال الله فيهم: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ (الشورى: ٢١) ، وقوله في بيان أصول
المحرمات: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف: ٣٣) وإن أئمة الصوفية
المحققين لا يجعلونهما من الدين، وإنما يجعلهما بعضهم من وسائل معرفة النفس،
فهما عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لما يسمونه استحضار الأرواح، وفي
كل منهما لا بد من الواسطة، وإن المقلدين في الطريقة النقشبندية وغيرها عرضة
للضلال والشرك الجلي أو الخفي إذا تمسكوا بهذه الظواهر التي لا يعرفون مراد
العارفين بها؛ فيجب عليهم اتقاء ذلك ، وإحكام عقيدة التوحيد التي منها أن الشيوخ
والأولياء بل والأنبياء لا يملكون لأنفسهم ولا للناس ضرا ولا نفعا ولا هداية ولا
غيرها، كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة، وأن يحسنوا الظن بمن قال
بالرابطة من الصالحين، وقد بينا مرادهم عن علم وعرفان، وهو سر من أسرار
التصوف أفشيناه للضرورة والإرشاد، وأن يعتقد مع تحسين الظن بهم أنهم ليسوا
حجة في الدين، وأنهم لا يطاعون في معصية الله. ومن أراد أن يزداد نورا في هذه
المباحث فلينتظر جزء الترجمة من تاريخ الأستاذ الإمام، فإن فيه بيانا لا يجده في
كتاب.

________." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

____

التربية

ووجه الحاجة إليها وتقاسيمها

(والكلام على تربية الأمم والإسلام ، والتربية الدينية والإسلام ، وتربية الإرادة)

(خطبة ارتجالية ألقيت في مدرسة العلوم الكلية بعليكره)

أيها النواب الجليل، أيها الأساتذة والوجوه الأجلاء، والطلاب النجباء:

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٥٠٤/١١

شرفتموني بدعوتكم إياي إلى الخطابة فيكم، فلم أر بدا من إجابة دعوتكم والشكر لكم، وقد اخترت أن يكون كلامي في التربية التي هي من علمكم وعملكم، وإن كنت في ذلك كمن ينقل التمر إلى البصرة – كما **يقال في المثل** – ولو شئت لتكلمت في موضوع ليس لكم فيه علم تفصيلي كحالة المسلمين في بلادنا، ولكن بحث التربية أهم والحاجة إليه أشد، فرأيت أن أعرض على مسامعكم شيئا من رأيي فيه؛ لأنني أشتغل به علما وعملا كما تشتغلون، فإن وافق رأيكم حمدت الله تعالى على اتفاقنا في هذا الشأن العظيم على بعد الدار، واختلاف اللسان، وإن خالفه رجوت أن تنبهوني وتبينوا لي ما ترون أنه الصواب فأستفيد من علم إخواني وتجاربهم ما أنا في أشد الحاجة إليه، والحقيقة بنت البحث كما يقولون.

تنقسم مباحث التربية إلى عدة أقسام باعتبارات مختلفة، فمن ذلك انقسامها بحسب الموضوع إلى: تربية الجسد، وتربية النفس، وتربية العقل. ومنه انقسامها بحسب الموضع إلى: تربية المنزل، وتربية المدرسة. وانقسامها بحسب المربي إلى: تربية الأم والأب للولد، وتربية الأستاذين للتلاميذ، وتربية المرء لنفسه. وانقسامها بحسب المربى إلى: تربية الأفراد وتربية الأمم ، وهنالك أقسام أخرى أصلية أو فرعية كبحث التربية الدينية ونسبة المسلمين فيها إلى غيرهم من أهل الملل، وبحث تربية استقلال الفكر والإرادة وهو من فروع تربية العقل وتربية النفس.

أما وجه الحاجة إلى التربية فلا أراني في حاجة إلى الإفاضة فيه لأجل الإقناع به ، فإن هذا قد صار عند أمثالكم من قبيل البديهيات التي لا نزاع فيها، وإنما أذكركم ببعض آيات القرآن الحكيم في ذلك للتذكير بهدايته العليا وموافقته لما يدل عليه العقل والتجارب، وتقتضيه طبيعة الاجتماع البشري.

قال الله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل: ٧٨) : يعني أن الله تعالى خلق كل فرد من أفراد الإنسان جاهلا لا يعلم شيئا مما يحتاج إليه لإقامة بناء حياته الشخصية والنوعية ، فكان في مبدأ خلقه وأول نشأته دون سائر أنواع الحيوان التي يخلقها الله تعالى عالمة بما تحتاج إليه بالفطرة متوجهة إليه بالطبع، ولذا قال تعالى في آية أخرى: (وخلق الإنسان ضعيفا) ، فالإنسان من هذه الجهة أضعف من الحيوانات حتى ما كانت بنيتها منها أضعف من بنيته، ولكن الله تعالى أعطاه من

المواهب والقوى ما إن استعمله فيما خلق لأجله كان أقوى المخلوقات في هذه
الأرض ، يسخر الحيوانات القوية لمنفعته ، ويستخدم قوى الطبيعة في أعماله،
وبهذا كان في مجموعه خليفة لله في أرضه، يظهر أسرار خلقه وسننه الحكيمة
فيها، وقال تعالى في خلقه بهذه المزايا: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤) ، وهو لا يرتقي في معارج
الكمال بمزاياه إلا بشكر الله تعالى على
نعمة الحواس والمشاعر الظاهرة، والعقول والوجدانات الباطنة، وعبر عنها بالأفئدة
في الآية حسب استعمال العرب، وإنما الشكر عليها هو استعمالها فيما خلقت لأجله
من تحصيل العلم بالمنافع والمضار والمصالح والمفاسد لأجل العمل بما تقتضيه
الفطرة من اجتناب المضرة والمفسدة، واختيار المنفعة والمصلحة، على بصيرة
وعلم.
العبرة في الآية أن الشكر من أعمال الإنسان الاختيارية، لا من المواهب
الفطرية، وقد أرشدنا القرآن، ودلنا العلم والاختبار على أن الإنسان يستفيد من
حواسه وعقله بقدر تعاون أفراده على ذلك بالبحث والعمل واستفادة المتأخرين مما
وصل إليه علم من قبلهم واختبارهم ، حتى لا يضطر كل منهم إلى استئناف
الاختبار لكل ما يحتاج إليه من الضروريات، فلا يفرغ حينئذ أحد منهم إلى الترقي
في معارج الكماليات.
وجملة القول في هذه المسألة: أن الله تعالى وهب الإنسان المشاعر والمدارك
الظاهرة: كالسمع والبصر والباطنة: كالعقل والوجدان، وجعلها آلات له يرتقي بها
إلى ما هو مستعد له من الكمال، ووكله في ذلك إلى نفسه، وناط سعادته أو شقاوته
بعلمه وعمله، فكان محتاجا بمقتضى فطرته إلى أن يقوم بعض أفراده بتربية
الآخرين وتعليمهم حتى لا يطول عليهم أمد الجهل، والخطأ في العمل، وإنما يكمل
ذلك بجعل التربية والتعليم فنين ينفرد بهما من يتقنونهما.
كما أنعم الله تعالى على أفراد الناس بالحواس والعقول، أنعم على جملتهم بعلم
آخر أعلى من العلوم التي يستفيدها كل فرد بكسب وبحثه، وهو الوحي الذي أيد به
رجالا منهم بإفاضته عليهم من لدنه بغير كسب ولا بحث، فكان كالعقل للنوع – كما
قال الأستاذ الإمام – ولولاه لما ارتقى البشر إلا في الزمن الطويل، بالسير الناقص
البطيء، ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ (البقرة: ٢١٣) .
هذه إشارة إلى ما تقتضيه فطرة البشر من الحاجة إلى التربية والتعليم، نقرنها
بإشارة أخرى إلى مكانة التربية والتعليم من دين الفطرة الذي ختم الله به الأديان،

وهو دين الإسلام، وأكتفي في بيان هذا بقوله تعالى في سورة الجمعة:
﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين *﴾ (الجمعة: ٢-٣) وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة: ١٥١) ، فقد بين الله تعالى أنه أرسل رسوله ليكون مربيا معلما، فإن التزكية هي التربية الفضلى التي تكون بها نفس الإنسان زكية كريمة متحلية بالفضائل، مطهرة من الرذائل، والكتاب مصدر بمعنى الكتابة: أي يعلمهم أن يكونوا كاتبين لما يعلمونه؛ ليحفظ وينتشر، وأن يكونوا حكماء عارفين بالعلوم النافعة التي ترتقي بها أفرادهم وجماعتهم، وليس وراء هذا التعليم وتلك التربية غاية، إلا ما يترتب على الكمال فيها من سعادة الدنيا والإخرة.

***

تربية الأمم ورسالة
خاتم النبيين

أنتقل من هذه المسألة إلى كلمة أقولها في تربية الأمم وهي من أقسام التربية التي بينتها في بدء الكلام فأقول: المراد بتربية الأمم إحداث انقلاب عام فيها ونقلها من طور إلى طور أعلى منه وأرقى في الحياة المادية والمعنوية، وهذا العمل هو أشق الأعمال البشرية وأرقاها، وهو يتوقف على علم صحيح واسع يقل في الناس من يتقنه، وعلى بصيرة نافذة يندر في البشر من يؤتاها، وعلى أعوان كثيرين من أهل هذه البصيرة والعلم يعملون بالتعاون والإخلاص، وما كل عليم بصير يتقن العمل بعلمه ويفلح فيه، وإن كان عمله دون إصلاح أحوال الأمم، وتغيير أحوالها الاجتماعية، وإنما تتغير أطوار الأمم عادة بالتدرج البطيء في الزمن الطويل.
إن علوم الاجتماع البشري والأخلاق وطبائع الأمم والسياسة والتربية وغيرها من العلوم التي يحتاج إلى معرفتها رجال الإصلاح الذين يربون الأمم، قد صارت مدونة تدرس في معاهد العلم ، وهي مقتبسة من كتب الأديان ومن التواريخ والتجارب، والمتقنون لها في الشعوب المرتقية كثيرون في أنفسهم وإن كانوا أقل من المتفنين لغيرها، ولكن لا يوجد فيهم من يقدر على إحداث انقلاب سريع أو تغيير في أحوال أمة من الأمم البدوية دع الأمم الحضرية، وإنما يحاولون مثل هذا التغيير بإنشاء المدارس الكثيرة وتعميم التربية والتعليم، وتعاقب القائمين بذلك عدة

أجيال.
إذا تصفحنا تاريخ البشر رأينا أن أبدع مثال وأغرب صورة من مثل تربية الأمم وصورها هو ما كان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: أمي نشأ لم يقرأ كتابا، ولم يمسك بيده قلما، بل لم يكن يوجد في بلده الذي نشأ فيه كتاب يقرأ (بالمعنى الذي يفهم الآن من كلمته كتاب) وهو مجموعة صحف كتب فيها كثير من المسائل) وقال بعض المؤرخين: إنه لم يكن يوجد في مكة قبل بعثته أحد يعرف الخط إلا ستة رجال ما تعلموه في مدرسة، ولا قرأوا به علما، وإنما ألجأتهم الضرورة إلى ذلك بالاتجار، ومخالطة بعض الشعوب في الأسفار، نبي هذا شأنه وشأن قومه في الأمية، والبعد عن أسباب العلم والحضارة، نهض بتربيتهم وهو في سن الكهولة، فتم التغيير والتبديل قبل انقراض الجيل بهداية هذا القرآن الحكيم، وتربية هذا النبي الأمي العظيم، ثم حمل هذه الهداية الذين تربوا بها في الكبر، إلى أهل الحضارة والبداوة من شعوب البشر، فما دخلوا قطرا من الأقطار محاربين أو مسالمين، إلا وجذبوا أهله إلى دينهم ولغتهم من غير مدارس تنشأ، ولا كتب تقرأ، ولا مجالس للجدال تعقد، ولا أموال ولا منافع تبذل، ولا سيف للإكراه على الدين يستل، وإنما كانت سيرتهم الطاهرة وآدابهم العالية هي التي تجذب الأمم إليهم، وتقسر سرائرها على الاقتداء بهم، وتقود عقولها إلى الدخول في زمرتهم، وقد شهد لهم ولمن تبعهم من بعدهم علماء الإفرنج المنصفون ومؤرخوهم المحققون، قال الحكيم الفرنسي غوستاف لوبون صاحب كتاب (حضارة العرب) : ما عرف التاريخ فاتحا أرحم ولا أعدل من العرب.

وقد بينت كيفية نشأة الإسلام وانتشاره في خطبتي الختامية لاحتفال ندوة العلماء.

أريد بذكر هذا المثال الخارق للعادة من تربية الأمم أن أذكر لكم آية على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم تفوق جميع ما أوتي النبيون من الآيات التي لأجلها آمن بهم الناس، فإنها آية علمية عملية، تدل على التأييد الإلهي دلالة عقلية حسية، وأما نحو قلب العصا حية وإبراء الأعمى والأبرص فليست دلالة على النبوة من هذا القبيل، وقد آمن بسببها من آمن من الناس؛ لأنهم اعتادوا أن يخضعوا لمن يظهر على يديه أمر يعلو قدرتهم، لاعتقادهم أن ذلك لا يكون إلا من القدرة الإلهية، والسلطة الغيبية، وكانوا بذلك يقبلون هداية الأنبياء عليهم السلام فيحصل المقصود من بعثتهم ، وقد ضرب أبو حامد الغزالي في كتابه (القسطاس المستقيم) مثلا

للفرق بين الآية العلمية التي هي العمدة والأصل في الدلالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم والآيات الكونية التي كان يحتج بها الأنبياء السابقون عليهم السلام فقال:
إذا ادعى رجل أنه طبيب ودعا المرضى إلى قبول معالجته واستعمال أدويته ،
واستدل على صدقه في دعواه بقلب العصا حية لا يكون دليله كدليل من يدعي مثل دعواه ويدعو إلى مثل دعوته ، مستدلا على صدقه بكتاب ألفه في علم الطب ، ثم بمعالجته طائفة من المرضى بما في ذلك الكتاب من بيان طرق العلاج والأدوية وشفائهم بذلك في أقرب وقت وأسرعه.
نشأ نبينا صلى الله عليه وسلم أميا بين قوم أميين ، ولم يعن في صباه وعهد شبابه بما كان يعنى به فصحاء قومه وأذكياؤهم من الشعر والخطابة، والمبارات في المفاخرة والمماتنة، ثم قام في سن الكهولة يدعو قومه وسائر الأمم إلى إصلاح ما فسد من عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم وسياستهم وأحوالهم الشخصية والاجتماعية، وقال: إن الله أوحى إليه من العلم ما يكفل ذلك ، ووعده أن يؤيده فيه ، فهو يربي قومه العرب ويزكيهم بالقرآن ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وهم ينشرون دعوته ويبثون حكمته في الأمم، فيفتح الله لهم المشرق والمغرب، وينقل الله بهم الأمم والشعوب من حال إلى حال أعلى وأرقى – من الوثنية والعبودية والذلة والظلم وفساد الأخلاق والآداب والجهل إلى التوحيد والعدل والحرية والآداب والفضائل والعلم وثمراته ، وقد كان ذلك فهل يعقل أن هذا مما يقدر عليه أمي مثله بعلمه الكسبي واستعداده الشخصي؟ كيف ونحن نرى الدولة القوية بالعلم والنظام والسلاح تستولي على قطر من الأقطار أو شعب من الشعوب بالقوة القاهرة ، ثم تقبض بكلتا يديها على جميع أسباب حياته الحسية والمعنوية، ومصالحه الجسدية والروحية، وتحاول أن تربيه تربية جديدة، مهتدية في ذلك بالسنن التي هدتها إليها علوم الاجتماع والسياسة، فتمنعه من قراءة ما ينافي غرضها من الكتب والصحف، وتنشئ له المدارس في كل بلد من قبلها، وتبث في كل منها دعاة دينها، فيعلمون الصغار في هذه المدارس لغتها ودينها وتاريخها وكل ما يشغل النفس والعقل بها ويحول المتعلمين عن دينهم ومقومات أمتهم ومشخصاتها إلى انتحال ما تحاول الدولة الفاتحة أن تحدثه لهم من المقومات والمشخصات، ثم نراها لا تكتفي بتكوين الصغار تكوينا جديدا، بل تحدث في نفوس الكبار كل ما يستطاع من الأحداث التي تزعزع كل ما كانوا عليه من مقومات أمتهم ومشخصاتها كتغيير العادات والأزياء، ونشر الجرائد التي تشغل الأذهان والأفكار بعظمة تلك الدولة وأمتها وآدابها

وسياستها، يتولى كل هذه الأعمال رجال استعدوا لها، وحذقوا علومها في المدارس العالية، ثم تمر الأجيال ولا تستطيع دولة من هذه الدول الفاتحة بالعلم والقوة أن تحول أمة عن دينها ولغتها كالتحويل الذي أحدثه الإسلام في جيل واحد بتحويل عدة أمم عن دينها ولغاتها وعاداتها بدون استعانة على ذلك بالمدارس والجرائد، ولا بغير ذلك من الأسباب الصناعية التي هدت إليها العلوم الاجتماعية، أليس هنا برهان علمي قطعي على أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان مؤيدا من الله تعالى فيه وأنه من خوارق العادات؟ بلى إنه أعظم الخوارق وأقواها، وأظهر المعجزات وأسماها، وحسبنا منه الإشارة إليه، والتذكير به.

***

تربية البيوت والأمهات

أنتقل من هذا إلى كلمة وجيزة في تربية البيوت، تعلمون أيها الفضلاء أن تربية البيوت هي الأساس الذي يبنى عليه ما بعده، وأن الأمهات هن اللواتي يقمن بها، وماذا نفعل في أمر هذه التربية ونساؤنا قد استحوذ عليهن الجهل بكل ما تتوقف عليه التربية من العلوم والآداب الدينية والدنيوية ، بعد أن كن يضربن مع الرجال في القرون الإسلامية الأولى والوسطى بكل سهم، وينلن حظهن من كل علم؟ لأن الإسلام فرض العلم على الرجال والنساء جميعا، ولم يجعل بين الفريقين فرقا في التكاليف إلا ما هو خاص بكل منهما بمقتضى الفطرة أو طبيعة الاجتماع (وكأحكام الحمل والولادة الخاصة بالنساء وفنون القتال الخاصة بالرجال) .

لا يمكننا أن نقيم التربية القويمة على أساسها إلا إذا ربينا النساء وعلمناهن ما يتوقف عليه قيامهن بتربية أولادهن، وقد اضطرب المسلمون في هذه المسألة فبعضهم يدعو إلى تقليد الإفرنج في تعليم نسائهم وتربيتهن ، وهم يظنون أننا إذا ربينا نساءنا على نمط تربية نسائهم، وعلمناهن لغاتهم، نكون في دنيانا مثلهم في دنياهم، وهذا جهل بعلم الاجتماع وطبائع الأمم عظيم، وخطأ في علم التربية والأخلاق كبير، والصواب أننا نهدم بهذا التقليد مقوماتنا ومشخصاتنا الملية والقومية ولا نستطيع أن نبني به مثل مقوماتهم الاجتماعية، فعلينا أن نربي بناتنا على آداب ديننا وفضائله وأحكامه، وأن نعلمهن لغة ديننا ولغة وطننا، وتاريخ أمتنا وديننا، وعلم التربية وتدبير المنزل والحساب وقانون الصحة، وشيئا إجماليا من شئون العالم وأحوال العمران يعرفن به حاجات العصر الذي يعشن فيه ، ويدخل في

هذا علم خرت الأرض وتقويم البلدان (الجغرافية) والتاريخ العام.
هذا هو الذي لا بد منه لكل امرأة، وقد يحتاج إلى تعليم بعضهن العلوم العالية التي لا بد منها كالطب والجراحة ، ولا سيما القسم النسائي منه المتعلق بالحمل والولادة، وكفن التعليم ، فإن اللائق بآداب الإسلام أن تكون المرأة هي التي تعلم البنات وتطبب النساء ، وكما نحتاج إلى الطبيبات والمعلمات منا نحتاج إلى المربيات في البيوت فإن أمراءنا وكبراءنا ومقلدتهم من سائر طبقات الأغنياء لجئوا إلى المربيات الأوربيات ، يلقون إليهن بأفلاذ أكبادهم من الذكور والإناث فيربينهم على آداب وأخلاق غير آداب ملتهم وأخلاقها، ويعلمنهم لغات غير لغات أمتهم ودينهم، ولا خير لهم في هذا ولا لأمتهم، لأنهم يتشكلون بشكل لا يتفق مع شكلها، فتنفصل منهم وينفصلون منها، فإن للنفوس في أفكارها وعقائدها وأخلاقها ورغباتها أشكالا كالأشكال الهندسية ، فإذا كنا لا نستطيع أن نقيم بناء رصينا محكما منتظما من حجارة بعضها مثلث وبعضها مربع وبعضها كروي ، فكذلك لا نستطيع أن نكون أمة عزيزة راقية من أفراد تختلف أشكال نفوسهم العقلية والنفسية وما يترتب عليه من اختلاف أعمالهم وعاداتهم، نعم إن هؤلاء الذين تربيهم النساء الإفرنجيات قد يكونون أرقى في الآداب الاجتماعية العصرية والنظافة من أمثالهم الغفل المهملين، الذين يوكلون إلى ما يقتبسونه من العشائر والمعاشرين، وفضل السيف على العصا لا يعد فضلا كبيرا، وإنما نطلب تربية نكون بها أمة حية عزيزة متحدة كغيرنا من أمم الحضارة، ولن ندرك هذا بمثل هذا التفرنج التقليدي في كبرائنا، بل هذا أقوى ما يحول بيننا وبين ما نريد.
***

تربية المدارس
يجب أن تكون عنايتنا بتربية المدارس أشد من عناية غيرنا؛ لأننا وقد
تعذرت علينا التربية الأساسية الأولى بجهل نسائنا ، نربي تلاميذ سرى الفساد إلى أخلاقهم، والخرافات إلى عقولهم، ولكننا لم نقم بهذا الواجب ، ولم تعن مدارسنا بالتربية النفسية ولا بالتربية العقلية التي هي وظيفتها الأولى.
لا أعني بالتربية العقلية تعليم العلوم التي يرتقي بها العقل ، فإن التعليم – وإن كان يدخل في مفهوم التربية العام الذي يشمل تربية الجسم والنفس والعقل – قد خص بهذا الاسم دون سائر أنواع التربية ، وصارت المقابلة بين التربية والتعليم من المقابلة بين العام والخاص ، وإنما أعني بالتربية العقلية أن يتوخى في أسلوب

التعليم استقلال عقول الطلاب في الفهم والحكم في المسائل، وتحرير الحقائق ، وأن لا يعودوا أخذ المسائل العلمية بالتسليم والتقليد، فبهذا تتربى العقول وتنمو الأفكار ويتخرج العلماء المستقلون الراسخون.

إنما سبب تقصيرنا في التربية المدرسية فقد الأساتذة الأكفاء القادرين عليها أو ندرتهم، فإنه يقل في المتعلمين منا من تربى تربية صالحة يرجى نفعها، وإنما يقوم بناء التربية على أساس القدوة والتأسي بالمربي والاستفاضة من ينبوع فضائله وصفاته (وفاقد الشيء لا يعطيه) ، وقصارى ما يمكن أن يطالب به العقلاء من نظار المدارس وأساتذتها هو أن يتكلفوا ما يجب عليهم من ذلك تكلفا عسى أن يصير ما يتكلفونه خلقا لهم أو لتلاميذهم، وأن يرشدوا إلى العناية بتربية أنفسهم.

***

تربية المرء لنفسه

أيها الطلاب النجباء:

إنني أخصكم بالخطاب والتذكير في هذا القسم من أقسام التربية ، سمعتم قولي في تقصير مدارسنا في التربية ورأيي في سببه، وأزيدكم على ذلك أن المدارس التي هي أرقى من مدارسنا في الأمم التي هي أرقى في الحضارة والعلوم من أمتنا، لا تستقل بتخريج الرجال العظام ولا بتكميلهم في التربية والتعليم ، فإن كثيرا من المتخرجين في مدارس أوربة الجامعة يكونون لصوصا وفوضويين وفجرة يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، المدارس تفتح للطلاب أبواب العلم، وتدلهم على طرق العمل لأنفسهم ولقومهم أو جنسهم، ولكنها لا تبوئهم تلك البيوت، ولا تقودهم في تلك الطرق حتى توصلهم إلى غايتها، وإنما ذلك عليهم لا على المدارس، وأن بعض المديرين لشئون المدارس أو المسيطرين عليها قد يريدون من تربية النابتة وتعليمهم ما لا تريده تلك النابتة لأنفسها لو عقلته وعرفت عاقبته ، فينبغي للأذكياء من طلاب العلوم أن يكونوا على بصيرة في تعلمهم وتربيتهم، وأن يعلم كل واحد منهم أنه لا ينال الكمال الممكن إلا بجده الشخصي وعنايته بتربية نفسه وتكميلها.

ربوا عقولكم على الاستقلال في الفهم، والاستدلال على المطالب، لتكونوا علماء بأنفسكم، لا نقلة تحكون علم غيركم، ليكن العلم صفة من صفاتكم لا صورا خارجية تعرض على مرآة أذهانكم.

ربوا أنفسكم على الفضيلة والتقوى وعلو الهمة وقوة الإرادة ومضاء العزيمة، لتكونوا كملة في أنفسكم، وقدوة صالحة لأمتكم، إنني أعلم أن أكثر طلبة العلم منكم

ومن غيركم يطلبون العلم لأجل المعاش لا لأجل تكميل النفس بالفضيلة، ولا لأجل النهوض بالأمة، وأعلم مع ذلك أن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة (كما ورد في الحديث الشريف) وأن من كان معدنه شريفا وجوهره كريما لا يرضى لنفسه إذا عرف مزايا جوهرها أن تكون في مرتبة المعادن الخسيسة.

لا أقول إن من يطلب العلم الدنيوي لأجل الكسب يكون خسيسا مذموما؛ فإن الكسب مطلوب بل ضروري ولا بد في إتقان أسبابه من العلم، فمن يطلب العلم ليكون حاكما أو طبيبا أو مهندسا أوصيدليا أو تاجرا أو قائما بغير ذلك من أعمال العمران – حقيق بأن يكون محمودا في علمه وعمله، ولكنه لا يفضل من هذه الجهة العوام والأميين الذين يعملون ما لا يتوقف على تعليم المدارس من أعمال العمران كالفعلة وصغار الصناع والزراع من حداد ونجار وخباز ووقاد في سفينة أو قطار أو حمام، كل من يؤدي للأمة عملا من الأعمال التي تحتاج إليه يكون جديرا بالشكر والثناء على قدر إتقانه له وبذل جهده فيه، وباللوم والذم على قدر تقصيره فيه، ووقوفه دون الغاية التي يستطيعها من إتقانه، ولكن المتعلمين في المدارس العالية يجب أن تكون خدمتهم لأمتهم أرقى من خدمة الفعلة والصناع من العوام، يجب أن يكون نفعهم متعديا، يجب أن يكونوا قدوة لغيرهم في الفضائل والآداب، والقيام بالمصالح العامة، والمنافع المشتركة، يجب أن يكونوا بذلك مربين لها، وعمالا بيتكم لرفع شأنها، ولا يكونون كذلك إلا إذا عنوا بتربية أنفسهم على الفضيلة والتقوى، فإننا نرى كثيرا من الذين تعلموا في أرقى مدارسنا ومدارس أوربة العالية كانوا بفساد تربيتهم وبالا على الأمة إما بسوء أخلاقهم واتجارهم بمصالحها، وإما بفسقهم واستهانتهم بشريعتها وشعائرها، فيجب أن تراعوا في ترلأنفسكم، نسبتكم إلى أمتكم ونسبتها إليكم، وأن تتقوا التقليد الذي يبعدكم عن مقوماتها ومشخصاتها، وتوخوا أن تكونوا معها كبيوت النحل المسدسة الشكل لكي يتصل بعض طبقاتها ببعض ، وإن تمايزت الطبقات أو الأفراد في أنفسها بالعلم والحكمة كما تمتاز بعض بيوت النحل بوجود العسل فيها على ما لا عسل فيه.

لا يتفاضل البشر في شيء كما يتفاضلون في نفع الناس والقيام بمنافعهم العامة ومصالحهم المشتركة، وإن أمتنا لتشكو من قلة العاملين للمصلحة العامة ما لا تشكو من قلة العالمين بها، فلو كان فينا كثيرون يعملون بما يعلمونه من مصالح الأمة ومؤثرون ذلك على أهوائهم لما كنا في هذه الحال السوءى التي نشكو منها ، قال بعض علماء أوربة وكبرائها للأستاذ الإمام: إننا نرى فيكم من نذاكرهم فيجاروننا

في كل علم ، ونراهم يفهمون المصالح والأمور كما نفهمها سواء، فما هي علة تأخركم عنا؟ الجواب الذي اتفق عليه العالمان المسلم والإفرنجي أن علة ذلك هي كثرة العاملين للمصحلة العامة في الإفرنج وندرتهم فينا.

ينبغي لكل من كان كريم الجوهر عالي الهمة أن ينوي ويقصد المنفعة العامة في كل عمل يعمله، فإن أقل فائدة ذلك أنه يرقي نفسه ويزيده كمالا وإن لم يتم له ما ينوي، لا يوجد عمل من الأعمال يتعذر فيه قصد المنفعة العامة، وإنني أضرب لكم مثلا واقعا على هذا من أغرب ما يؤثر عن الأمم الحية ، حدثني الأستاذ الإمام أنه في بعض أسفاره أراد اختبار بعض أفراد الطبقة الدنيا من الإفرنج وكان راكبا في سفينة إنكليزية ، فسأل وقادا فيها عن عمله الشاق وأجرته عليه، ثم سأله: هل ترجو ارتقاء في حياتك هذه؟ قال: نعم ، إنني أفكر في عمل عظيم، وأسعى إلى ارتقاء كبير، قال الأستاذ: ما ذاك؟ قال الوقاد: إنك تعلم أن معادن الفحم الحجري محدودة، وأنهم يقدرون لها النفاد في قرون معدودة، فإنا نفكر في طريقة للاقتصاد في إنفاق الفحم تكون به أمتنا الإنكليزية أغنى الأمم به، وأستفيد أنا من هذا الاختراع ثروة كبيرة ومجدا عظيما.

فتأملوا – رعاكم الله – كيف توجهت همة ذلك الرجل الذي هو أدنى الناس حرفة وعملا إلى أن ينفع أمته العظيمة الغنية وينمي ثروتها ويجعل الأمم والدول في حاجة إليها، وأن ينفع نفسه من طريق نفع قومه، وهو لم يتجاوز بذلك حدود عمله، ولم يدفعه الغرور إلى الاشتغال بما لا يعد من أهله، أفيعجز كل فرد من أفراد المتعلمين أن يكون له مثل هذه النية الحسنة، والهمة العالية؟

أيها الطلبة النجباء: إن شعوب البشر متقاربة في الاستعداد للكمال الإنساني، وإننا معاشر الشرقيين عامة، والمسلمين خاصة، ما سبقنا الأمم التي نراها الآن أعلى منا إلى العلوم والحضارة؛ لأن استعدادنا الفطري دون استعدادها، فعليكم أن تفكروا دائما في استعدادكم، وأن تستعملوه في طلب الكمال لأنفسكم وأمتكم، وأنتم قادرون على ذلك.

ولم أر في عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام

واعلموا أن قيمة الذي يتعلم لأجل أن ينال قوتا مضمونا من الحكومة أو من غير الحكومة لا تكون إلا بقدر جثته التي يسعى لتغذيتها، وإنها لقيمة قليلة لا يفضل بها الثور ولا الحمار الذي يأكل أضعاف ما يأكل الإنسان، ولا يتألم كما يتألم الإنسان ومن تعلو به همته فيطلب أن يكون وجوده أوسع من محيط جسمه فإنه ينال

ما يطلب، فإذا هو قام بنفع بلده كان وجوده بقدر بلده بحيث يكون ذكره مالئا له،
وإذا هو قام بخدمة أمته كلها، بعمل نافع يعمله لها، فإن وجوده المعنوي يكون
واسعا بقدر سعة أمته كلها، بعمل نافع يعمله لها، فإن وجوده المعنوي يكون واسعا
بقدر سعة أمته كلها، لا يجهل ذلك قطر من أقطارها، وإذا هو استطاع أن ينفع
جميع البشر فليفعل، فإن وجوده يكون بقدر العالم الذي انتفع به، وأمثال هؤلاء
الرجال هم الذين يوزن الواحد منهم بأمة، قال تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ (النحل: ١٢٠) ، وقال في عباد له أعدهم
لنفع الأمم: ﴿ونجعلهم أئمة ونجعلهم
الوارثين﴾ (القصص: ٥) ، وعلمنا أن ندعوه بقوله: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ (الفرقان: ٧٤) فعيكم أن تربوا أنفسكم
على علو الهمة وخدمة الأمة لتكونوا
من الأمة.

إن الإنسان لا يكون قدوة في الخير نافعا للناس إلا إذا كان فاضلا كريم
الأخلاق، وإن مساوي الأخلاق تشين العالم، أكثر مما يشين الجهل رب الأخلاق
الكرائم، ولا يفسد الأمم شيء كفساد أخلاق علمائها وحكامها وزعمائها، فإذا قصرتم
في تربية ملكة الفضيلة في أنفسكم، فإنكم تضرون أكثر مما تنفعون بعلمكم، أما
الطريق الذي ينبغي أن يسير عليه المرء في تربية نفسه فهو أن يلتزم الأعمال التي
تطبع ملكتها في النفس ويتكلفها ويواظب عليها، ولا يتساهل في كبير ولا صغير
منها، وأن يجعل له مراقبا من إخوانه يذكره إذا نسي، ويلومه إذا تساهل، وأذكر
لكم على سبيل المثال ما جربته بنفسي: قلت لرفيق لي في طلب العلم: إذا قدرت
أن تحفظ علي كذبة واحدة فلك حكمك في الجزاء عليها، قلت له هذا وما أنا بآمن
على نفسي من فلتات اللسان، ونزغات الشيطان، وإنما أردت أن يكون ذلك حاملا
لي على شدة الاحتراس من الكذب الذي هو شر الرذائل وأشدها ضررا، وأحمد الله
أنه لم يستطع أن يحفظ في السنين الطوال التي عاشرني فيها كذبة ما، وما أبرئ
نفسي ولا أزكيها بهذا، وإنما أريد أن أذكركم أيها الإخوة النجباء بما جربته
واستفدت منه لعلكم تعتبرون.

***

الفضيلة والتربية الدينية

لا فضيلة إلا بالدين فمن لم يترب تربية دينية لا يكون على شيء يعتد به من
مكارم الأخلاق، وقد ينشأ بعض الناس على الفضائل والآداب الدينية ، ثم يعرض
له الشك في دينه أو الجحود في الكبر، ولكنه إذا استطاع التفلت من جميع عقائده،

لا يستطيع التفليت من جميع فضائله، وقد يغتر هو بنفسه أو يغر غيره بما بقي له من آثار صبغة الدين ، فيقولون: إن الكفر قد اتفق مع الفضيلة، ويغفلون عما يحدثه له هذا الكفر من أنواع الرذيلة، وقد يسمون بعض الرذائل بأسماء الفضائل أو يعدونها منها.

يوجد أفراد من الملاحدة في البلاد الغربية يزعمون أنه يمكن أن يستغنى في تربية النفس عن الدين، بأن يقام بناء الفضيلة على أساس العلم والعقل، بأن يقنع المربي من يربيه بأن الرذائل ضارة بفاعلها، أو بالهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وأن الفضائل دعائم المصالح والمنافع، كأن يقال له: إن الكذب قبيح متى عرف به امرؤ بطلت الثقة به، ومن لا يوثق به تفوته منافع كثيرة، ويكون محتقرا في أنفس الناس، ويقال له نحو هذا في مدح الأمانة والترغيب فيها، ويرون أن هذا النحو من التربية أفضل وأنفع من التربية الدينية التي أساسها عندهم التخويف من عقاب الآخرة، وقد سمعنا بعض مقلدتهم من المتفرنجين يلوكون أمثال هذه الكلمات ويتشدقون بها ، ويرون أنهم ينطقون بالحكمة، ويرفعون قواعد الفلسفة.

كان سبب حدوث هذه الأفكار في أوربة ما سبق من ضغط رجال النصرانية في القرون الخالية على رجال العلم وأحرار الفكر؛ إذ كانوا يقتلونهم تقتيلا، ويحرقونهم بالنار أحياء، فكان من مقتضى سنة رد الفعل أن يغلو أحرار الفكر من المارقين من النصرانية في ذم الدين والتنفير عنه، وقد وجدوا في كتب ذلك الدين وتقاليده وسيرة بعض رؤسائه مجالا واسعا للطعن والتنفير، ومع هذا كله لا يزال السواد الأعظم من الشعوب الإفرنجية كلها يربون أولادهم من النشأة الأولى على آداب الدين وفضائله ، ولا سيما الإنكليز والجرمانيين منهم، ويخصون الإناث بمزيد العناية في التربية الدينية؛ لأنهن هن اللواتي يربين الأولاد في الطور الأول من حياتهم، ويؤثر عن الفيلسوف سبنسر – أكبر علماء الاجتماع والتربية في هذا العصر – أنه قال ما معناه: إن بعض الناس يريدون تحويل تربية الفضيلة عن أساس الدين إلى أساس العلم، وإذا وقع هذا بالفعل يقع به الناس في فوضى أدبية لا يعلم أحد عاقبتها [١] .

ما لنا ولكلام الناس وأفعالهم، إننا نعلم بالنظر والاختبار أن إقناع جميع طبقات الناس بنفع الفضائل وضرر الرذائل وحملهم على العمل المطرد في ذلك مما لا سبيل إليه، ولا مطمع فيه، فالولدان لا يعقلونه، وبلداء العوام وجماهير الشعوب الهمجية لا يقتنعون به، وأكثر الأذكياء يجعلون أنفسهم معيار المنافع والمضار،

فيؤثرون ما ينفعهم وإن أضر بغيرهم، ويطبقون ذلك على قانون فضيلة المنافع بالتأويل، فإذا قدر الواحد منهم على أكل مال غيره بالباطل أو خيانته في عرضه وأمن اطلاع الناس عليه خان في المال والعرض، وأول ذلك في نفسه بأنه هو أحق بالمال وأجدر به؛ لأنه يضعه في مصارفه التي هي أنفع للناس وله، ويزعم أن صاحب المال لا يقدر على أن يأتي بمثل نفعه وعمله، ولا يأبى أن يقول: إن الخيانة في العرض لا ضرر فيها، لأنه يفسر الفضائل والرذائل بحسب الشهوة والهوى، وقد صرح أمامي من يعد في الطبقة العليا من حرية الفكر بأن أكل مال الناس بالباطل – أي بدون مقابل ولا تراض – يعد من الفضيلة، إذا كان سارقه أو ناهبه أو الخائن فيه ينفقه فيما يراه أنفع للهيئة الاجتماعية مما ينفقه فيه صاحب المال، ولا يخفى على عاقل أن الناس يختلفون اختلافا كبيرا في النافع والأنفع وضدهما، فما يراه بعضهم نافعا يستحق الشكر قد يراه بعضهم ضارا يستحق فاعله القتل، فإذا لم يكن لهم دين يحكم كتابه بين الناس فيما إختلفوا فيه، وجروا على استباحة كل منهم ما يرى أنه ينفع به ما لا ينفع غيره، ألا يكونون في فوضى وخيانة تفسد عليهم أمرهم، حتى يأذن الله بهلاكهم؟

يقول غوستاف لوبون في كتابه (روح الاجتماع) : إن بعض القضاة عندهم في (فرنسة) أحصى عدد المجرمين الذين حكمت عليهم محكمة الجنايات ، فكان ثلاثة أرباعهم من المتخرجين في المدارس العالية والربع من عوام الناس، ونحن نعلم أن الذين لا يجرمون من هؤلاء المتعلمين الماديين لا يصدهم عن الإجرام والجناية الفضيلة ، وإنما يصد بعضهم خوف الفضيحة أو عقاب الحكومة إذا ظهرت الجناية، وبعضهم اشتغاله بعمل يصرف عنها، وعن الشعور بالحاجة إليها، وبعضهم تأثير التربية الدينية الأولى، ولا يكاد يتعفف عن الرذيلة أحد تدفعه شهوته إليها وتقربه أسبابها منها، إلا المتدين الذي يراقب الله تعالى ويخشاه، أو الفيلسوف العالي النفس إذا ثبت عنده أنها رذيلة، وإلا فإننا نرى سيرة كثير من الفلاسفة ملوثة بالرذائل الكثيرة، وهذا من معنى قولنا: إن الفضيلة القائمة على قواعد الدين تكون عامة ينتفع بها جميع طبقات البشر في بداوتهم وحضارتهم بقدر حظهم منها، وأما الفضيلة العقلية النفعية المحضة فلا تكون إلا خاصة ببعض أفرادهم الممتازين، على ما يعرض فيها من سوء التأويل.

أضرب لكم مثلا رجلا فقيرا بائسا من بلدنا (القلمون) يكنى (أبا حطب كان يحمل الخضر والفاكهة على ظهره ويصعد من بساتين القلمون أو طرابلس الشام

إلى جبل لبنان ، ينتقل بها من قرية إلى قرية؛ ليبيعها ويأكل من ربحها، شب وشاب على ذلك ، هذا الرجل البائس وجد مرة في شارع من شوارع ميناء طرابلس خال من الناس كيسا كبيرا مملوءا بالنقود الذهبية (الليرات) فتناوله ووضعه في سلة الخضر التي يحملها على ظهره ، وبقي يسير الهوينا على عادته إلى أن رأى في الطريق رجلا روميا ملهوفا يعدو ويصيح (خرب بيتي) فعرف الرجل المسكين بالقرينة أنه صاحب الكيس فناداه – وهو لا يلتفت إليه – فقال: (يا خواجة تعال يا خواجة) فأقبل عليه الرومي فسأله ماذا ضاع لك؟ قال: كيس من الذهب فيه كذا من الليرات، فأخرج له الكيس وقال: أهذا كيسك؟ قال: نعم نعم ، قال: خذه، فأخذه الرومي ولم يعطه شيئا، فسأله بعض الناس: لماذا أعطيت هذا الرومي الخبيث الكيس وهو لم يعلم أنه كان معك، ولو أخذته لأغناك عن بيع الخضر طول عمرك؟ فقال: إذا كان هو لم يعلم أنني أخذت الكيس فإن الله علم بذلك وهومطلع علي.

هذا ما فعله البائس الفقير (أبوحطب) بوازع الدين وهو مطمئن القلب منشرح الصدر، أفرأيتم لو كان قد تلقى من بعض الفلاسفة الماديين أنه لا إله ولا دين ولا حياة للناس بعد هذه الحياة ، وأن الأمانة واجبة عقلا؛ لأن الهيئة الاجتماعية لا تصلح بدونها، أكان يعطي الكيس لذلك الرومي؟ وأكثر هؤلاء الأروام عندنا أشرار شرسون لا يحبهم الناس ولا يرجون منهم خيرا؟ لا والله، بل لو وجده بعض القضاة الماديين الذين عهد إليهم إقامة ميزان العدل والحق لأكلوه فرحين مستبشرين.

أكتفي بهذا البيان الوجيز في إثبات كون تربية النفس على الفضيلة لا تتم إلا بالدين، وكون كل دين من الأديان أعون عليها من تلك الفلسفة الناقصة، التي لا يمكن أن تكون عامة، وإن كانت الخرافات والتقاليد الوثنية في أكثر الأديان تنافي كثيرا من الفضائل، وتكون مثارا لكثير من الرذائل.

***

الفضيلة في الإسلام وقاعدة

درء المفاسد وجلب المصالح

أيها الأساتذة والطلاب الكرام: إن عذر من قال من علماء الإفرنج بالرغبة عن التربية الدينية إلى التربية العلمية هو أنهم وجدوا في الدين الذي نشأوا فيه وسائر الأديان التي عرفوها خرافات كثيرة ، تضل العقل وتحول بين البشر وبين كمال الانتفاع بمواهبهم وما سخره الله لهم من الكون، وتفسر وجدانهم على قبول ما

يضرهم ولا ينفعهم، ولو عرف هؤلاء العلماء حقيقة الدين الإسلامي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله التي جرى عليها لما قالوا ذلك القول ولما ذهبوا إلى ذلك المذهب على الإطلاق.

لو عرفوا الإسلام من كتابه وسنته - لا من سيرة أهله في هذه الأزمنة - لوجدوا في أصوله كل ما يرونه نافعا من تربية النشء على اجتناب الرذائل والمفاسد لضررها، والتزام الفضائل ومراعاة المصالح لنفعها، فإن بناء الأحكام والأعمال على قاعدة درء المفاسد والمضار وجلب المنافع ومراعاة المصالح، من القواعد الإسلامية المتفق عليها، ومن أصول ديننا أن الله غني عن العالمين رحيم بهم ، فما حرم عليهم شيئا إلا لأنه ضار بهم، ولا أوجب عليهم شيئا إلا لأنه نافع لهم ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة: ١٨٥) وقال تعالى فيمن آمن من أهل الكتاب: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الأعراف: ١٥٧) ، وأن المعروف هو ما عرفته العقول القويمة، والطباع السليمة والمنكر ما أنكرته، والطيب ما يطيب للناس لنفعه ولذته والخبيث ضده، وقد ضبط بعض علمائنا أشتات المنافع بخمس كليات وهي:

١- حفظ الدين.

٢- وحفظ النفس (أي حفظ ذوات الناس أن يعتدى عليهم بالقتل أو الإيذاء) .

٣- وحفظ العقل.

٤- وحفظ العرض.

٥- وحفظ المال.

إن القرآن الحكيم قد قرن فريضة العبادات المحضة ببيان منافعها فقال: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت: ٤٥) أي أن الذي يقيم الصلاة على وجهها المطلوب تعلو نفسه وتزكو بمناجاة الله وذكره وتلاوة حكم القرآن وعبره، وتصير مراقبته تعالى ملكة له، حتى تنفر نفسه من الفواحش والمنكرات، وقال: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣) ، فبين أن الصيام يقصد به تربية ملكة التقوى ، وهي أن يملك الإنسان نفسه وهواه فيسهل عليه اتقاء ما يضره ويشينه في دينه ودنياه، وذلك أن من تعود ترك الشهوات التي لا يستغني عنها لحفظ شخصه وحفظ

نوعه وهي الأغذية والوقاع يكون أقدر على منع نفسه عن غيرها من الشهوات والأهواء الضارة غير الضرورية، ومما جاء فيه عن الحج قوله: ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ (الحج: ٢٨) إلخ؛ وأما الآيات في فوائد الزكاة ، وبذل المال في سبيل الله – وهي سبيل الحق والخير – فكثيرة ، فإذا كان هذا الكتاب الحكيم يعلل أمهات العبادات ببيان منافعها وفوائدها فهل يأبى أن تعلل الأحكام الدنيوية والآداب الاجتماعية بالمنافع والفوائد؟ كلا إنه أرشدنا إليها بمثل قوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (فصلت: ٣٤) ، ومثل قوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ (البقرة: ٢٥١) .

أيها الإخوة الكرام:

لا يمكنني في هذا الوقت القصير أن أطيل الشواهد على موافقة أصول الإسلام وفروعه للعقل والفطرة البشرية ومصالح الناس ومنافعهم ، وإنما أقول: إنني مستعد لإقامة الحجة على كل من يدعي خلاف ذلك فمن عرضت له شبهة فيه فليوردها علي في حال القرب، وليكتبها إلي في حال البعد، وأنا زعيم إن شاء الله بكشفها وإقناعه فيها ، إذا كان طالبا للحقيقة بالإخلاص ، وقد جربت هذا مع كثير من الشرقيين والغربيين.

كان لي صاحب في مصر من أحرار الإنكليز اسمه متشل أنس كان وكيلا لنظارة المالية، وقد جرى بيننا مذاكرات كثيرة في المسائل الدينية وغيرها ، وكان كثيرا ما يعترض على بعض المسائل الدينية في الإسلام أو في كل دين ، وكنت إذا بينت له حقيقة الإسلام فيها يتعجب ويقول لي تارة: (هذه فلسفة لا دين) وتارة: (هذا رأيك وفلسفتك ما هو الإسلام) وقال لي مرة: (إذا كان هذا هو الإسلام فأنا مسلم) ومرة أخرى: (إما أن أكون أنا مسلما وإما أن تكون أنت كافرا) ومرة ثالثة: (ما أسمع مثل هذا الكلام المعقول عن الإسلام إلا منك أو من الشيخ محمد عبده أفلا يوجد مسلمون غيركما) ومرة رابعة: (أرأيت إذا سألت عن هذا بعض علماء الأزهر أيقول هذا الذي قلته؟ إذا قال هذا علماء الأزهر فأنا أكون مسلما) .

إنني بهذه التجارب وبما أعلم من حقيقة الإسلام وموافقته لفطرة البشر ومصالحهم ومن حاجهم إلى الدين بمقتضى فطرهم، وبما في القرآن من الوعود الصادقة – بهذا كله أعتقد أن الإسلام سينتشر في جميع الأمم الغربية والشرقية، وما حجب أمم الحضارة عن محاسن الإسلام إلا سوء حال المسلمين والجهل بحقيقته

وتنفير دعاة الدين ورجال السياسة عنه وعنه أهله.
إننا نحن المسلمين قد صرنا حجة على ديننا بما فشا فينا من البدع والخرافات ولو كنا مستمسكين بعروته، محافظين عل سنته، لعم الخافقين، فإن انتشاره السريع في العصر الأول لم يكن إلا بحسن حال أهله وفضائلهم وأعمالهم كما أشرنا إلى ذلك في الكلام على نشأة الإسلام ، وفصلناه بعض التفصيل في خطبتنا الختامية لاحتفال جمعية ندوة العلماء، وقد وصلنا إلى دركة من الانحطاط صار فيها الوثنيون في هذه البلاد أرقى من المسلمين علما وعملا واتحادا، هؤلاء الذين لا يزال الملايين منهم يسيرون في الأسواق والشوارع مكشوفي العورات، عراة الأجسام، حفاة الأقدام، موسومي الجباه بأصباغ الأصنام، بل صار هؤلاء الذين يعبدون الأحجار والأنهار والأشجار والقرود يطمعون في إدخال المسلمين في دينهم، وقد صاروا يتصدون إلى دعوتهم، وقد بلغني هنا أنه دخل في دينهم طائفة ممن يعدون من المسلمين، وإن لم يكونوا منهم إلا في الأحكام الرسمية، والإحصاءات الجغرافية، ولا يوجد شعب إسلامي محتاج في حياته السياسية والاجتماعية إلى الدين كاحتياج مسلمي الهند، فإنهم إذا أحيوا الإسلام فيما بينهم تعود كثرة الوثنيين إلى قلة وقلة المسلمين إلى كثرة (وإنما العزة للكاثر) كما قال الشاعر العربي.
هذا وإنه لا حياة للإسلام، إلا بإحياء هداية القرآن، ولا تحيا هداية القرآن إلا بإحياء اللغة العربية، ومن حسن حظكم أن حكومتكم راغبة في إحياء لغة دينكم، فإذا قصرتم فيها فلا عذر لكم، عليكم أن تحيوها في هذه المدرسة التي هي أكبر المدارس الإسلامية في الهند، عليكم أن تتعلموها كما تتعلمون اللغة الإنكليزية بالتكلم والقراءة والكتابة، إذا كنتم محتاجين إلى اللغة الإنكليزية لأجل دنياكم، فأنتم محتاجون إلى اللغة العربية لأجل دينكم ودنياكم، فالحياة الصورية المادية، لا تقوم وتثبت وتنمى إلا بالحياة الأدبية المعنوية، وإلا فإن الوثنيين قد سبقوكم في جميع العلوم والأعمال الدنيوية، وهم أكثر منكم عددا، وأوفر مددا، فلم يبق أمامكم إلا قوة دينكم، تبلغون بها ما تريدون في دنياكم وآخرتكم؛ لأنها قوة الحق والخير وهي أكبر قوة في الكون.
***

العزيمة وتربية الإرادة

أشرت في سابق كلامي إلى ما يجب من تربية الإرادة، وإحكام ملكة العزيمة، وهذا النوع من التربية هو العزيز النادر الذي يقل فينا من يفكر فيه، وفي الحاجة

الشديدة إليه، وقد رأيتني مضطرا إلى التنويه بعد تذكير الطلبة النجباء بالواجبات التي تطالبهم بها أمتهم وملتهم، فإن ضعيف الإرادة يستكبر هذه الواجبات، حتى يعدها من المحال، الذي لا يدرك ولا ينال، وأما قوي الإرادة فإنه يراها من أقرب الأمور منالا ، وأسهلها طريقا، وهو لا يأبى ركوب الصعاب، واقتحام العقاب، في المهامه الطامسة الأعلام، البعيدة الأرجاء، إذا ظن أنه يدرك بها الأمل وينال الرجاء.

أيها الطلبة النجباء:

لا يتفاضل الناس في شيء تظهر به مزاياهم كتفاضلهم في قوة الإرادة، وما آتى الله الإنسان قوة يعلو بها شأنه، ويظهر بها استعداده كقوة الإرادة، بقوة الإرادة تصرف الإنسان في الطبيعة، وسخر لمنافعه أنواع الخليقة، وعمل بعض أفراده من الأعمال ما لا تعمله الأمم في الأجيال، وقد عبر بعض كبار الصوفية عن سر الله الأعظم في إرادة الإنسان بكلمة كبيرة جدا ، قد يستنكر ظاهرها ، ويعد إساءة أدب مع البارئ عز وجل ، ولكن هذا إن عد من لوازم الكلمة فهو ليس مرادا لمن قالها ، تلك الكلمة الكبيرة هي قوله: (إن لله عباد [٢] إذا أرادوا أراد) يعني: إن أصحاب الإرادة إذا جزموا إرادتهم بأن كذا لا بد أن يكون ، فإن ذلك يكون سببا كافيا لأن يكون وتتعلق إرادة الله تعالى به بحسب سنته في خلقه، فكأن إرادتهم شعبة من الإرادة الإلهية، أولئك أصحاب العزائم الذين تشهد لهم أعمالهم العظيمة ولا شهادة أبلغ من شهادة الأعمال.

أيها الشبان النجباء:

اعلموا أن من فقد إرادته فقد نفسه، وكان آلة في يد غيره أو تابعا لهوى نفسه ، ولا يمكن أن يكون رجلا عظيما، ربوا إرادتكم بحملها على ترك الهوى الباطل، وتعويدها حمل المكاره في سبيل الحق والخير، لتكونوا مالكين لأنفسكم لا مملوكين لها، ومن كان عاجزا عن التصرف في نفسه، فهو جدير بأن يكون أعجز عن غيره، ضعيف الإرادة لا يكون إلا نذلا جبانا، والجبان لا يكون إلا خائنا أو منافقا، فعليكم بالشجاعة والعزيمة والنجدة وعلو الهمة، فبغير هذه الصفات لا تظهر مزايا الإنسانية فيكم.

لا تهولنكم الواجبات التي تطلبها الأمة منكم ، فإن الإرادة الصادقة لا يقف أمامها شيء، الإرادة الصادقة أعظم قوة خلقها الله في هذه الأرض، فلا تغفلوا عن تربيتها في أنفسكم والاستفادة منها في بلادكم، وقل من صدقت إرادته في طلب

شيء ولم ينله، اللهم إذا طلبه من أسبابه، ودخل عليه من بابه، إن مدرستكم هذه شاهد من أصدق الشواهد على صحة ما أقول، فأنتم تعلمون أن مؤسسها السيد أحمد خان – رحمه الله تعالى – قد صادف في سبيلها المصاعب، واحتمل المتاعب، ولولا قوة إرادته وثباته لقضي عليها في طفوليتها، فهو بما كان عنده من العزيمة والثبات قد غالب المصاعب وصارعها، حتى غلبها وصرعها، ووصلت المدرسة إلى الدرجة التي ترونها من السعة والعظمة ويرجى لها المزيد، فهل كان يخطر مثل هذا في بال أحد من الجبناء أصحاب الإرادة المريضة في طور تأسيس هذه المدرسة؟ ولو قصد السيد أحمد خان ما هو أعلى من ذلك وأعم فائدة لناله بقوة الإرادة، وقد علمتم أن المدرسة أنشئت لغرض لا بد للمسلمين في الهند منه فكانت الطريق الموصل إليه، وأن هذا الغرض ليس هو كل المطلوب لأمة مثل أمتكم هي في بلادكم على خطر اجتماعي واقتصادي بسبق الوثنيين لكم في العلم والثروة والاتحاد على كثرتهم وقلتكم.

إنني كررت النذر ورددت الذكرى عسى أن تسمو بأصحاب الاستعداد همتهم إلى تربية أنفسهم، وإعدادها لخدمة أمتهم وملتهم، وعدم الرضا لها بالضعة والخمول، والقناعة بترفيه هذا الجسد الحيواني باللباس والقوت، كونوا قدوة صالحة لأمتكم بالفضيلة والتقوى والمحافظة على شعائر الدين وفرائضه، كونوا مستقلين في عقولكم وأفكاركم، مستقلين في إرادتكم، بحيث لا تخافون في سبيل الحق والمصلحة لومة لائم، وإياكم والتقاليد والبدع الغريبة التي تبعد أهل ملتكم عنكم وتبعدكم عنها، كونوا جامعين لا مفرقين، كونوا مرغبين للأمة في العلوم العصرية التي تنمي الثروة، وترقي جميع مرافق البشر ومنافعهم، ولا تكونوا بسيرتكم الشخصية منفرين لهم منها، إن المسلمين في بلادكم انقسموا في كل بلاد دخل فيها التعليم الأوربي إلى ثلاثة أقسام: قسم فتن بالجديد ممقت كل القديم، وقسم جمد على القديم فهو ينفر من كل جديد، وقسم معتدل بينهما، يأمر بالمحافظة على القديم النافع وترك الضار منه بالتدريج، وإضافة ما لا بد منه من الجديد بشرط حفظ مقومات الأمة ومشخصاتها والحذر من فنائها في غيرها، فكونوا من المعتدلين الجامعين ، فأنتم في قومكم أعرف من غيركم بالحاجة إلى هذا الجمع، وخطر الخلاف والتفرق، وأمامكم الأمة الإنكليزية في سيرتها وأخلاقها عبرة لكم لا تضاهيها عبرة، إنها لا تترك شيئا من عاداتها ولا تقاليدها ولو إلى أحسن منه إلا إذا اضطرت إليه ، فإنها تأتيه بالتدريج وإلا أصرت عليه كما تصر على مقاييسها

ومكاييلها ، ولا تتركها إلى المقاييس والمكاييل التي هي خير منها، والعاقل من اعتبر بغيره والله الموفق وإياه أسأل أن يتم النفع بكم لأمتكم إنه سميع مجيب.

---

(١) كنت أريد أن أذكر في هذا البحث كلمة للفيلسوف ابن رشد - أشهر حكماء عصره - ثم نسيتها ، وهي أن الفيلسوف الحقيقي لا يجيز أن يجعل الدين محل الشك والإثبات ويوضع موضع البحث؛ لأن ذلك يتضمن جعل مبدأ الفضيلة وأساسها موضع الشك وذلك هدم للفضيلة اهـ بالمعنى ومثاله أن يشكك المريض في أصل الطب ، ويحمل على أن لا يقبل المعالجة والدواء إلا بعد البحث في علم الطب نفسه وإقامة الحجة على نفسه.

(٢) روينا الكلمة بالسكون لأجل السجع ، وهو موافق للغة ربيعة وإلا فالقياس أن يقول: (عبادا) ويصح أن يقول حينئذ: (أرادا) في السجعة الثانية.." [١]

"الكاتب: محمد توفيق صدقي

مدرسة دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

(٧)

العلوق وسبب الذكورة والأنوثة ومدة الحمل:

إذا تلقحت البويضة سقطت في الرحم بسبب ما في البوقين من الأهداب؛
وبسبب انقباضهما، ويجوز أن يكون للبويضة أيضا حركة ذاتية كالأميبا، وأرجح الأوقات لحصول الحمل أن يكون الجماع عقب الطهر - في الأسبوع الأول - من الحيض، ويقال: إن هذا الجماع محرم عند اليهود، وهو من غرائب التشريع.

وبويضات المبيض الأيمن يرجح عند بعض العلماء الآن أنها هي التي يتولد منها الذكر، وبويضات المبيض الأيسر يتولد منها الأنثى، ولذلك إذا نامت المرأة على جانبها الأيمن بعد الجماع رجح إتيانها بالذكر، وقد عرف هذه الفائدة ابن سينا كما في قانونه.

فإذا كان الجماع بعد حيض متفق مع انفجار بويضة المبيض الأيمن كان النسل

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٥٦٧/١٥

ذكرا، وبالعكس.
وإذا سقطت البويضة في الرحم علقت بغشائه المخاطي، وابتدأ تكون الجنين في داخلها بانقسامها إلى عدة أقسام، ويكون الجنين في بطن أمه محاطا بالرحم، ثم بغشاءين آخرين تابعين لنفس البويضة، وتكبر البويضة كبرا عظيما، وتمتلئ بسائل يحيط بالجنين من جميع جهاته يسمى السائل (الأمنيوسي [١]) ، ويكون الجنين معلقا في هذا السائل بحبله السري الملتصق بالمشيمة بجدار الرحم، ويكون رأس الجنين إلى الأسفل غالبا، وظهره إلى الأمام، ولا يفهم مما تقدم أن عروق الجنين متصلة بعروق الرحم، بل هما متجاوران فقط، بحيث لا تختلط دورتهما الدموية؛ ولكن المواد المغذية تصل من الأم إليه بطريق (الأسموز) ، وكذلك المواد الفاسدة التي تخرج من الجنين تصل إلى دورة الأم بهذه الواسطة أيضا بلا اختلاط بينهما، ولا يتنفس الجنين في بطن أمه؛ وإنما دمه يتنقى بالطريقة المذكورة، وأول تنفسه يكون عند استهلاله، أي صراخه عند خروجه من الرحم.
ومدة الحمل أقلها خمسة أشهر، أو أربعة ونصف، وأكثرها أحد عشر شهرا وقد يحصل في أحد البوقين حمل، أو في البطن خارج الرحم، وفي هذا الحال قد تحمل الأم جنينها ميتا عدة سنين؛ ولكن لا تضعه إلا بعملية جراحية.
شبه الجنين:
يقال: إن شبه الجنين تابع لمقدار الحيوانات المنوية الملقحة للبويضة، فإذا دخلت بكثرة في البويضة أشبه أباه سواء أكان ذكرا أم أنثى، وإذا كانت قليلة أشبه أمه كذلك، فإذا كان الجماع بشدة ومقدار المني كثيرا، وأنزل الرجل قبل المرأة كثر دخول الحيوانات المنوية في البويضة فأشبه الولد أباه، إذا كان مقدار المني قليلا، وأنزلت المرأة قبل الرجل بطلت حركة الامتصاص من رحمها، فنظرا لذلك ولقلة مقدار المني يصل عدد قليل من الحيوانات المنوية إلى البويضة؛ فيكون الولد شبيها بأمه، سواء أكان ذكرا أم أنثى، ولذلك روى البخاري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد " أي لأنه في هذه الحالة تبطل حركة الرحم في جذب المني إليه؛ فتكون الحيوانات الداخلة فيه أقل مما إذا حصل القذف أثناء حركة الرحم، أي قبل إنزال المرأة، والولد كل مولود ذكرا كان أو أنثى.
النطفة والعلقة وأطوار الجنين وغير ذلك:
مما تقدم يفهم أن الإنسان مخلوق من البويضة الملقحة بحيوانات الرجل،

وهذه هي النطفة الأمشاج التي ذكرها القرآن الشريف (٧٦: ٢) ، فإن النطفة هي كل ماء قل أو كثر، فمني الرجل نطفة، وبويضات المرأة مع السائل السابحة فيه المنفرز من حويصلات (جراف) ، ومن البوق يسمى أيضا نطفة، والأمشاج الأخلاط، فاختلاط المني بهذا السائل الذي فيه البويضة هو الضروري للحمل.

ولا يتوهمن أحد أن نزول البويضة من المبيض مما تشعر به المرأة، أو تلتذ له بل هو شيء لا تشعر به مطلقا.

ولا يمكن رؤية البويضة بالعين المجردة، وإن كانت من الخلايا الحيوانية الكبيرة، فإن قطرها ٠,٢ من المليمتر، أما قطر كريات الدم البيضاء فهو ٠,٠١ وقطر الحمراء ٠,٠٠٧٥ من المليمتر.

واعلم أن الخصيتين تتكونان في الجنين في بطنه خلف البريتون، وتحت الكليتين بقليل، ثم تنزلان شيئا فشيئا حتى تكونا في الصفن في الشهر التاسع من الحمل، فإذا ولد الجنين قبل ذلك في الشهر السادس مثلا كان الصفن خاليا منهما.

وفي أثناء التكوين تنقسم بويضة المرأة كلها داخل غشائها الذي يتمدد تدريجيا كلما كبرت، وكذلك بويضة الحيوانات الثديية، أما بويضة الطيور فينقسم جزء منها فقط - كما تقدم -.

أما العلقة المذكورة في القرآن الشريف، فهي أول أطوار الجنين وتكون مركبة من عدة خلايا صغيرة ككريات الدم لم يتميز شيء من أجزائها، وهذه الخلايا تنشأ من انقسام البويضة بعد التلقيح إلى عدة خلايا فلذا تشبه علقة الدم [٢] (clot) خصوصا التي تتركب من الكريات البيضاء التي تسمى بالإنكليزية (Buffy coat) (راجع ص٤٨ من هذا الكتاب وص ٤١٠ من كتاب فسيولوجيا هاليبرتون Halliburton) .

فإذا تمت هذه العلقة أخذت تتنوع خلاياها، وتتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر، ويكون حجمها في آخر الشهر الأول كحجم بيضة الحمامة وهي (المضغة) لأنها تكون قدر ما يمضغ في الفم، وبعضها مخلق، والبعض الآخر غير مخلق كما قال تعالى في سورة الحج (٢٢: ٥) ، ومما يظهر في ذلك الوقت الأطراف العليا، والأطراف السفلى، ويتميز القسم الأيمن من القلب عن القسم الأيسر، ثم تظهر آثار العظام الأخرى.

وفي الأسبوع السابع يبتدئ ظهور العضلات بعد ظهور العظام المذكورة، وذلك بتنوع الخلايا التي كانت تحيط بالعظام، والمراد هنا الغضاريف التى تصير

عظاما، كما أن المراد بالخمر في قوله تعالى ﴿إني أراني أعصر خمرا﴾ (يوسف: ٣٦) العنب الذي يصير عصيره خمرا.
فإذا تم نمو الجنين، وولد خرج وهو لا يدري شيئا، ثم يتعلم كل شيء
بالتدريج حتى يصير كأنه خلق آخر، فبعد أن كان لا يعي شيئا يصبح يخترق
الحجب بعقله، ويصل إلى الملكوت الأعلى بفكره ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون: ١٤)
ومما تقدم تجد أن الأطوار المذكورة في القرآن هي عين الحقيقة، وهاك بيانها
كما وردت في سورتي الحج والمؤمنين:
(١) طور النطفة: وهي الماء فتطلق على مني الرجل، وعلى السائل
الذي تسبح فيه البويضة، وأصله من حويصلة جراف ومن البوق، كما سبق.
وفي هذا الطور تلقح الحيوانات المنوية البويضة فتكون النطفة – بعبارة
القرآن – أمشاجا.
(٢) طور العلقة: وهي انقسام البويضة بعد تلقيحها إلى عدة خلايا متماثلة
لا تمتاز واحدة منها عن الأخرى، وتكون كقطعة الدم الجامدة.
(٣) طور المضغة: وهي البويضة إذا كبرت حتى صارت قدر ما يمضغ
ويكون بعضها مخلقا، وبعضها غير مخلق، وهو طور التخليق والتكوين الابتدائي
(٤) طور الإتمام: وذلك يبتدئ بظهور الأجزاء الرخوة كالعضلات التي
تكسو العظام، وينتهي هذا الطور بتمام الخلق.
(٥) طور التربية والتعليم بعد الولادة: وهو المعبر عنه في القرآن بالخلق
الآخر؛ لأن الإنسان الذي كان أحط من الدابة يصبح أرقى الأحياء قاطبة؛ لذلك قال
سبحانه جل شأنه: ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ (نوح: ١٤) .
هذا وقد يحصل التلقيح فإذا وصلت البويضة إلى الرحم، وعلقت به وماتت
بسبب ما كالتهاب غشائه طردها الرحم أو امتصها، وهذا الامتصاص هو المعبر
عنه في القرآن الشريف (١٣: ٨) بقوله ﴿وما تغيض الأرحام﴾ (الرعد: ٨)
وقد يمتص الرحم الجنين، أو أحد التوأمين في أحوال أخرى.
أما قوله تعالى ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (الزمر: ٦) فالظلمات إما أن يراد بها
ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة
الأغشية الجنينية المحيطة بالسائل الأمنيوسي.
وإما أن تكون الظلمات هي: ظلمة المبيض الذي تتكون فيه البويضة في
داخل حويصلة جراف، ثم ظلمة البوق حينما تتلقح البويضة بالحيوانات المنوية،
ثم ظلمة الرحم الذي يتخلق فيه الجنين.

وفي أثناء الولادة تنثقب أغشية الجنين، وينسكب ماؤها فيخرج الجنين، ثم تتبعه هذه الأغشية مع المشيمة (وهي أغلظ جزء في الأغشية، وفيها يندغم الحبل السري، ومنها يتغذى الجنين وإليها تخرج فضلات جسمه) وأيضا تسقط أغشية الرحم، ثم تتجدد بعد الولادة، والجنين في بطن أمه لا يتنفس ولا يأكل ولا يشرب وإنما يأخذ من دم أمه كل ما يحتاج إليه؛ وكذلك لا يتبرز بل تتجمع في أمعائه إفرازات الكبد والأمعاء وتخرج بعد الولادة وتسمى بالعقي.

وقد يبول الجنين في بطن أمه في أشهره الأخيرة، فإن السائل الأمنيوسي وجد فيه مقدار قليل من البولينا بسبب بول الجنين فيه.

ومقدار السائل الأمنيوسي نحو لتر أو اثنين عادة، ووظيفته حماية الجنين من الضغط عليه، وحفظه من التصاقه بالأغشية، وتمديد عنق الرحم عند الولادة، وغسل المهبل حينئذ.

والجنين يتحرك في بطن أمه بنفسه وبحركتها وهذه الحركات تشعر بها الأم وتبتدئ في الشهر الخامس غالبا.

وقد يحصل حمل فوق حمل بمعنى أنه إذا حصل جماع بعد الحمل الأول ببعض أسابيع يجوز أن يحصل حمل آخر، وهذا غير الحمل التوأمي المشهور، فإن سببه أن تتلقح فيه بويضتان، أو أكثر في وقت واحد، أو وقت قريب، أو يكون للبويضة الواحدة أكثر من نواة، وإذا كانت البويضات من مبيض واحد كانت التوائم من نوع واحد ذكرا أو أنثى بحسب المبيض اليمين أو اليسار، وتكون التوائم أيضا من نوع واحد إذا كانت ناشئة من بويضة واحدة ذات نويات متعددة.

أسباب العقم:

هذه الأسباب عديدة، منها: أن يكون السبب فساد زرع الرجل لمرض في خصيتيه، ومنها مرض المبيضين أو البوقين أو الرحم نفسه، أو وجود إفرازات في المهبل شديدة الحموضة بحيث تقتل الحيوانات المنوية، وأشهر الأمراض التي تحدث العقم في الرجل والمرأة داء السيلان، ومن الأسباب أيضا الجماع المختلط كما في الزنا، بأن يتوارد عدة رجال على امرأة واحدة، ولذلك قيل في المثل الإنجليزي " لا ينمو العشب حيث يكثر دوس الأقدام ".

ومن الأسباب أيضا ما لم تعرف إلى الآن حقيقته كأن تكون المرأة والرجل سليمين من كل آفة، ومع ذلك لا يأتيان بنسل، فإذا تزوج هذا الرجل امرأة أخرى

وتزوجت هي رجلا آخر أنتج كل منهما.
وإذا أريد منع الحمل فلا طريقة أحسن لذلك سوى قتل الحيوانات المنوية أثناء الجماع، وذلك بوضع سوائل أو غيرها في المهبل تكون قتالة لها كمحلول السليماني بنسبة ١ – ٢٠٠٠، ومحلول حمضي من سلفات الكينيين، فتغمس قطعة من القطن بهذه السوائل أو غيرها، وتحشى في المهبل بحيث تسد فوهة الرحم، فهذه الطريقة في الغالب قد تبطل الحمل ما دامت مستعملة فإذا تركت عاد الحمل.
مراعاة الصحة في الجماع:
الإكثار من الجماع ضار جدا مؤد إلى الضعف الجسماني والعصبي، ويعرض الإنسان إلى أمراض كثيرة كالالتهابات الكلوية، والشلل العام للمجانين، ويحدث الاصفرار، وخفقان القلب وضعفه، فلذا يجب اجتناب الإفراط فيه، والمحمود منه طبا هو ما نصوا عليه في كتب الشرع، وهو أنه ينبغي إذا اشتهته النفس اشتهاء حقيقيا بدون أن يهيج الإنسان شهوته بمهيج ما، وتختلف الرغبة في الجماع والقدرة عليه باختلاف الأشخاص، ولذلك لا يمكننا تحديد القدر الصحي منه بالضبط، والغالب أنه لا يضر الإنسان إذا أتاه مرة أو مرتين في الأسبوع بشرط أن يكون سليم البنية قوي الجسم.
ولا يجوز إتيان الحائض شرعا وطبا – كما سبق بيانه – وكذلك لا يجوز الجماع عقب الأكل مباشرة، ولا عقب التعب الجثماني أو العقلي الشديد، وأحسن وقت له أن يكون بعد مضي الثلثين من وقت النوم أو النصف؛ فإن النوم بعده نافع للجسم مانع من إصابته ببعض الأمراض كالزكام والسعال وغيرهما مما قد ينشأ عن الضعف الذي يحدثه، أما ضرره في أول الليل فهو لأن الجسم في ذلك الوقت يكون تعبان والمعدة في الغالب تكون ممتلئة، فلذا يحسن النوم قبله وبعده.
ومن أهم ما يقوي الجسم وينشطه على هذا العمل، ويزيل الآلام، ويمنع بعض الأمراض التي قد تنشأ عنه – الغسل خصوصا بالماء الحار؛ ولذلك كان الغسل واجبا شرعا.
أما الاستمناء باليد فهو من أضر الأشياء للصحة والعقل، وهو أضر بكثير من الإفراط في الجماع، فإنه يضعف قوى الجسم والمخ والأعصاب، وكثيرا ما يصاب صاحبه بالصرع أو بالجنون، وهذا الضرب من الاستمناء يسمى أيضا (جلد عميرة) وينسبه الإفرنج إلى رجل من بني إسرائيل من أبناء يهوذا يسمى (أونان) ، ولكن الوارد في التوراة أن هذا الشخص كان يأتي العزل، لا الاستمناء

باليد، وغضب الله عليه لأنه لم يرد أن يقيم نسلا لأخيه (راجع سفر التكوين ٣٨:
٦ - ١٠) .
ومن البنات من تفعل هذا الفعل القبيح أيضا خصوصا إذا كان بظرها كبيرا
ولم يقطع.
أما العزل من الوجهة الطبية، فهو أيضا مضيع للذة، مضر بالصحة،
والظاهر أنه مكروه في الشريعة الإسلامية، ولذلك بين رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - في الحديث السابق أنه من العبث الذي يتنزه العاقل عنه، خصوصا لأنه
مضيع للذة بلا فائدة محققة، وقال فيه أيضا: (ذلك هو الوأد الخفي) ، وذلك لأنه
وإن لم يكن مانعا محققا للنسل، فهو لا شك مقلل له كثيرا فكان إتيانه لذلك مذموما؛
لأنه ينافي كثرة التناسل التي حث عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
مضار الزنا:
للزنا مضار كثيرة منها الإصابة (١) بالداء الإفرنجي (٢) أو السيلان
(٣) أو القرحة الأكالة (٤) أو القرحة الرخوة (٥) أو القمل العاني وغيره،
ويوجد بعض أمراض أخرى جلدية وباطنية قد تعدي بسببه مثل الجرب والأرضة
(Tinea) ، والسل الرئوي، ولا تنس مع هذا مضاره الأدبية والدينية
والاجتماعية والمالية وكل هذه الأشياء الأخيرة ليس من غرضنا التكلم عليها هنا
وإليك بعض تفصيل ما ينشأ عنه من الأمراض:
(١) الإفرنجي:
ويسميه الإفرنج (Syphilis) وهي كلمة غير محقق أصلها، ويمكننا أن
نسميه بالعربية (التهويش) ، وبلسان العامة (التشويش) ، وأما كلمة الزهري
فهي في الحقيقة نسبة لجبل الزهرة - كما سبق - وتطلق عند الإفرنج على أهم
الأمراض التي تنشأ عن الجماع، فهي عندهم ليست خاصة بهذا الداء وأصله من
أمريكا ودخل مصر بدخول الإفرنج فيها؛ ولذلك سمي (بالداء الإفرنجي) .
ولهذا الداء ثلاثة أطوار:
(١) الطور الأول: ظهور القرحة، وهي شيء كالدمل يظهر في العضو
مكان التلقيح بالميكروب، فمثلا إذا جامع الرجل امرأة مصابة بهذا الداء، وكانت
قروحه في فرجها فقد ينتقل إليه الداء، وتظهر عنده هذه القرحة الأولى في فرجه أو
ما قاربه كالعانة، وكذلك إذا قبلها في فمها مثلا، وكان فيه شيء من قروحه وبثوره
ظهرت في فيه أولا، وقد ينتقل بواسطة أدوات الأكل والشرب وغيرهما.

وهذه القرحة تظهر عادة بعد خمسة أسابيع من الجماع أو التقبيل وغيرهما، وذلك لأن ميكروب الزهري (وهو حلزوني الشكل) [٣] إذا انتقل إلى الإنسان يتكاثر في جسمه حتى يمتلئ الدم به، وعندئذ تظهر القرحة بطور الحضانة أو التفريخ، ومما يساعد على دخول الميكروب وجود أي جرح أو سحج في بشرة الجلد الذي يلامس المرأة المصابة؛ ولكنه غير ضروري، والقروح الإفرنجية الأولى منها ما يكون صلبا، ومنها ما يكون رخوا تسيل منه مدة، وصديد، وهذه القروح كثيرة في فروج الزناة والزانيات.

(٢) الطور الثاني: ظهور طفح مخصوص في الجسم كله، له أشكال متعددة، مع قروح في الأغشية المخاطية أيضا، وله أعراض أخرى غير ذلك، كضخامة الغدد اللمفاوية في الجسم كله خصوصا في الأربية والقفا، وكانوا يقولون إن الطور الأول والثاني هما المعديان دون الثالث؛ ولكن ثبت الآن حصول العدوى في جميع الأطوار الثلاثة، إلا أنها في الأخير منها قليلة جدا أو نادرة، وإذا تزوج شخص مصاب أصيب نسله بالإفرنجي أيضا، ويبتدئ ظهور الطور الثاني بعد مضي ٦ أسابيع إلى ٣ أشهر من ظهور القرحة الأولى.

(٣) الطور الثالث: هو عبارة عن ظهور أورام متعددة تصيب أي جزء من أجزاء الجسم، وهذه الأورام عبارة عن مادة تشبه الأزرار اللحمية التي تلتحم بها الجروح، وتسمى هذه الأورام بالأورام الصمغية، وإذا أصابت أي جزء من الجسم أفسدته وشوهته، وكثيرا ما تبطل عمله أو تعطله على الأقل، وهذا الطور يبتدئ بعد سنة أو سنتين من مبدأ التلقيح، وربما استمر إلى نهاية العمر بأشكال متعددة تختلف باختلاف العضو المصاب.

ومن المشاهدات الغريبة في أمر هذا الداء أن الطفل المولود من أب مصاب به لا يعدي أمه؛ وإنما يعدي المراضع الغريبات، ويسمى ذلك بقانون كوللس (Colles) ، ويعللون ذلك بأن الأم تلقحت بالمرض تلقحا خفيفا لم تظهر أعراضه.

والإفرنجي من الأدواء العضالة التي يمكننا أن نقول: إنها من أهم الأسباب لأمراض جميع أعضاء الجسم، ويؤثر في الأعصاب تأثيرا سيئا جدا، فيحدث فيها أنواع كثيرة من الشلل والآلام، وقد يؤدي إلى المرض المذكور سابقا المسمى بالشلل العام للمجانين، ويكفي في ذمه أن نقول إن ضرره ليس قاصرا على الشخص نفسه، بل قد يقتل جنينه في بطن أمه، وإذا ولد كان النسل ضعيفا مشوها مصابا بالقروح المتنوعة.

وأحسن الأدوية له في الطور الأول والثاني الزئبق ومركباته، وفي الطور الثالث يودور البوتاسيوم، وكذا حقنة ٦٠٦ [٤] أو ٩١٤ في الأوردة أو العضلات - وكل منهما مركب زرنيخي - استعمل أخيرا في معالجته، وسيأتي الكلام عليها تفصيلا في الجزء الثاني، وللوقاية منه يجب غسل ما لامس المريض غسلا جيدا بالماء والصابون، ثم بالأدوية المطهرة كالسليماني وغيره بنسب مخصوصة بعد اللمس مباشرة.

(٢) السيلان:

السيلان داء يصيب بعض الأغشية المخاطية وغيرها فيحدث فيها التهابا يسيل منه صديد، وله ميكروب مخصوص معروف، وأكثر الأعضاء إصابة به الفرج والدبر والأنف والعين - ويسمى فيها بالرمد الصديدي - ومن مضاعفاته التهاب الخصيتين والخراجات الأربية والتهاب المثانة والتهاب الرحم والبوقين والمبيضين وغير ذلك، وقد ينشأ عنه مرض في المفاصل مؤلم جدا، ويكون معضلا (عسر الشفاء) ، وهو من أعظم الأسباب المؤدية للعقم في الرجل والمرأة - كما سبق -.

(٣) القرحة الأكالة:

هي قرحة مخصوصة تضاعف القروح الإفرنجية وغيرها؛ ولكن حصولها في القروح الإفرنجية أكثر منه في غيرها، فإذا أصابت القضيب مثلا أو الفرج أكلته كله، أو بعضه وربما أفقدت الإنسان خاصية التناسل طول حياته فيضيع نسله.

(٤) القرحة الرخوة البسيطة:

هي قرحة أخرى لها ميكروب مستطيل الشكل أكثر ما تصيب الفرج في الذكر والأنثى، فتذهب منه جزءا صغيرا، وكثيرا ما تسبب خراجا في الأربية أيضا وهي من أهون الأمراض الزهرية (أي التي تنشأ من الجماع) .

(٥) القمل:

يشاهد في كثير من الأشخاص قمل في رءوسهم وأجسامهم وعانتهم وهو ثلاثة أنواع، وينتقل من شخص إلى آخر بالملامسة أو المجاورة، وقمل الجسم هو السبب الوحيد لنقل الحمى الراجعة قطعا، فلذا يجب العناية بتنظيف الجسم منه، زد على ذلك كونه يحدث حكة في الجسم، ويقلق راحة الإنسان، وقد تنشأ عنه حمى غير الحميات المذكورة آنفا لسم فيه، أو لاضطراب عصبي يحدث من قرصه ومن الطرق لإزالته غلي الملابس وحلق الشعر والإدهان بزيت الصخر (البترول) ومرهم الراسب الأبيض - إذا كان الجزء المصاب محدودا - وإلا اكتفي بما ذكر

قبله خوفا من امتصاص الزئبق الذي في هذا المرهم فيسمم الجسم، وتجب إطالة مدة غلي الملابس؛ فإنه شوهد أن بعضه يعيش في طيات الثياب وإن وضعت في الماء الغالي مدة خمس دقائق أو أكثر، وبيض قمل الجسم (الصئبان) يشتمل أيضا على ميكروب الحمى التيفوسية، والحمى الراجعة، فإذا فقس وخرج منه قمل جديد كان ناقلا أيضا لهذين النوعين من الحمى.

(٦) الجرب:

الجرب داء يصيب الجلد خصوصا ما بين الأصابع والفخذين وأعضاء التناسل، وينشأ من حييوين أصغر بكثير من القمل العاني، يسمى باليونانية أكروس [Acarus] (ومعناها لا يتجزأ) وله ذكر وأنثى، أما الأنثى فبعد أن يلقحها الذكر تتخذ من الجلد جحورا تبيض فيها نحو خمسين بويضة، ويبقى الذكر فوق سطح الجلد، فإذا أفرخت البويضات خرجت حييوينات جديدة، وإنما تفرخ البويضات حينما تظهر على سطح الجلد بزوال البشرة وتأكلها بالتدريج، وتحمل الإناث من جديد وتثقب الجلد أيضا كأمهاتها وهلم جرا، وما تحدثه هذه الحييوينات في الجلد من التهيج يكون سببا تحصل به حكة شديدة تنشأ عنها قروح وبثور تؤذي الإنسان كثيرا.

ومن أحسن طرق علاجه الاستحمام بالماء والصابون مع الدلك الشديد جدا حتى يزول جزء من البشرة، وتنفتح الجحور بقدر الإمكان، ثم يدهن الجسم بمرهم الكبريت، ويجب غلي جميع الملابس، وكل ما لامس جسم المصاب منعا لتكرار العدوى له، أو انتقالها إلى غيره، ويتكرر الاستحمام والإدهان بالمرهم بضعة بضعة أيام حتى يزول الداء.

(٧) الأرضة:

الأرضة داء - يسمى باللاتينية تينيا Tinea [٥]- يصيب الجلد أو الرأس أو الأظفار، فيحدث بهما التهابا وحكة، وهو ينشأ من نمو فطر (أحياء نباتية مجهرية) في هذه الأجزاء وأحسن علاج له النظافة التامة، والأدوية المطهرة كالمراهم الزئبقية والكبريتية وصبغة اليود ونحو ذلك، ولكن يجب قبل ذلك نتف شعر المكان المصاب أو حلقه - والنتف أولى - وكذلك تغلى الملابس لمنع تكرار العدوى.

(٨) السل:

سنفصل القول في السل تفصيلا في باب الأمراض المعدية، إن شاء الله.

ويكفي أن نقول هنا كلمة مختصرة في عدواه بطريق التنفس:

ينشأ هذا الداء من ميكروب مستطيل الشكل كالعصية ولذلك يسمى باللاتينية باسيلس (Bacillus) أي العصا الصغيرة [٦] اكتشفه البكتيريولوجي الألماني الشهير المسمى كوخ (Koch) سنة ١٨٨٢ م، وهو يوجد كثيرا في بصاق المصابين بالسل، ويخرج أثناء السعال في ذرات البلغم وينتشر حول المصاب إلى بعد متر ونصف تقريبا، فيكون الجو حوله ملوثا به، فإذا دخل مع التنفس في رئة شخص مستعد لهذا الداء أصيب به، وذلك بتكون درنات صغيرة بيضاء اللون في الرئة أو غيرها، وهذه الدرنات تكبر وتتكاثر وينضم بعضها إلى بعض وتحدث فيها تجاويف تسمى بالكهوف، ويحصل سعال شديد مصحوب بدم أو صديد، وترتفع حرارة المريض، وتضعف قواه، وينحف جسمه ويصاب بالأرق من كثرة السعال وغيره بالعرق الكثير بالليل، وقد يحصل له إسهال متعاص، أو بحة في الصوت من التهاب الحنجرة وتقرحها وغير ذلك حتى تنهك قواه فيموت.

***

مضار الزنا الاجتماعية

هذا وإننا نختم هذا المبحث بذكرى ونصيحة، إذا لم تكن من وظيفة الطبيب من حيث هو طبيب، فهي مما يحسن منه من حيث هو إنسان، وهي التحذير من مضار الزنا الاجتماعية، وليس من غرضنا التكلم عليها هنا تفصيلا – كما قلنا – إلا أننا نذكر الناس إجمالا بحقيقة لا تعزب عن عقل المفكر: تلك أن الزنا يفقد المحبة الأبوية لنسل الزانيات، فلا يهتم المرء بحياة الأطفال، ولا بصحتهم، ولا بتربيتهم، ولا بمستقبلهم اهتمام من يعلم أن المولود هو ابنه، حتى يؤثره على نفسه في كل شيء غالبا، فيكثر بسبب ذلك موت الأطفال أو قتلهم، وتسوء صحتهم وتفسد أخلاقهم، ويصبحون عالة على المجتمع، أو متشردين مفسدين، ولا تحسن الأم وحدها القيام بتلك الشؤون على ما لديها من الشواغل والصوارف عنها، كتحسين منظرها وملاقاة الرجال المتنوعين، والملق لكل منهم، والتحبب إليهم، فهذه الشؤون لا تدع لها وقتا، ولا قلبا توجهه إلى شيء آخر، ولذلك ترغب الزانيات عن النسل ويقتلنه إذا وجد، أو يلقين به في الطرقات، وفي ذلك من الأضرار بالأمة ما فيه، زد على ذلك أن الزنا يحدث البغض والحقد والحسد بين الأفراد والبيوت، ويقطع كل رابطة للمودة والرحمة بين المرء وزوجه، ويحمل الناس على خيانة بعضهم بعضا، وعلى الكذب ويضيع الحقوق في المواريث المالية وغيرها، فتفسد الأخلاق، وتكثر الشحناء والمخاصمات التي تسفك فيها الدماء،

وتستباح الأموال والأعراض، فتتنافر الأمة ويتناقص عددها، وتزول روابط المحبة من بين أفرادها، وفي ذلك هدم وإزالة لعزها وسلطانها، وتقويض لدعائم بنيانها، فتهوي في مهاوي الفساد حتى تستقر في الدرك الأسفل من الفقر والضعف والانحطاط والتأخر لذلك وصف الله تعالى الزنا بقوله: ﴿إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ (الإسراء: ٣٢) لما يوجده بين الناس من البغض والحقد والكره فيهدم أركان الأسرة أولا، والأمة ثانيا، والمجتمع الإنساني ثالثا.

***

اللواط

الأمراض التي تنشأ عنه، هي عين الأمراض السابقة تماما، وتزيد عنها غالبا في إحداث جروح في الذكر وفي الشرج، وإذا تضاعفت هذه الجروح ببعض الأمراض نشأ عنها ما لا تحمد عقباه، وترتخي عضلات الشرج حتى قد يسهل نزول البراز وغيره بغير إرادة الإنسان، وهو مفسد للأخلاق، ومبيد للشهامة والرجولية، وقاض على الآداب كافة، وما انغمست فيها أمة إلا انحطت وتدهورت لتخنث رجالها، وذهاب نجدتهم، ومروءتهم، وهمتهم، فلا تصلح بعد ذلك لمقاومة أعدائها؛ فيتغلبون عليها وتبيد شيئا فشيئا، زد على هذا أن الرجال المنغمسين في تلك الشهوة الدنيئة يقل ميلهم إلى النساء كثيرا؛ فيقل عدد الأمة فتضعف أيضا من هذه الوجهة، نعم إن اللواط أخف ضررا من الزنا من وجهة واحدة اجتماعية، وهي أنه لا تضيع بسببه الأنساب، ولا توجد به اللقطاء، فهو أقل بذلك إضاعة لحقوق العباد والأولاد، أما تحريمه فيكفي في بيانه ما ورد في القرآن الشريف في قصة لوط، وأما حده فقد ورد فيه قوله تعالى على أصح التفاسير: ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ (النساء: ١٦) الآية ، فلولي الأمر أن يؤذي أهل اللواطة بما يتفق عليه الأمة من العقاب الرادع لأهل هذه الطائفة المحتقرة الدنيئة.

وقد أجمعت الأمم على استقباح هذه الشهوة البهيمية حتى سماها الإنجليز (الرذيلة المغايرة للطبيعة) [Unna tural Vice] .

***

سن الزواج بالفتيات

كتبت مقالة بهذا العنوان حينما أراد أحد المحامين المصريين (زكريا بك نامق) أن يطلب من الحكومة سن قانون تحدد فيه سن الزواج للبنات بالسنة السادسة عشرة، ولاشتمال هذه المقالة على عدة فوائد تناسب الفصول السابقة في الكلام على

الجهاز التناسلي أردت إثباتها هنا لإفادة قراء محاضراتي هذه وقد أنصف هذا المحامي الفاضل فكف عن اقتراحه هذا بعد ظهور مقالتي هذه في الجرائد ومقالات غيري من أفاضل الأطباء والفقهاء و [سحبه] بعد أن قدمه للجمعية التشريعية.

وهاك نص مقالتي كما نشرت في عدد ١٠٩٥٦ من جريدة الأهرام الصادر يوم الخميس ١٢ مارس سنة ١٩١٤ - ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٣٢:

لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بالشريعة الإسلامية الغراء، وبالمسائل العلمية والاجتماعية والقانونية أردت أن أمحصه تمحيصا، وأحرر مسألته تحريرا، ليصل حكمنا فيه إلى نتيجة نافعة لأمة مبنية على أساس متين من البحث والنقد حتى لا يكون مبنيا على التسرع، وحب التقليد فأقول:

من المعلوم أن سن البلوغ تختلف باختلاف حرارة الجو والبيئة والوراثة، ففي الهند مثلا كثيرا ما تبلغ الفتاة في السنة التاسعة من عمرها، ولكن في البلاد الباردة كإنجلترة تجد أن سن البلوغ هو من ١٤ - ١٦ سنة، وفي البلاد التي هي أشد بردا منها يحصل البلوغ في السنة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، أما في مصر فالغالب أن يكون في السنة الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة، وذلك في مثل مديرية الجيزة لا في مديرية أسوان، وللبيئة أيضا تأثير في زمن المحيض، فإنك ترى أن الفتيات اللاتي يكثرن من الاختلاط بالشبان يسرع مجيء المحيض إليهن، وكذلك اللاتي يكثرن من قراءة الروايات الغرامية ونحوها ومشاهدة تمثيلها، أما الوراثة فهي تؤثر أيضا في قرب زمن البلوغ، فإذا بلغت الأم وهي صغيرة جدا كانت ابنتها مثلها في ذلك.

وفي سن البلوغ يكبر الحوض، ويظهر شعر العانة، وتكبر أعضاء التناسل والثديان، وتستعد المرأة للقيام بوظيفتها التناسلية التي خلقت لأجلها، وقد اتفقت كلمة علماء التشريح على أن نمو عظام الحوض الذي من شأنه أن يؤثر في سعة أقطاره يتم في زمن البلوغ أو بعده بقليل، وذلك لا ينافي أن التحام عظام الحوض لا يتم إلا في نحو الخامسة والعشرين غالبا، وإذا حملت المرأة لانت مفاصل حوضها، وتمددت لا فرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة، وإنما إذا تأخرت المرأة في الزواج يبست عضلات العجان والرحم، وربما نشأ عن ذلك إجهاض أو عسر في الولادة بسبب عسر تمدد هذه الأجزاء التي تفقد مرونتها الطبيعية كلما كبرت البنت، ويغلب العقم أيضا فيمن يتأخرون عن الزواج.

وقد وجد بعض الباحثين مثل (بروس ودنلوب) في بلاد الحبشة والبنغال

أمهات لا يزيد عمر إحداهن عن إحدى عشرة سنة، وكذلك وجد في أوربة – وإن كان ذلك قليلا – أمهات ولدن أولادا أصحاء في السنة الثالثة عشرة من عمرهن، حتى وجدوا بنتا حاملا في سويسرة في السنة التاسعة، وظهور الحيض في هذه السنة ليس نادرا في أوربة كما تقول كتبهم.

لذلك كله ولغيره اعتبرت الشريعة الإنكليزية مثلا أن السن القانونية للزواج (عندهم) هو ١٤ للذكور و١٢ للإناث، أما زواج الأطفال القاصرين فتعتبره صحيحا بشرط أن لا يبدو من الطرفين إذا وصلا إلى سن البلوغ طعن في العقد السابق (راجع صفحة ٥٦ من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفرير الإنكليزيين) ، فمن أعجب العجائب بعد ذلك أن يقوم بعضنا في هذه الأيام ويطلب تضييق شريعتنا الإسلامية الغراء بما لم يفعله الإنكليز في بلادهم الباردة، وهم أرقى منا بكثير في سائر شؤونهم العلمية والمدنية والاجتماعية! !

أما زعم هؤلاء المضيقين أن الفتاة إذا تزوجت قبل تمام نموها وقف هذا النمو فهو غير صحيح، بل تكذبه المشاهدة العامة، فإن الحمل لا شك يسرع في تمام نمو الجسم كله؛ ولذلك تجد الفتاة بعد الولادة يكبر جسمها بأسرع من الفتاة التي لم تتزوج، أما دعوى أن الفتاة إذا حملت وهي صغيرة ضعف جسمها عما إذا حملت وهي كبيرة فهي غير مسلمة، ولا يمكن إثباتها إثباتا قطعيا، وإنما هي دعوى يرددها بعض الأطباء تقليدا لبعض بلا بحث ولا تمحيص، فإن الفتاة الكبيرة تكون ليبس أعضائها أكثر عرضة للعقم وللإجهاض أو عسر الولادة من الفتاة الصغيرة – كما سبق– ولا يخفى ما ينشأ عن الإجهاض وعسر الولادة من المضاعفات المرضية كفقر الدم الشديد بسبب النزف الرحمي والتمزقات العجانية وما يتبعها كالنواصير وسقوط المهبل أو الرحم وغير ذلك، بل ربما قضت المرأة نحبها في الإجهاض أو الولادة العسرة، نعم إن الطفل المولود من الفتاة الصغيرة يكون في أول الأمر أصغر جرما من الذي ولد من الفتاة الكبيرة؛ ولكنه لا يكون أقل صحة منه، وصغر حجمه هذا لا يلبث طويلا بل يزول شيئا فشيئا.

مدة التربية: أما علم الوالدة بتربية الطفل فذلك يتوقف على مقدار ما اكتسبته في هذا الموضوع ودرجة صلاحيته وسهولة تلقينه لها أثناء دراستها المدرسية أو البيتية، فإن كانت تلقت شيئا نافعا في هذا الأمر، ولو كان مختصرا أفادها أكثر من التي قضت سنين عديدة من حياتها الأولى في دراسة الجغرافيا مثلا والهندسة والجبر.

وإذا كانت الطبيعة لم تبخل على الفتاة الصغيرة بإعطائها الحمل والولد فكيف نحظر عليها الزواج، ولسنا أعلم باستعدادها، ولا أشفق عليها من الطبيعة [٧] ، وأي شيء جرى عليه الناس طبق سنن الكون ونواميس الوجود وكان ضرره غالبا على نفعه، ومحققا كما يدعون في هذه المسألة؟ أليس التضييق الذي يطلبونه مصادما للشرائع الإلهية، والقوانين الوضعية، بل والسنن الكونية؟ فأي دليل قطعي عندهم عليه يعتمدون؟ .

أما مضار تأخير زواج الفتاة بعد بلوغها في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كما هو الغالب عندنا في مصر، فمنها زيادة الشهوة عندها التي قد تفسد أخلاقها أو تجرها إلى الفسق أو الألطاف (استمناء المرأة بيدها) أو السحاق وكلها أشياء يشتد الميل إليها في أول البلوغ؛ ولذلك يكثر وجودها في البلاد التي تتأخر فيها البنات عن الزواج، ولا حاجة بي هنا للتكلم على ما ينشأ عنها من المضار والمفاسد فإنها معروفة شهيرة، والإمساك عن الجماع مع فرط الشهوة مضعف للجسم والأعصاب مؤد إلى سوء الخلق، وضعف العقل، مورث للهستيريا، أو الجنون، والشقيقة، وعسر الطمث، وغير ذلك.

وهناك بعض أسباب كثيرا ما تحمل الناس على التعجيل بالزواج كالفقر أو فقد من يقوم بشئون البنت وتربيتها وكفالتها وحفظها من الوقوع في مهاوي الدنس والعار، ولذلك نرى أن الشريعة الإسلامية وغيرها كالإنكليزية أباحته في جميع الأعمار حتى للأطفال، إلا إذا كانت البنت غير مطيقة للجماع، فيحرم في شريعتنا تسليمها للزوج حتى تطيق، وإذا عقد أولياء الأمر على طفل وطفلة أباح لهما الإسلام فسخ العقد إذا بلغا، ما لم يكن الذي تولى الأمر الأب أو الجد فإنهما أدرى الأولياء وأعلمهم بمصلحة البنت، وأشدهم محافظة عليها، وأكثرهم رغبة في نفعها الصحيح، وإبعاد كل ضرر عنها، فأي عيب في هذه الشريعة حتى أردنا الخروج عنها، والاشمئزاز منها، مع أنها تشبه شريعة الإنكليز في ذلك، وهم من أرقى أمم الأرض الآن! !

وإذا علمت أن سن البلوغ تختلف باختلاف البلاد، وأحوال أهلها تبين لك السبب في عدم تحديد الشريعة الإسلامية لهذه السن لشرطت بل اشترطت الإطاقة، ولم تمنع العقد على الأطفال، لما في ذلك من المنفعة للناس، كأن يريد شخص أن يضمن لنفسه الانتفاع بمال بنت، أو جاهها، أو الانتساب إلى بيتها، أو نحو ذلك، أو يكون له غرض آخر كالرغبة في النفقة عليها، وإحسان تربيتها لجمالها، أو

لفقدها الأهل والمعين من أقاربها.

وبسبب سرعة البلوغ في البلاد الحارة كالهند، وبلاد العرب فشت في الشرق عادة تزويج البنات الصغار كما هو معلوم حتى أن عائشة – رضي الله عنها – كانت خطبت قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعمرها سبع سنوات لجبير بن مطعم بن عدي، وهو يدل على أنها كانت قد قاربت البلوغ في تلك السن؛ ولذلك عقد عليها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقتئذ، ودخل عليها في التاسعة من عمرها، فالظاهر أنها كانت قد بلغت حينئذ كما هو الغالب في بنات العرب، وأهل الهند، وغيرهم من أهل الشرق كما سبق بيانه.

أما المضار التي يذكرها المضادون لذلك الزواج، فهي في الحقيقة ناشئة عن أحد أمرين أو عنهما معا (الأول منهما) الدخول بالبنت قبل الإطاقة، أو قبل البلوغ (الثاني) طريقة المصريين الوحشية في افتضاض البكارة، حتى أني شاهدت مرة بنتا كادت تموت بنزيف شديد من تمزق في مهبلها نشأ من إصبع زوجها الوحش القاسي؛ ولكن العيب في ذلك ليس على الشريعة نفسها، بل العيب إنما نشأ من الجهل والقسوة وعدم التزام حدود هذه الشريعة الغراء التي فيها الكفاية لتقويم المعوج.

وهناك فوائد أخرى غير ما تقدم لتزويج الفتيات الصغيرات البالغات (منها) أنهن يحرضن الشهوة في ضعاف الرجال، حتى أنهن يكن سببا في تقوية أجسامهم وعودة الحياة إليهم، فتزيد قوة الباه عندهم، ويتحسن نسلهم، وقد عرف ذلك الأقدمون، حتى أنه ذكر في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أن داود – عليه السلام – شاخ، وكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفأ لشدة ضعفه فأشار عليه عبيده بإحضار فتاة جميلة لتحضنه ليدفأ، ففعل ذلك وعاش بضعة شهور مع أنه كان في غاية الضعف والبرودة والاضمحلال (راجع الإصحاح الأول والثاني من سفر الملوك الأول) ، وكذلك فعل الإمبراطور (طيباريوس) ليستعيد جسمه الضعيف حرارته الأولية، وقد أشار (بورهاف) الشهير على عمدة بلدة (ساردام) الذي كان مبتليا بالنقرس بأن يبيت مع بنات فتيات، ولما عمل بمشورته تحسنت حاله، وزال مرضه (راجع صفحة ٤٦٢ من كتاب تاريخ الإنسان الطبيعي) ، وقد جربوا ذلك العلاج أيضا في الروماتزم المزمن للشيوخ، فأفاد كثيرا بعد أن يئسوا من الطب والدواء، وقال الكتاب المذكور ما محصله:

(إن مساكنة البنات الفتيات ذوات الدم الوافر، والصحة الجيدة يتطاير منها

نشأة منعشة تخترق جسم الشيخ الجاف، وتسخن دمه الضعيف الفاتر، وتحرك فيه الأعضاء الذابلة) .

وذكر بعض العلماء أن من الشيوخ من اسود شعره، ونبتت أسنانه مرة ثالثة بعد سقوطها بسبب معاشرة الفتيات الصغيرات، وعادت إليه قوة الجماع، ولا شك أن صحة البنات في وقت البلوغ تكون أحسن منها في جميع الأوقات الأخرى؛ فيؤثرون في الرجل تأثيرا قويا مصلحا؛ فينتفع هو؛ وينتفعن هن بماله، أو جاهه خصوصا إذا كان من أصحاب الملايين، أو الملوك، وإذا تزوج رجل مسن بعجوز مثله ساء نسلهما جدا بخلاف ما إذا كانت هي صبية.

هذا وليعلم القارئ أني لا أذكر هذه الأمثلة هنا لكوني ممن يريد أن ينفض الشيوخ عيش الفتيات بالتزوج بهن كلا! بل الغرض من ذكرها تتميم البحث، وبيان فوائد زواج البنات البالغات الصغيرات، واستقصاء تلك الفوائد كلها.

والخلاصة أني أرى أنه ليس من الصواب تحديد سن الزواج بالسنة السادسة عشرة من العمر، بل الأصوب عندي أن توضع طريقة تحمل الناس على شدة مراعاة حدود الشريعة الإسلامية، وأن يتركوا عاداتنا المصرية القاسية المعروفة في الزواج، وإن كان لا مندوحة عن التحديد، فليكن ذلك بعد بلوغ البنت بسنة، أو ليجروا في ذلك حسب القانون المصري الحالي في مسألة عقوبة الفسق، بأن يجعلوا سن الزواج (١٤) سنة فما فوق، وهذا هو رأيي بإخلاص، والله ولي التوفيق، الهادي لأقوم طريق.

((يتبع بمقال تال))

---

(١) كلمة يونانية معناها الشاة؛ لأنه يقال إنه اكتشف فيها أولا؛ أو لأن ملمسه ناعم كصوف الشاة.

(٢) يجوز أن يراد بالعلق في قوله تعالى: [خلق الإنسان من علق] (العلق: ٢) الحيوانات المنوية التي تلقح البويضة.

(٣) اكتشف هذا الميكروب سنة ١٩٠٥، وهو أدق وألطف من كثير من الميكروبات الحلزونية، يسمى (Spirochaeta Pallida) والكلمة الأولى يونانية بمعنى الحلزون، والثانية لاتينية معناها الأكمد (الباهت) لتعسر رؤيته بالمجهر.

(٤) اخترعت سنة ١٩٠٩ ميلادية، وسميت بذلك لأن مخترعها وفق إليها بعد عمل ٦٠٦ من التجاريب.

(٥) معناها الحرفي: (الدودة القارضة) .

(٦) وبعضهم يقول (باشلس) .

(٧) المنار كان ينبغي لصديقنا الدكتور أن يقول هنا: وإذا كان الخالق العليم الحكيم قد أعد الفتاة في سن كذا للحمل إلخ.." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

الطور الجديد للمسألة المصرية

بدأنا مرة بعد أخرى بكتابة مقال مفصل في المسألة المصرية، ثم كنا نترك نشره لسبق الجرائد اليومية إيانا إلى نشر مقالات كثيرة في معنى ما كتبنا ما غادرت متردما، بل جاءوا بالذرة وأذن الجرة، كما **قيل في المثل**، فإن كان أكثر ما كتب لم يخل من تحرف لجدل أو تحيز إلى فئة، فذلك أحرى باستقصاء أصول المسألة وفروعها، فنكتفي إذا باستخلاص الزبد من المخيض واستنباط النتيجة من المقدمات، بكلمات وجيزة تحز في المفصل، وتعطي قارئها من الموعظة والاعتبار والحكم، ما لعله لا يجده كله في غيرها.

***

مقدمة وتمهيد

(١) قد سبق الذكاء الفرنسي الدهاء الإنكليزي إلى معرفة مكانة مصر من ارتباط الشرق بالغرب وما فيها من ينابيع الثروة، فمد إليها حسامه نابليون الأول نابغة عصره في الذكاء والإقدام، ولكن الدهاء الإنكليزي قطع ذلك الساعد الذي مد الحسام، ثم أعانت العلوم والفنون الفرنسية محمد علي الكبير على تكوين دولة جديدة عربية، فعارضتها إنكلترة بنفوذ الدولة التركية، حتى وقفت مدها وأرجعتها إلى ما وراء حدها، ثم تعاون الدولتان على إرهاق مصر في زمن إسماعيل، ثم سبقت أدهاهما إلى احتلالها في عهد توفيق.

(٢) كانت نهضة مصر في عهد محمد علي مادية محضة، الحاكم الأعلى لها شارع ومنفذ، ومالك يتصرف في البلاد وأهلها تصرف السيد المالك بماله وعبيده، وما كان يرجى أن تتكون في ظل هذا الحكم بهذا العصر أمة، ولا أن تعتز دولة، بل يهدم مستبد مفسد ما بناه مستبد مصلح، كما هدم إسماعيل المبذر ما أسسه محمد علي المعمر، حدثني المرحوم حسن عبد الرزاق باشا أن قيمة أطيان القطر

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٣٥٣/١٨

المصري كلها ما كانت تزيد في آخر مدة إسماعيل عما كان عليه وعلى البلاد من الدين للأجانب.

(٣) إن غايات الأضداد تتصل بمباديها، ففي عهد إسماعيل الذي انتهى إليه الاستبداد في محق ثروة البلاد وإفساد الأخلاق - زرع ونبت غرس الإصلاح الاجتماعي والسياسي والأدبي بإرشاد حكيم الشرق وموقظه السيد جمال الدين الأفغاني مؤسس الحزب الوطني الأول في مصر، ومعلم الكتابة والخطابة والسياسة والفلسفة، ولكن بريطانية العظمى كانت بالمرصاد لهذا الإصلاح المعنوي، فناوأته كما ناوأت ذلك الإصلاح المادي، فأغرت توفيق باشا بنفي السيد جمال الدين من البلاد بعد أن كان قد عاهده - وهو ولي العهد - على العمل بما اقترحه من الإصلاح، ومنه جعل حكومة البلاد نيابية، وتعميم التعليم وغير ذلك، ولكنه قال عند خروجه من مصر: إنه ترك فيها من يتم ما بدأ، وهو مريده الذي أحاط بمبادئه ومقاصده الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

(٤) تجدد في البلاد عهد الإصلاح المادي والمعنوي معا في أول إمارة توفيق؛ إذ تولى الوزارة مصطفى رياض باشا ذو الفطرة الطاهرة والوطنية الصادقة التي لم تر مصر في تاريخها الحديث وزيرا يدانيه في مجموع أخلاقه وفضائله واستقلاله وعدله وإصلاحه الإداري، وإن وجد فيها من الوزراء وغيرهم ألوف فاقوه في العلوم القانونية بأنواعها مع المشاركة في بعض الفنون التي لم يكن يعرفها، فقام هو بإصلاح المالية والإدارة خير قيام، وولى الشيخ محمد عبده إدارة المطبوعات ورئاسة تحرير الجريدة الرسمية، فتوسل الشيخ بهذا إلى إصلاح لغة الصحف والدواوين، ثم إلى إصلاح التعليم الرسمي وغير الرسمي كما فصلناه في ترجمته وترجمة رياض باشا، ولكن كان من سوء حظ مصر أن وقف سير هذا الإصلاح بالثورة العرابية المشئومة بانتهائها بالاحتلال الأجنبي قاتل الأمم ومفسد الشعوب ومذل البشر.

(٥) توسل الإنكليز إلى الاحتلال بطلب أمير البلاد توفيق واستدراج السلطان صاحب السيادة عليها واستخدام اسمه ونفوذه، وخداع أوربة بإيهامها أنهم يقصدون حماية رعاياها وحفظ أموالها ومصالحها، وطمأنوا هؤلاء وأولئك بأن الاحتلال مؤقت لا تقصد بريطانية العظمى فيه لنفسها نفعا، ولا تنوي سيادة ولا أثرة، وإنما تنوي خدمة مصر وأوربة والإنسانية، وياطالما خدعوا البشر بمثل هذا الإيهام، ولم تعرف عامة أمم الأرض رياءهم وخداعهم إلا في هذه الأيام، ثم طفقوا

يمكنون نفوذهم بالتدريج، ويسيطرون على الإدارة والقضاء والتعليم، ويفسدون أخلاق العامة بالإباحة التي يسمونها الحرية الشخصية، وأخلاق الخاصة بخدمة الحكومة ذات الرواتب العظيمة، ويمنون على الشعب بأنهم المنقذون له من ظلم الترك وأعوانهم، والمعدون له للاستقلال الذاتي، حتى إذا ما استعد له تركوا له بلاده، نعم إنهم ساعدوا ما كانت البلاد متوجهة إليه من إصلاح الري وترقية الزراعة لتكون البلاد ينبوع ثروة لهم، ولكنهم ندموا أخيرا أنهم لم يحولوا دون تحصيل بعض الأهالي للثروة الواسعة في بلادهم كما يعلم مما يأتي:

(٦) ظل الإنكليز يمهدون السبل لضم مصر إلى مستعمراتهم مدة ثلث قرن وينتظرون الفرص كدأبهم، حتى إذا ما اشتعلت نار حرب المدنية المادية الملعونة وآذنوا الدولة العثمانية بالحرب، انتحلوا لأنفسهم ما كان لها من السيادة على مصر، وأعلنوا حمايتهم عليها، وأطلقوا أيديهم في رجالها وأموالها وغلالها، وحميرها وجمالها، بل تصرفوا في كل شيء للحكومة وللأمة واستخدموه في حرب الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على البلاد التي لم تكن تستخدم في سيادتها أحدا في نفسه ولا تصادره في شيء من ماله، حتى إن الحملة التي وجهت إلى فتح فلسطين في آخر حرب صليبية –كما وصفها رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج – قد سموها الحملة المصرية، وقد كانت هذه التسمية حقا، وإن قصد بها معنى آخر خفي – وهو الأخذ بثأر قلب الأسد وسائر الصليبين الذين كسرهم مسلمو مصر وغيرها بقيادة صلاح الدين (قدس الله روحه) وانتزاع البلاد المقدسة من المسلمين بحملة مصرية جل العاملين فيها من شبان مسلمي مصر، وجل المال الذي أنفق فيها على السكك الحديدية وغيرها من مال مسلمي مصر. كما أنه تم بمساعدة أشهر الأمراء المنسوبين إلى نبي الإسلام عليه وآله من دونهم الصلاة والسلام، ولو قصدوا بالتسمية معناها الحق، لما صح أن يجازوا المصريين عليها بالرق، بل لوجب أن يشركوهم بهذا الفتح ويجعلوا لهم حظا من حكم البلاد التي فتحوها كما جعلوا لأنفسهم مثل هذا الحظ بل أكبر منه في حكم السودان بحجة أنهم شاركوا مصر في فتحها الثاني له بعد إجبارها على تركها إياه، وإن كان خصوا أنفسهم في هذه الشركة بالغنم، وحملوا المصريين فيها الغرم، كما بيناه في مقالة خاصة على إثر الاتفاق على هذه الشركة بينهم وبين بطرس باشا غالي الذي لا يملك من أمر السودان شيئا، وذلك بعد أن امتنع مصطفى باشا فهمي رئيس النظار عليهم أن يجعل ذلك الاتفاق بقرار من مجلس النظار محتجا بأن هذا حق الدولة العثمانية

صاحبة السيادة على البلاد وحدها، وكان هذا الامتناع أكبر منقبة لمصطفى باشا فهمي تدل على شرفه ونزاهته واستقلاله، على ما كان من ضعف إرادته معهم واستسلامه.

الحماية البريطانية والوزارة الرشدية

(٧) أعلنت بريطانية العظمى الحماية على مصر بالاتفاق والمواطأة مع وزارة رشدي باشا التي كان عدلي باشا أحد أركانها، وهذه الوزارة هي التي مكنت للإنكليز في البلاد، ومكنتهم من استخدام كل ما تملك الحكومة والأمة من الأعيان والمنافع والأناسي والدواب والأنعام، ولولاها لما استطاع الإنكليز أن يستخدموا زهاء ألفي شاب مصري، وينتفعوا بما يقدر بألوف الألوف الكثيرة من الجنيهات، وقد نقل عنها أنها لم تفعل ذلك إلا عن موعدة وعدوها إياها، وهي منح البلاد الاستقلال الإداري بعد انتهاء الحرب، وما كان رجالها أول من خدعته الوعود البريطانية، فنقول: إنهم لا يفقهون السياسة وأخاديعها، ولما انتهت الحرب وزال الخطر عن بريطانية العظمى وأحلافها، وشعرت بأن أزمة سياسة العالم صارت في قبضة يديها، قلبت لمصر ظهر المجن وشرعت تمهد السبيل لضمها إلى أملاكها، والإجهاز على لغتها العربية التي طالت محاربتهم لها واستبدال اللغة الإنكليزية بها، وجعل السلطان الغالب في هيئتي حكومتها التشريعية والتنفيذية للإنكليز وغيرهم من الأوربيين، والقبض على ناصية الثروة والمواصلات التي هي شرايين الحياة الإدارية والمالية في الأمة، وقد ظهرت مبادئ هذه المقاصد في عمل اللجنة التي ألفت لوضع نظام لإلغاء الامتيازات الأجنبية، وحصر النفوذ الأجنبي في البريطانيين، وقد كان عدلي باشا عضوا فيها، فلما رأت ذلك وزارة رشدي ظهر لها أن هلاك مصر بالاستعباد للإنكليز واقع على يديها، فكبر عليها الأمر، وسدت في وجهها منافذ الحيل، حتى ظهرت مبادئ النهضة الوطنية الجديدة على يد سعد باشا زغلول ورجاله.

تأليف سعد الوفد

ومساعدة رشدي وعدلي

(٨) إن خبر تأليف سعد باشا للجنة وطنية تسعى لاستقلال مصر باسم الوفد المصري معروف، ومشايعة وزارة رشدي باشا له غير مجهولة، وقد كانت قيمة مساعدتها حتى السلبية ثمينة، وأعني بالسلبية عدم مقاومته عند أخذ وثائق التوكيل من ممثلي الأمة للوفد بطلب الاستقلال التام، وقد حاول مستشار الداخلية الإنكليزي

منع هذه الوثائق، فلما لم يستطع استخدام الوزارة فيه كان عمله أبتر ناقصا، فكان هذا من أظهر الشواهد على عجز الإنكليز عن التصرف في الأمة بأنفسهم، فهم لم يعملوا شيئا ضارا ولا نافعا إلا بأيدي المصريين، ولم تكن مساعدة الوزارة لسعد باشا عن تواطؤ وتعاهد على السعي معه إلى الاستقلال التام الذي التزمه؛ إذ لم تكن ترجو هذا، وإنما رأت أن قيامه بهذا الأمر يكون وسيلة لها إلى أحد الأمرين: إما الحصول على استقلال إداري واسع مع الارتباط بالإمبراطورية بالحماية أو السيادة على ما كانت وعدت به عند إعلان الحماية، وإما إثبات وطنية أفرادها لتعلم الأمة أن موافقتها للدولة البريطانية على إعلان الحماية ومساعدتها إياها على استخدام قوى الحكومة والأمة في الحرب كان عن اجتهاد في خدمة البلاد يغفر لها خطأها فيه حسن النية والتكفير عنه بمساعدة الأمة على طلب الاستقلال.

الاستعداد للاستقلال

وأسبابه

(٩) إن استعداد الأمم للانقلابات الاجتماعية التي يظهر بها انتقالها من طور إلى طور، إنما يتم بأعمال شتى في أزمنة مختلفة تكون كالمقدمات للنتيجة، فلا يعلم عند النظر في كل منها منفردا ما سيفضي إليه أو ما سيترتب عليه عند اتصاله بغيره على وجه مخصوص، وإن رجال الاستعمار من الإفرنج يراقبون الشعوب التي يسودونها ليحولوا بينها وبين الأعمال التي تجتمع بها كلمتها، فتكون أمة مستقلة بالاستعداد بالقوة، الذي لابد أن يتبعه الاستقلال بالفعل، فيصرفونها عن هذه الأعمال ويشغلونها بضدها بقدر علمهم واجتهادهم، وقد يخونهم العلم فيعملون بأنفسهم لإعداد الأمة للاستقلال ما لا تستطيع عمله أو ما لا يأتي منها وهم لا يشعرون، فلم يكن لورد كرومر (وقد كان أوسع إنكليز مصر علما وخبرا وحزما) يعلم بأن إباحته للمصريين حرية الانتقاد على حكومتهم وأعظم رجالها سيكون سببا من أسباب جمع كلمتها إذ كانت الحكومات هي السالبة لاستعداد الشعب بمصر، والحائلة دون جعله أمة، وإنما كان منتهى اجتهاده في ذلك أن سقوط هيبة الحكومة الوطنية وزوال سلطانها يجعل المصريين خاضعين للإنكليز خانعين لهيبتهم وحدهم، وهم الذين لا يطمع أحد في إضعاف سلطانهم، ولم تكن السلطة العسكرية البريطانية تعلم أن ذلك التصرف في أموال الفلاحين وسائر الطبقات الواطئة وفي أنفسهم، يولد عندهم من العلم بضرر السلطة الأجنبية والشعور بكراهتها وعداوتها ما تشارك به أعلى الطبقات علما وأشدهم شعورا فتجعل الأمة كتلة واحدة وكلمة واحدة،

بل أقول: إن الحكومة البريطانية العليا في لندن كانت تجهل ما تلده لها الدعوة (البوربغندة) التي نشرتها في العالم كله طول سني الحرب لإقناع الأمم كلها بأنها مع حلفائها يقاتلون لتحرير الأمم والشعوب وإزالة ما يريده الألمان وحلفاؤهم من جعل السلطان للقوة دون الحق، وهو توجه أنفس الشعوب المستعمرة أو المستعبدة بالأسماء المختلفة إلى الحرية والاستقلال وبغض المستعبد واحتقاره والخروج عليه مهما تكن النسبة بعيدة بين قوته وضعفها كما كانت تجهل بالأولى أن نفي سعد باشا زغلول ورفاقه من مصر عند إظهارهم الاستعداد لطلب الاستقلال يولد في مصر ثورة اجتماعية عامة. كيف وقد سمعت هذه الحكومة ممن كانت تعده أعلم رجالها بحال المصريين وهو مستشار الداخلية السابق قوله: إذا اشتعلت نار ثورة في مصر فهو يطفئها ببصقة من فمه.

الوحدة المصرية

وما حدث من صدعها

(١٠) ظهرت مبادئ استعداد الوحدة المصرية للاستقلال ونبذ السلطة الإنكليزية بعد وقوع أسبابه التي أشرنا إلى بعضها في زهاء ثلث قرن، فكانت كلما قاومها الإنكليز تزداد قوة لأنها حقيقية لا صورية مدبرة كما ظنوا بادئ ذي بدء، ولو علموا أنها حقيقية لعالجوها باللين والخدعة، لا بالشدة والصراحة، ولكن هذه الوحدة لم تعش أكثر من عامين حتى فت في عضدها التفرق والانقسام، ومن العجيب أن أعظم مظاهر الاعتصام والوحدة قد كان هو نفسه أعظم مظاهر الانفصام والفرقة، ألا وهو الوفد المصري الذي أجمعت الأمة على الثقة به، وجعلت في تصرفه مئات الألوف من الجنيهات، لقد جنى الوفد على نفسه بما جنى على الأمة فخابت فيه الآمال، وغلب يأس الجمهور على الرجاء، وآخرون متحيرون يقولون ماعدا مما بدا؟ وهل لمصر من موسى يأتيها بخبر أو يجد على هذه النار هدى؟

وقد يعجبون لقول مثلي بعد هذا التفرق الذي أشرب العداء ولم يسلم من الهجر والبذاء، على أكابر الزعماء والرؤساء: إن الوحدة المصرية حقيقية ولم تكن خدعة صورية، نعم إنني قلت ما قلت على علم، وإنني أثبت رأيي بالدليل:

لا تتمحص الحقائق إلا بدخولها في جميع الأطوار التي من شأنها التطور بها، فما ظهر من التفرق والانقسام في الوحدة المصرية التي أكبرها العالم مدة سنتين يشبه ما كان من إكبار العالم للانقلاب العثماني الذي هتفت له الشعوب العثمانية على اختلاف مللها ونحلها، ولغاتها وتربيتها، وتعانقت وتآخت لأجل تنفيذ قانونه، ثم لم

تلبث جمعية الاتحاد والترقي التي أحدثته أن هدمته بيدها، وكذلك هدم الوفد
المصري ما حدث على يديه من الوحدة المصرية واجتماع الكلمة عند نفي رئيسه
وثلاثة من أعضائه المؤسسين إلى مالطة – ثم عند إطلاقهم من اعتقالهم – ثم في
مقاطعة لجنة لورد ملنر وإجماع الأمة على ردها إلى الوفد المصري – ثم في
استقبال لجنة الوفد التي جاءت لاستشارة الأمة في تقرير لورد ملنر – ثم في استقبال
الرئيس سعد باشا زغلول بحفاوة عامة اشترك فيها القطر المصري من أدناه إلى
أقصاه باحتفالات وزينات وخطب وقصائد ومآدب لم يسبق لها نظير، ولم يبق أحد
يجهل أن اتحاد الأمم هو أعظم قوة لها تتبعها سائر القوى إذا ثبتت، وينتكث فتل
كل ما يوجد منها إذا نكثت، فما سبب هذا التفرق بعد ظهور ثمرة الاجتماع بجنوح
بريطانية العظمى إلى استمالة مصر وإرضائها برفع الحماية عنها والاعتراف
بالاستقلال لها، مقيدا ذلك بقيود تحفظ بها مصالحها.

موضوع الاتفاق

وسبب الافتراق

(١١) إن ما كان من الوحدة والاتفاق كان على أمر مجمل توجه إليه
استعداد جميع طبقات الشعب، وهذا التفرق لم يزده إلا قوة، ولكن الشعب (لما
اتفق على طلب الاستقلال التام كان أهل الرأي منه يعلمون أن الكمال يقصد في أول
السعي، وقلما ينال إلا في آخره، وأن المسافة بين الأول والآخر في أعمال الأمم
قد تكون قريبة تحسب بالسنين، وقد تكون بطيئة تعد بالأحقاب، ومنهم من كان
يرى مع هذا أن كل ما يؤخذ من الغاصب فهو ربح، ومن يرى أن أخذ بعض
المغصوب قد يتضمن الاعتراف للغاصب بالبعض الآخر، فالواجب الانتظار لأخذ
الحق كله ولو بعد حين، فكان هذا خلافا يداخل الاتفاق وإن لم يذكر في الوقت الذي
لم يظهر من الغاصب فيه جنوح ما إلى الاعتراف بشيء من الحق لصاحبه، دع
الوعد ببذله كله أو بعضه، فلما أثمر سعي الوفد بقوة وحدة الأمة التي تؤيده جنح
الإنكليز لإرضاء المصريين بالاعتراف لهم بحقهم في إدارة بلادهم واستقلالهم فيها
(بشرط اعترافهم هم لبريطانية العظمى بمركز ممتاز في البلاد تحفظ به مصالحها
ومنافع أوربة بما اكتسبته من الأهلية لهذا الامتياز بالاحتلال الطويل الذي خدمت
البلاد فيه ورقت موارد الثروة فيها وغير ذلك مما تدعيه سواء كان مسلما أم لا)
ودعي الوفد المصري من باريس إلى لندن لأجل المفاوضة في التقرير الذي وضعه
لورد ملنر وزير المستعمرات البريطانية لحل إشكال القضية المصرية – لما كان

ذلك ظهر في المسرح عدلي باشا يكن أحد أركان الوزارة الرشدية التي استقالت في سبيل تأييد الوفد، فكان وسيطا بين الوفد ولجنة ملنر التي فوضت الحكومة البريطانية إليها أمر المفاوضة وسبر غور الوفد، وظهرت بتلك الوساطة مبادي الخلاف الكامن الذي أشرنا إليه، وانتهى بالتفريق والشقاق الذي نشكو منه، فما ثم شيء جديد إلا وله أصل تليد كان يتخلل بذور الاستقلال المطلق بذور الاستقلال المقيد بقيد الإمبراطورية، فنبت ذاك أولا في مصر، ونبت هذا بعده في أوربة ثم في مصر، فكان كالزئوان بين القمح.

لقد فتن الجمهور المصري تبعا لوفده بمشروع ملنر، وبعد طول البحث فيه والتمحيص له استقر رأي سعد باشا على أنه (حماية مقنعة) الغرض منه جعل مركز الغاصب المبطل شرعيا بقبول الأمة المصرية هذه الحماية المقنعة، ورأى عدلي باشا أنه مشروع جدير بأن يبنى عليه الاتفاق بين إنكلترة ومصر، وأنه يمكن تعديل بعض ما يشتد سعد باشا في إنكاره منه، وكان سعد باشا يرى عدم المفاوضة في هذا المشروع، ثم رأى بعد مفاوضة لجنة ملنر التي استدرج إليها أنه لا يجوز جعله أصلا للاتفاق بين مصر وإنكلترة، ولا أساسا للمفاوضات الرسمية، إلا إذا ألغيت الحماية وقبلت التحفظات التي وضعها الوفد بعد مشاورة الأمة والاطلاع على رأيها، واشتد النزاع بينه وبين ملنر مرارا حتى هم بقطع المفاوضات، وكان عدلي باشا يعيد المياه إلى مجاريها بلطفه وكياسته، فأرضى بذلك الإنكليز وعلقوا آمالهم به، وأغضب سعد باشا، وسعد شديد الشكيمة حديد المزاج إذا غضب جرح فأدمى، وعدلي باشا رقيق الطبع من أبعد الناس عن النضال والخصام، ولكن مال إليه بعض أعضاء الوفد وآثروه على رئيسهم في شخصه وفي طريقته، فاجتهدوا أولا في التأليف بينهما، ولولا ذلك لظهر ما نجم من الشقاق بينهما في أوربة، على أن سعد باشا أنبأ لجنة الوفد بمصر ببرقية من باريس بأن عدلي باشا مشاق للوفد، فلم تنشر ذلك اللجنة وتدارك ذلك الأعضاء هنالك، فأصلحوا بينهما إصلاحا التزم فيه عدلي بألا يعمل عملا إلا بالاتفاق مع الوفد، وحمل سعدا على كتابة برقية تنسخ البرقية الأولى، فنشرت هذه دون تلك، ويقال أنهم أقنعوا سعدا بأن يؤلف عدلي وزارة تتولى المفاوضة مع إنكلترة ويكون الوفد بالمرصاد لما يقرره الفريقان، فإن كان مرضيا أيده وإلا استأنف جهاده وسعيه.

ثم ظهر الخلاف بين سعد والمشايعين لعدلي من أعضاء وفده، فغادره خمسة منهم وعادوا إلى مصر، فسبقهم إليها نبأ منه بمخالفتهم له فاستقبلهم جند الوطنية من

الشبان أسوأ استقبال منذ بلغوا مرفأ الإسكندرية إلى أن آووا إلى بيوتهم وأسمعوهم أذى كثيرا مشوبا بالوعيد والنذر، وأخذوا منهم كتابا بأنهم على رأي الرئيس ومعه، ولكن لم يمنعهم ذلك من بث الدعوة لعدلي باشا والطعن في سعد باشا والتنفير والصد عنه، وكان منهم الغالي والمعتدل في ذلك.

الوزارة العدلية

(١٢) من القضايا التي صارت معروفة للجمهور ومسلمة بين الخصوم أنه لما كان الوفد المصري وعدلي باشا في لندن تقرر لدى الحكومة البريطانية أن يؤلف عدلي باشا بعد عودته إلى مصر وزارة تتولى المفاوضة الرسمية وعقد الاتفاق بين بريطانية العظمى ومصر على أساس تقرير لجنة ملنر بشرط إلغاء الحماية فقط، والشائع أن أعضاء الوفد الذين تحولوا ثمة عن سعد إلى مشايعة عدلي قد تواطئوا معه هنالك على تأييد الوفد له، إما بجذب سعد إليهم وإما بنبذه بأكثر الآراء، ولولا هذا التواطؤ لم يقبل عدلي باشا أن يدخل في هذه المعمعة وينقض عهده، فإنه رجل شديد الاحتياط في حفظ كرامته وشرفه واتقاء القيل والقال، دع الاستهداف للطعن والنضال، وأنهم حاولوا هذا هنا فلما لم يستطيعوا إليه سبيلا تحيزوا إلى عدلي جهارا، وإننا نلخص خبر الوزارة بموجز من القول:

سبق أن ذكرنا في المنار الصفة الرسمية لتأليف الوزارة، وأنها كانت بسبب البلاغ البريطاني لعظمة السلطان في شأن المفاوضة باستبدال علاقة أخرى بالحماية البريطانية على مصر تربطها بالإمبراطورية، وقد اشتهر أن السلطان كان يرغب أن تتولى وزارة محمد توفيق باشا نسيم ذلك؛ لأنها كانت أحظى الوزارات عنده، ولما استقالت لأجل هذا العمل عهد إلى محمد مظلوم باشا بتأليف الوزارة المطلوبة فلم يمكن، ويقال: إنه ذكر غيره، ثم علم أنه لا يمكن أن يقوم بهذا الأمر إلا عدلي باشا.

ولما ألف عدلي باشا الوزارة ذكر في جوابه عن الأمر السلطاني بتأليفها خطتها السياسية الناطقة بأنها (ستجعل نصب عينيها في المهمة السياسية التي ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانية العظمى وبين مصر، الوصول إلى اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر. وستجري في هذه المهمة متشبعة بما تتوق إليه البلاد ومسترشدة بما رسمته إدارة الأمة، وستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد باشا زغلول إلى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا الغرض) .

وقع هذا القول على إبهام عبارته واضطرابها [١] أحسن موقع من الأمة؛ فإن

آمالها كانت محصورة في الوفد الذي ينطق باسمها، فرأت أنها قد وجدت في البلاد حكومة تؤيد الوفد وتعمل معه فأصبحت الأمة والحكومة كلمة واحدة ويدا واحدة بعد أن كانت الحكومة خصما للأمة منذ تمكن الاحتلال الإنكليزي، وأنشب براثنه فيها إلى هذا العهد؛ لأجل هذا صفقت الأمة لهذه الوزارة وقابلتها بمظاهرات الثقة بها والهتاف لها مع الهتاف للوفد ولرئيسه سعد باشا.

التفرق والشقاق بين المصريين

(١٣) ثم إن الوزارة آذنت سعد باشا – وهو في باريس – بتأليفها وخطتها وطلبت منه الحضور إلى مصر للتعاون معها على العمل، فبادر فقابلته الأمة من أعلى طبقاتها إلى أدناها في جميع البلاد من أدناها إلى أقصاها، بمظاهر من الحفاوة والتكريم، لم يسبق لها شبه ولا نظير، فكانت الأمة كالمجمعة على ما قامت به جميع هيئاتها النظامية المنتخبة وسائر ممثليها من تكريمه وإعلان الثقة به في المحافل العامة والمآدب الخاصة، ولكن هذا الإجماع لم يكن تاما عاما سالما من الشذوذ الخفي، بل كان بعض أعضاء الوفد الذين خرجوا من أوربة مغاضبين، وبعض الحاسدين الذين زادهم ما رأوا حسدا – يخفون في أنفسهم ما لا يبدون للناس، فلما تعذر التوفيق بين الوفد والوزارة أو بين رئيسيهما ظهر ما كان خفيا وصار أعضاء الوفد المغاضبون لرئيسهم يتسللون من (بيت الأمة) [٢] لواذا، وينفضون إلى الوزارة ثبات وأفرادا، ثم استمالوا هم والوزارة إليهم آخرين منهم، وحمي وطيس الخلاف والجدل، وصرح رئيس الوفد بعدم الثقة بتولي الوزارة للمفاوضة مع الحكومة الإنكليزية والاتفاق معها على مستقبل مصر، فعارضته الوزارة وقاومته بكل ما لدى الحكومة من حول وقوة، تظاهرها في ذلك السلطة المحتلة، ومن ورائها الأمة البريطانية بحكومتها وجرائدها، ويالها من قوى هائلة تستغيث من هولها الأمم، وتخشى صولتها كبرى الدول، فظهر بذلك صدق ما قيل من أنه قد تقرر في إنكلترة أن يتولى عدلي باشا الوزارة ويؤيده الوفد، ثم يكون هو الذي يعقد الاتفاق بين بريطانية العظمى ومصر على قواعد تقرير ملنر بشرط إلغاء الحماية واستبدال علاقة بريطانية أخرى بها.

فوقع بذلك الشقاق في الأمة، وانشقت عصا تلك الوحدة التي ليس لمصر من دونها حول ولا قوة، فكان هذا أول طلائع الظفر البريطاني الذي يغالب جميع الخطوب بالصبر والجلد، مع الدأب في العمل.

وقل من جد في أمر يحاوله ... واستعمل الصبر إلا فاز بالظفر

ففيم كان هذا الشقاق الذي شوه تلك السمعة الشريفة التي نالتها مصر في العالم كله بوحدتها واتفاق كلمتها مدة عامين؟ هل هو شقاق في المذهب السياسي أم تنازع على الزعامة والرياسة بين الأفراد وانتصار كل فريق لزعيم لتفضيله إياه في الزعامة للمصلحة العامة أو المنفعة الخاصة؟ ومن المذنب المسئول؟ وأي الحزبين هو الظافر وأيهم المغبون؟

موضوع الشقاق وزعيماه

(١٤) من القضايا التي صارت معروفة لكل أحد أن وحدة الأمة المصرية التي كان يمثلها سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصري قد انصدعت فصارت الأمة في طريق السعي إلى استقلالها فريقين، وأن زعيم الفريق الأكبر أو الأكثر هو سعد باشا ويعبر عن أفراد حزبه بالسعديين، وأن زعيم الفريق الأصغر أو الأقل هو عدلي باشا، ويعبر عن أفراد حزبه بالعدليين، وأن كل قوة سعد مستمدة من الأمة، وأن جل قوة عدلي مستمدة من الحكومة المصرية التي هو رئيسها والسلطة البريطانية الموجدة لهذه الحكومة، وأن هذا الصدع قد كان من قبل الزعماء الذين أسسوا بناء الوحدة بما كان من استعداد الأمة له وهم زعماء هذه الوزارة وزعماء الوفد الذي تأسس بمساعدتها بما وقع من الخلاف بينهم، فهم المسئولون، وإن التنازع على رئاسة الوفد الرسمي الذي يتولى عقد الاتفاق بين بريطانية العظمى ومصر إذا أمكن قد كان من أسباب هذا الخلاف.

هذه قضايا لا مراء فيها، والعدليون يتهمون سعدا بأنه لا عذر له في الامتناع من تأييد الوزارة إلا حب الرئاسة، وقد أذاع كتابهم في جرائدهم وغيرها أن المسألة شخصية، وهذا عار كبير على الأمة بأسرها، وسعد باشا يحتج بأنه يجب أن يكون هو الرئيس للوفد الرسمي؛ لأنه هو الممثل للأمة التي وعدت الحكومة باتباع إرادتها في قضيتها السياسية، والوزارة الحاضرة ليست إلا وزارة الحماية الإنكليزية، فهي مظهر للسلطة البريطانية، فإذا كانت هي التي تتولى إدارة المفاوضة ثم الاتفاق مع بريطانية فكأن ملك الإنكليز هو الذي يتفق مع نفسه، وأن ما تعتذر به الوزارة أو تحتج به على ما تحرص عليه من جعل رئاسة الوفد الرسمي لرئيسها، وهو أن التقاليد المتبعة في جميع الدول أن رئيس الحكومة هو الذي يرأس كل جماعة رسمية يكون فيها، وهو الذي يعقد المحالفات والاتفاقات مع الحكومات الأخرى – عذر باطل وحجة داحضة، فإن ما ذكروه من تقاليد الحكومات المستقلة النيابية التي يمثل رئيسها الحكومة والأمة جميعا إذ لا يكون رئيسا لها إلا بتأييد

مجلس نوابها الممثل للأمة، وهذا مباين لحال الوزارة المصرية.
ويقول العدليون: إن الوزارة أجابت سعد باشا إلى جميع ما اشترطه لتأييد الوفد لها إلا مسألة الرياسة، فمهما يكن له من حجة على طلب هذه الرياسة لنفسه، فليس له أن يوقع الشقاق في الأمة لأجله، وناهيك بقبول كون أكثر أعضاء الوفد الرسمي من أعضاء وفد الأمة الذين يختارهم رئيسه، وكون الثقة بشخص عدلي باشا لا نزاع فيها، وسعد باشا وحزبه يرددون هذا القول بكلام لم ينشروه كله في الجرائد، فينكرون إجابة ما عدا شرط الرياسة من شروط الوفد، فقد كان أهم الشروط إصدار المرسوم السلطاني ناطقا بتحديد الأساس الذي تجري فيه المفاوضة على ما يتفق مع مطلب الأمة ومبادئ الوفد، كالنص على إلغاء الحماية البريطانية على مصر حتى أمام الدول الأجنبية وعلى الاستقلال الدولي التام المطلق في الداخل والخارج، ويليه شرطا إلغاء الحكومة العرفية والمراقبة على الصحف لتكون الأمة وصحفها حرة في أقوالها وأفعالها لا مسيطر عليها في إبداء رأيها إلا القانون، فلم ينفذ شيء من ذلك، ويقولون أيضا: إن الرئيس لم تبق له ثقة باقتدار عدلي باشا على تحقيق مقصد الأمة المصرية بعد أن تمحصت قضيتها؛ لأنه يرضى بدون ما ترضاه، ولا ثقة له بأعضاء الوفد المتحيزين إليه، فهذا كله مما كتب، وهو يفيد أنه لم يعد اشتراط كون أكثرية الوفد الرسمي من أعضاء الوفد غير الرسمي مفيدا، فإذا ألف عدلي الوفد الرسمي فجعل ثلثهم من رجال الحكومة الذين على رأيه والثلثين من أعضاء الوفد غير الرسمي وكان نصفهم من المتحيزين إليه تكون بيده الأكثرية الساحقة، وإذا كان مع هذا هو الرئيس الذي يتولى إدارة المفاوضة فلا يبقى لرأي سعد باشا معه تأثير، فلهذا اشترط أن يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لا لمجرد حب الرياسة، فإنه ليس فوق ما خولته إياه الأمة من الزعامة فيها والرياسة لها، غاية تطلب.
وأظهر حجة لبعض العدليين، رضيها بعض المعتدلين هي أن الوفد الرسمي الذي ترضى بريطانية العظمى أن تتفق معه؛ لا بد أن يكون من قبل عظمة السلطان، فإذا جاز أن يرسم السلطان لغير رئيس حكومته بتأليفه فلا يجوز أن يجعل سعد باشا هو الرئيس له؛ إذ لا صلة بينه وبينه يعرف بها رأيه وفكره ودرجة إخلاصه له، وهؤلاء ينكرون على سعد باشا عدم زيارته للسلطان عقب عودته، وهو يعلم أيضا أن الحكومة البريطانية لا ترضى برئاسة سعد باشا، فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي لسعد باشا أن يوجه كل نفوذه في الأمة إلى منع ما اتفقت عليه الحكومتان

بمحاولة إسقاط عدلي باشا وإلجائه إلى استعمال نفوذ حزبه ونفوذ الحكومة إلى جزائه على عمله بمثله الذي أدى إلى شق عصا الوحدة وخسارته، بل خسارة البلاد ما كان من إجماع الأمة على زعيم واحد وهو (سعد باشا) وكان يكفيه ألا يؤيده، ولا يشاركه في المفاوضة ويقف له ولوفده الرسمي بالمرصاد، فإن جاء الاستقلال التام الذي يرضاه هو والأمة لم يكن عليه أدنى غضاضة في قبول ذلك وتوجيه نفوذ زعامته إلى النهوض بأعباء هذا الاستقلال الذي يشهد الجميع بأنه حجر الزاوية له، وإن وقع الاتفاق الرسمي باسم من كان عونا له لا خصما. وإن جاء بحماية مقنعة أو استقلال صوري مقيد بقيود الإمبراطورية البريطانية ومغلل بأغلالها، فليحمل عليه بحمل الأمة على رد هذا الاتفاق وعدم التصديق عليه، فإذا لم ينفذ الاتفاق حينئذ نكون باقين في موقفنا، بل أقوى مما كنا بعد اعتراف إنكلترة لنا بما اعترفت به، وإذا نفذ نكون قد ربحنا ما تركته لنا من حقوقنا من حيث لم تتقيد الأمة بالاعتراف لها بشيء بإثباتنا حينئذ أن الوفد الرسمي المفاوض لا يمثل الأمة، أو لم تقره الأمة على ما عقده.

والسعديون يردون على هؤلاء بأنهم موقنون بأن عدلي لا يأتي إلا بالحماية المقنعة، وبأن السكوت أو ترك المعارضة يفضي إلى نجاح الوزارة في اغتصاب الثقة بها من الأمة بنفوذ الحكومة المعزز بالرجال والمال، ثم إلى التصديق على ما تتعاقد عليه مع الحكومة البريطانية، فإذا اجتمعت القوتان على ادعاء هذا التصديق والإقرار له وكونه مبنيا على تلك الثقة والتفويض، فماذا تفعل الأمة الضعيفة بعد ذلك؟ فهذه صفوة حجج الفريقين في جوهر الموضوع وموضع النزاع، وما نحن لما عدا ذلك من المراء والجدل بناظرين.

الموازنة بين الرئيسين

(١٥) عدلي باشا يكن رجل عزيز النفس، كريم النحيزة، مهذب الأخلاق، رقيق الطبع، أبي، مترفع في غير كبرياء، مبالغ في حفظ كرامة نفسه، مع المراعاة لكرامة معاشره وجليسه، واسع الحلم، نزيه النفس واللسان قليل الكلام، وهو كبير بيت يكن الذي هو أكبر بيوتات السلائل التركية في مصر، بل هو البيت الأول بعد بيت الإمارة ممن تولوا الأحكام والمناصب العالية، وهو كبير في نفسه، كما أنه كبير في بيته، حريص على حفظ شرفه، فهو بهذه الصفات جدير بمنصب السفارة والوزارة وبرئاسة الوزارة، وقد أوتي من العلم العصري ما يحتاج إليه المنصب، وقلما يوجد بمصر من يقسر كبراء الإفرنج – حتى الإنكليز منهم –على احترامه مثله، بل هو قوي الشبه بكبراء الإنكليز في ترفعه وآدابه وشمائله.

ولكنه لم يؤت من طلاقة اللسان في الخطابة، ومن بلاغة القول في الكتابة، ومن الإقدام على مكافحة الخطوب ومصارعة الأخطار ما يؤهله لزعامة الأمة أو التأثير فيها والسير بها في سبل الارتقاء الاجتماعي، ولا لقيادتها في ميادين الجهاد السياسي، بل هو غير مستعد للتصدي لإحداث أدنى تأثير في الأمة بنفسه، ولعله لولا المناصب العالية التي تولاها، كإدارة الأوقاف العامة ومحافظة العاصمة والوزارة لما كان يعرفه إلا القليل من طبقات الأمة الوسطى دع الدنيا، وهو لا يعرفهم بالأولى.

سعد باشا زغلول، هو رجل من بيت وسط من مديرية الغربية عربي السلالة، كما أخبرني صديقي المرحوم عبد الرحمن زغلول ابن أخي سعد باشا، طلب في حداثته العلم في الأزهر، وكان من حسن الحظ أن اتصل في أثناء ذلك بالأستاذ الإمام، وتلقى عنه وعاش معه زمنا وتخرج به، فهو أستاذه الأول ومربيه على ما خلق مستعدا له من الاستقلال في الرأي والفهم وقوة الإرادة والشجاعة وصناعة الحجة وحب الحق. وأدرك أيام موقظ الشرق ومصلح مصر السيد جمال الدين الأفغاني وحضر بعض أنديته وسماره، ولما تولى الأستاذ الإمام إدارة المطبوعات ورياسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) جعله محررا في القسم الأدبي الإصلاحي الذي زاده فيها، فتمرن على الكتابة في المسائل الاجتماعية والسياسية والأدبية والاقتصادية، واطلع على جميع شؤون الحكومة، فإن إدارة المطبوعات كانت في ذلك العهد مسيطرة على الجرائد وسائر المطبوعات ومراقبة على الحكومة تنتقد جميع أعمالها في جميع فروعها، وفي أثناء ذلك حدثت الثورة العرابية، فهو قد نشأ وترعرع وشب في حجر العلم والسياسة والانقلاب الفكري والاجتماعي والسياسي.

ثم اشتغل بالمحاماة والتزم فيها جانب الحق، فكان لا يقبل الوكالة في دعوى يرى أن صاحبها مبطل، فبرع في الخطابة وإقامة الحجة والاطلاع على القوانين، والخبرة بشؤون الناس وأخلاقهم ومعايشهم وحيلها، ثم صار قاضيا في أعلى مناصب القضاء الأهلي، فاشتهر بدقته في التحقيق، واستقلاله في الرأي، وعدله في الأحكام، حتى شهد له مستشارو الاستئناف من الأجانب والوطنيين كتابة بأنه رقى المحاماة وشرف القضاء بعدله واستقلاله، وهي شهادة لم ينلها – فيما نعلم – أحد من صنفه، ثم صار وزيرا للمعارف ثم وزيرا للحقانية، ثم وكيلا منتخبا للجمعية التشريعية.

وكان في كل منصب من هذه المناصب الكفؤ الكريم الممتاز بين أهله فيه، ولا نعرف أحدا في وطنه يشاركه في هذه المجموعة من المزايا، بل قل أن يوجد له ند يضارعه في فرد من أفرادها، فهو بها أجدر أفراد هذه الأمة بزعامتها الاجتماعية والسياسية إلا أنه ينقصه من صفات الزعماء السياسيين – كما يقولون – ما يسمونه المرونة السياسية، وهي تشمل سعة الصدر والحلم والمداراة والتمويه والخداع، وإن شئت قلت: والبراعة في الإفك والكذب الذي يحتمل التأويلات الكثيرة والتملق، والبراعة في الاستمالة، والتزلف عند الحاجة. وهو لغلبة ملكة القضاء على ملكاته لا يستطيع كل ذلك ولو تكلفا، فهو لا يبالي بمن خالفه فيما يعتقد ولا يحفل بعداوته له مهما يكن عظيما، وقد كان الأستاذ الإمام يقول: إن سعدا خلق ليكون قاضيا، ووصف سيرته في القضاء واستقصاءه فيه للدلائل ودقته في الاستنباط وحرصه على العدل، وخصومه يسمون هذه الملكة غلظة وكبرا، أو يطلقون أمثال هذه النعوت على بعض لوازمها.

وقد زادوا في بعض هذه الأيام نعته أنه مستبد لا يخضع للشورى، فهو يعمل باسم الوفد ما يراه، وإن خالف قرار الأكثرين، وهذا خلاف ما نعرف فيه ونعهد منه، فإذا أردنا إنصاف القائلين بهذا بحمل كلامهم على الصدق، ولا سيما فيما ينقلونه من الوقائع المعينة، فلا نرى جامعا يجمع بينه وبين ما هو معروف عنه من الإنصاف والاستقلال ومعرفة قيمة النظام ومراعاة القوانين إلا ما حدث في الوفد من الشقاق واختلاف النيات، وإلا فإن مثل سعد لا يخفى عليه أن شعبه الذي يفتخر بحق بارتقائه وأهليته لتولي أمور نفسه بنفسه في حكم دستوري، لا يمكن أن يقبل في عمل من أعماله رئيسا مستبدا لا يجري على نظام الشورى، ولا متكبرا لا يحترم آراء من معه، وإن هذين الخلقين لا يخفيان على أحد.

على أننا قد سمعنا بآذاننا وسمع الجماهير مثلنا خطبه في المحافل والمجامع العظيمة، وقرأها أكثر ممن سمعوها، فهم يشهدون بأنه كان يعزو فيها كل عمل إلى أعضاء الوفد، ويذكرهم بمنتهى الأدب والاحترام، ويقدمهم أحيانا على نفسه، وعلمنا أنه زار من لم يزره ممن عادوا من أوربة قبله مغاضبين له، مع العلم بأنه كان أشدهم زراية عليه وصدا عنه، وفضله على نفسه في إحدى خطب المجامع الحافلة، ولم يكن هذا بجاذب لذلك العضو إلى الوفاق، بل لم يزده إلا حقدا وضغنا وإعراضا وطعنا.

الحكم في الشقاق بين أعضاء الوفد ورئيسه

(١٦) إنني أعرف بعض أعضاء الوفد المصري معرفة صحبة ومودة، وأعرف بعضهم معرفة مواجهة ومحاولة، وأجهل حال غير المشهورين منهم جهالة تامة، فأنا أحكم بصدق الوطنية لبعضهم على علم وخبر، وأحكم به للآخرين على قاعدتي أصل البراءة وحسن الظن، وقد سمعت ما قاله المختلفون على رئيسهم سعد باشا وقرأت ما كتبوا، فرأيت أنهم قد أخطأوا في اجتهادهم، حتى على تسليم جميع أقوالهم، فكيف إذا كان القول الوسط المعقول في هذا الاختلاف هو القول في كل اختلاف بين فريقين في أمر من الأمور العامة والمصالح السياسية والمسائل الاجتهادية التي تختلف فيها الآراء والأنظار، وهو أن يكون كل فريق مخطئا في بعض ما اختلفوا فيه ومصيبا في بعض، فإن جاز عقلا أن يكون أحدهما مصيبا في كل ما خالف فيه الآخر فأي الفريقين أجدر بأن يحكم له بالصواب؟ آلفريق الذي يخطئه السواد الأعظم من الأمة بعد معرفة كل ما أدلى به من الحجج وما أدلى به خصمه؟ ولا يؤيده إلا نفر قليل جدا أكثرهم من أصدقاء أفراده أو من أتباع أصحاب العصبية منهم؟ أم الفريق الذي يؤيده السواد الأعظم، ويرمي مخالفيه بأشنع التهم، وينبزهم بأفظع الألقاب؟

أقول: إن المؤيدين لأعضاء الوفد الذين شاقوا الرئيس نفر قليل جدا في مجموع الأمة، مع العلم بأن الذين أيدوا الوزارة العدلية كثيرون جدا، فإن الذين أيدوا الوزارة لا يؤيد جميعهم ولا أكثرهم أعضاء الوفد المشايعين لها، بل أكثرهم يرى أن سعد باشا هو زعيم الأمة بحق، وأنه هو المرجع الذي يعول عليه عند تحكيم الأمة فيما يأتي به وفد الحكومة الرسمي من الاتفاق مع الحكومة البريطانية، ولئن كان المشاقون لسعد أول من أيد عدلي، ويعتقد أهل الرأي أنه لولاهم لما كان ما كان، فإن المؤيدين له بعد أن أصر على السير في القضية بدون اتفاق مع سعد والوفد إنما أيده أكثرهم بنفوذ الحكومة لا بنفوذ هؤلاء الأعضاء، فهم قد نزلوا بمشاقتهم لسعد عن مقام الزعامة العامة في الأمة إلى أدنى مما كانوا عليه قبلها، فإن كانوا تركوا سعدا لحفظ كرامتهم الشخصية التي نقلوا عنه أنه لم يكن يعطيها حقها، ولتأييد المصلحة العامة التي قالوا أنهم رأوه باستبداده غير أهل لها، فقد كانت خسارتهم الشخصية بهذا الترك أعظم، وصاروا عن القيام بخدمة المصلحة العامة أعجز، فهذا هو وجه تخطئتي لاجتهادهم حتى على تقدير تسليم جميع أقوالهم، وإنما كتب هذا لأجل التذكير وبيان وجه العبرة لمن يعتبر من أمتنا بما كان من أغلاط الزعماء والعلماء بالمصلحة العامة فيما نستقبله من حياتنا السياسية التي لا

نزال فيها أطفالا بالنسبة إلى الأمم التي طال عهدهم بالتمرس بأعمالها والجهاد في ميادينها.

يقولون: إن العمل معه صار متعذرا، فإن لم نقل إن المتبادر أنه صار متعذرا بعد المشاقة إذ كان متيسرا قبلها، قلنا: إن الإخلاص في العمل للأمة والحرص على وحدتها لا يمكن أن يكون بغير جهاد شاق وصبر واحتمال وإيثار، وقد قيل في المثل: إن صح منك الهوى أرشدت للحيل، فعلى هذا لم يكن من المتعذر أن يقنع بعضهم بعضا بالتناصر والتظاهر على الرئيس – وهم معه – فيما يرونه أنه مخلا بكرامة بعضهم أو الاستبداد بالأمر دونهم، كما تظاهروا عليه في الانتقاد الصريح في الجرائد والخروج من الوفد، فإن كانوا توهموا أنه كان الممكن إسقاطه واستبدال غيره به قبل مجيئه من أوربة، وما قابلته به جميع طبقات الأمة من أدنى البلاد إلى أقصاها من الحفاوة والغلو الذي كاد يكون من العبادة، فوقوع هذا التوهم بعد ذلك كله من أغرب الخطأ، ولاسيما من هؤلاء الأذكياء العلماء بأخلاق الأمم وسنن الاجتماع.

لقد كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذين شبهناهم بهم في أول المقال أهدى سبيلا منهم في المحافظة على زعامتهم ونفوذ جماعتهم في الدولة والأمة، فقد كان ينكر بعضهم على بعض فيغلظون في الإنكار، ولكن لم يكن ذلك ليتعدى أنديتهم ولا ليفرق جماعتهم، وبذلك كان لهم الفوز على جميع الأحزاب المناوئة لهم على قوتها، والوفد المصري لم يكن له في الأمة خصوم يعتد بهم ويخشى عليه منهم، حتى كانوا هم الذين شقوا عصاهم بأيديهم، وسنجد ألوفا من العاذلين لنا على هذه الطريقة، ولا نتسامى إلى منصب القضاء فنقول: هذه الرأفة، الرأفة في الحكم عليهم، أولئك الذين يتهمونهم بأنهم قصدوا بذلك خدمة أنفسهم، وما نحن لهذه التهمة بشارحين، لأنا نكتب للوعظ والإرشاد، لا للتحيز إلى الزعماء والتحرف للأحزاب.

مكانة الزعامة في الأمة

ومكان سعد منها

(١٦) إن اجتماع كلمة السواد الأعظم من الأمة على زعيم يمثلها ليس من الهنات الهينات، ولا من المقاصد التي تنال بسعي الأفراد والجماعات، إلا بمساعدة الزمان بوقائعه وأحداثه وإشعاره الأمة بمعنى الزعامة والحاجة إليها، وإعداده للزعيم الكفؤ للنهوض بها، وتمثيل وحدتها فيما استعدت له وتوجهت إليه، فإذا

وفقت الأمة للثقة بزعيم كفؤ للزعامة وجب على جميع أهل الرأي والمكانة فيها أن يؤيدوه في العمل، ويقيلوا عثرته إذا عثر، ويقوموا عوجه إذا زاغ وانحرف، وأن لا يشترطوا في المحافظة على زعامته العصمة، فإن الكمال المطلق لله وحده، فبذلك يرجى نفعه، ويؤمن ضرر خطأه وضعفه، ولا يحل لهم أن يؤاخذوه على ما ينقمون منه بخذله ولا بالطعن في كفاءته لما يعقب ذلك من تنكيث قوى الوحدة، وصدع بناء الزعامة، ورب تنكث يتعذر إبرامه، ورب صدع لا يرجى التئامه.

وقد سبق القول بأن زعامة سعد كانت بالأكثرية الساحقة من السواد الأعظم، ولم تكن إجماعا سالما من الشذوذ كما كان يتوهم؛ لأن إجماع الأمة التام على رجل واحد في الظاهر والباطن محال في سنن الاجتماع وأخلاق البشر، وقد رأينا أن مظاهرات الحفاوة بقدوم سعد كانت تحجب عن الأبصار ما على بعض الوجوه من وجوم واكتئاب، وأن صيحات الهتاف له كانت تشغل الآذان عما يتفلت من الألسنة من هيمنة إنكار، بل كان يتخلل تلك الحفلات ما يشير إلى ما سيكون بعدها من الحملات، وقد سمعت في بعض المظاهرات اعتراضات فلسفية عليها، وشهدت احتفالين أقامهما جيراننا وجهاء مصر القديمة صرح في أكبرهما بما أختصره وإن كان من لباب الموضوع.

دعيت إلى الخطابة في هذا الاحتفال فأبيت؛ لزهدي في الظهور على مثل هذه المنابر التي يتزاحم عليها طلاب الشهرة، ورغبتي عن الكلام في السياسة في محافل أكثر شهودها من العامة، وعجزي عن الإطراء، الذي يألفه الجمهور في هذا المقام، وكان من الخطباء فيه القمص سرجيوس خطيب قسوس القبط المشهور، فخالف جميع الخطباء والشعراء الذين أخلصوا المدح والإطراء للرئيس سعد باشا بما جاء به من المزيج وأمشاج القول المتضمن لتوقع الخلاف بين سعد وعدلي ووصف سعد بالعناد والصلابة والإشارة إلى علاج ما يتوقع فارتأى أن تقتدي فيه الأمة المصرية بسيرة (الفاتيكان) عند انتخاب البابا وهي أن الكردنيالات الذين لهم حق الانتخاب يحبسون في حجرة يوضع لهم فيها قوت قليل، ولا يسمح لهم بالخروج منها إلا بعد الاتفاق على انتخاب أحد المرشحين.

ولما سمعت خطابه آذنت الذين كانوا يراجعونني في اقتراح إلقاء شيء في الحفلة بأنني قبلت فدعيت فصعدت المنبر وألقيت خطابا بينت فيه تحقق تكوين الزمان للأمة المصرية بالعصبية القومية، وأن اتحاد الكثرة إنما يحصل إذا مثلتها جهة واحدة، وهي ما يسمونه الزعامة والرياسة، ومتى تكونت الأمة وشعرت بنفسها

هداها هذا الشعور إلى الزعيم الذي يمثلها كما ينبت الرأس في الجنين عند تمام تكوين أعضائه، وكم ينشأ في الأمة من رجال جديرين بالزعامة، ولا تعرف الأمة قيمتهم؛ لأنها ليست أمة إلا بالصورة الظاهرة كما تسمى صورة الأسد في الورق والجدار أسدا، وقد كان الأستاذ الإمام يقول: يا ويح الرجل الذي ليس له أمة، ولا يقل أن توجد أمة راشدة لا يوجد فيها رجل، بل رجال حقيقون بالزعامة فيها، وقد كان الأستاذ الإمام من الرجال الذين يقل في الأمم الراقية أمثالهم، بل قال فيه الأستاذ الدكتور براون من أكبر علماء الإنكليز المدرسين في إحدى جامعاتهم الكبرى (كمبردج) : إنني لم أر في الشرق ولا في الغرب مثله. ولم تكن الأمة قد تكونت في عهده تكونا تعرف به كنه قيمته، وتعمل بإرشاده وزعامته، وهذا تلميذه الزعيم الكبير الذي نحتفل به اليوم قد كان أهلا لهذه الزعامة منذ سنين كثيرة، ولم تكن الأمة تعرف فيه ذلك على شهرته؛ لأنها لم تكن تعرف نفسها فتعرف زعيمها. ثم ذكرت من صفات سعد ما اقتضاه المقام، وهو في معنى ما تقدم في موضعه من هذا المقال.

وهنا تلطفت في الإشارة إلى الرد على ما رماه به القمص سرجيوس من العناد والتعصب لرأيه، وقلت: إن الذي نعهده منه بالاختبار، الاستقلال في الرأي واحترام الحقيقة والاعتراف بها إذا ظهرت له، وطالما شهدنا له في داره محاورات في مسائل علمية واجتماعية كان ينصف فيها مناظريه ومحاوريه بكل ارتياح، ويعترف بصحة رأيهم إذا ظهر له أنه الصواب، وربما كنا منهم أو معهم في بعض الأحيان.

واستطردت في الخطاب إلى الرد على من ينكرون فائدة هذه الاحتفالات والمظاهرات بأنها هي الذريعة الوحيدة إلى جعل عقيدة الاستقلال شعورا عاما شاغلا لقلوب جميع أفراد الأمة من جميع طبقاتها في زمن قصير، وإلى تربية أطفالها ونابتتها عليها، فإن هتاف الألوف الكثيرة من الرجال والنساء والأطفال في المجامع والشوارع والبيوت للاستقلال التام ولمصر الحرة ولزعيمها المطالب باستقلالها وحريتها، والوفد العامل معه – قد علم جميع الأميين من الطبقات الدنيا وأشعرهم بما لم يكن يعلمه ويشعر به إلا أهل التعليم العالي والتربية الاجتماعية السياسية.

وانتقلت من هذا إلى بحث قلت إنه أشبه بالدرس منه بالخطابة، وهو ما يجب على الأمة من العمل للمحافظة على دوام وحدتها وتكافلها في سبيل المطالبة باستقلالها وما يجب لحفظ الاستقلال والنهوض بأعبائه إذا نالته، وأهم ذلك وأعلاه ما يسمى المسألة الاقتصادية وحفظ ثروة الأمة، وليس هذا من موضوع مقالنا هذا، فنلخص فيه ما قلناه في ذلك الخطاب وطالما كررناه في المنار وفي بعض المقالات

التي نشرناها في المؤيد والجريدة، ومن أشهر هذه المقالات ما عنوانه (إلى أي شيء أنت يا مصر أحوج؟ !) .

وجملة القول أن مكانة الزعيم الذي يمثل وحدة الأمة في أول العهد بتكونها السياسي ودخولها في ميدان الجهاد القومي للحرية والاستقلال – لها شأن عظيم في جهادها، فيجب أن يحرص على تقويتها لئلا يتصدع بناء الوحدة في أشد أوقات الحاجة إليه، ولا يخفى على أهل البصيرة أن تقويم عوج في الزعيم الموثوق به من السواد الأعظم أيسر من إسقاطه واستبدال غيره به، وإن تأييد الوحدة به على ضعف وعوج فيه خير من شق عصاها بخذله والتفرق عنه.

فإن استطاع خصوم سعد إسقاطه من مكانته بإقناع الأمة بعدم كفاءته، فمن ذا الذي يستطيع إقناعها بكفاءة زعيم آخر من بعده، إذا فرضنا أنه يوجد فيها كثيرون من مثله.

ومثل كثير في الأنام قليل

ومن ذا الذي يستطيع في كل وقت أن يحدث لها أحداثا كالأحداث التي مهدت السبيل لزعامة سعد؟ كغفلة رقباء الشعوب وحراسها، ورعاة الأمم وسواسها، وقطاع طرق الاستقلال والحرية عليها، تلك الغفلة التي أوقعت إنكلترة فيها سكرة الحرب أولا ونشوة الظفر آخرا، فكان من أثر السكرتين في رجالها بمصر ما وقعوا فيه من الأغلاط الإيجابية والسلبية التي جمعت كلمة الشعب مع حكومته أول مرة في تاريخ الاحتلال، وقد أشرنا في هذا المقال إلى ما كان من فائدة ذلك في تكوين الوحدة المصرية وجمع الكلمة على سعد في وزارة رشدي، وقد تم ذلك وكمل في وزارة عدلي التي هي وزارة رشدي بعينها في وقت آخر وترتيب آخر، إذ لولا هذه الوزارة لما أمكن للشعب أن يحتفل بعودة سعد إلى البلاد، تلك الاحتفالات العامة التي لم يسبق لها نظير، ولكن واأسفاه! قد صدق في هذا المقام قول الشاعر:

إذا تم شيء بدا نقصه

على أن هذا التمام وما تلاه من النقص إنما كانا في طور واحد من أطوار حياة الشعب الاجتماعية، وفي فصل من فصول تاريخه، فعسى بأن يفيده عبرة تقيه أن يلدغ من جحر مرتين، وخبرة تجعل بالفوز منه قاب قوسين.

جهاد سعد الأخير

(١٧) علم سعد باشا بما كان من التجربة الأخيرة والاختبار، أن الأمة التي اجتمعت كلمتها على طلب الحرية والاستقلال وجعلته لسانها الناطق وقلبها الخافق –

لم يمكنها إعلان رأيها وإظهار شعورها إلا بمواتاة الحكومة الوطنية لها، وأن تأثير الحكام في أنفس هذا الشعب وما ورثه وتربى عليه من الخضوع لهم منذ التاريخ القديم، لا يزول كله في أول نهضة قومية جديدة، وإن وافقت أصول شرعها الإلهي ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨) وأصول الحقوق العصرية التي يسمونها الديمقراطية الحديثة، ولعله لم يقدر هذا قدره كما ينبغي إلا بعد الحوادث الأخيرة، إذ لم يكن يخطر ببال أحد أن يصد عنه نفوذ الوزارة الألوف الكثيرة، حتى من أولئك الذين أقاموا له أكبر المحافل وآنق المآدب، وأن يشايعهم على ذلك أكثر الجرائد، فلهذا وجه كل عنايته إلى تقوية روح شخصية الأمة والفكرة الديمقراطية فيها بحملاته الشديدة على الوزارة العدلية في خطبه البليغة، وبلاغته واحتجاجاته المختلفة على سلوكها فيما سماه (اغتصاب الثقة من الأمة) .

فهو يمثل للأمة وزارة عدلي باشا متفقة مع الدولة البريطانية على جعل سلطانها (أي حكمها وسلطتها) على مصر شرعيا يعقد معاهدة على أصول مشروع ملنر الذي رفضه هو ألبتة يلغي فيها لفظ الحماية ويقرر معناه بصفة شرعية، بعد أن كان عدوانا تبطله الحقوق الأساسية والقوانين الدولية، وترشى فيها البلاد بضرب من الاستقلال في الإدارة يتعذر تنفيذه لما وضع في سبيله من العواثير والعقبات الكأداء، على أنه عرضة للإلغاء أو الاسترداد، ما دامت قوة الاحتلال العسكرية راسخة الأقدام في البلاد، وناهيك بما أنشأوا فيها من ميادين الطيران الحربية والتجارية، لجعلها ملتقى جميع قوى الإمبراطورية البريطانية.

وأقول: إن من أقوى حججه على أن الإنكليز يريدون خداع مصر وإرضائها باستقلال صوري حظها منه دون حظ سائر مستعمراتها المستقلة – تعظيمهم لشأن حادثة الإسكندرية التي يمكن حدوث مثلها في كل بلد من البلاد يوجد فيه أجناس مختلفون، أو إحداثه ببذل قليل من المال، فقد هيجوا جاليات الأجانب والدول الأوربية بها على المصريين وخوفوهم منهم على أرواحهم وأموالهم، إذا لم تكن الجيوش البريطانية بمدافعها وطياراتها حامية لهم، واتخذتها برقياتهم وجرائدهم (إياها) حجة بالغة على أن المصريين غير أهل للاستقلال بالإدارة والحكم.

حادثة الإسكندرية – وما أدراك ما حادثة الإسكندرية – هي الحادثة التافهة التي عظم شأنها غلاة الاستعمار بكيدهم وعبثهم بالأمم والدول، ولعبهم بها كلعب الصبيان بالكرة، حتى جعلوها من أعظم حوادث الكون التي يقضي العدل بأن تكون القاضية على حرية الأمة المصرية بأسرها – وهي أن بعض السوقة والعوام مروا

في مظاهرة وطنية ببعض بيوت الروم (اليونانيين) وكانوا يهتفون لمصطفى باشا
كمال بعاطفة الوجدان الديني الذي لا يدع عددا من جريدة إسلامية في تونس خاليا
من الإشادة بذكره، والتعظيم لأمره، فأطلق عليهم الرصاص بعض اليونانيين
فأصاب بعضهم وجر ذلك إلى تشاجر بين الوطنيين واليونانيين ومن يشتبه بهم من
الغربيين قتل به أفراد من الفريقين وجرح آخرون، والمصابون من الوطنيين أكثر،
وقد استنكر ذلك وأظهر الأسف لوقوعه جميع المصريين من جميع البلاد في جميع
الجرائد، وأصدر الزعيم الأكبر سعد باشا زغلول وصية للأمة بأن تبالغ في مجاملة
الأجانب وحسن معاملتهم، ولا تعتدي عليهم وإن هم اعتدوا عليها.
لكن السياسة التي تستحل كل منكر في سبيل مطامعها جعلت هذه الحادثة
برهانا قاطعا على بغض جميع المصريين الذين استنكروها وقبحوها لجميع الأجانب
وتعصبهم عليهم وتربصهم بهم الدوائر ليفتكوا بهم، ولو كان المصريون متعصبين
على الأجانب وماقتين لهم، لظهر أثر ذلك في كل بلد فيه أجانب ليس لهم من القوة
عشر ما للأجانب في الإسكندرية التي تكاد تكون بلدا أجنبية، ولا سيما في أثناء
ثورة سنة ١٩١٩ على الإنكليز أنفسهم، والهجوم على رشاشاتهم ومدافعهم، وقد
كانت السلطة في كثير من البلاد لعامة الأمة في تلك الأثناء لا للحكومة الوطنية ولا
للمحتلين، ولو كان المصريون كذلك لما نال اليونان في بلادهم هذه الثروة الواسعة
التي ليس لهم مثلها في بلادهم، ولقد كانوا قبل الاحتلال مع سائر الأجانب أعظم
كسبا وأقوى نفوذا، ولو كان المصريون كما ذكر لأمكنهم أن يبلغوا من النكاية
باليونان بمقاطعة تجارتهم وزراعتهم ما لا يبلغه الاعتداء على أشخاصهم.
فحق لكل مصري أن يعد سلوك الإنكليز في تكبير هذه الحادثة دليلا على
نيتهم فيهم، وهم يعلمون أنه إذا كان الاستقلال يتوقف في وجوده أو بقائه على
استحالة وقوع مثل هذه الحادثة فلا مطمع فيه؛ لأن هذا مما يمكن حدوثه وإحداثه
في كل آن، ومن غرائب تهافت هؤلاء البارعين في تصوير الحوادث بغير
صورها والاستفادة منها في كل زمن بحسبه أن حادثة الإسكندرية كانت في الزمن
الذي تروي لنا برقيات الإنكليز وجرائدها أنباء الأرلنديين (السين فين) أخدان
المصريين في رفض العبودية البريطانية في تدميرهم للمباني التجارية وغيرها
واغتيالهم لمن استطاعوا اغتياله من السالبين لحريتهم، ولم نسمع أن أحدا منهم
احتج بهذه الأفاعيل الفظيعة بمثل ما احتجوا على المصريين في حادثة تعد بالنسبة
إليها ضئيلة، ويكثر وقوع مثلها في كل أمة، ولكن عارض هذا التهويل في الحادثة

كثير من عقلاء اليونان وغيرهم من فضلاء الأوربيين وشهدوا حقا بتسامح المصريين وإكرامهم للأجانب وحسن معاشرتهم لهم، ولو سكت هؤلاء أو جروا في أباطيل تيار السياسة الكاذبة لغرسوا في قلوب المصريين وسائر الشرقيين من بغض الأوربيين وسوء الاعتقاد فيهم ما لا يمكن أن يتلافى مستقبله الاحتلال العسكري للبلاد، بل لا يزيده إلا اشتعالا، وهل يوجد بشر يحب الإنسانية يود هذا ويرضاه.

وجملة القول إن جهاد سعد باشا موجه الآن لتقوية الأمة وإعدادها لرد ما يتوقع من تقييد وفد الحكومة البلاد به بضمها إلى الإمبراطورية البريطانية بأي اسم من الأسماء، وأي شكل من أشكال الحكم الذاتي بحيث يكون الاتفاق الجديد بين الحكومتين – إن نفذ – مظهرا من مظاهر القوة لا شية فيه من الحق، وتستمر الأمة على جهادها له حتى تنال حريتها تامة كاملة بإذن الله وقوته التي لا تعلوها قوة، ورحمته التي لا تضيع حقا إلا على من فرط في حقه وترك الجهاد في سبيله، فكان هو المضيع له بمخالفته لسنن الله في العمران.

لهذا الذي شرحناه كنا نعجب جد العجب من طلب سعد لرياسة الوفد الرسمي وتولي المفاوضة؛ لأننا نعتقد أنه لا يخفى عليه أن الدولة البريطانية يستحيل أن تسمح بحرية مصر واستقلالها التام بمجرد المفاوضة السياسية، ونقول في أنفسنا: لم يرد أن يعرض نفسه للفشل إذا كان لا يرضى بجعل الحماية شرعية باسم آخر، أم يظن أن الاتفاق على توليه أمر المفاوضة كاف في جعل ذلك المجال السياسي ممكنا وواقعا، ولما اعترض بعض الكتاب كأمين بك الرافعي على دخوله في المفاوضة الرسمية كنا محبذين لرأيه إذ كان عين رأينا، إلى أن صار شقاقا لزعيم الأمة؛ لأن الزعامة الممثلة للوحدة فوق كل شيء في هذا المقام. ولم نجد مخرجا من هذا العجب والحيرة إلا بما جاءتنا به الجرائد الإنكليزية من التصريح برفض سعد لمشروع ملنر برمته وعدم الرجاء بعقد اتفاق معه يرضي بريطانية العظمى، فظهر لنا من ذلك أنه كان يخفي في نفسه شيئا أوسع بإخفائه دائرة الجدل ومجال الشقاق؛ لأن إظهاره يفسد الخطة التي كان يرى أنه لابد منها وهي – أي الخطة – إما حمل الحكومة بقوة وحدة الأمة على تقييد نفسها بالمرسوم السلطاني الذي طلبه حتى تكون الحكومة والأمة كلمة واحدة لا يخشى أن يفرقها الدهاء الإنكليزي لينال مراده من جعل مركزه في مصر شرعيا، وإما جعل الحكومة عاجزة عن عقد اتفاق مع الدولة البريطانية لا ترضاه الأمة، ويكون حجة عليها، ولو تحقق الشق الأول من خطته لكانت الأمة المصرية وحكومتها وسلطانها كتلة واحدة وكلمتها

واحدة، وإذ لم يتم، فتأييد الوفد الرسمي والوزارة يحبط الشق الثاني، فتعينت معارضتها، ولم يكن التصريح بذلك لأعضاء الوفد المتفقين مع عدلي باشا من قبل ممكنا كما علم مما سبق من التفضيل، بل لم يكن من الممكن أيضا أن يصرح سعد للأمة عقب عودته بأن الدولة البريطانية تريد منا كذا وكذا وترى أنها لن تجد إليه سبيلا إلا بقوة حكومة وطنية تصدع بناء الوحدة التي هي قوتنا في إظهار حقنا أمام قواها الكثيرة التي تعتمد عليها في سلب هذا الحق منا؛ لأن هذا التصريح ينافي الخطة التي استنبطناها على كونه غير معقول، فإن معناه دعوة الحكومة جهرا من أعلاها إلى أدناها إلى مقاومة الدولة البريطانية، وهو تصريح لا يأتي من عاقل.

النتيجة

(١٨) هذا ما ظهر لنا من سياسة سعد باشا وخطته بعد التروي والتمحيص، ولعل هذا قد خفي على الألوف من الناس بضروب الجدل والمطاعن، وأكثر من أيد وفد الوزارة الرسمي إنما أيدوه في طلب الاستقلال التام المطلق لمصر والسودان الذي هو جزء من المملكة المصرية لا يقبل الانفصال، وكثير منهم يعتقدون أن مطلب سعد وعدلي واحد، وأن عدلي إذا لم يوفق إلى هذا المطلب فإنه يقطع المفاوضة ويعود بالوفد الرسمي أدراجه خلافا لما يعتقد السعديون كافة.

فالاحتمالات في نتيجة سعي الوفد الرسمي ثلاثة أو أربعة، لكل منها عاقبة.

الاحتمال الأول: عقد الاتفاق مع الحكومة البريطانية على اعترافها باستقلال مصر مع السودان استقلالا دوليا تاما مطلقا من كل قيد ينافيه مع محالفة بين الدولتين أساسها مبادلة المنافع كسائر المحالفات الدولية، فإن وفق الوفد لهذا فإن الأمة تتلقاه بالقبول والثناء وتكرمه بمثل ما كرمت به سعد باشا، بل أعظم، ويكون ذلك إجماعا صحيحا من الأمة، وإن فرض أن شذ سعد باشا عنها في ذلك وظل معارضا لعدلي باشا، فإنها تنبذه ظهريا وتحكم عليه بأنه يعمل لنفسه لا لها.

فيا دارها بالخيف إن مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال

الاحتمال الثاني: أن ييأس عدلي باشا من الاستقلال التام المبين في الاحتمال الأول أو ما يقرب منه، فيقطع المفاوضة ويعود بالوفد أدراجه، وعاقبة هذا أن تعود وحدة الأمة إلى خير مما كانت عليه وتستأنف الجهاد السياسي في سبيل حريتها، ويتفق سعد وعدلي ورشدي ثانية في ذلك، ويكون الرجاء في النجاح عظيما، فإن يد الله على الجماعة كما صح في الحديث، ويد الله لا تغلب. وقد رأيت من المحسنين للظن في هؤلاء الكبراء كلهم من كان يعتقد أن الخلاف بينهم صوري

تواطئوا عليه لأجل المصلحة، ويتوقع كثير من العارفين بأخلاق عدلي باشا ووطنيته أن يقطع المفاوضة، بل يرجحون ذلك على نجاحه فيها.

الاحتمال الثالث: أن يصح رأي سعد ويعقد الوفد الرسمي الاتفاق الذي يقيد مصر وينظمها في سلك الإمبراطورية البريطانية باسم من الأسماء المعروفة والمخترعة، وعاقبة هذا أن تتحول قلوب أكثر الذين كانوا يحسنون الظن بعدلي أو رشدي عنهما، ويكبر حزب سعد، بل تكون الأمة كلها معه إلا من لا يذكر من طلاب الوظائف والمنافع من الحكومة، ولكن لا يعلم أحد - إلا الله - ما يترتب على اصطدام قوة الأمة وقوة الحكومة المؤيدة بقوة الاحتلال إذا حاولت الوزارة تأييد الاتفاق بالقوة، ولا يظن أحد يعرف قيمة عدلي ورشدي بأنهما يفعلان ذلك، ولكن قد يفعلانه في حال الاحتمال الرابع المذبذب بين هذا وبين الأول وهو:

الاحتمال الرابع: أن يعقد الاتفاق على اعتراف إنكلترة باستقلال سياسي دولي تام لمصر في داخليتها وخارجيتها، وحقوق في السودان لا تتبع مصر في الإدارة، وارتباط بالإمبراطورية بمعاهدة لا يعرض مصر للخطر في سلم ولا حرب، وأعظم الخطر تعهد مصر بأن تجعل قواها ومواصلاتها تحت تصرف الجيش البريطاني وهو ما سبق المقطم جميع الجرائد إلى بيانه. ففي مثل هذه الحالة تجد الوزارة من الأنصار ما تقاوم به السواد الأعظم الذي يقوده سعد باشا، ونسأل الله حسن العاقبة وإنقاذ هذه البلاد من كل محنة، إنه سميع مجيب.

---

(١) إن نفي إيجاد محل للشك في الاستقلال في الاتفاق لا يقتضي أن يكون اتفاقا على الاستقلال التام المطلوب فإنه نفي بينه وبين استقلال مبهم ثلاث مراتب - الجعل والمحل والشك - فإذا كان الاتفاق على أن تكون مصر كبعض إمارات الهند أو الجزائر التي تسمى مستعمرات مستقلة فإنه يصدق عليه ما ذكر والاسترشاد بما رسمته إدارة الأمة لا يقتضي إتباع إدارتها وعدم تجاوزه.

(٢) بيت الأمة لقب وضع لدار سعد باشا زغلول.." (١)

"٦٥٦- تباعدت العمة من الخالة.

وذلك أن العمة خير للولد من الخالة، **يقال في المثل**: أتيت خالاتي فأضحكنني وأفرحنني، وأتيت عماتي فأبكينني وأحزنني، وقد مر هذا في قولهم "أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك". يضرب في التباعد بين الشيئين.." (٢)

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٤٩٦/٢٢

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١٣١/١

"١١٩٩- أحمق من رخمة.
هذا مثل سائر عن أكثر العرب، إلا أن بعض العرب يستكيسها، فيقول: في أخلاقها عشر خصال من الكيس، وهي -[٢٢٦]- أنها تحضن بيضها، وتحمي فرخها، وتألف ولدها، ولا تمكن من نفسها غير زوجها، وتقطع في أول القواطع، وترجع في أول الرواجع، ولا تطير في التحسير، ولا تغتر بالشكير، ولا ترب بالوكور، ولا تسقط على الجفير.
قوله "تقطع في أول القواطع، وترجع في أول الرواجع" أراد أن الصيادين إنما يطلبون الطير بعد أن يوقنوا أن القواطع قد قطعت، والرخمة تقطع في أوائلها لتنجو، يقال: قطعت الطير قطاعا إذا تحولت من الجروم إلى الصرود أو من الصرود إلى الجروم.
وقوله "ولا تطير في التحسير" يقال: حسر الطائر تحسيرا، إذا سقط ريشه.
و"لا تغتر بالشكير" أي بصغار ريشها، بل تنتظر حتى يصير قصبا ثم تطير.
وقوله "ولا ترب بالوكور" أي لا تقيم، من قولهم " أرب بالمكان" إذا أقام به، أي لا ترضى بما يرضى به الطير من وكورها، ولكن تبيض في أعلى الجبال حيث لا يبلغه إنسان ولا سبع ولا طائر، ولذلك **يقال في المثل**: من دون ما قلت، أو من دون ما سمت بيض الأنوق، للشيء لا يوصل إليه.
وقوله "ولا تسقط على الجفير" يعني الجعبة، لعلمها أن فيها سهاما.
وقد جمع الشاعر هذه المعاني في بيت وصفها فيه فقال:
وذات اسمين والألوان شتى ... تحمق وهي كيسة الحويل." (١)
"١٥٠٧- أذل ممن بالت عليه الثعالب.
هذا مثل يضرب للشيء يستذل، كما **يقال في المثل** الآخر"هدمة الثعلب" يعني جحره المهدوم، ويقال في الشر يقع بين القوم وقد كانوا على صلح "بال بينهم الثعالب" و "فسا بينهم الظربان" و "كسر بينهم رمح" و "يبس بينهم الثرى" و "خريت بينهم الضبع" قال حميد بن ثور:
ألم تر ما بيني وبين ابن عامر ... من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح باقي الود بيني وبينه ... كأن لم يكن والدهر فيه عجائب." (٢)
"١٨٦٨- أسأل من فلحس.
ويروى "أعظم في نفسه من فلحس" وهو رجل من بني شيبان، كان سيدا عزيزا يسأل سهما في الجيش وهو في بيته فيعطى لعزه، فاذا أعطيه سأل لامرأته، فإذا أعطيه سأل لبعيره.
قال الجاحظ: كان لفلحس ابن يقال له زاهر بن فلحس مر به غزي من بني شيبان فاعترضهم، وقال: إلى أين؟ قالوا: نريد غزو بني فلان، قال: فاجعلوا لي سهما في الجيش، قالوا: قد فعلنا، قال: ولامرأتي، قالوا: لك ذلك، قال: ولناقتي، قالوا: أما

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٢٥/١
(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٨٤/١

ناقتك فلا، قال: فإني جار لكل من طلعت عليه الشمس ومانعه منكم، فرجعوا عن وجههم ذلك خائبين، ولم يغزو عامهم ذلك.

وقال أبو عبيد: معنى قولهم"أسأل من فلحس"أنه الذي يتحين طعام الناس، يقال: أتانا فلان يتفلحس، كما **يقال في المثل** الآخر: جاءنا يتطفل، ففلحس عنده مثل طفيل.." (١)

"٢٧٠٠- أغنى عنه من التفة الرفة

التفة: هي السبع الذي يسمى عناق الأرض، والرفة: التبن، ويقال: دقاق التبن، والأصل فيهما تفهة ورفهة، قال حمزة وجميعها تفات ورفات، قال الشاعر:

غنينا عن حديثكم قديما ... كما غني التفات عن الرفات

ويقال في مثل آخر "استغنيت التفة عن الرفة" وذلك أن التفة سبع لا يقتات الرفة، وإنما يغتذي بالخم؛ فهو يستغني عن التبن.

قلت: التفة والرفة مخففتان، وقال -[٦٤]- الأستاذ أبو بكر: هما مشددتان، وقد أورد الجوهري في باب الهاء التفه والرفه، وفي الجامع مثله، إلا أنه قال: ويخففان، وأما الأزهري فقد أورد الرفة في باب الرفت بمعنى الكسر، وقال: قال ثعلب عن ابن الأعرابي: الرفت التبن، **ويقال في المثل** "أنا أغنى عنك من التفه عن الرفت" قال الأزهري والتفه يكتب بالهاء والرفت بالتاء (أورد المجد "التفه" في باب الهاء وقال كتبة. و"الرفة" في الهاء وفي التاء وقال كصرد في الموضعين.

قلت: وهذا أصح الأقوال لأن التبن مرفوت مكسور.." (٢)

"٢٧٠١- أغر من الدباء في الماء

من الغرور، والدباء، القرع، **ويقال في المثل** أيضا "لا يغرنك الدباء، وإن كان في الماء" قال حمزة: ولست أعرف معنى هذين المثلين.

قلت: معنى المثل الأول منتزع من الثاني، وذلك أن أعرابيا تناول قرعا مطبوخا وكان حارا، فأحرق فمه، فقال: لا يغرنك الدباء وإن كان نشوؤه في الماء.

يضرب للرجل الساكن ظاهرا الكثير الغائلة باطنا.

فأخذ منه هذا المثل الآخر فقيل: أعز من دباء في الماء." (٣)

"- زيادة القول تحكي النقص في العمل المرء قد يهديه للزلل

- إن اللسان صغير جرمه وله ... جرم عظيم كما قد **قيل في المثل**

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٤٧/١

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٦٣/٢

(٣) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٦٤/٢

- فكم ندمت على ما كنت فهمت به ... وما ندمت على ما لم تكن تقل

ابن المقري." (1)

"النهي عن الاعتذار

وقيل في المثل: عش ولا تغتر.

وقيل: الفرار بقراب أكيس. وقيل: لا تكن كمن أراق الماء واتبع السراب.

الأمر بالإقدام بعد الاتضاح والمدح بذلك

قيل: رو بحزم فإذا استوضحت فاعزم. وقيل: أحزم الناس من إذا وضح له الأمر صدع فيه. وقيل: أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والتأني بعد الفرصة.

قال الشاعر:

وواقف عند الأمر ما لم يضح له ... وأمضي إذا ما هم من كان ماضيا

مدح التجارب

التجارب ليس لها نهاية والمرء منها أبدا في زيادة. وقيل: العقل كالسيف والتجربة أشطر. وقيل: التجارب مرائي الغيوب ونواظر العيوب.

مدح مجرب

قيل: فلان حلب الدهر بأنقع وهو مؤدم مبشر «١» .

قال الشاعر:

حلبت الدهر من عسل وصاب ... وذريت الزمان بكل ريح «٢»

ومدح أعرابي قوما فقال: أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة.

ذم غير مجرب

قيل: فلان غفل لم تسمه «٣» التجارب، ولم تفترعه النوائب، وغفل لم تسمه النوب، ولم يعض غاربه القتب «٤» .

وصف إعرابي واليا مغترا فقال: ما أطول سكر كأس شربها فلان، ولم يخف من عاقبتها الخمار.

المصيب بظنه

قيل: من لم ينتفع بظنه، لم ينتفع بيقينه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن لله عبادا يعرفون الناس." (2)

"وقال الصولي «١» في نفطويه «٢» :

يشرع في أكثر العلوم ولا ... يعرف منها أقلها خطرا

من ادعى ففضحه الامتحان

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي أحمد قبش ١٣٨/٩

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٩/١

ويدعي الحفظ للقران ولا ... يقوم بالحمد وحدها نظرا

وقيل: لسان الدعوى إذا نطق فضحه الامتحان.

وقال الشاعر:

كل من يدعي بما ليس فيه ... كذبته شواهد الامتحان

ذم من يصيب من غير قصد

ذم أعرابي رجلا فقال خطؤه بعد اجتهاد وصوابه من غير اعتماد.

قال الشاعر:

يصيب وما يدري ويخطي وما درى ... وكيف يكون النوك إلا كذلك «٣»

الموصوف بالإصابة مرة والخطأ أخرى

قيل في المثل: يشج مرة ويأسو أخرى. وقيل: شخب في الإناء وشخب في الأرض، يشوب «٤» ويروب»

فؤاد خطاء وواد مطر.

من سئل فتبله

قال الشاعر:

سألته عن علمه فكأنما ... سألت عن سكانه ربعا خلا

وقال آخر:

كأنهم عند السؤال جلامد «٦»

من يروي علما ولا يفهم

قال الله تعالى: كمثل الحمار يحمل أسفارا

«٧» .." (١)

"وقال يزيد بن الحكم:

تصافح من لاقيته ذا عداوة ... صفاحا وحقد بين عينيك منزور

وقال آخر:

والعجز أن تجعل الموتور منتصحا «١»

وقال آخر:

ألا رب نصح يغلق الباب دونه ... وغش إلى جنب السرير مقرب

وقال آخر:

نصحت فلم أفلح وخانوا فافلحوا ... فأنزلني نصحي بشر مكان

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٤/١

الحث على الغش لمن لا يقبل النصح

قال عثمان البستي: إذا نصحت الرجل فلم يقبل منك، فتقرب إلى الله بغشه. وقال الشاعر:

أغش إذا النصح لا يتقبل

وأنشد الثوري:

تنحلت آرائي فسقت نصيحتي ... إلى غير طلق للنصيح ولا هش «٢»

فلما أبى نصحي سلكت طريقه ... وأوسعته من قول زور ومن غش «٣»

كون الناصح متهما

قيل في المثل: المبالغة في النصيحة تهجم بك على عظيم الظنة. وقال:

وقد يستفيد الظنة المنتصح

وشاور المأمون يحيى بن أكثم فكان الرأي مخالفا لهوى المأمون، فقال يحيى: ما أحد بالغ في نصيحة الملوك إلا استغشوه. قال: ولم يا يحيى؟ قال: لصرفه لهم عما يحبون، إلى ما لعلهم يكرهون في الوقت، والهوى إله معبود.

وصف غاش في نصيحة

قيل: فلان شولة الناصح، وشولة أمة كانت ترى أن تنصح مواليها وهي تسعى في إهلاكهم.

وقال معاوية يوما لعمرو بن العاص: هل غششتني منذ استنصحتك؟ قال: لا، فقال:." (١)

"التثبت في العقوبة نصف العفو

قال المتنبي:

ترفق أيها المولى عليهم ... فإن الرفق بالجاني عتاب

نهي العافي عن التثريب

رضي بعض الملوك عن رجل ثم أخذ يوبخه. فقال: إن رأيت أن لا تخدش وجه رضاك بالتثريب «١» فافعل. وقيل: ما عفا عن الذنب من قرع به «٢» . وقيل: العفو مع العذل «٣» أشد من الضرب على ذي العقل. فرب قول أنفذ من صول وعفو أشد من انتقام، قال ابن نوقة:

إن كنت تعفو فاعف عفو مهنيء ... إحسانه إن الكريم وهوب

قل قول يوسف حين قال لإخوة ... جاؤه معتذرين لا تثريب

أو لا فعاقبني فليس بمنكر ... من مثلك التقويم والتأديب

وفيمن يعاقب ثم يعاتب، قال شاعر:

إذا عوقب الجاني على قدر جرمه ... فتعنيفه بعد العقاب من الربا «٤»

معاتبة من صفح ثم ندم

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١٦٦/١

قال ابن طباطبا: كان جرى بيني وبين رجل كلام واحتملت عنه، ثم ندمت فرأيت في المنام كأن شيخا أتاني فأنشدني:

أندمت حين صفح ... ت عمن قد أساء وقد ظلم

لا تندمن فشرنا ... من أتبع الخير الندم

ذم من اعتذر فأساء

قيل في المثل: عذره أشد من جرمه، رب أضرار أحسن من اعتذار. وقال آخر:

أنسيتنا باعتذارك كل عثارك وقيل بث من عذرك ثم من ذنبك.

قال الخبزارزي:

وكم مذنب لما أتى باعتذاره ... جنى عذره ذنبا من الذنب أعظما

قال ابن الحجاج:

لي صديق جنى علي مرارا وكثرا." (١)

"وقيل: فلان لا أصل له ولا فصل، فالأصل الوالد والفصل الولد.

وقال ظفر بن الحرث العبدلي:

وإن أحق الناس أن لا تلومه ... على الشر من لم يفعل الخير والده

إذا المرء ألفى والديه كليهما ... على اللؤم فاعذره إذا خاب رائده «١»

قوم تشابهوا في اللؤم

قال كثير عزة:

سواء كأسنان الحمار فما ترى ... لذي كثرة منهم على ناشيء فضلا

وقال آخر:

إذا ما قلت أيهم لأي ... تشابهت المناكب والرؤوس

وقال آخر:

بلوناهم واحدا واحدا ... وجدناهم الكل كالواحد

فلا ذرأ الرب ولدانهم ... ولا بارك الرب في الوالد «٢»

وقال آخر:

وان امرأ في اللؤم أشبه جده ... ووالده الأدنى لغير ظلوم

من لؤم نفسه وأصله

قيل في المثل: الكمأة لا أصل ثابت ولا فرع نابت.

وقال جرير:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٢٩٤

فرع لئيم وأصله غير مغروس «٣»

وقال معاوية رضي الله عنه: السفلة من ليس له نسب معروف ولا فعل موصوف.

من لؤم أبواه

إذا ذكر الإنسان بغاية اللؤم، قيل: هو عبد قن وهو المملوك الأبوين.

قال شاعر:

أب غير محمود السجيات سفلة ... ووالدة فيها الحديث يطول «٤»

وقال آخر:

أب كثرت في العالمين فضائحه." (١)

"من لم يتحاش من اليمين ولم يبال له

حلف مديني على حق كان قبله، فقيل له في ذلك، فقال: بالله أدفع ما لا أطيق، وأخذ ذلك ابن الرومي فقال:

وإني لذو حلف كاذب ... إذا ما اضطررت وفي المال ضيق

وهل من جناح على معسر ... يدافع بالله ما لا يطيق

ويقال في المثل: جذها جذ العير الصليانة إذا أسرع في اليمين، كأنه اقتلعها اقتلاع العير هذا النبت. جاءت امرأة بزوجها إلى ابن شبرمة فحلف لها، فلما ولي أنشد:

ألم تعلمي أني جموح عنانه ... وأني لا أعدي علي أمير «١»

محوت الذي في الصك عني بحلفة ... سيغفرها الرحمن وهو غفور

فسمعها الحاكم فرده، فعلم الأعرابي أنه أخطأ، فقال: أيها الحاكم أنت أفضل من أن ترجع في قضيتك، فقال: صدقت ولكنني أقضي عنك، وقضى عنه. قال البحتري:

سألوني اليمين فارتعت منها ... ليغروا بذلك الارتياع «٢»

ثم أرسلتها كمنحدر السيل ... تهاوى من المكان اليفاع «٣»

وكان الشماخ عليه دين فقعد به، فقيل له: إنك تحضر القاضي وتحلف فتروع لذلك، فقال: حاش الله أن أحلف، ولو سيم مني باطل فكيف وعلي حق لازم، فاغتر خصمه فأحضره وحلفه فحلف وخرج من عند الحاكم، فقال:

وجاءت سليم قضها بقضيضها ... تنفض حولي بالبقيع سبالها

يقولون لي إحلف قلت لست بحالف ... أخادعهم عنها لكيما أنالها

ففرجت هم النفس عني بحلفة ... كما قدت الشقراء يوما جلالها «٤»

وقال أعرابي:

إذا حلفوني بالغموس منحتهم ... يمينا كسحق الأحمي المحرق «٥»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٤١٣/١

وإن حلفوني بالعتاق فقد درى ... سحيم غلامي أنني غير معتق «٦»

قال ابن المعتز بودي لو أن لي بيت الخثعمي بألف بيت:

وآلت يمينا كالزجاج رقيقة ... وما حلفت إلا لتحنث من أجلي." (١)

"تعالى: ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين

«١» . وقيل: التبذير إنفاق المال في غير الحق. وسئل سعيد بن جبير رضي الله عنه عن التبذير، فقال: هو أن تنفق الطيب في الخبيث.

وقال تعالى: ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو

«٢» ولم يأذن في الفضول وقال عز من قائل: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

«٣» .

وقال صلى الله عليه وسلم: أنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال. وقال: ليس في السرف شرف.

وقال معاوية: ما رأيت تبذيرا إلا وإلى جنبه حق مضيع. وقال صلى الله عليه وسلم: ما عال امرؤ عن اقتصاد.

وقال أبو بكر رضي الله عنه: إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد.

وقيل: ما وقع تبذير في كثير إلا هدمه ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمره.

وقيل: إنك إن أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس عندك ما تعطي منه.

التهكم على مبذر

قيل في المثل: خرقاء وجدت صوفا. وقيل: من يطل ذيله ينتطق به. وقيل: يطأ فيه. ومن وجد دهنا دهن إسته. وقيل: عبد خلي في يديه، وعبد ملك عبدا. وكان بعض المتخلفين ورث مالا فكان يحمل الدنانير ويأتي الشط فيقذف واحدا واحدا في الماء، فقيل له في ذلك، فقال: يعجبني طليته وصوته. وبنى عون العبادي دكانا وسط داره وأسرف في الإنفاق عليه إسرافا متناهيا فليم في ذلك، فقال: ما أصنع بالدراهم إذا.

الحث على حفظ المال والإستغناء به عن الأنذال

كان لسفيان بن عيينة صرة دنانير يحفظها، فقيل له: أتحفظ ذلك وأنت موصوف بالزهد؟

فقال: لئلا أكون مناديل الغمر من الرجال. وقيل لأفلاطون: لم تدخر المال فأنت شيخ؟ فقال:

لأن يموت الإنسان ويخلف ما لا لعدوه خير من أن يحتاج إلى أصدقائه في حياته.

وقيل: خلف للأعداء ولا تحتج إلى الأصدقاء. وقيل لحكيم: لم حفظت الفلاسفة ما في أيديهم؟ فقال: لئلا يقيموا أنفسهم المقام الذي لا يستحقونه، فقد علموا أن لا اتكال على ما في يد الغير. وفي المثل: بق نعليك وابذل قدميك «٤» .

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء   الراغب الأصفهاني ٥٦٤/١

النهي عن إنفاق جميع المال والرخصة في ذلك

روي في الخبر: أن كعب بن مالك أراد أن يتصدق بماله كله، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال." [1]

"وقال صلى الله عليه وسلم: أنفق بلالا «١» ولا تخش من ذي العرش إقلالا.

قال شاعر:

وإن أشد الناس في الحشر حسرة ... لمورث مال غيره وهو كاسبه

ولهذا باب في ابتداء فضل الجود.

الحث على الإنفاق وقت السعة وإظهار أثر النعمة

قال الله تعالى: لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا

«٢» (الآية) . وبعث عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو أمير الشام مالا، وقال للرسول: أنظر ماذا يصنع فرآه يوسع على عياله، ثم نقص من أرزاقه فقتر عليهم. فقال عمر: رحم الله أبا عبيدة وسعنا عليه فوسع وقترنا عليه فقتر. وسئل الحسن رضي الله عنه عن رجل آتاه الله مالا فأنفق على أهله ما لو أنفق دونه لكفى، فقال: وسع على نفسك وعلى عيالك كما وسع الله عليك فإن الله قد أدب عباده أحسن تأديب. فقال: لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، وما عذب الله قوما وسع عليهم فشكروه ولا غفر لقوم ضيق عليهم فكفروه.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس. وقال صلى الله عليه وسلم: من آتاه الله خيرا فلير أثره عليه.

ذهاب المال الحرام في الأباطيل

قال الحسن رحمه الله: إذا أردت أن تعلم من أين أصاب الرجل المال فأنظر في أي شيء ينفقه، إن الخبيث ينفق في إسراف. وقيل: من درى من أين أخذ درى أين أنفق.

التظلف والتذمم لمكسب دنيء

قيل في المثل: نفع قليل وفضحت نفسي. تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها.

قال شاعر:

أصبت صنوف المال من كل وجهة ... فما نلته إلا بكف كريم

وإني لأرجو أن أموت فتنقضي ... حياتي وما عندي يد للئيم

حكم وجود الضالة

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ضالة الإبل، فقال: مالك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وتأكل الشجر. قيل:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٥٧٩

فضالة الغنم، قال: هي لك أو لأخيك أو للذئب. وسئل عن اللقطة فقال: إحفظ عفاصها ووكاءها «٣» وعرفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها.." [١]

"السالب مستعطيه

قيل في المثل: طلب القرن فجدعت أنفه، وقال بشار:

فصرت كالهبتي غدا يبتغي ... قرنا فلم يرجع بأذنين «١»

وقيل:

سقط العشاء به على سرحان «٢»

وقال آخر:

كمبتغي الصيد في عريسة الأسد «٣»

الصائن ماله بعرضه والممنوع من سؤاله.

قيل: أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه. من صان نفسه أهان فلسه.

وقيل: كان جحا إذا جلس كشف إسته ورفع عنه ثوبه، فقيل له في ذلك، فقال:

جلدة الإست أبقى من الثوب. وهذا نحو المثل: إبق نعليك وابذل قدميك.

قال أبو تمام:

أضحوا بمستن سبل الذم فارتفعت ... أموالهم في هضاب المطل والعلل «٤»

وقال ابن الرومي:

لا تطالبه بالثواب فما رز ... ء ثواب من مثله بحلال

المقتر على نفسه والتارك لشهوته

قال شاعر:

ولو يسطيع لتقتيره ... تنفس من منخر واحد

وقال آخر:

يحب المديح أبو خالد ... ويفزع من صلة المادح

كبكر تود لذيذ النكاح ... وتخشع من صولة الناكح

الضنين بمال غيره والسمح به

قيل فلان يمنع دره ودر غيره. الحر يعطي والنذل يألم قلبه. وقيل البخيل يمنع ماله ويغضب على الجواد إذا رأى ابتذاله. قال أبو تمام:

وإن امرأ ضنت يداه على امرىء ... بنيل يد من غيره، لبخيل

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء   الراغب الأصفهاني ٥٨١/١

وقال آخر:

سبط البنان بما في رحل صاحبه ... جعد البنان بما في رجله قطط." (١)

"الأبرش. واستهووا عمارة بن الوليد بن المغيرة، ونفخوا في أحليله فصار مع الوحش.

وقالوا خرافة رجل استهوته الجن ثم عاد يخبر عنها، وبه ضرب المثل فقيل: المثل حديث خرافة.

وروي أن عمر رضي الله عنه استخبر المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم؟

قال: الفول. وقيل الرمة وما لم يذكر إسم الله عليه.

من ادعى أنه من ولد الجن

ذكرت العرب أن عمرو بن يربوع من ولد السعالي. وذكر أبو زيد النحوي أن سعلاة أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم. فلما رأت برقا يلمع من نحو ديارهم حنت فطارت إليهم، وفيهم قال الشاعر:

يا قاتل الله ابني السعلاة ... عمرا وقابوسا شرار النات

أي الناس. وذكروا أن جرهما من ولد الملائكة. واستدل على صحة تناسل الجن من الأنس بقوله تعالى: وشاركهم في الأموال والأولاد

«١» وقوله: لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان

«٢» .

وزعموا أن النسناس تركيب ما بين الشق والإنسان.

مساكن الجن

زعمت العرب أن الله تعالى لما أهلك الأمة الساكنة وبار، كما أهلك طسما وجديسا وعادا وثمود، سكنت الجن منازلهم وحمتها من كل من أرادها. وأنها أخصب بلد فإن دنا اليوم منه إنسان غالط حثوا في وجهه التراب فإن أبى الرجوع خبلوه. وإن من أراده ألقى على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه.

وقيل في المثل: لا يهتدي لكذا حتى يهتدي لوبار وليس بذلك المكان إلا الجن والإبل الحوشية.

وقالوا شيطان الحماطة، وغول القفر، وجان العشر، وشيطان عبقر. ونسب كل شيء في الجودة إلى عبقر حتى قيل لم أر عبقريا مثله.

مراكب الجن

ادعوا أن الجن يركب كل وحش من البهائم والطيور، إلا الأرنب لأنها تحيض. والضباع لأنها تركب أيور القتلى والموتى، إذا جيفت أبدانهم، والقرد وأنها لا تغتسل من الجنابة.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٩٧/١

وقالوا يكثر ركوبها القنفذ والورل «٣» وأنشدوا للجن:

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ... ألذ وأشهى من ركوب الجنادب." [١]

"حتى انتهيت لي فراش عزيزة ... سوداء روثة أنفها كالمخصف «١»

يعني بالوحشية الريح والفراش عزيزة عش العقاب والمخصف المخرز.

النسر

طويل العمر، وتخاف أناثها الخفاش على فراخها، فتفرش وكرها بورق لئلا يقربه الخفاش. وقيل يرتفع في الهواء ثمانية عشر ميلا وينحط على ثمانية فراسخ.

قال الهذلي:

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه ... عصائب طير تهتدي بعصائب «٢»

يصاحبهم حتى يغرن مغارة ... من الضاريات بالدماء الذوارب «٣»

البازي

كل رعاث صاغه صائغ ... لم يدخر عنه التحاسينا

منسره أكلف فيه شقا ... كأنه عقد ثمانينا

ومقلة أشرة آماقها ... تبر يروق الصير فينا

قال أبو نواس:

قد اغتدي بشفرة معلقه ... مبتكرا بزرق وزرقه

كأن عينيها لحسن الحدقة ... نرجسة نابتة في ورقه

قال جهم ابن أخت أبي عمرو بن العلاء:

كأن جناح حفيفه إذ ... تدلى من الجو برق بدا

الكركدن

قد أنكره بعضهم وأجروه مجرى عنقاء مغرب، وقيل إنه ذكر في الزبور. وصاحب المنطق سماه الحمار الهندي. أي مكان حل به ذهب منه جميع الحيوان هيبة له. ويقال إن قرب نتاجها بما أخرج الولد رأسه ويأكل الحشيش ثم يرجع يفعل ذلك أياما ثم تضع.

عنقاء مغرب

بالفارسية سيمرك كأنه بنفسه ثلاثون طيرا. ولم يوجد إلا صورته على البسط والجدر.

ويقال في المثل: هو عنقاء مغرب لما لا يوجد وما لا يطمع فيه.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٦٥

قال أبو تمام:

وذاك له إذا العنقاء صارت ... مربية وشب ابن الخصي «٤»." (١)

"الطيور ولا يعاف القاذورات ولا يتعاطى الصيد وهو يسر السفاد. وقيل: إنما يسافد بالمنقار وفرخه أقذر وأنتن من الهدهد.

وقد مدح لقوله تعالى: فبعث الله غرابا

«١» الآية وذم بأنه بعثه نوح من السفينة ليأتيه بخبر الماء فاشتغل بأكل الجيفة، ويوصف بالقزل «٢» والخجل.

قال كعب بن زهير:

وحمش بصير المقلتين كأنه ... إذا ما مشى مستقبل الريح أقزل

ويوصف بحدة البصر وصحة البدن.

قال الشاعر في وصف رجل طويل العمر صحيح البدن.

قد أصبحت دار آدم خربت ... وأنت فيها كأنك الوتد

تسأل غربانها إذا حجلت ... كيف يكون الصداع والرمد

ويدعى أعور على سبيل القلب، قال الكميت:

وصحاح العيون يدعين عورا

ويقال في المثل: أزهى من غراب، وأسود من حلك الغراب وحنكه، وليس غرابه بمطار للساكن، وجد فلان ثمرة الغراب لأنه لا يقصد إلا الأجود الأطيب، ولا أفعله حتى يشيب الغراب.

قال ذو الرمة:

ومستشحجات بالفراق كأنها ... مثاكيل من صيابة النوب نوح «٣»

شبه الغربان الشاحجات بنساء من النوب ثاكلات وقال:

كأن الشاحجات بجانبيها ... نساء جئن من حبش وروم

القطا

سمي بذلك لحكاية صوته. قال أبو وجرة:

وهن ينشبن وهنا كل صادقة ... باتت تباشر عما غير أزواج

حتى سلكن الشوى منهن في مسك ... من نسل جوابة الآفاق مهداج «٤»." (٢)

"الضب

يوصف بالكيس «١» لأنه لا يبني بيته إلا على رابية خشية السيل.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٧٠٩

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٧١٢

قال الشاعر:

سقى الله أرضا يعلم الضب أنها ... بعيد من الآفاق طيبة البقل

بنى بيته منها على رأس كدية ... وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل «٢»

وقيل: أنه يعد العقرب للحارش حتى إذا أدخل يده لسعته. وهو مسالم ويضع من البيض سبعين، ويأكل كل حسلة. وقيل: أعق من الضب. ويضرب الحية بذنبه فيقتلها وله تركان أي أثران، قال:

حسل له تركان كان فضيلة ... على كل حاف في البلاد وناعل

وقيل: إنما هو واحد ولكن له طرفان كلسان الحية. وهو طويل الذماء «٣» صابر على الماء. يتبلغ بالنسيم طويل العمر. قال:

لو أنني عمرت سن الحسل

وقيل في المثل: أخدع من ضب، وهو خب ضب. وقيل بالنمر يخدع الضب وأما لحمه فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام امتنع من أكله، وقال: إنه ليس بطعامي وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر عليه. وقال: فيه فقيه لرجل كان يأكله إعلم أنك أكلت شيخا من مشيخة بني إسرائيل يعني أنه مسخ قال:

وسكن الضباب طعام الغريب ... ولا تشتهيه نفوس العجم

فقال من عارضه:

فأنت لو ذقت الكشى بالأكباد ... لما تركت الضب يعدو بالواد «٤»

القرد

يضحك ويطرب ويحكي ويتناول بيده الطعام ويضعه في فمه. وله أصابع وأظفار وإذا سقط في الماء يغرق كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة ويتزاوج ويتغاير تغايرهم، فقال:

قرد يقهقه أو عجوز تلطم «٥»." (١)

"قال شريح: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد الله رزقني الصب عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني.

وعن شقيق قال: قال شريح في فتنة ابن الزبير: ما استخبرت ولا أخبرت، ولا ظلمت مسلما ولا معاهدا دينارا ولا درهما. قال: قلت له: لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قد مت، فأومأ إلى قلبه فقال: كيف بهذا؟ وفي رواية قال: كيف بما في صدري. تلتقي الفئتان إحداهما أحب إلي من الأخرى.

قال الشعبي: شهدت شريحا وجاءته امرأة تخاصم رجلا فأرسلت عينيها فبكت فقلت: يا أبا أمية، ما أظنها إلا مظلومة فقال: يا شعبي، إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون قال عامر:

سئل شريح القاضي عن الجراد: فقال: قبح الله الجرادة فيها خلقه سبعة جبابرة: رأسها رأس فرس، وعنقها عنق ثور، وصدرها

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٢١/٢

صدر أسد، وجناحها جناح نسر، ورجلاها رجلا جمل، وذنبها ذنب حية، وبطنها بطن عقرب.

قال المدائني: عرض شريح ناقة ليبيعها فقال له رجل: ما هذه؟ قال: ناقة تمشي على أربع. قال: أتبيع؟ قال: لذلك أخرجتها. قال: وبكم تبيعها؟ قال: بكذا وكذا. قال: كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناء شئت، قال: كيف الوطاء؟ قال: افرش ونم. قال: فكيف قوتها؟ قال: احمل على حائط أو دع. قال: فكيف نجاؤها؟ قال: علق سوطك وسر، فاشتراها منه، فقال له شريح، إن عرضت لك حاجة فسل عن أبي أمية في مسجد الكوفة، فسار بها الرجل، قال: فإذا أخبث ما سخر لأدمي، فأتى مسجد الكوفة وشريح في مجلس القضاء فقال: لم أر فيها شيئا مما وصفت، فأدناه شريح وأفهمه ما قال له ثم أقاله.

قيل للشعبي: **يقال في المثل**: إن شريحا أدهى من الثعلب وأحيل. فما هذا؟ فقال." (١)

"لو كنت أديت ما للقوم مصطبرا ... للحق أحييت أحيانا وموتانا

لكن لحقت بأهل الشام ملتمسا ... فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا

فاليوم تقرع سن العجز من ندم ... ماذا تقول وقد كان الذي كانا

أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة ... لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا

فلما وقع الكتاب إليه علم أنه قد هلك، ولم يلبث التغلبيون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم حلوان، فأتوا مصقلة فقالوا: إنك بعثت صاحبنا فأهلكته، فإما أن تحييه وإما أن تديه. فقال: أما أن أحييه فلا أستطيع، ولكن سأديه. فوداه.

وبلغني أن مصقلة قال في ذلك: " من المتقارب "

لعمري لئن عاب أهل العراق ... علي انتعاشي بني ناجيه

لأعظم من عتقهم رقهم ... وأكفى بعتقهم عاليه

وزايدت فيهم لإطلاقهم ... وغاليت إن العلى غاليه

ثم إن معاوية بعد ذلك ولى مصقلة طبرستان، وبعثه في جيش عظيم، فأخذ العدو عليه المضايق، فهلك وجيشه، **فقيل في المثل**: حتى يرجع مصقلة من طبرستان.

عن مسلمة بن محارب، قال: مرض معاوية فأرجف به مصقلة بن هبيرة، وساعده قوم على ذلك، ثم تماثل معاوية وهم يرجفون به، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية، وكتب إليه: إن مصقلة كان يجمع مراقا من مراق العراق فيرجفون بأمير المؤمنين. وقد حملته إليك ليرى عافية الله إياك. فقدم مصقلة، وجلس معاوية للناس، فلما دخل مصقلة قال له معاوية: ادن، فدنا، فأخذ بيده وجيده، فسقط مصقلة، فقال معاوية: " من مجزوء الكامل "

أبقى الحوادث من خلي ... لك مثل جندلة المراجم

قد رامني الأقوام قب ... لك فامتنعت من النظالم

فقال مصقلة: يا أمير المؤمنين، قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك، حلما وكلا." (٢)

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣٠٠/١٠

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣٣٩/٢٤

"وكان الغالب عليه علم النحو وتصانيفه مفيده منها شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وديوان المتنبي واعراب القرآن الكريم في جزأين وكتاب اعراب الحديث وكتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب اللباب في علل النحو وكتاب اعراب شعر الحماسة وشرح المفصل للزمخشري شرحا مفصلا وشرح الخطيب النباتية والمقامات الحريرية، وصنف في النحو والحساب، واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا به واشتهر اسمه في البلاد في حياته وبعد صيته، وحكى في شرح المقامات عند ذكر العنقاء أن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له: دمح صاعد في السماء قد رميل، وكانت به طيور كثيرة، وكانت العنقاء طائرة عظيمة الخلق طويلة العنق لها وجه إنسان وفيها من كل حيوان شبه من أحسن الطير، وكانت تأتي في السنة مرة هذا الجبل، فتلتقط طيره، فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير، فانقضت على صبي، فذهبت به، فسميت عنقاء مغرب والمغرب التي يجيء بالغرائب لإبعادها بما تذهب به، ثم ذهبت بجارية أخرى، فشكى أهل الرسل إلى نبيهم حنظلة بن صفوان، فدعا عليها فأصابتها صاعقة، فاحترقت، والله أعلم انتهى.

قال بعض أهل العلم: هذا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس كان في زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلوات الله وسلامه عليهما.

وذكر بعض المؤرخين، وهو الفرغاني نزيل مصر أن العزيز نزار بن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من غرائب الحيوان ما لم يوجد عند غيره، فمن ذلك العنقاء، وهي طائر جاءه من صعيد مصر في طول البلسون، وأعظم جسما منه له غبب ولحية، وعلى رأسه وقاية، وفيه عدة ألوان، ومشابهة من طيور كثيرة.

وذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار في باب الطير، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الله تعالى خلق في زمن موسى طائرة اسمها العنقاء، لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجه كوجه الإنسان وأعطاها من كل شيء قسطا، وخلق لها ذكر أمثلها، وأوحي إليه إني خلقت طائرين عجيبين وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس وأنستك بهما وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل، فتناسلا، وكثر نسلهما، فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت، فوقعت بنجدوا الحجاز، فلم تزل تأكل الوحوش، وتخطف الصبيان إلى أن شكوها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدعا الله تعالى، فقطع نسلهما وانقرضت، والله أعلم.

قلت: وأما ما **يقال في المثل** في عدم وجود بعض الأشياء كالعنقاء يسمع بها ولا يرى." (١)

"فاستصوب ما أشاروا به عليه ثم رأى عرض ما وقع من هذه الأمور على أخيه الأكبر فوقف في مقام الخدمة وذكر له ذلك بعبارة لائقة وانتظر ما يرسم به ليمتثله فتوقف في جوابه وتأمل في خطابه وصرفه.

ثم إن الملك استشار في ذلك أحد وزرائه وكان بينه وبين مرزبان بعض شرور وعداوة فاغتنم الفرصة وقال: أما ما طلبه مرزبان من العزلة فإنه رأى فاسد وقد **قيل في المثل**: الأعدا كلما قلوا ذلوا وقد قيل:

وليس كثير اللف خل وصاحب ... وأن عدوا واحدا لكثير

فكيف لو كانت الأعدا كثيرة وإذا نقص أعداء الملك واحدا فنعمة طائلة ويتوصل منهم إلى تشتيت أمرهم ومخالفة أقوالهم

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٢٧/٤

ورأيهم وقد قيل في ذلك.

وتشتت الأعداء في آرائهم ... سبب لجمع خواطر الأحباب

وأما ما قصده من وضع كتاب يشتمل على فوائد وحكم فمكر وخديعة فإنه إنما يريد به إظهار فضله على مولانا الملك ويستميل بذلك الرعية ويصرف وجوههم إليه، ولكن مولانا الملك لا يمنعه من ذلك ويرسم لي أن أكون حاضرا وناظرا لما بيديه من المسائل والنصايح لينظر الملك كيف أظهر دسائسه وأبين طرائق مكره وخداعه لينظر الملك كيف أظهر دسائسه وأبين طرائق مكره وخداعه وأكشف زيفه في نقده ويطلع الملك على ما تصل خديعته وما تنتهي إليه درايته. ثم إن الملك جمع أركان دولته والفضلا والعلما من أطراف مملكته وجلس في محل عظيم وجمع كثير ودعا أخاه مرزبان وبالغ في إكرامه وقال: يا أخي كان تقدم منك طلب الإذن في تأليف شيء ينتفع به العام والخاص من الحكم والأمثال والنصيحة ويتخلد به الذكر ويبقى مستمرا على ممر الدهور وذلك لوفور فضلك ورجاحة عقلك ومزيد شفقتك على الرعية." (١)

"**قيل في الأمثال** لا تشفع الشفاعة باللجاج ولا النصيحة بالالتجاج، وأما أنا فقد بذلت جهدي في أداء النصيحة وكشفت عن أركان التحقيق حجب الأستار فإن وقع نصحي في محل القبول فقد تبين الرشد من الغي وإن رددت كلامي وأعرضت عن العمل به فلا إكراه في الدين.

فتصدى الوزير للكلام وكشف عن ثغر بيانه اللثام وبرز في ميدان الملاينة والمخادعة وسلك طريق الملاطفة في المصانعة وقال الحمد لله الذي من على مولانا الملك بهذا الأخ الحكيم الفاضل العليم الناظر في العواقب صاحب الرأي المصيب والفكر الثاقب لقد بالغ في النصيحة بعباراته المليحة وإشاراته الصحيحة، الدالة منه على سلامة القريحة فكل شيء نحاه هو الذي يقتضيه الفعل القويم والمنهج المستقيم ويترتب عليه الذكر الجميل وآثار الثواب الجليل، ولكن الذي نعرفه نحن في حفظ الرياسة وإقامة قانون السياسة هو الذي عليه الناس في هذا اليوم وجرت عليه عوائد الأكابر والأصاغر فإن الزمان قد فسد والخير والفضل فيه قد كسد، وهذا مقتضى الحال بين أبناء الزمان والناس تدور مع زمانهم بقدر إمكانهم وقد قيل: الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وبعض السياسات تقتضي العقوبة بالتغريم وأخذ المال ولو عفا الإنسان عن مجرم طمع المجرمون فيه وكان كمن عاقب من لا ذنب له فإن وضع الأشياء في محلها هو أحد قوانين الشرع والسياسة وقد قيل:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

لا يسلم الشرف من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

وقد قيل رب إراقة دم تمنع من إراقة دم وقد قيل:

لعل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجساد بالعلل." (٢)

"فحاقهما المكر السيئ فكان يتوقع لهما عثرة يتوصل بها إلى إفساد صورتهما. ففي بعض الأيام كان الثعلبان ينادمان الملك فغلب عليه النعاس فخرج منه ريح سمعاها واستيقظ هو لها فتناوم ليعرف ما يصدر منهما فلم يتمالك الرئيس أن

---

(١) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/١٥

(٢) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/٢٢

ضحك فقال له العادل: مم تضحك أما علمت أن الضحك بلا سبب من قلة الأدب وأن الملوك تحترم مجالسهم غابوا أو حضروا، ناموا أو استيقظوا، وقد قيل: رفع قلم العتاب عن النايم والسكران والمجنون والصبي وعذر النائم أوضح من عذر الباقين فإن النوم أخو الموت، ولقد قال صاحب الأخلاق: لا يعيب الشخص على أحد عيبا هو فيه، وإذا صدر من الملوك منقصة فلا تغد منقبة، ويجب على جلساء الملوك أن لا ينظروا من الملوك إلا المحاسن، وقد **قيل في المثل** من جالس الملوك بغير أدب فقد خاطر بنفسه وأوجب لها التعب. فقال الرئيس: اللسان إذا ظهر من الكذب، والعرض إذا نقي من العيب والنفس إذا زكيت عن الجهل يصلح لها أن تضحك على كل أحد، وأنا إذا اتصفت بهذه." (١)

"والقصد الذي فكرته أمر عظيم يقصر عنه أكبر منا عمرا وأكثر منا فضلا ومن أين لنا ذلك وكلانا مفلس؟

قال المحتال: أما سمعت قول القائل: المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحيه: وأنا بعناية الله اجتهد إلى أن تصل إلى هذا القصد كما تحب ونحب ولي عليك شرط وهو أنك تترك أخلاقك المنفرة للوحوش عنك والحرص وتعف عن أكل لحوم الحيوانات إلى أن تتمكن وتتعاطى أسباب الزهد والصلاح والعفة بحيث تطمئن خواطرهم إليك ويأمنون على أنفسهم وأولادهم وقد بلغت مقصودك ثم بعد ذلك تتعاطاهم بالرفق واللين وحسن السياسة وقد ملكت قلب الصغير والكبير. قال الزكي: يا أخي هذا أمر محال ولا تعلق آمالي بشيء لا ينال وكل من علق آماله بشيء بعيد المنال وطمع في غير مطمع النوال أصابه ما أصاب مالك الحزين. قال المحتال وكيف كان ذلك الأمر؟

قال الزكي: ذكروا أنه كان في بعض الغياض جانب نهر يأوي إليه مالك الحزين وكان يتقوت من حشائش ذلك المكان فاتفق أنه أقام مدة أيام فلم يتحصل له شيء يتقوت به فتطلب في نواحي الماء فوقع على سمكة صغيرة فلقفها وأراد ابتلاعها فقالت له: يا أخي أعلم أني بنت ملك هذا النهر وليس لأبي غيري وقد **قيل في المثل** مثل البرغوث ودمه والعصفور ودسمه لا يغني شيئا وأنا لا أقع منك موقعا ولا أسد لك جوعة فإن عاهدتني أحلف لك بالإيمان المغلظة أنك إن أطلقتني يحمل لك أبي الجميل ويلتزم لك كل يوم بعشر سمكات تأتيك هنية من غير تعب ولا مشقة، فلما سمع الطائر ذلك داخله الطمع وغلب عليه السرور إلى أن قال: كيف؟ قلت: فبمجرد ما فتح الطائر فمه بالكاف سقطت السمكة من فيه وذهبت، فلم يحصل له شيء غير الحرمان.." (٢)

"فيقيض له المساعدة والمعاضد فلا يحتاج إلى سعي ولا في استماع النصيحة إلى وعي بل يصل إلى قصده بدون كده وبغير جهده وعده وعدده، ومنهم من يحتاج إلى سعي بليغ وجهد طويل سبيغ ومساعدة ناصح ومعاون صالح وقرع أبواب وتعاطي أسباب وسعد رقيق وفكر دقيق حتى يبلغ مراده ويدرك ما أراده، ومنهم من تغلب عليه العجلة والطمع والشره والحرص والهلع فيسارع إلى نيل ما يرومه فيلقيه في عائق الحرمان حرصه وشؤمه فيقع من التعب في هويته ويحرم لكونه اعتمد على حوله وقولته فيصير كما قيل:

بالحرص فوتني دهري فوائده ... فكل من زاد حرصا زيد تفريطا

---

(١) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/٦٢

(٢) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/٨٧

ومنهم من يتمنى ثم يتكاسل ويتوقع ثم يتساهل فيحرم من مقصده ويرده عجزه عن مراده ويده فانظر يا ذا السكون والوقار والركون نحن من أي الأقسام نكون وأنت تعلم أنا لا نقدر على مقاومة العقاب ولا على أن ندفع عن أنفسنا ما ينزل بنا من عقاب فإنه إذا طار العقاب يبلغ الثريا والسحاب ونحن إذا تحركنا في الثرى لا نقدر أن نرتفع عن الثرى قيد لوا، وقد **قيل في المثل** أين الثرى من الثريا وأين العادل ممن اشتد بغيا بغيا وقد قيل كل من تعلق بخصم هو أقوى منه فقد سعى في هلاك نفسه بيده كما قيل:

ومن يشبشم بالعداوة كفه ... بأكبر منه فهو لا شك هالك

وكان مثله كمثل النملة الضعيفة التي ينبت لها أجنحة خفيفة فتحركها دواعي الطيران فتصور في نفسها أنها صارت من النسور والعقبان فبمجرد ما ترتفع عن الثرى إلى الهواء التقفها عصفور واختطفها أصغر الطيور ولهذا قيل:

إذا ما أراد الله إهلاك نملة ... أطار جناحيها فتسقط في المعطب." (١)

"٧٧٥- (١٦) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: ((رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي حافيا ومنتعلا)) رواه أبوداود.

٧٧٦- (١٧) وعن محمد بن المنكدر، قال: ((صلى جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه. وثيابه موضوعة على المشجب. فقال له قائل: تصلي في إزار واحد؟ إنما صنعت ذلك ليراني أحمق مثلك وأينا كان له ثوبان على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟))

٧٧٥- قوله: (حافيا) أي: بلا نعال تارة (ومنتعلا) أي: أخرى، من الانتعال. وفي بعض النسخ "متنعلا" من التنعل، أي: لابسا نعليه في رجليه (رواه أبوداود) وسكت عليه هو والمنذري، وأخرجه أيضا ابن ماجه.

٧٧٦- قوله: (وعن محمد بن المنكدر) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير-بالتصغير- التيمي المدني، أحد الأئمة الأعلام الحفاظ. سمع عن جابر، وأنس، وابن الزبير، وعمه ربيعة وغيرهم، وأكثر عن جابر. روى عنه جماعة، منهم الثوري ومالك والزهري وجعفر الصادق وهشام بن عروة. وهو من مشاهير التابعين وجلتهم، جمع بين العلم والزهد والعبادة والدين المتين والصدق والعفة. قال إسحاق بن راهويه عن ابن عيينة: كان من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون، ولم يدرك أحد أجدر أن يقبل الناس منه إذا قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا يسأل عمن هو، من ابن المنكدر، يعني لتحريه. وقال إبراهيم بن المنذر: كان غاية في الحفظ والإتقان والزهد، حجة. مات سنة (١٣٠) وقيل: (١٣١) وقد بلغ (٧٦) سنة (من قبل قفاه) بكسر القاف وفتح الموحدة أي: من جهة قفاه (وثيابه) الواو للحال (موضوعة على المشجب) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الجيم بعدها موحدة، هو ثلاث عيدان تضم وتعقد رؤسها ويفرج بين قوائمها، توضع عليها الثياب، وقد تعلق عليها الأسقية لتبريد الماء، قال ابن سيدة: المشجب والشجاب خشبات ثلاث يعلق عليها الراعي دلوه وسقاءه. **ويقال في المثل**: "فلان كالمشجب من حيث قصدته وجدته" والجملة اسمية حالية (فقال

---

(١) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/١٨٥

له قائل) هو عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت كما في مسلم (تصلي في إزار واحد) همزة الإنكار محذوفة (إنما صنعت ذلك) أي: الذي فعله من صلاته، وإزاره معقود على قفاه، وثيابه موضوعة على المشجب (ليراني أحمق) بالرفع غير منصرف من الحمق – بضم الحاء وسكون الميم – وهو قلة العقل. والمراد بالأحمق هنا الجاهل. وحقيقة الحمق وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحة، قاله في النهاية. وإنما أغلظ له في الخطاب زجرا عن الإنكار على العلماء، وليحثه على البحث عن الأمور الشرعية (مثلك) أي: فيعلم أنه جائز، أو فينكر على بجهله، فأظهر له جوازه ليقتدي بي الجاهل ابتداء. ومثلك – بالرفع – صفة أحمق لأنها وإن أضيفت إلى المعرفة لا تتعرف لتوغلها في الإبهام إلا إذا أضيفت لما اشتهر بالمماثلة وههنا ليس كذلك، ولذا وقعت صفة لنكرة وهي أحمق (وأينا كان له ثوبان) استفهام." (١)

"ولعمري للبنت أصبت للقل ... ب وأدنى إلى نوال البخيل «١»

لا كمن مات في البنات ولا مث ... لك للحادث الملم الجليل

لا عقوق البنين يعد منهن ... ولا جفوة الأب المملول

ولهن الحظ الجزيل من الحر ... قة والحزن والحنين الطويل «٢»

والزيارات للقبور على اليأ ... س وبعد الرجاء والتأميل

ولهذا يقال في المثل السا ... ئر لا وجد فوق وجد الثكول

وقوله في عتاب أخ نصحه في الحفلة فنسبه إلى تقريعه: [البسيط]

هلا خلوت بسمعي يوم تنصحني ... إن النصيحة وسط القوم تقريع «٣»

صنيعة خفت أن تخفى فبحت بها ... لقد أضعت وبعض الحفظ تضييع «٤»

يا زفرة قدحت نار الهموم بها ... إن الهموم لها في الصدر ينبوع

قطعت حبل إخاء كان متصلا ... وكل من قطع الإخوان مقطوع

وقوله في الحكمة: [الطويل]

وإن أخي من لا يمل خليقتي ... ومن لا يراني قائما وهو جالس «٥»

يجانسني في كل حال وإنما ... لكل امرئ من صحبه من يجانس «٦»

وكنت مثال الكف منه ففاتني ... وقد يحبس الشيء القريب الحوابس «٧»." (٢)

"أما فؤادي فمشفوف بودكم ... والود لا تمترى منه الدلالات

وحيث ما صح منك الود معتبطا ... فلا علي إذا فاتت ملاقاة

ولتعرفى أيها المولى الفاضل، والمحرز لأشتات الفاضائل والفواضل، أنه قد حال الجريض، دون القريض، وشغلتنا الأدواء عن الكتابة والتعريض، وضرب بيني وبين الآداب بسور من معالجة الأبدان ونسا بيني وبينها الظربان، وصرت حتى كأني لا أفهم

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٤٨٤/٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥٢٦/١٥

من الموافقة إلا ملائمة العلاج، ولا المراد بالمطابقة إلا المساواة في المزاج، ولا من الاستخدام إلا استخدام الغاذية لقواها، واعتبار العوارض التي تغشاها، ولا من التجريد إلا مقدمة الغوص في الأبزنات، ولا من التفريد إلا العدول عن فوي المركبات، ولا من اللف إلا ما كان خوف الأهوية، ولا من الحل إلا تفكيك الكثيف من الأدوية، ولا من العقد إلا عند المعاجين والحبوب، ولا من القبض إلا امتناع التفل عن أن يصوب، ولا من الجناس إلا الأجناس العشرة من النبض ولا من التعديد إلا عد أنواعه السبعة والعشرين وتمييز بعضها عن بعض، وبجملة لم يبق لي من الأدب شوب، ولا روب، ولا هارب، ولا قارب، وصرت عند ورود موارده، والنزع إلى رسائله وقصائده، كما قيل في المثل إذا أصابت الظباء الماء فلا عباب، وإن لم تجده فلا أباب، غير أنه لما وردت صحيفتكم السنية، الباهية الرضية، وصلينا منهابلية، واعتبرنا قوله تعالى وإذا حييتم بتحية، ووجدنا رد الجواب عنها من الواجبات الشرعية، ووجدتني في الإتيان بمثلها عاجزا عنها، فضلا عن الإتيان بأحسن منها، تفصينا عن الوقوع في مخالفة الآية، ورأينا أن نأتي بالميسور وإن لم يصل الغاية، وحيث كانت العزائم بالعجز عنها مطرحة، فلا جرم أنا نقرع أبواب الرخص المتفخة، فإن لم يصبها وابل فطل، وإن لم يكن خمر فخل، والله تعالى يحرس علاكم ويديم بقاكم، وليس لنا عليكم إلا الدعاء بظهر الغيب وإن لم يظهر من الجيب ونستوهب من واهب الصور النوعية، أن يفيض علينا من عنايته القدسية، بمنه وكرمه والسلام.

وقد قام بخطة النيابة أحسن قيام بلغت به إمامة جانع الزيتونة في ذلك العهد إلى غاية المرام، ولما توفي الشيخ محمد الطويبي قدمه حمودة باشا لخطة القضاء وخليفة بجامع الزيتونة يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال سنة ١٢١٧ سبع عشرة ومائتين وألف، فزان الخطتين بفصاحته وعلمه زمتانة فقهه وكمال خبرته بفقه القضاء وتطبيق النوازل وهنأه بذلك إبراهيم الرياحي بقصيدته التي يقول في مطلعها: [الطويل]

على قدر وافتك عالية القدر ... ويا طالما حنت إلى وجهك البدر

وكان الأمير حمودة باشا يستجيد خطبته، بحيث لا يكاد يتخلف عن حضور الجمعة بجامع الزيتونة رغبة في سماع خطبته. وكان سمى أخته لوزيره صاحب الطابع، غير أنه لم يزوجه منها فطلب الوزير المذكور من الشيخ أن يخطب في وعيد العضل رجاء أن يزوجه سيده ولما حضر الأمير الجمعة خطب الشيخ في ذلك فاستشاط الأمير غيظا وكاد أن يخرج قبل الصلاة وبمجرد فراغه من صلاة الجمعة عزله من جميع خططه، وكان ذلك يوم الجمعة التاسع والعشرين من صفر الخير سنة ١٢٢١ إحدى وعشرين ومائتين وألف، فلازم بيته.

وكان عالما موثقا فقيها أصوليا منصفا، درسه رياض البساتين، سهل التناول، كاتبا شاعرا، فصيح القلم واللسان، بديع الخط، حسن المحاضرة، كريم الأخلاق، عزيز النفس. توالت عليه الأمراض بعد عزله فلازم جبل المنار إلى أن توفي ليلة الأربعاء الموفي ثلاثين من المحرم سنة ١٢٢٢ اثنتين وألف، وجي به إلى تونس فدفن بتربتهم بالزلاج ةعليه رحمة الله آمين ورثاه بما كتب على قبره الشيخ عبد الرحمن الكامل بقوله: [الكامل]

قف واعتبر فهنا ترى الأنباء ... جاءت بها عن صخرها الخنساء

ودع المدامع هطلا فلقد بكت ... أسفا عليك الصخرة الصماء

واندب من اللذات مضغتها لقد ... ذهب الهناء وساء منه عزاء

تبكي فقيدا عاد في أصدافه ... شرفت به الخضراء والغبراء

تبكي أبا حفص وهل يجدي البكا ... ذلت لعز مقامه الؤساء

محجوب أسرار صفت لجنابه ... فثوابها في لحده الإخفاء

هذا لعمري قبره فأعجب به ... قد ضم بحرا موجه الألاء

من للعلوم وكان في روضاتها ... قمر الدجى عمت به الأضواء." (١)

"الشيخ عبد الله بن زاحم

هو الشيخ الفاضل العالم الجليل عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم يمت بنسبه إلي قبيلة البقوم القبيلة المشهورة ببلدة تربة وحضن١، ولد بقرية القصب من أعمال الوشم بنجد سنة ألف وثلاثمائة من الهجرة ونشأ بها وقرأ القرآن نظرا وعن ظهر قلب ثم رحل إلي بلدة أشيقر وأخذ عن عالمها المؤرخ الشهير إبراهيم بن صالح بن عيسى، ثم رحل إلي مدينة الرياض وقرأ على علمائها آنذاك وعلى رأسهم العلامة الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف ثم قرأ على الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري في بلدة المجمعة ثم عينه الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ــ قاضيا في هجرة "الداهنة" عند أميرها عمر بن ربيعان وحضر معه عدة غزوات من أشهرها حصار جدة وغزوة اليمن وبعد ذلك نقل إلي رئاسة محكمة مدينة الرياض ثم نقل منها إلي رئاسة محكمة المدينة المنورة وبقي بهذا المنصب إلي أن توفي سنة ١٣٧٤هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع وكان متواضعا حسن الأخلاق والسيرة خلف أبناء معرفتي منهم: عبد الوهاب وإبراهيم ــ رحم الله ــ الشيخ المترجم عبد الله بن زاحم واسكنه فسيح جنته إنه سميع مجيب.

---

١ قال البكري ج ٢ص٩٩٣ حضن بفتح أوله وثانية وبالنون جبل في ديار عامر يقال في المثل "انجد من رآى حضنا" الخ وقال صاحب بلاد العرب الحسن بن عبد الله الأصفهاني في ص١١من كتابه بلاد العرب "ولهم من الجبال"حضن"لجشم خاصة "قال الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في تعليقه على ذلك ص١١رقم "٢"من أذكر الجبال وأشهرها وفيه المثل من رآى حضنا فقد أنجد وهو في حرة مستطيلة من الجنوب إلي الشمالية فشماليه مطل على سهل ركبة وجنوبيه متصل بأطراف الجبال المتصلة بسلسلة سراة الحجاز وفي جنوبيه يقع واد تربة وفي شرقيه واحة الخرمة "انتهى ما ذكره الأستاذ حمد الجاسر قلت: حضن ذكره جرير بن الخطفى التميمي بقوله:

لو أن جمعهم غداة مخاشن ... يرمى به حضن لكاد يزول

وذكره المتلمس بقوله:

إن العلاف ومن ياللوذ من حضن." (٢)

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٢٩٨

(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٥١

"ذكر خبر آخر مما يقتضي التأويل

روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

اهتز العرش لموت سعد بن معاذ وقد روى أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر أنه قال

اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ // أخرجه الشيخان //

ذكر تأويله

أعلم أن بعض أهل العلم يذهب في تأويل هذا الحديث إلى أن ذلك اهتزاز العرش على الحقيقة وأن العرش تحرك على الحقيقة لموت سعد ولسنا ننكر هذا التأويل لأجل أن العرش يجوز عليه الحركة ولكنه تبطل فائدته

وتأوله بعضهم على أن العرش ها هنا السرير الذي كان عليه سعد وهذا أيضا يبطل فائدة الخبر وإنما أفيد بهذا الخبر فضله لسعد ولا فضيلة له في تحرك سريره

والصحيح من التأويل في ذلك أن يقال الإهتزاز هو الإستبشار والسرور يقال إن فلانا يستبشر للمعروف ويهتز له ومنه **قيل في المثل** إن فلانا إذا دعي اهتز وإذا سئل ارتز والكلام لأبي الأسود الدؤلي

والمعنى فيه أنه إذا دعي إلى الطعام يأكله ارتاح له واستبشر وإذا دعي إلى." [١]

"" ٩٣ " قال الشماخ بن ضرار الذبياني في الأمور التي لا تتفق:

ألا إنما الداء العياء مرامنا ... أمورا تواني غيرنا وهو أخرق

وتزداد شرا أن نروم صغيرها ... فكيف عظيم الأمر منها يفق

" ٩٤ " وقال آخر في الولد العاصي:

وجدتك شر أولادي وأعصى ... وأبعدهم من الحسن الجميل

" ٩٥ " وقال آخر في المرأة التي لا تواتي:

عجوزا لا تواتيني إباء ... وأنى بالخلاص من العجوز

وأصل المهر جارية وعبد ... وألف من سوائمنا الجزوز

وما أصبحت أملك صوف شاة ... فيا شرا يطول به ركوزي

" ٩٦ " وقال ابن شكل في عمرو بن هند في مثل الملك الذي يخافه البريء: يخافك ذو البراءة حين يمسي ويضحي منك ذا وجل شديد " ٩٧ " وقال في مثل الأخ الخاذل سلامة بن جندل التميمي:

وشر الأخلاء الخذول وخيرهم ... نصيرك في الدهياء حين تنوب

---

(١) مشكل الحديث وبيانه ابن فُورَك ص/٢٨١

" ٩٨ " وقال في البلاد التي لا امن فيها: رأيتك ذا شر وفي الشر منقعا إذا كنت في أرض بها الشر شامل

٧٢ – قال صاحب الكتاب: ويقال ربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من مثله فيرتدع أن يصيب أحدا بمثل ذلك.

" ٩٩ " قال العرزمي:

يدفع الشر بشر مثله ... وأخو الجهل بجهل يعتبر

٧٣ – قال صاحب الكتاب: ويقال اصبر من غيرك على ما مثل ما صبر عليه غيرك منك، فانه يقال كما تدين تدان.

" ١٠٠ " قال أعشى همدان:

صبرت عليك لما اقتست أمري ... بحسن الصبر حين جهلت أمري

" ١٠١ " وقال الأعور الشني:

لقد قيل في الأمثال إصبر لحرها ... بما دنت، فاعلم، حيث كنت تدان

٧٤ – قال صاحب الكتاب: ويقال من عمل بغير العدل والحق، انتقم منه وأديل عليه.

" ١٠٢ " قال ضمرة بن ضمرة بن قطن بن نهشل في النعمان بن المنذر عندما فعل به كسرى ما فعل: تعدى ولم يعمل من الحق بالذي به أمر الحكام جهلا وأفسدا

فدالت عليه بانتقام وخزية ... دوائل أيام فغودر مقصدا

وأصبح مرجوما وبالأمس قبله ... يشير إليه الناظرون محسدا

٧٥ – قال صاحب الكتاب: ويقال صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الاشرار تورث الشر ومثل ذلك مثل الريح التي إذا مرت بالنتن حملت نتنا ولإذا مرت بالطيب حملت طيبا.

" ١٠٣ " قال برد بن أسيد لما ولى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب العراق فأحسن السيرة العامة:

لئن أورث الخيرات من هو أهلها ... لقد أورث الأشرار صاحبهم شرا

" ١٠٤ " وقال في مثل الريح وما تحمل من الرائحة رجل من بني عبد القيس وأتى قطريا برسالة المهلب فتجهمه وأراد قتله:

فهبني الريح أدت ما أقلت ... أنتنا كان أو طيبا ذكيا

٧٦ – قال صاحب الكتاب: ويقال أشياء لا ثبات لها ولا بقاء: خلة الأشرار وظل الغمام ومودة النساء والثناء الكاذب والتخلق.

" ١٠٥ " قال غيلان بن سلمة الثقفي في التخلق: عليك بالقصد فيما أنت قائله إن التخلق يأتي دونه الخلق " ١٠٦ " وقال آخر في مواصلة الأشرار: مواصلة الأشرار تعفو كما عفا ظلال غمام حركته حنوب " ١٠٧ " وقال اسعد بن راشد

في مودة النساء:

متى دام ود الغانيات لصاحب ... فتطمع في الذلفاء أن تحفظ العهدا

" ١٠٨ " وقال في آخر في الثناء الكاذب:

متى يبقى المين جهلا ... بظنك أن يكون له البقاء

٧٧ - قال صاحب الكتاب: ويقال تذكر الأحزان كالجرح المندمل تصيبه الضربة فيجتمع على صاحبه ألمان: ألم الضربة وألم انتقاض الجرح.

" ١٠٩ " قال أبو كبير وقيل إنه لهشام أخي ذي الرمة:

فلم تنسي أوفى المصيبات بعده ... ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

" ١١٠ " وقال حذافة الجنابي من كلب وكان غازيا بخراسان مع قتيبة ابن مسلم وقدم عليه من أهله رجل بالشام وقد أصيب قبل ذلك بابنه فنعى إلى حذافة كبارا من أهله:

وذكرني أحزان ما قد سلوته ... مصاب قريب ذي هوى وحميم

فهاض فؤادا قد تماثل كلمه ... بفجعين من مستحدث وقديم." (١)

"وكذا في رواية معمر عن الزهري (١)، وفي رواية ابن ماهان: "احتملتة"، وصوب الوقشي: "اجتهلتة"، وكلاهما صواب، يقال: (احتمل الرجل للرجل إذا غضب له) (٢)، قاله يعقوب. فمعنى: "احتملته": أغضبته، ومعنى: "اجتهلته": حملته على أن يجهل، أي: يقول قول أهل الجهل، وقد مر تفسير قوله: ﴿فلا رفث ولا فسوق﴾ [البقرة: ١٩٧]، و"فلا يرفث ولا يجهل" (٣) أي: لا يقل قول أهل الجهل من سفه الكلام ورفثه.

قال ابن المبارك في تفسير الحديث: من استجهل مؤمنا فعليه إثمه، من حمله على الجهل (٤) بأن يحمله على شيء ليس من خلقه حتى يغضبه فيقول قول أهل الجهل. ويحتمل أن يكون معنى: "اجتهلته الحمية" من الجهل الذي هو ضد العلم، أي: حملته على ما قاله من قول الجاهلين وصيرته (٥) مثلهم في التعصب، كما **قيل في المثل**: استجهل الفرار، أي: حمله على النزو، وفعل ما لا يعقل مثل فعله.

قوله: "إنه لجاهد مجاهد" (٦) كذا لأكثرهم، وللحموي والمستملي في كتاب الجهاد: "إنه لجاهد مجاهد" وكذا قيده أبو الوليد الباجي في البخاري وابن أبي جعفر في مسلم والأول أصوب، أي: جاهد جاد مبالغ في سبل الخير والبر وإعلاء كلمة الإسلام، مجاهد لأعدائه. قال ابن دريد: يقال:

---

(١) مسلم (٢٧٧٠).

(٢) في (س، أ): (احتمل الرجل: إذا غضب).

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٩

(٣) "الموطأ" ١/ ٣١٠، البخاري (١٨٩٤)، مسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة.

(٤) في (د، أ): (أن يجهل).

(٥) في (د، أ): (وصيرتهم).

(٦) البخاري (٤١٩٥)، مسلم (١٨٠٢) من حديث سلمة بن الأكوع.." [1]

"قوله: "ونأى بي الشجر" (١) أي: بعد بي (٢) المرعى في الشجر.

قوله: "الرحم شجنة" (٣) بضم الشين وكسرها، وحكي الفتح، ومعناه: قرابة مشتبكة كالعروق المتداخلة، والأغصان المتداخلة (٤) المتشابكة، وأصل ذلك من الشجر الملتف أغصانه أو عروقه، ومنه: "الحديث ذو شجون" (٥) (أي: يتداخل ويمسك بعضه بعضا ويجر بعضه إلى بعض.

قوله) (٦): "شجاع أقرع" هو الحية الذكر. وقيل: بل كل حية. وقد تكسر الشين، والجمع شجعان بالضم والكسر، وأشجعة، ويقال أيضا للواحد: أشجع، وبالرفع ضبطناه وهي رواية الطرابلسي في "الموطأ"، ولغيره: "شجاعا" (٧) كأنه مفعول ثان، والأول الكنز المذكور قبل، وهو أظهر، ويكون: "مثل" (٨) بمعنى: صير وجعل كنزه بهذه الصفة كما جاء في

---

(١) مسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر.

(٢) ساقطة من (س).

(٣) البخاري (٥٩٨٨، ٥٩٨٩) من حديث عائشة.

(٤) من (د).

(٥) روى ابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٢٥/ ٣٨٦ عن أبي رجاء الجوزجاني قال: دخل الشعبي على عبد الملك بن مروان فقال: يا شعبي، لقد وخمت من كل شيء إلا في الحديث الحسن. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الحديث ذو شجون تسلى به الهموم. وقال أبوعبيد في "غريب الحديث" ١/ ١٢٩: قولهم: الحديث ذو شجون. منه إنما هو تمسك بعضه ببعض. وقال الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" ١/ ٣٠٠: **يقال في المثل**: الحديث ذو شجون.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٧) "الموطأ" ١/ ٢٥٦، والبخاري (١٤٠٣، ٤٥٦٥، ٤٦٥٩، ٦٩٥٧) من حديث أبي هريرة. ومسلم (٩٨٨) من حديث جابر.

(٨) ساقطة من (س، د).." [2]

"أيا من عاد روح المجد فيه ... وعاد زمانه البالي قشيبا

القشيب: الجديد والهاء في فيه تعود إلى من وفي زمانه إلى المجد وقيل: إلى من.

---

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ابن قُرْقُول ٢/١٧٦

(٢) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ابن قُرْقُول ٦/١٧

يعني: أن المجد مات منذ قديم وذهب زمانه، ثم انتقلت رفعته فيك، فعاد حيا وصار زمانه جديدا بعد البلى.
وقيل: أراد أن روح المجد بعد آبائه وأجداده انتقلت أيضا إليه فصار هو المجد. على طريقة المبالغة، وعاد زمانه الذي هو فيه كثير الخير والخصب بعد ما كان قد بلي وأجدب بموته آبائه.
تيممني وكيلك مادحا لي ... وأنشدني من الشعر الغريبا
فآجرك الإله على عليل ... بعثت إلى المسيح به طبيبا
تيممني: يعني قصدني. والباقي ظاهر. وطبيبا: حال من ضمير عليل، أو من المسيح. ومثله:
فإنك واستبضاعك الشعر نحونا ... كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا
يعني أن مثلك في إرساله إلي بمدحي؛ مثل من أرسل عليلا ليداوي السيد المسيح. الذي كان يحيي الموتى ويصنع المعجزات
ولست بمنكر منك الهدايا ... ولكن زدتني فيها أديبا
يقول: لا أنكر منك الهدايا، ولكنك زدتني في جملتها أديبا يمدحني وحكى أن الوكيل افتخر بذلك وقال: قد شهد لي بالأدب.
فلا زالت ديارك مشرقات ... ولا دانيت يا شمس الغروبا
يقول: لا زالت ديارك تشبه الشمس، وجعله شمسا لعلو محله وشهرة ذكره، وكنى بالغروب عن الموت، وذلك دعاء له بالبقاء.
لأصبح آمنا فيك الرزايا ... كما أنا آمن فيك العيوبا
اللام في لأصبح متعلق بقوله: ولا دانيت أي إنما دعوت لك بالسلامة والبقاء لتأمن نفسي أن تنالك مصيبة كما آمنت أن يلحقك عيب.
وقال أيضا يمدحه ويذكر مهارته في الرماية وفيها يفتخر ويذم الزمان:
أقل فعالي بله أكثره مجد ... وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد
بله: أي دع، وقيل: كف، هو وضع لذلك. مثل: صه اسم فعل كقولك اسكت. وصه: بمعنى كف. وفي أكثره: يجوز النصب، والجر، والرفع، أما النصب: فلأن بله اسم للفعل فينصب به كما ينصب بالفعل: ومعناه: دع أكثره.
والجر: فلأنه مصدر أضيف إلى مابعده.
وأما الرفع: فإن قطربا أجازه على معنى: كيف أكثره؟ أو على معنى: بل أكثره. والجد: الاجتهاد والجد: الحظ. وأقل فعالي: مبتدأ. ومجد: خبره.
وتقدير البيت: أقل فعالي مجد وذا الجد فيه جد. أم لم أنل، والهاء في فيه: للمجد.
يقول: إن قليل فعالي مجد. أي لكنني مجدا وشرفا حتى أكلي وشربي واضطجاعي وجلوسي، كل ذلك منسوب إلى المجد، لأن غرضي في جميع أفعالي اكتساب المجد.
فدع عنك أكثر أفعالي من المساعي الجسام، والأخطار بالنفس والمال. وقوله: ذا الجد أي هذا جدي في الأمور، واجتهادي فيها حظ وبخت سواء نلت أو لم أنل لأن الجد معدود في السعادة، كما أن التواني معدود في الشقاء؛ لأنه إذا ينل حظه كان قد أبلى عذره.

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد

يقول: سأطلب ملكي الذي هو حقي برماح وبمشايخ كأنهم مرد لكثرة التثامهم.

يعني: أنهم عرب معودون التلثم حتى سقطت شعور عوارضهم فصاروا كالمرد.

وخص المشايخ لتجربتهم وثبات بصائرهم كما **قيل في المثل**: زاحم بعود أو دع. العود: الجمل المسن. وهذا من قول البحتري:

حص التريك رءوسهم فأصابها ... في مثل لألاء التريك المذهب

والأصل فيه قول ابن الأسلت:

قد حصت البيضة رأسي ... فما أطعم يوما غير هجاع

ومعناه: أنها من طول ما استعملت تساقط ريشه الذي به قوة التهام. والأول أولى.

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا ... كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا

يقول: هؤلاء المشايخ إذا لقوا أعداءهم ثبتوا ولم يتزعزعوا، وإذا دعاهم صارخ أسرعوا إليه، ولم يتباطئوا، وإذا حملوا في الحرب قاموا مقام الجيش الكثير وإذا عدوا كانوا قليل العدد. يعني فيهم قلة من العدد وكثرة من حيث الجلد.

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده ... وضرب كأن النار من حره برد

هذا عطف على ما تقدم. أي سأطلب حقي بالقنا وبمشايخ صفتهم ما تقدم.

يقول: وطعن كأن طعن الناس إذا قيس إليه ليس بطعن، أو بضرب بالسيف، كأن النار إذا قيست إليه فحرها برد، والهاء في عنده للطعن الأول والطعن: اسم كأن، والجملة بعده خبر، والعائد عليه محذوف.." (١)

"تركت السرى خلفي لمن قل ماله ... وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

يقول: أغنيتني بعطاياك، حتى قعدت عن السرى طلبا للغنى، وتركت السرى لمن هو قليل المال، وكثر لي الذهب حتى أنعلت به خيلي. وهذا كما **قيل في المثل**: من كثر ذهبه طلي به استه وقيل: إن سيف الدولة كان وهب له فرسا منعلا بالذهب فذكره.

وقيدت نفسي في ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

محبة: نصب لأنه مفعول له.

يقول: أحسنت إلي، فأقمت عندك، وصار إحسانك لي قيدا يمنعني عن الأسفار.

إذا سأل الإنسان أيامه الغنى ... وكنت على بعد جعلنك موعدا

يقول: إذا طلب أحد من الأيام أن تعينه، وكنت بعيدا عنه. قالت له الأيام: إذا بلغت سيف الدولة استغنيت. وقوله: وكنت على بعد إشارة إلى أن هذا الوعد من الأيام إنما يكون لمن بعد عنك، فأما القريب فقد أغنيته فلا يحتاج إلى السؤال.

وجرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل، فقال سيف الدولة ما تقول وتحكم في هذا يا أبا الطيب؟ فقال:

إن كنت عن خير الأنام سائلا

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٦٩

فخيرهم أكثرهم فضائلا

يقول: إن كنت تسألني عن خير الناس، فإن خيرهم من كانت فضائله أكثر، ثم بين من بعد. وفضائلا نصب على التمييز.

من أنت منهم يا همام وائلا

الطاعنين في الوغى أوائلا

لم يصرف وائل لأنه اسم القبيلة، فهي معرفة مؤنثة؛ والطاعنين، وما بعده خبر، لأنه صفة لوائل وهي في موضع جر. وقيل: نصب على المدح.

يقول: خير الناس العرب الذين أنت منهم يا سيد وائل، وهم الذين يطعنون في الحرب أوائل الخيل في المعركة، فهم الشجعان لأنه يسبق إلى الطعان إلا الشجاع. وقيل: أراد بالأوائل. الوجوه والصدور، أي أنهم يطعنون وجوه الأعداء وصدورهم، فيكون نصبا على المفعولية.

وقيل: معناه أنهم يطعنون الأبطال أولا. أي يتقدمون إلى الأقران. ونصبه حينئذ على الحال.

والعاذلين في الندى العواذلا

قد فضلوا بفضلك القبائلا

العاذلين: عطف على الطاعنين.

يقول: إذا عذلهم العواذل على السخاء عذلوهن على عذلهن، ثم بين أن قبيلته قد فضلوا سائر القبائل بسبب فضله ومآثره.

وجلس سيف الدولة لرسول ملك الروم في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة فحضر أبو الطيب فوجد دونه زحمة شديدة، فثقل عليه الدخول فاستبطأه سيف الدولة فقال ارتجالا:

ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته ... لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر

ظلم نكرة مفيدة، والوصف: خبره.

يقول: إن وصفت هذا اليوم قبل مشاهدة الحال فقد ظلمته، ولم أقدر على وصفه على الحقيقة إلا بعد المشاهدة، وإنما قال ذلك: تعظيما لليوم، وأنه لا يحيط به العيان.

تزاحم الجيش حتى لم يجد سببا ... إلى بساطك لي سمع ولا بصر

أي ازدحم الجيش عليك، حتى لم يبنك بصري من كثرة الناس في بساطك، وكثرت الأصوات حتى لم أسمع كلامك.

فكنت أشهد مختص وأغيبه ... معاينا، وعياني كله خبر

المعنى: كنت حاضرا، وكأني كنت غائبا؛ للازدحام، فلم يمكنني مشاهدة الحال، وكتب معاينا، وكان عياني خبرا؛ لشدة الزحمة وكثرة الناس.

اليوم يرفع ملك الروح ناظره ... لأن عفوك عنه عنده ظفر

يقول: إذا أجبته إلى الصلح أمن وزال منه الخوف، فيرفع طرفه؛ لأن عفوك عنه يقوم له مقام الظفر في هذه المرة.

وإن أجبت بشيء عن رسالته ... فما يزال على الأملاك يفتخر

يقول: إن كتبت إليه جواب كتابه، افتخر بذلك على ملوك زمانه، وتشرف به على جميع أقرانه.

قد استراحت إلى وقت رقابهم ... من السيوف وباقي الناس ينتظر

يقول: استراحت بهذا الصلح رقاب الروم عن السيوف، وانتظر سيوفك باقي الناس من الأعداء؛ لأنهم كانوا آمنين ما دمت مشتغلا بغزو الروم، فالآن يخافونك أن تقاتلهم.

وقد تبدلها بالقوم غيرهم ... لكي تجم رءوس القوم والقصر

الهاء في تبدلها للسيوف، والقوم. هم الروم. وغيرهم: نصب بتبدلها.

يقول: تبدل سيوفك وتنقلها من رقاب الروم إلى غيرهم، لتستريح رقابهم من ضرب السيوف، وهذا عادتك إذا أدمت القتل في قوم وأقللتهم تقلب سيوفك إلى قوم آخرين لتريحهم، فإذا كثروا واجتمعوا عاودتهم القتل وأبدتهم.." (١)

"لبود، وأطعمكما طباهجة بكبود، وأسقيكما من معتقة اليهود، وأبخركما بعنبر وعود، أطيب من الندود، وأغنيكما غناء المسدود [١] . فقلت: هذا موضع السجود. وجلسنا وصديقي لا يعرف خلته في الفساء، وأنا قد أخذت الريح [٢] ، فوفى لنا بجميع ما ذكره، وقال لنا وقد غنى وشربنا: نحن بالغداة علماء وبالعشي في صورة المخنكرين [٣] . فلما أخذ النبيذ منه أخذ يفسو وصديقي يغمزني ويتعجب، فأقول له: إن ذلك عادته وخلته، وأن سبيله أن يحتمل إلى أن غنى صوتا من الشعر والصنعة له فيه وكان يجيده:

إن بالحيرة قسا قد مجن ... فتن الرهبان فيها وافتتن

ترك الإنجيل حينا للصبا ... ورأى الدنيا مجونا فركن

قال: فطرب عليه صديقي طربا شديدا واستحسنه كثيرا وأراد أن يقول له:

أحسنت والله يا أبا الحسن، فقال له ما في نفسه يتردد من أمر الفساء: افس علي يا أبا الحسن كيف شئت، فخجل جحظة وخجل الفتى وانصرفنا.

وحدث الخطيب عن أبي الفرج الاصبهاني قال [٤] : حدثني جحظة قال:

اتصلت علي إضافة أنفقت فيها كل ما أملكه حتى بقيت ليس في داري سوى البواري [٥] فأصبحت يوما وأنا أفلس من طنبور بلا وتر- كما **يقال في المثل-** ففكرت كيف أعمل فوقع لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد [٦] الكاتب، وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين وحالفه النقرس فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولا على الأيدي أو في محفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف وكبر النفس وعظم

---

[١] المسدود: مغن (انظر الأغاني ٢٠: ٢٥٠) .

[٢] زاد هنا لفظة «فوقي» ولم ترد في الهفوات والنشوار (وهي تكرار للكلمة التالية) .

[٣] المخنكرون: المجان.

[٤] تاريخ بغداد ٤: ٦٦- ٦٧ والفرج بعد الشدة ٢: ٣٦٥.

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٣١٢

[٥] البواري: الحصر، المفرد: بارية.

[٦] هو محمد بن يحيى بن أبي عباد جابر العسكري. وقد مر ذكره.." [1]

"يسمى الشابانك، وعبس: جبل في بلادهم، عن العمراني. وعبس: محلة بالكوفة تنسب إلى القبيلة، وهو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار وقد نسب إليها.

عبسقان:

بالفتح ثم السكون، وسين مهملة ثم قاف:

من قرى مالين هراة، منها أبو عبد الله محمد بن علي ابن الحسين العبسقاني الكاتب الماليني، مات سنة ٣٦٠، روى عنه أبو الحسين أحمد بن محمد بن أبي بكر العالي البوشنجي، وأبو النصر محمد بن الحسن العبسقاني، مات سنة ٤٠٥.

العبسية:

منسوبة إلى التي قبله: ماء بالعريمة بين جبلي طيء.

عبعب:

بالتكرير والفتح، وقد تقدم اشتقاقه في عباعب، وعبعب: صنم كان لقضاعة ومن يقاربهم.

عبقر:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح القاف أيضا، وراء، وهو البرد، بالتحريك، للماء الجامد الذي ينزل من السحاب، قالوا: وهي أرض كان يسكنها الجن، **يقال في المثل**: كأنهم جن عبقر، وقال المرار العدوي:

أعرفت الدار أم أنكرتها ... بين تبراك فشسي عبقر

الشس: المكان الغليظ، قال: كأنه توهم تثقيل الراء وذلك أنه احتاج إلى تحريك الباء لإقامة الوزن فلو ترك القاف على حالها لتحول البناء إلى لفظ لم يجيء مثله وهو عبقر لم يجيء على بنائه ممدود ولا مثقل، فلما ضم القاف توهم به بناء قربوس ونحوه، والشاعر له أن يقصر قربوس في اضطرار الشعر فيقول قربس، وأحسن ما يكون هذا البناء إذا ذهب حرف المد منه أن يثقل آخره لأن التثقيل كالمد، وقد قال الأعشى:

كهولا وشبانا كجنة عبقر وقال امرؤ القيس:

كأن صليل المرو حين تطيره ... صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

وقال كثير:

جزتك الجوازي عن صديقك نظرة، ... وأدناك ربي في الرفيق المقرب

متى تأتهم يوما من الدهر كله ... تجدهم إلى فضل على الناس ترتب

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢١٤/١

كأنهم من وحش جن صريمة ... بعبقر لما وجهت لم تغيب

قالوا في فسره: عبقر من أرض اليمن فهذا كما تراه يدل على أنه موضع مسكون وبلد مشهور به صيارف وإذا كان فيه صيارف كان أحرى أن يكون فيه غير ذلك من الناس، ولعل هذا بلد كان قديما وخرب، كان ينسب إليه الوشي فلما لم يعرفوه نسبوه إلى الجن، والله أعلم، وقال النسابون: تزوج أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان هند بنت مالك بن غافق بن الشاهد بن عك فولدت له أفتل وهو خثعم ثم توفيت فتزوج بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة فولدت له سعدا ولقب بعبقر فسمته باسم جده وهو سعد العشيرة، ولقب بعبقر لأنه ولد على جبل يقال له عبقر في موضع بالجزيرة كان يصنع به الوشي، قال: وعبقر أيضا موضع بنواحي اليمامة، واستدل من نسب عبقر إلى أرض الجن بقول زهير:

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا." (١)

"المرصد للمصالح وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنيمة، وإن خرجوا بغير إذن من الإمام أو نهاهم الإمام عن الخروج وعلموا النهي لا يعطى سواء قاتل أو لم يقاتل وان خرج بغير إذنه فهل يرضخ له على وجهين.

(الباب التاسع عشر فيما يجب على السلطان في كل سنة)

أقل ما يجب على الإمام أن لا يأتي عام إلا وله فيه غزو ولا يجوز له القعود عن الغزو لأن فيه قطع منفعة الغنيمة عن المسلمين وإغراء الكفار فإنهم يتجاسرون على قتال المسلمين فقد **قيل في المثل** الروم إذا لم تغز غزت فإن أمكنه الغزو والإغارة في كل موضع فعل وإلا فيجب أن لا يمضي عام إلا وله فيه غزوة وعليه أن يغزو أهل كل ثغر يليه من الكفار ولا يأمر أهل ثغر الروم بالخروج إلى غزو الترك ولا الترك إلى الروم، وعلى هذا القياس، لمعنيين: أحدهما كثرة المؤنة والمشقة ببعد المسافة والثاني كل أعلم بشمس بلده وأرضه فإن أهل ثغر الروم أعلم بغزو الروم من غيرهم، وينبغي أن يكون للأمير على السرية صاحب رأي وتدبير ويحتاط في أمر الجيش والحرب ولا يكلف القوم ما لا يطيقون ولا يثبت على المشركين بحيث لو اشتهوا قتلوا الجيش كله فإن تهاون السلطان والإمام في ذلك خرجوا عن آخرهم، فانظروا إلى." (٢)

"فدونكم ضيفا قنوعا حرا ... يرضى بما احلولى وما أمرا

وينثني عنكم ينث البرا

قال الحارث بن همام: فلما خلبنا بعذوبة نطقه. وعلمنا ما وراء برقه. ابتدرنا فتح الباب. وتلقيناه بالترحاب. وقلنا للغلام: هيا هيا. وهلم ما تهيا! فقال الضيف: والذي أحلني ذراكم. لا تلمظت بقراكم. أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كلا. ولا تجشموا لأجلي أكلا. فرب أكلة هاضت الآكل. وحرمته مآكل. وشر الأضياف من سام التكليف. وآذى المضيف.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٧٩/٤

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٤٣٥

خصوصا أذى يعتلق بالأجسام. ويفضي الى الأسقام. وما **قيل في المثل** الذي سار سائره: خير العشاء سوافره. إلا ليعجل التعشي. ويجتنب أكل الليل الذي يعشي.." (١)

"الأول وقوله (من نحر وار) يعني الجمل المكتنز شحما الكثير مخا. وقوله (عشارة تخور وإعشاره تفور) العشار النوق الحوامل والأعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظميها يقال برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أخلاق وحبل أرمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد. وقوله (فاكهة الشتاء) كني بها عن النار ومنه قوله بعض المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد ... أكل الفواكه شاتيا فليصطل

أن الفواكه في الشتاء شهية ... والتار المقرور أفضل مأكل

وقوله (موائد كالهالات) يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة. وقوله (مشوش الغمر) يعني المنديل يقال مش يده بالمنديل أي مسحها ومنه قول امرئ القيس

نمش بأعراف الجياد اكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقوله (مشتهبا فوداه) أي صارا من الشيب في لون الأشهب ومنه قول امرئ القيس أيضا

قالت الخساء لما جئتها ... شاب بعدي رأس هذا واشتهب

وقوله (رنص حجرة) يعني ناحية **ويقال في المثل** لمن يشارك في الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة. وقوله (فاسترعة سمع السامر) يعني السمار لأن السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض أهل اللغة هوة اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب أحوال السمار أنهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه وإلى هذا يرجع قولهم لا أكلمه القمر والسمر. وقوله (ليس يعشك فادرجي) هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعشر ما يكون في شجرة فإذا كان في حائط أو كهف جبل فهو وكر. وقوله (الإيناس قبل الإنساس) هذا مثل أيضا ومعناه أنه ينبغي أن بؤس الإنسان ث م يكلف واصله أن حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم لبس بها الحلب والإيساس أن تقول لها بس لتسكن وتدر وتسمى الناقة التي تدر على الابساس البسوس. وقوله (يرغب في الشكم) الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فإن أعطيته مبتدءا فهو الشكد. وقوله (ساء أبا مثوابا) يعني المضيف الذي أووا إليه وثووا عنده. وقوله (ناقة عيدية) قيل أنها منسوبة إلى فحل منجب اسمه عيد وقيل هي منسوبة إلى فخذ من مهرة اسمه عيد بن ميرة وكانت مهرة وعيد تتخذان نجائب الإبل." (٢)

"وإياك والكسل فإنه عنوان النحوس. ولبوس ذوي البوس. ومفتاح المتربة. ولقاح المتعبة. وشيمة العجزة الجهلة. وشنشنة الوكلة التكلة. وما اشتار العسل. من اختار الكسل. ولا ملأ الراحة. من استوطأ الراحة. وعليك بالإقدام. ولو على الضرغام. فإن جراءة الجنان. تنطق اللسان. وتطلق العنان. وبها تدرك الحظوة. وتملك الثروة. كما أن الخور صنو الكسل. وسبب الفشل.

---

(١) مقامات الحريري الحريري ص/٤٩

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/٤٨٢

ومبطأة للعمل. ومخيبة للأمل. ولهذا قيل في المثل: من جسر. أيسر. ومن هاب. خاب. ثم ابرز يا بني في بكور أبي زاجر. وجراءة أبي الحارث. وحزامة أبي قرة. وختل أبي جعدة. وحرص أبي عقبة. ونشاط أبي وثاب. ومكر أبي الحصين. وصبر أبي أيوب. وتلطف أبي غزوان. وتلون أبي براقش. وحيلة قصير. ودهاء عمرو. ولطف الشعبي. واحتمال الأحنف. وفطنة إياس. ومجانة أبي نواس. وطمع أشعب. وعارضة أبي العياء. واخلب بصوغ اللسان. واخدع بسحر البيان. وارتد السوق قبل الجلب. وامتر الضرع قبل الحلب. وسائل الركبان قبل المنتجع. ودمث لجنبك قبل المضطجع. واشحذ بصيرتك للعيافة. وأنعم نظرك للقيافة. فإن من صدق توسمه. طال تبسمه. ومن أخطأت فراسته. أبطأت فريسته. وكن يا بني خفيف الكل. قليل الدل. راغبا عن العل. قانعا من الوبل بالطل. وعظم وقع الحقير. واشكر على النقير. ولا تقنط عند الرد. ولا تستبعد رشح الصلد. ولا تيأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الل إلا القوم الكافرون. وإذا خيرت بين ذرة منقودة. ودرة موعودة. فمل الى لنقد. وفضل اليوم على الغد. فإن للتأخير آفات. وللعزائم بدوات. وللعدات معقبات. وبينها وبين النجاز عقبات وأي عقبات. وعليك بصبر أولي العزم. ورفق ذوي الحزم. وجانب خرق المشتط. وتخلق بالخلق السبط. وقيد الدرهم بالربط. وشب البذل بالضبط. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط. ومتى نبا بك بلد. أو نابك فيه كمد. فبت منه أملك. واسرح منه جملك. فخير البلاد ما جملك. ولا تستثقلن الرحلة. ولا تكرهن النقلة. فإن أعلام شريعتنا. وأشياخ عشيرتنا. أجمعوا على أن الحركة بركة. والطراوة سفتجة. وزروا على من زعم أن الغربة. كربة. والنقلة. مثلة. وقالوا: هي تعلة من اقتنع بالرذيلة. ورضي بالحشف وسوء الكيلة. وإذا أزمعت على الاغتراب. وأعددت له العصا والجراب. فتخير الرفيق المسعد. من قبل أن تصعد. فإن الجار. قبل الدار. والرفيق. قبل الطريق: بطأة للعمل. ومخيبة للأمل. ولهذا قيل في المثل: من جسر. أيسر. ومن هاب. خاب. ثم ابرز يا بني في بكور أبي زاجر. وجراءة أبي." (١)

"وما داني ذلك من الشام والعراق، وجلب إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه، وهادنه

...

(وما داني ذلك) ؛ أي: ما قارب بلاد الحجاز وجزيرة العرب (من الشام) بالهمز الساكن وإبداله ألفا، ويقال بفتح الشين والمد؛ على وزن فعال، وهو يذكر ويؤنث.

والمشهور أن حد الشام من العريش إلى الفرات طولا، وقيل: إلى نابلس.

وعرضا من جبل طي من نحو القبلة إلى بحر الروم وما سامت ذلك من البلاد، وقد دخله النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لم يدخل دمشق، بل بلغ إلى بصرى (مدينة حوران) .

قال ابن عساكر في «تاريخه» : دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(والعراق) ؛ أي: عراق العرب، وهو إقليم معروف، وفيه مدن عظيمة وقرى، وطوله من تكريت إلى عبادان وهي قرية، ولذا قيل في المثل «ما وراء عبادان قرية» ؛ وعرضه من القادسية إلى حلوان، ودجلة حده: جانبها الأيمن للعراق؛ واليسار لفارس. ويدخل في حدود العراق البصرة والكوفة.

---

(١) مقامات الحريري   الحريري ص/٥٤٠

أما عراق العجم! فهو إقليم خراسان.
ولفظ «العراق» عربي، وقيل: فارسي معرب، وقيل: سمي عراقا لكثرة عروق أشجاره، (وجلب) ، أي: جيء، وفي بعض نسخ «الشفاء» : وجبيت (إليه من أخماسها) في الغنيمة، (وجزيتها) من أهل الذمة، (وصدقاتها) من أغنياء الأمة (ما لا يجبى) ، أي: ما لا يؤتى به (للملوك إلا بعضه) ، أي: لكثرته مع زيادة بركته، روي: أن أعظم مال أتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مال الجزية ما قدم عليه من البحرين، وقدره مائة ألف درهم وثمانون ألف درهم.
(وهادنه) ، أي: صالحه، – وفي نسخة صحيحة من «الشفاء» : وهادته." (١)
"وقد روى الطيالسي والحارث في ((مسنديهما)) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل عليه السلام إليه بالوحي في غار حراء، وروي الشق أيضا وهو ابن عشر أو نحوها في قصة له مع عبد المطلب، أخرجها أبو نعيم في ((الدلائل))، وروي مرة أخرى خامسة ولا تثبت.
(ثم غسله بماء زمزم) لأن الطهور شطر الإيمان، وإنما غسله بماء زمزم لفضله على سائر المياه، أو لأنه يقوي القلب (ثم جاء بطست) بفتح الطاء وبكسرها وسكون السين، إناء معروف ويستعمل بإدغام السين في التاء بعد قلبه سينا وهي مؤنثة، وقد يذكر على معنى الإناء، وخص الطست بذلك دون بقية الأواني؛ لأنه آلة الغسل عرفا (من ذهب) فإن قيل: فيه استعمال آنية الذهب وهو حرام.
فالجواب: أن ذلك كان على أصل الإباحة، والتحريم إنما كان بالمدينة، على أنه
[ج ٣ ص ٤]
فعل الملائكة واستعمالهم، ولا يلزم أن يكون حكمهم كحكمنا كما لا يلزم أن يكون حكم الآخرة كحكم الدنيا.
ومن ثمة قال الحافظ العسقلاني: وقد أبعد من استدل به على جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب، وإنما كان من ذهب؛ لأنه أعلى أواني الجنة وهو رأس الأثمان، وله خواص منها: أنه لا تأكله النار في حال التعليق، ولا تأكله الأرض ولا تغيره وهو أنقى شيء وأصفاه، **يقال في المثل**: أنقى من الذهب، وهو سبب للفرح والسرور.
قال الشاعر:
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء
وهو أثقل الأشياء فيجعل في الزئبق الذي هو أثقل الأشياء فيرسب، وهو أوفق لثقل الوحي، وهو عزيز وبه يتم الملك.
(ممتلئ) بالجر صفة «طست»، وقد ذكر على معنى الإناء (حكمة وإيمانا) الحكمة اسم من حكم بضم العين؛ أي: صار حكيما، وصاحب الحكمة المتقن الأمور، وأما حكم بفتح العين فمعناه: قضى ومصدره الحكم، والحكم أيضا الحكمة بمعنى العلم، والحكيم العالم.
وقال النووي: إن الحكمة فيها أقوال مضطربة صفى لنا منها: أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل؛ فالحكيم

---

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ٤٣٦/١

من حاز ذلك كله.
وقال ابن دريد: كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح فهي حكمة، وقيل: هي النبوة، وقيل: هي الفهم عن الله.." [1]

"١٦٣٦ - (وقال عبدان) هو: لقب عبد الله بن عثمان المروزي، وسيأتي إن شاء الله تعالى في أحاديث الأنبياء [خ¦٣٣٤٢] بلفظ: وقال لي عبدان، بزيادة قوله: ((لي)) (أخبرنا عبد الله) هو: ابن المبارك المروزي، قال: (أخبرنا) وفي رواية: [2](يونس) هو: ابن يزيد الأيلي (عن الزهري) محمد بن مسلم بن شهاب، أنه قال: (قال أنس بن مالك) رضي الله عنه (كان أبو ذر) هو: الغفاري رضي الله عنه (يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرج) بضم الفاء وكسر الراء وبالجيم؛ أي: فتح (سقفي) والمعنى: فتح فيه فتح، وروي فشق وأضاف السقف إلى نفسه مع أنه بيت أم هانئ، كما ثبت في الرواية، بأدنى ملابسة، وما روي أنه كان في الحطيم، فمحمول على كون العروج مرتين أو على أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعد ذلك بيت أم هانئ، ومنه عرج به إلى السماء، فافهم.

(وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج) بفتح الفاء والراء وبالجيم؛ أي: شق (صدري) وفي رواية: [3]، ويروى: [4](ثم غسله بماء زمزم) وإنما غسله بماء زمزم لفضله على سائر المياه حتى قيل: إنه أفضل من الكوثر، أو لأنه يقوي القلب (ثم جاء بطست من ذهب) وذلك كان على أصل الإباحة، والتحريم إنما كان بالمدينة، على أنه فعل الملائكة واستعمالهم، ولا يلزم أن يكون حكمهم كحكمنا، كما لا يلزم أن يكون حكم الآخرة كحكم الدنيا، وإنما كان من ذهب؛ لأنه أعلى أواني الجنة، وهو رأس الأثمان.

وله خواص منها: أنه لا تأكله النار، ولا تأكله الأرض ولا تغيره، وهو أنقى شيء

[ج ٨ ص ٨٠]

وأصفاه، يقال في المثل: أنقى من الذهب، وهو سبب للفرح والسرور، قال الشاعر:

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء

وهو أثقل الأشياء فيجعل في الزئبق الذي هو أثقل الأشياء فيرسب، وهو أوفق لثقل الوحي، وهو عزيز وبه يتم الملك.." [5]

"وأما الاعتراض بأن كثيرا من السور كذلك فيندفع بعدم المساواة؛ لأنها فاتحة الكتاب وسابقة السور، وقد اقتصر مضمونها على كليات المعاني الثلاثة بالترتيب على وجه إجمالي؛ لأن أولها ثناء، وأوسطها تعبد، وآخرها وعد ووعيد، ثم يصير ذلك مفصلا في سائر السور، فكانت منها بمنزلة مكة من سائر القرى على ما روي أنها مهدت أرضها، ثم دحيت

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٩٢٣

(٢) حدثنا

(٣) عن صدري

(٤) شرح صدري

(٥) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٦٦٤٦

الأرض من تحتها، فتتأهل أن تسمى أم القرآن، كما سميت مكة: أم القرى، انتهى.

وإليه يرجع ما قيل سميت أم الكتاب؛ لأن أم الشيء ابتداؤه وأصله، ومنه سميت مكة أم القرى؛ لأن أرضها دحيت من تحتها، وكذا ما قيل: سميت بذلك لاشتمالها على ذكر المبدأ والمعاش والمعاد، ويقال: سميت بذلك لأن فيها ذكر الذات والصفات والأفعال، وليس في الوجود سواه.

ويقال أيضا: سميت بذلك لأن الأم في اللغة الأصل، وسورة الفاتحة لا تحتمل شيء مما فيه النسخ والتبديل بل آياتها كلها محكمة فصارت أصلا، ويقال أيضا: سميت بذلك لأنها تؤم غيرها كالرجل يؤم غيره فيتقدم عليه.

وما قاله البخاري رحمه الله هو معنى قول البيضاوي، وتسمى أم القرآن؛ لأنها مفتتحه ومبدؤه؛ أي: يفتتح بها كتابة المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة، فافهم. وقيل: سميت الفاتحة؛ لأنها تفتح أبواب الجنة.

(والدين: الجزاء في الخير والشر) وفي نسخة: [1](كما تدين تدان) وسقطت الواو

[ج ١٩ ص ٦]

في رواية أبي ذر، أشار به إلى تفسير الدين في قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] وهو من كلام أبي عبيدة حيث قال: الدين الجزاء والحساب، **يقال في المثل**: كما تدين تدان، انتهى. وقوله: «الدين: الجزاء في الخير والشر»، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرسل ورجاله ثقات، ورواه عبد الرزاق أيضا بهذا الإسناد عن أبي قلابة عن أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفا، وأبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء ولكن له شاهد موصول من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه ابن عدي وضعفه.." [2]

"(إن أذكره أذكر) بالجزم جواب الشرط (عجره وبجره) بضم أوله وفتح الجيم فيهما، والمراد بهما عيوبه، وفي «القاموس» ذكر عجره وبجره؛ أي: أمره كله، والعجر تعقد العصب والعروق في الجسد حتى تصير ناتئة كالسلعة، والبجر مثلها إلا أنها مختصة بالتي تكون في البطن، قاله الأصمع وغيره، واحدها: بجرة، ومنه قيل: رجل أبجر إذا كان عظيم البطن، وامرأة بجراء، ويقال: لفلان بجرة: إذا كان ناتئ السرة عظيمها. وقال الأخفش: العجر: العقد يكون في سائر البدن، والبجر يكون في القلب.

وقال ابن فارس: **يقال في المثل**: أقضيت إليه بعجري وبجري؛ أي: بأمري كله. وقيل: العجر: ظاهرها، والبجر: باطنها، قال الشاعر:

لم يبق عندي ما يباع بدرهم ... يكفيك عجر حالتي عن بجري

إلا بقايا ماء وجه صنته ... لأبيعه فعسى تكون المشتري.

وقال ابن الأعرابي: العجرة: نفخة في الظهر، والبجرة: نفخة في السرة.

وقال ابن أبي أويس: العجر: العقد الذي يكون في البطن، والبجر: العيوب، وقيل: العجر في الجنب والبطن، والبجر في

(١) بالخير والشر

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٥٣٦٥

السرة، قيل: وهذا أصلهما ثم استعملا في الهموم والأحزان. ومنه قول علي رضي الله عنه يوم الجمل: أشكوا إلى الله عجري وبجري.

وقال الأصمعي: استعملا في المعائب، وبه جزم ابن حبيب وأبو عبيد الهروي. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثم ابن السكيت: استعملا فيما يكتمه المرء ويخفيه عن غيره، وبه جزم المبرد.

وقال الخطابي: أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة، قال: ولعله كان مستور الظاهر ردي الباطن، وقال أبو سعيد الضرير: عنت أن زوجها كثير المعائب منعقد النفس عن المكارم.

(قالت) المرأة (الثالثة) وهي حبى، بضم الحاء المهملة وتشديد الموحدة، مقصورا، بنت كعب اليماني على ما ذكره ابن دريد، وهي تذم زوجها أيضا (زوجي العشنق) بفتح العين المهملة ثم المعجمة وتشديد النون المفتوحة بعدها قاف. قال أبو عبيد وجماعة: هو الطويل، زاد الثعالبي: المذموم الطول، وقال الخليل: هو الطويل العنق، وقال ابن أبي أويس: الصغير من الرجال المقدام الجريء.." (١)

"من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... إليه والمال للإنسان فتان

من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلان

من كان للعقل سلطان عليه غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان

من مد طرفا بفرط الجهل نحو هوى ... أغضى على الحق يوما وهو خزيان

من استشار صروف الدهر قام له ... على حقيقة طبع الدهر برهان

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامة والحصد الزرع أبان

من استنام إلى الأشرار قام وفي ... قميصه منهم صل وثعبان

كن ريق البشر إن الحر زينته ... صحيفة وعليها البشر عنوان

ورافق الرفق في كل الأمور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه إنسان

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلن يدوم على الإحسان إمكان

فالروض يزدان بالنور فاحمه ... والحر بالحلم والإحسان يزدان

صن حر وجهك لا تهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان

دع التكاسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان

لا ظل للمرء أحرى من تقى ونهى ... وإن أظلته أوراق وأغصان

والناس أعوان من والته دولته ... وهم عليه إذا عادته أعوان

سبحان من غير مال باقل حصر ... وباقل في ثراء المال سحبان

لا تودع السر وشاء به مذلا ... فما رعى غنما في الدو سرحان

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٨٤٢٣

لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم ... غراء لست تحصيها وألوان

ما كل ماء كصداء لوارده ... نعم ولا كل نبت فهو سعدان

لا تخدشن بمطل وجه عارفة ... فالبر استوى فيه إسرار وإعلان

فللتابير فرسان بها ركضوا ... فيها أبروا كما للحرب فرسان

وللأمور مواقيت مقدرة ... وكل أمر له حد وميزان

كفى من العيش ما قد سد من عوز ... ففيه للحر غنيان وقنيان

وذو القناعة راض عن معيشته ... وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان

حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... إذا تحاماه إخوان وخلان

هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان

إذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه في بسيط الأرض أوطان

يا ظالما فرحا بالعز ساعده ... إن كنت ما بينها لا شك ظمآن

لا تحسبن سرورا دائما أبدا ... من سره زمن ساءته أزمان

يا رافلا في الشباب الوحف منتشيا ... من كأسه هل أصاب الرشد نشوان؟

لا تغترر بشباب رائق خضل ... فكم تقدم قبل الشيب شبان

ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم ... يكن لمثلك في الإسراف إمعان

هب الشبيبة تبلي عذر صاحبها ... ما عذر أشيب يستهويه شيطان

وكل كسر فإن الدين يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران

خذها سوائر أمثال مهذبة ... فيها لمن يبتغي التبيان تبيان

ما ضر حسانها والطبع صائغها ... إن لم يصغها قريع الشعر حسان

ومنها لامية الشيخ اسماعيل بن أبي بكر المقري الزبيدي وهي قوله:

زيادة القول تحكي النقص في العم ... ومنطق المرء قد يهديه للزلل

إن اللسان صغير جرمه وله ... جرم كبير كما قد **قيل في المثل**

فكم ندمت على ما كنت قلت به ... وما ندمت على ما لم أكن أقل

وأضيق الأمر لم يجد معه ... فتى يعينك أو يهديك للسبل

عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة ... كعفة الخود لا تغني عن الرجل

إن المشاور إما صائب غرضنا ... أو مخطئ غير منسوب إلى الخطل

لا تحقر الرأي يأتيك الحقير به ... فالنحل وهو ذباب طائر العسل

ولا يغرنك ود من أخي أمل ... حتى تجربه في غيبة الأمل

إذا العدو أحاجته الأخا علل ... عادت عدواته عند انقضاء العلل

لا تجز عن لخطب ما به حيل ... تغني وإلا فلا تعجز عن الحيل

لا شيء أولى بصبر المرء في قدر ... لا بد منه وخب غير منتقل

لا تخبرن على ما فات حيث مضى ... ولا على فوت أمر حيث لم تنل

فليس تغني الفتى في الأمر عدته ... إذا تقضت عليه مدة الأجل

وقدر شكر الفتى لله نعمته ... كقدر صبر الفتى للحادث الجلل

وإن أخوف نهج ما خشيت به ... ذهاب حرية أو مرتضي عمل." (١)

"للسبي ما ولدوا للحرق ما حصدوا للسلب ما حشدوا بالغدر والدغل

لله دركم لله دركم إذ قد تداركتم العطشى على عجل

سقوا كؤوس الردى كرها وقد شربت طوعا دماءهم الأسياف بالعلل

حماكم الله ما أمضى سيوفكم قطعتموهم وهم أكسى من البصل

يا أيها الملك الميمون طلعته أما ترى الرؤس في التزوير والحيل

وكيف دسوا وقد حثوا البغاة على ال غدر الشنيع فجوزوا الذل بالفشل

جاؤا لحربكم معهم فردهم ظبي سيوفكم بالويل والألل

لما رأوكم مدبرين ومخ ذولين ما اكترثوا بالأهل والثقل

فالكفر في خطر والدين في ظفر والروس في خجل والروم في جذل

أضحى سيوفهم أمسى مدافعهم في الغمد من عطل والحرس من صحل

يا بئس ما اقترحوه من وقاحتهم بدعا فيأنف منه كل ذي نبل

وقد أصبتم إذا أعرضتم أنفا عن قول كل سحيف الرأي مبتذل

أخزاهم الله ما أغباهم فنسوا قدما هزيماتكم في الأعصر الأول

هذا وإذ جربوا فيكم مجربهم عادوا ندامى كما قد قيل في المثل

وقد دعاني إلى الإنشاد مجدكم فسرا فلست بأهل الشعر والغزل

أبقاكم الله في عز وفي شرف وفي علو وفي مجد وفي زعل

أعداؤكم في حضيض الذل من حيل أخبابكم من ذرى العلياء في قلل

بهاشمي كريم سيد سند هاد بشير نذير سيد الرسل

توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف بديوبند.

حرف الراء

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار   عبد الرحمن بن درهم ص/٩٤

مولانا راغب الله الباني بتي

الشيخ العالم الصالح راغب الله بن محب الله الحنفي الباني بتي أحد الفقهاء الحنفية، ولد في السابع عشر من رجب سنة تسع وستين ومائتين وألف، واشتغل بالعلم أياما في بلدته، ثم سافر إلى سهارنبور وقرأ على مولانا أحمد حسن الكانبوري والشيخ محمد مظهر والعلامة محمد قاسم النانوتوي، ثم دخل عليكده ولازم المفتي لطف الله الكوئلي وقرأ أكثر الكتب الدرسية، ثم رجع إلى بلدته وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الباني بتي ولازمه زمانا، ثم ولي التدريس في المدرسة العربية بباني بت.

لقيته سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف ببلدته فوجدته بين الكهولة والشيخوخة، عالما متواضعا كثير الصمت، حسن الدل والسمت.

مولانا رحمان علي الناروي

الشيخ الفاضل رحمان علي بن شير علي الصديقي الحنفي الناروي أحد العلماء المشهورين، ولد يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة أربع وأربعين ومائتين وألف، وقرأ المختصرات على إخوته، ثم دخل فتحبور، وقرأ على مولانا محمد شكور المجهلي شهري والشيخ ثابت علي البهكوي والفاضل حسين علي الفتحبوري والمولوي عبد الله الزيد بوري، ثم سافر إلى بانده وقرأ على مولانا سلامة الله الكانبوري، ثم أسند الحديث عن عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الباني بتي، وسار إلى بلدة ريوان – بكسر الراء." (١)

"غيضن من عبراتهن وقلن لي: ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟

وله، وينسب إلى عبد الرحمن بن حسان:

إذا المرء أعيته السيادة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

مالك بن زيد مناة بن تميم

ذكر ابن حزم أنه كان أحمق مضعفا، وهو الذي أوصى أخاه سعدا بالقيام على إبله، فلم يقم بها حق القيام، فقال:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا تورد يا سعد الإبل

ولذلك **قيل في الأمثال**: "آبل من مالك بن زيد مناة". والنسب إليه على جذمين: حنظلة وفيهم الشرف والعدد، وربيعة.

بنو حنظلة بن مالك

ابن زيد مناة بن تميم، فمنهم البراجم، وهم خمسة من ولد حنظلة، لهم أعلام في الإسلام.." (٢)

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١٢٢٧/٨

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٤٤٧

"فكل فضيلة نبيلة ومنقبة جليلة عند بغيته مستصغرة، وكل درجة رفيعة، وحوزة منيعة، عند طلبته نازلة سهلة، فمراده أن يقول: كيف ترضى لنفسك أن يقال عنك: هذا شاعر، مقتصرا على هذه السمة، ومقتنعا بهذه المنزلة، وواقفا على هذه الغاية، وتترك الجد والاجتهاد في إدراك الرتبة التي أنت مؤملها، وتحصيل الأمنية التي أنت طالبها. ثم قال: بعدا لها من عدد الفضائل، أي بعدا لهذه الفعلة مما يعدد في الفضائل التي خصصت بها، حثا لنفسه وتحريضا لها في طلب أمر هو من الشعر أعلى محلا، وأغلى حليآ، وأوفى شرفا، وأوفر قيمة، وأعز موضعا، ولم يقصد أن الشعر خصلة مرذولة وخلة مذمومة. وكيف يذهب الى ذلك أو يدعيه أو يقوله، وبالشعر شهر اسمه وأضاء نجمه، وتوفر من الأدب قسمه، وأغرض في الفخر سهمه، وأفنى فيه عمره، وقضى بمصاحبته دهره، ولو ادعى أن الشعر خلة رذيلة ومنزلة وضيعة، لم يلتفت إلى زعمه، ولا اتسق له أن يحج بذلك حجة خصمه، ولا قوله فيه مقبول ولا مسلم إليه.

وقد تقدم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في مدحه ووصفه وأقوال صحابته ما يدحض كل حجة، ويوضح في الفلج كل محجة. ومما يدل على أن الرضي كان يحدث نفسه بما تستصغر معه المراتب الجليلة، والفضائل النبيلة، ما كاتبه به أبو إسحاق الصابئ الكاتب، إما مستهزئا به لاهيا، أو صادقا في مدحه متناهيا، وهو:

أبا حسن لي في الرجال فراسة ... تعودت منها أن تقول فتصدقا

وقد خبرتني عنك أنك ماجد ... سترقى من العلياء أبعد مرتقى

فوفيتك التعظيم قبل أوانه ... وقلت: أطال الله للسيد البقا

وأضمرت منه لفظة لم أبح بها ... إلى أن أرى إظهارها لي مطلقا

يعني: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فإن عشت أو إن مت فاذكر بشارتي ... وأوجب بها حقا عليك محققا

وكن لي في الأولاد والأهل حافظا ... إذا ما اطمأن الجنب في مضجع النقا

لا ريب عندي أن أبا إسحاق لاه في قوله، وأن باطنه فيه ضد ظاهره، وإنما أتاه بما يوافق غرضه وتحدثه به نفسه؛ ليحرك بمجونه ساكن منجونه، كما قيل في المثل حرك لها حوارها تحن. وأعجب من هذا قبوله لقوله، وإجابته له بقصيدة، منها:

لئن برقت مني مخائل عارض ... لعينيك تقضي أن يجود ويغدقا

فليس بساق قبل ربعك مربعا ... وليس براق قبل جوك مرتقى

وإن صدقت منه الليالي مخيلة ... فكن بجديد الماء أول من سقى

وإن تر ليثا لابدا لفريسة ... يراصد غرات المقادير مطرقا

فما ذاك إلا أن يوفر طعمها ... عليك إذا جلى إليها وحققا

فإن راشني دهر أكن لك بازيا ... يسرك محصورا ويرضيك مطلقا

أشاطرك العز الذي أستفيده ... بصفقة راض إن غنيت وأملقا

فتذهب بالشطر الذي كله غنى ... وأذهب بالشطر الذي كله شقا

فغيري إذا ما طار غادر صحبه ... دوين المعالي واقعين وحلقا

لعل الليالي أن يبلغن منية ... ويقرعن لي بابا من الحظ مغلقا

نظار ولا تستبط عزمي فلن ترى ... علوقا إذا ما لم تجد متعلقا

وإن قعدت بي السن عنها فإنه ... سينهض بي مجدي إليها محققا

فمن في نفسه مثل هذا كيف يرى الاقتناع بمرتبة الشعر ولا يقول: بعدا لها من عدد الفضائل.." (١)

"جبينه أبلج، وثغره غير مفلج. لا يزال فمه مفتوحا، ومع جودته وصلابته لا تراه إلا مفدوحا. يهواه كل ذي ثروة وسخا، صبور على كد مستعمله في الشدة والرخا. بديع في معانيه بعيد عن العكس والطرد، وربما أحس عند الحر بالبرد. إذا لاذ بصاحبه لازم الملاذ، ويعد استعماله من الملاذ. له فم وعين يروقان السامع والباصر، وتألفه الأيدي من ذوي الأيادي وتعقد عليه الخناصر. جعل الله له في نفوس الناس عزه، وجعل أصبع كل فرد فرد منه كما يقال في المثل تحت رزه. يحمل زائره على رأسه، وإن لم يكن من أبناء جنسه. ويفر ممن وضع على النعش، وربما صح في الرهان عليه النقش. طالما وصفه القاري في آخر الكلام القديم بنصه، ويروي عنه الحديث بفصه. أبلج من الفضه، وابهج من الإقحوانة الغضه. كثير السكوت فإذا حرك فهو نشيط، ذو جسم وقلب ولا حجر له وهو مع ذلك بما هو بصدده محيط. محظوظ في اللحظ، ملحوظ في الخط. طالما ضيق على صاحبه حتى ضاق به ذرعا، ولربما حصلت التوسعة من قلبه فلم يجد نفعا. محلى وفي قالب الحسن مفرغ ابيض اللون كأنما صيغ من لون بدر السماء بل هو من ثناء مالكه يصبغ. ظرف مظروف، عند ذوي الظرف معروف. يوضع على المعسر إذا حصل له الضيق، وانه لنعم الرفيق. لا يدع اثنين يسلكان مسلكه، ولا يرضى في ممرة ومقره بشركه. يعلو على رأسه التنزيل، فلا يتغير لذلك ولا يستحيل. رباعي الحروف ونصفه حرف." (٢)

"وسدد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام، من بعد الاستغلاق والاستبهام، وقد عبثت جوارح صخوره في قنائص الهام، وأعيا صعبه على الجيش اللهام، فأخذ مسائغه النقض والنقب، ورغا فوق أهله السقب (١) ، ونصبت المعارج والمراقي، وقرعت المناكب والتراقي، واغتنم الصادقون مع الله تعالى الحظ الباقي، وقال الشيهد السابق: يا فوز استباقي، ودخل البلد فألحم السيف، واستلبت البحث والزيف، ثم استخلصت القصبة فعلت أعلامك في أبراجها المشيدة، وظفر ناشد دينك منها بالنشيدة (٢) ، وشكر الله تعالى في قصدها مساعي النصائح الرشيدة، وعمل ما يرضيك يا رسول الله في سد ثلمها، وصون مستلمها، ومداواة ألمها، حرصا على الاقتداء في مثلها بأعمالك، والاهتداء بمشكاة كمالك، ورتب فيها الحماة تشجي العدو، وتصل في مرضاة الله تعالى، ومرضاتك برواحها الغدو.

ثم كان الغزوإلى مدينة إطريرة (٣) بنت حاضرة الكفر إشبيلية التي أظلتها بالجناح الساتر، وأنامتها في ضمان الأمان للحسام الباتر، وقد وتر الإسلام من هذه المومسة البائسة بوتر الواتر، وأحفظ منها بأذى الوقاح المهاتر، لما جرته على أسرة من عمل الخاتل الخاتر، حسب المنقول لا بل المتواتر، فطوى إليها المسلمون المدى النازح، ولم تشك المطي الروازح، وصدق الجد

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٧٤

(٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان السيوطي ص/٧١

جدها المازح، وخففت فوق أوكارها أجنحة الأعلام، وغشيتها أفواج الملائكة الموسومة وظلال الغمام، وصابت من السهام ودق الرهام، وكاد يكفي السهام على الأرض ارتجاج أجوائها بكلمة الإسلام، وقد صم خاطب عروس الشهادة

---

(١) السقب: ولد الناقة وفي العبارة إشارة إلى ما حل بقوم عندما عقروا الناقة، فيقال في المثل لتصوير الهلاك " رغا فوقهم السقب ".

(٢) النشيدة: الضالة التي تنشد أي تطلب.

(٣) إطريرة (Utrera) إلى الجنوب الشرقي في إشبيلة على بعد ٣٩ كيلومترا، وقد ضبطت بكسر الهمزة وسكون الطاء.." (١)

"ثم كان الغزوإلى أم البلاد، ومثوى الطارف والتلاد، قرطبة، وما قرطبة المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان اعمل، والكرسي الذي بعصاه رعي الهمل، والمصر الذي له في خطة المعمور الناقة والجمل، والأفق الذي لشمس الخلافة العبشمية (١) الحمل، فخيم الإسلام بعقوتها (٢) المستباحة، وأجاز نهرها المعيي على السباحة، وعم دوحها الأشب بوارا، وأدار المحلات بسورها سوارا، وأخذ بمخنقها حصارا، وأعمل النصر بشجر يصلها (٣) اجتناء ما شاء واهتصارا، وجدل من أبطالها من لم يرض انحجارا، فأعمل إلى المسلمين إصحارا، حتى فرغ بعض جهاتها غلابا جهارا، ورفعت الأعلام إعلاما بعز الإسلام وإظهارا، فلولا استهلال الغوادي، وأن أتى الوادي، فأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادي، ولقضى تفثه (٤) العاكف والبادي، فاقتضى الرأي ولذنب الزمان في اغتصاب الكفر إياها متاب، تعمل ببشراه بفضل الله تعالى أقتاد وأقتاب، ولكل أجل كتاب أن يراض صعبها حتى يعود ذلولا، وتعفى معاهدها الآهلة فتترك طلولا، فإذا فجع الله تعالى بمارج النار طوائفها المارجة، وأباد بخارجها الطائرة والدارجة، خطب السيف منها أم خارجة (٥) ، فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار ومفارق الهضاب بالهشيم قد شابت، والغلات المستغلات قد دعا بها القصل فما ارتابت، وكأن صحيفة نهرها لما

---

(١) العبشمية: نسبة إلى عبد شمس.

(٢) العقوة: الساحة. وفي ق: بعقرتها.

(٣) ق: فأعمل النصر ... نصها؛ والمراد أن النصر حطم رماحها.

(٤) التفث في الحج: الحلق والتقصير وقص الأظفار ونحر البدن وغير ذلك مما يفعله الحاج إذا حل من إحرامه، والمراد أنه استوفى حجه، فكنى به لسان الدين عن بلوغ غاية الأرب.

(٥) أم خارجة: كانت سريعة الخطبة ولذلك قيل في المثل " أسرع من نكاح أم خارجة " وقد شبه قرطبة بها لتداول الغلبة

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٦٩/٦

عليها دهرا بعد دهر، وألمح ابن شهيد إلى هذا حين تغزل بقرطبة فقال:

زنت بالرجال على سنها ... فيا حبذا هي من زانية." (١)

"أهذي أمارات المسرة قد بدت ... أم الحزن قد أبكاك من دونه دما

ومنها على لسان العناب:

نعم فرحتي أني مجاور سيد ... نمى حسبا في عصره وتكرما

وحضرته روض من الجنة التي ... زهت بضجيع كان بالعلم مغرما

أتعجب بي إذا كنت في جنب روضة ... وحقي فيها أن أقيم وألزما

كعادة أشجار الرياض فإنها ... تمكن فيها الأصل والفرع قد نما

وقد قيل في الأمثال إذ كنت سامعا ... خذ الجار قبل الدار إن كنت مسلما

أما سار من درا الفناء إلى البقا ... وأبقى ثناء بالجميل معظما

ومن كان بعد الموت يذكر بالعلى ... فبالذكر يحيي ثانيا حيث يمما

فقلت له يهنيك طيب جواره ... وحياك وسمى الغمام إذا همى

لتسقط أثمارا على جنب قبره ... ليلقطها من زاره وترحما

فواعجبا حتى النبات زهت به ... فحق لنا عن فضله أن نترجما

وله، يمدح المولى البهائي:

كشف الدهر عن وجوه الأماني ... ومحا السيئات بالإحسان

وأرانا شمس العدالة تبدو ... في بروج الجمال والعرفان

وحبانا من آل سعد بمولى ... لا يدانيه سعد تفتازاني

درة ركبت بتاج المعالي ... غرة أشرقت بوجه الزمان

عالم وهو عالم يتراءى ... للبرايا في صورة الإنسان

وهمام مهذب قد تحلى ... بعقول الكهول في العنفوان

أخمد الظلم منه عدل منير ... وكذا النور مخمد النيران

خذ يمني إن البراعة منه ... فعلت ما يكل عنه اليماني

إن شهباءنا به قد أنارت ... وعلت رتبة على كيوان

وتوالت على بنيها المسرا ... ت فهم يسحبون ذيل التهاني

منها:

أنت معنى لك الفضائل كاللف ... ظ وروح والمجد كالجثمان

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٧٣/٦

أنت في المكرمات فضل ولكن ... لابن عبد العزيز في العدل ثاني

ومنها، يعتذر عن هدية أهداها:

وهديت اليسير فأنعم وقابل ... نزره بالقبول والامتنان

فلو أن العيوق والشمس والبد ... ر مع الفرقدين في إمكاني

كنت أهديتها وقدمت عذرا ... ورأيت القصور مع ذاك شاني

ومما يسكر العقول في الاعتذار عن الهدية قول الشاهيني، ومن قصيدة كتبها إلى أبي العباس المقري، وأرسل له معها خمسين قرشا:

لو كان لي أمر الشباب خلعته ... بردا على عطفيك ذا أردان

لكن تعذر بعث أول غايتي ... فبعثت نحوك غاية الإمكان

وللسيد أحمد من اعتذارية عن هدية أيضا:

إلى قصر الداعي وأهدى بلا ... روية محتقرا نزرا

من عمل الصين قطاعا أتت ... لا تستحق الوصف والذكرا

فاعذر فقد أهدى إليك الثنا ... عقدا نظيما يخجل البدرا

ومن بدائعه قوله، وهو في غاية الجودة:

لدواة داعيكم مداد شاب من ... جور اليراع وقد رثت لمصابه

فأتت تؤمل جودكم وتروم من ... إحسانكم تجديد شرخ شبابه

وقوله، في صدر رسالة:

أيها الفاضل الذي خصه الل ... ه من الفضل والحجى بلبابه

إن شوقي إليك ليس بشوق ... يمكن المرء شرحه في كتابه

وكتب إلى السيد محمد العرضي، قبل توجهه إلى الروم:." (١)

"بالأموال الكثيرة، ويتصدق على ذوى الحاجات، ويلين جانبه للخاص والعام، وحكى عنه: أنه سار في بعض أسفاره، ونزل في خركاة قد نصبت له قبل أصحابه، وقدم إليه الطعام، فقال لبعض أصحابه لأى شيء **قيل في المثل**: خير الأشياء في القرية الإمارة، فقال:

لقعودك في الخركاة، ولهذا الطعام بين يديك، وأنا لا خركاة، ولا طعام، فضحك، وأعطاه الخركاة، والطعام.

ومن محاسن أفعاله ما فعله من نصرة بختيار بن أخيه معز الدولة على ابنه عضد الدولة على ما نذكره في أخبار عز الدولة بختيار.

وكان له من الأولاد: عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو، وفخر الدولة أبو الحسن على. ومؤيد الدولة أبو منصور بويه، وأبو

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/٣٠٠

العباس خسرو فيروز.

وزراؤه: أول من وزر له: الأستاذ أبو الفضل أحمد بن العميد إلى أن توفي في سنة تسع وخمسين، فاستوزر بعده ولده ذا الكفايتين أبا الفتح محمد، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة إلى أن توفى ركن الدولة.

ذكر أخبار معز الدولة بن بويه

هو أبو «١» الحسين «٢» أحمد بن بويه، ومعز الدولة أصغر إخوته سنا، وأكثرهم سعادة، وأوسعهم ملكا. وكان في ابتداء أمره مع أخيه عماد الدولة، وحضر معه المصاف الذى كان بينه، وبين ياقوت فى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، وهو صبى لم تنبت لحيته،." (١)

"بنى لشيان مجدا لا زوال له ... حتى تزول ذرى الأركان من حضن حضن: بفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة وبعدها نون، اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة، بينه وبين تهامة مرحلة، **يقال في المثل**: أنجد من رأى حضنا، وله ذكر كثير من الأشعار والأخبار (١) .

ودخل على معن بعض الفصحاء يوما فقال له: إني لو أردت أن أستشفع إليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا، ولكني استشفعت إليك بقدرك، واستغنيت بفضلك، فإن رأيت أن تضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل، وإني لم أكرم نفسي عن مسألتك فأكرم وجهي عن ردك.

ولمعن أشعار جيدة وأكثرها في الشجاعة، وقد ذكره أبو عبد الله ابن المنجم في كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع، فمن ذلك قوله في خطاب ابن أخي عبد الجبار بن عبد الرحمن، وقد رآه يتبختر بين السماطين، وكان قبل ذلك لقي الخوارج ففر منهم:

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم ... وصبرت عند الموت يا خطاب

نجاك خوار العنان كأنه ... تحت العجاج إذا استحث عقاب

وتركت صحبك والرماح تنوشهم ... وكذاك من قعدت به الأحساب وقال أبو عثمان المازني النحوي: حدثني صاحب شرطة معن قال: بينما أنا على رأس معن إذا هو براكب يوضع، فقال معن: ما أحسب الرجل يريد غيري، ثم قال لحاجبه: لا تحجبه، قال: فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد:

أصلحك الله قل ما بيدي ... فما أطيق العيال إذ كثروا

ألح دهر رمى بكلكله ... فأرسلوني إليك وانتظروا قال: فقال معن وأخذته الأريحية: لا جرم والله لأعجلن أوبتك، ثم قال:

---

(١) وله فيه ... والأخبار: سقط من: لي بر من.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٧٩/٢٦

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢٤٨/٥

"أقول وقد قالوا نراك مقطبا ... إذا ما ادعى دين الهوى غير أهله

يحق لدود القز يقتل نفسه ... إذا جاء بيت العنكبوت بمثله وهذا ينظر إلى قول بعضهم:

إذا شوركت في أمر بدون ... فلا يلحقك عار أو نفور

ففي الحيوان يشترك اضطرارا ... أرسطاليس والكلب العقور وقول الآخر:

وللزنبور والبازي جميعا ... لدى الطيران أجنحة وخفق

ولكن بين ما يصطاد باز ... وما يصطاده الزنبور فرق قلت: وعلى ذكر دود القز ينبغي أن يذكر ما يقال عن السرفة، بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء، قال الجوهري في كتاب " الصحاح " هي دويبة لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناووس، ثم تدخل فيه وتموت، **يقال في المثل**: هو أصنع من سرفة، وذكر لي بعض الفضلاء أن السرفة هي الأرضة، والله أعلم.

ومما ينبغي أن يلحق بالأبيات المقدم ذكرها قول بعضهم:

إن أعوز الحاذق فاستبدلوا ... مكانه أخرق لم يحذق

فلاعب الشطرنج من دأبه ... وضع حصاة موضع البيدق والأصل في هذا كله قول المتنبي:

وشر ما قنصته راحتي قنص ... شهب البزاة سواء فيه والرخم ويقرب منه قول أبي العلاء المعري أيضا:

وهل يدخر الضرغام قوتا ليومه ... إذا ادخر النمل الطعام لعامه (١) قلت: وفي هذه الأبيات الأوائل ما يحتاج إلى زيادة إيضاح، فليس

---

(١) قلت وعلى البيتين ... لعامه: لم يرد في س.." (١)

"وقال في العتاب من الكامل

(وأخ رخصت عليه حتى ملني ... والشيء مملول إذا ما يرخص)

(يا ليته إذ باع ودي باعه ... فيمن يزيد عليه لا من ينقص)

(ما في زمانك ما يعز وجوده ... إن رمته إلا صديق مخلص) // الكامل //

وقال من الكامل

(يا من جفا في القرب ثم نأى ... فشكا الهوى بالكتب والرسل)

(مهلا فإنك في فعالك ذي ... مثل الذي قد **قيل في المثل**)

(ترك الزيارة وهي ممكنة ... وأتاك من مصر على جمل) // الكامل //

وقال في وصف سيف من الكامل

(متوقد مترقرق عجبا له ... نار وماء كيف يجتمعان)

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٢/٧

(وكأنما ابواه صرفا دهرنا ... أو كان يرضع درة الحدثان)

(تجري مضاربه دما يوم الوغى ... فكأنما حداه مفتصدان) // الكامل //

وقال في هجاء شاعر من المنسرح

(لما تبدى الكوفي ينشدنا ... قلنا له طعنة وطاعونا)

(تجمع يا أحمق العباد لنا ... شعرك في برده وكانونا) // المنسرح //

وقال في مثل ذلك من البسيط

(لو ان في فمه جمرا وأنشدنا ... شعرا لما ضره من برد إنشاده) // البسيط //

ما أخرج من شعر ابي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

وهو منسوب في بعض النسخ إلى كشاجم للسبب الذي تقدم ذكره وما وقع." [١]

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢/٢٣٢